

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ولي كل نعمة ، وصوائه على نبيه الهادي من كل ضلالة ، وعلى آله
المتنجسين^(١) الأختيار ، وعترته المصطفين الأبرار .

[قال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله لبعض إخوانه : اعلم -
علمك الله الخير ، ودلك عليه ، وقبضه لك ، وجملك من أهله]^(٢) أن أحق العلوم
بالتعلم ، وأولاهما بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة ، ومعرفة
الفصاحة ، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادي إلى
سبيل الرشد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة ، التي رفعت أعلام الحق ،
وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حجب الشك بيقينها .
وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع
علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ،
وما شحنته به من الإيجاز البديع ، والاختصار اللطيف ؛ وضمنته من الحلاوة ،
وجلله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كليله وجزالتها ، وعذوبتها وسلاستها ،
إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها ، وتحيّرت عقولهم فيها .

وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته ،
في حسنه وبراعته ، وسلاستها ونصاعته^(٣) ، وكال معانيه ، وصفاء ألفاظه . وقبيح
لعمري بالفقيه المؤتم به ؛ والقارى المتدى بهديه ، والتكلم المشار إليه في حسن
مناظرته ، وتمام آيته في مجادته ، وشدة شكيمته في حجاجه^(٤) ؛ وبالعربي الصليب^(٥)

(١) المتنجب : المختار (٢) ما بين المرعين ساقط من الأصول عدا ط .

(٣) النصاعة هنا : الوضوح . (٤) شديده الشكيمة : أبل لا ينقاد . والحجاج :

مصدر حاجه : إذا غلبه في الحجة . (٥) الصليب : الخالص النسب .

والقرشي الصريح^(١) ألا يعرف إعجازَ كتابِ الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها
الزنجي^(٢) والنبطي^(٣) ، أو أن يستدلَّ عليه بما استدلَّ به الجاهلُ النجبي .

فينبغي من هذه الجهة أن يُقدِّم اقتباسُ هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد
الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيدِهِ على ما ذكرنا ؛ إذ كانت المعرفةُ
بصحة النبوة تتلو المعرفةَ بالله جلَّ اسمه .

ولهذا العلم بعد ذلك فضائلُ مشهورة ، ومناقبُ معروفة ؛ منها أن صاحبَ العربية
إذا أخلَّ بطلبه ، وفرطَ في التماسه ، ففانتته فضيلته ، وعلقت به رذيلةُ فوته ، عقى
على جميع محاسنه ، وعمى^(٤) سائرَ فضائله ؛ لأنه إذا لم يفريق بين كلامٍ جيدٍ ، وآخر
ردى ؛ ولفظٍ حسنٍ ، وآخر قبيح ؛ وشعرٍ نادرٍ ، وآخر باردٍ ، بان جهله ، وظهر
نقصه .

وهو أيضاً إذا أراد أن يصنع قصيدة ، أو ينشئ رسالة - وقد فانه هذا
العلم - مزج الصفو بالكدر ، وخلط الفرر بالعرر^(٥) ، واستعمل الوحشي المكر ؛
فجعل نفسه مهزأة^(٦) للجاهل ، وعبرة للعاقل ؛ كما فعل ابن جحدر في قوله :

حلفتُ بما أرقلتُ خوَلَه همرَ جلةً خلقها شيطم^(٧)
وما شبرقتُ من تنوفيسة^(٨) بها من وحى الجن زيريم^(٨)

وأنشده ابن الأعرابي ، فقال : إن كنت كاذبا فالله حسيبك .

وكأثر جَم بعضهم كتابه إلى بعض الرؤساء : مكر كسة تر بوتاً ومحبوسة بسر يتا^(٩) ؛

(١) الصريح : الخالص النسب . (٢) الزنجي ، بفتح الزاي وكسرهما : واحد الزنوج وهم
جبل من السودان . (٣) النبطي ؛ واحد النبط بفتحين وهم جبل من العجم كانوا ينزلون بالبطاخ
بين العراقيين . (٤) عمى : أخفى . والسائر : الباقي . (٥) الغرة : النفيس من كل شيء ،
والغرة : القدر . (٦) هزوا . (٧) أرقلت : أسرعت . والهمر جلة : الناقة . والشيطم :
الطويل الجسم الفتي من الإبل والحيل والناس . (٨) شبرقت . الشبرقة : عدو الدابة وخدا .
والتنوفية : المغارة والأرض الواسعة البعيدة الأطراف والوحي : الصوت الخفي . وزيريم : صوت الجن .
(٩) كذا في ط ، وفي العبارة من غير نقط ، وفي ب « مكر كسة بربويا ومحبوسة سرينا » .

فدَلَّ على سَخَافَةِ عقله ، واستحكام جَهْلِهِ ؛ وضرَّه الغريبُ الذي أتقنَه ولم ينفعه ، وحطَّه ولم يرفعَه ، لَمَّا فاتَه هذا العلم ، وتخلَّف عن هذا الفن .

وإذا أراد أيضاً تصنيفَ كلامٍ منشور ، أو تأليفَ شعرٍ منظوم ، وتخطَّى هذا العلم ساء اختياره له ، وقبَّحت آثاره فيه ؛ فأخذ الرديءَ المرذول ، وترك الجيِّدَ المقبول ، فدَلَّ على قصورِ فهمه ، وتأخُّرِ معرفته وعلمه .

وقد قيل : اختيارُ الرجلِ قطعةً من عقله ؛ كما أنَّ شعرَه قطعةٌ من علمه . وما أكثرَ مَنْ وَقَعَ مِنْ علماء العربية في هذه الرذيلة ! منهم الأصمعي في اختياره قصيدة المرقش (١) :

هَلْ بِالذِّيارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ لو أَنَّ حَيًّا ناطِقًا كَلِمٌ (٢)

ولا أعرف على أيِّ وَجِهٍ صرفَ اختياره إليها ، وما هي بمستقيمة الوزن ، ولا مُونِقة (٣) الرويِّ ، ولا سلسلة اللفظ ، ولا جيِّدة السبِّك ، ولا متلائمة النسيج . وكان المفضلُّ يختارُ من الشعرِ ما يقلُّ تداوُلُ الرواةِ له ، وَيَكْثُرُ الغريبُ فيه ؛ وهذا خطأٌ من الاختيار ؛ لأنَّ الغريبَ لم يكثر في كلام إلا أفسده ، وفيه دلالة الاستكراه والتكلف .

وقال بعضُ الأوائل : تلخيصُ المعاني رِفْقٌ ، والتشادُق (٤) من غيرِ أهله بُمُضٌ ، والنظرُ في وجوه الناس عيٌّ ، ومَسُّ اللَحْيَةِ هَلَلٌ (٥) ، والاستِمَانَةُ بالغريب عَجْزٌ ، والخروجُ عَمَّا بَنِي عليه الكلام إسهابٌ . وكان كثيرٌ من علماء العربية يقولون : ما سمعنا بأخسَنَ ولا أفصحَ من قولِ ذِي الرُّمَّة (٦) :

(١) القصيدة في المفضليات ٢ - ٣٧ ، وهو المرقش الأكبر . (٢) في المفضليات :
* لو كان رسم ناطقاً كلم * (٣) المونق : المعجب .
(٤) التشادق : تشادق : لوى شدقه للفتح . (٥) الهلل ففتحين : الخوف والإحجام .
(٦) اللسان : (لوط) ، (شمس) ، (ضمن) ، (مضع) .

رَمَيْتَنِي مَيِّ بِالْهَوَى رَمَى مُضْعِغٍ مِنْ الْوَحْشِ لَوْطٍ لَمْ تَعْقَهُ الْأَوَانِسُ (١)
بِعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَمْ يَجْرِ فِيهِمَا ضَمَانٌ وَجِيدٌ حُلَى الدَّرِّ شَامِسٌ (٢)
وهذا - كما ترى - كلامٌ فِجٌّ غَلِيظٌ ، وَوَحِيمٌ ثَقِيلٌ ، لَاحِظٌ لَهُ مِنَ الْاِخْتِيَارِ .

وحكى العتبي عن الأصمعي أنه كان يستحسن قول الشاعر :

ولو أرسلت من حبه لك مهبوتاً من الصين (٣)
لوافيتك قبل الصب ح أو حين تصلين

وهما على ما تراهما من دناءة اللفظ وخساسته ، وخلوقة المعرض وقباحتها .

وذكر العتبي أيضاً أن قول جرير (٤) :

إِنَّ الْعِيُونَ أَلَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَاكُمْ لَمْ يُحْسِنِ قَتْلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَأَحْرَاكَ (٥) بِهِ وَهَنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقوله (٦) :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبَلِّكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا (٧)
غَيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا (٨)

من الشعر الذي يُسْتَحْسَنُ لِحُودَةِ لَفْظِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ كَبِيرٌ مَعْنَى . وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَعْنَى

أَجُودٌ وَلَا أَحْسَنٌ مِنْ مَعْنَى هَذَا الشَّعْرِ .

فلما رأيتُ تخليطَ هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختيار الكلام ، ووقفتُ على مَوْقِعِ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ الْفَضْلِ ، وَمَكَانِهِ مِنَ الشَّرْفِ وَالنَّبْلِ ، وَوَجَدْتُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ مَاسَّةً ، وَالْكَتَبَ الْمَصْنُفَةَ فِيهِ قَلِيلَةً ، وَكَانَ أَكْبَرُهَا وَأَشْهَرُهَا كِتَابُ «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ»

(١) المضعغ : المطعم للصيد . اللوط : اللازق . في ط الأوالس ورواية لسان : «الأوانس»

مادة (مضعغ) . (٢) الضمان : المعانة . والشمس : معلق الغلادة في العنق والجمع شمس . وجيد

شامس : ذوشمس على النسب . وفي رواية لسان : «وجيد حل الشذر» . (٣) المهبوت :

السائر على غير هداية . وجاء في بعض النسخ - مهبوتاً - بتقديم الباء أي مدهوشاً .

(٤) ديوانه : ٥٩٥ . (٥) في الديوان : «حتى لاصراع به» . (٦) ديوانه : ٥٧٨ .

(٧) غادروا : تركوا . والوشل : القليل من الدمع . وللعين : الجاري . (٨) غيض دمعته : قصته .

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو لعمرى كثير الفوائد ، جُمَّ المنافع ؛ لِمَا اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نَبَّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة ؛ وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونمونه المستحسنة ، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبنوثة في تَضَاعِيفِهِ ، ومنتشرة في أمثاله ؛ فهي ضالَّةٌ بين الأمثلة ، لا تُوجَدُ إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير ؛ فرأيتُ أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يُحْتَاجُ إليه في صنعة الكلام : نثره ونظمه ، ويستعمل في محلوله ومعقوده ، من غير تقصير وإخلال ، وإسهاب وإهدار . وأجمله عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً :

الباب الأول : في الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها وضرب الأمثلة في كل نوع منها وتفسير ما جاء عن العلماء فيها ، ثلاثة فصول .

الباب الثاني : في تمييز الكلام جيده من رديه ومحموده من مذمومه فصلان .

الباب الثالث : في معرفة صنعة الكلام ، فصلان .

الباب الرابع : في البيان عن حُسن السبك وجودة الرصف^(١) ، فصل واحد .

الباب الخامس : في ذكر الإيجاز والإطناب ، فصلان .

الباب السادس : في حسن الأخذ وقبحه وجودته وردائه ، فصلان .

الباب السابع : القول في التشبيه ، فصلان .

الباب الثامن : في ذكر السجع والازدواج ، فصلان .

الباب التاسع : في شرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه ،

خمسة وثلاثون فصلاً .

الباب العاشر : في ذكر مقاطع الكلام ومبادئه والقول في الإساءة في ذلك

والإحسان فيه ، ثلاثة فصول .

وأرجو أن يُعِين الله على المراد من ذلك والمقصود فيما نَحْوَنَا إليه ويقرنه بالتوفيق

ويشفعه بالتسديد ؛ إنه سميع مجيب .

(١) في ط : « الرصف » ، وصوابه من ا ، ب .

البَابُ الْأَوَّلُ

الفِصْلُ الْأَوَّلُ

في الإبانة عن موضوع البلاغة في اللغة ، وما يجري معه من تصرفٍ افضلها ،
والقول في الفصاحة ، وما يتشعب منه

البلاغة من قولهم : بلغتُ الغايةَ إذا انتهيتُ إليها وبلغتُها غيرى . وبلغُ الشيءَ :
مُنْتَهَاهُ . والمبالغةُ في الشيءَ : الانتهاءُ إلى غايته . فسميتُ البلاغةُ بلاغةً لأنها تُنهي
المعنى إلى قلب السامع فيفهمه . وسميتُ البُلْغَةُ بُلْغَةً لأنك تَبْلِغُ بها ، فتنهى بك
إلى ما فوقها ، وهى البَلَاغُ أيضاً . ويقال : الدنيا بَلَاغٌ ؛ لأنها تُؤدِّيك إلى الآخرة .
والبلاغُ أيضاً : التبليغُ ، في قول الله عزَّ وجل : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ أى تبليغ .
ويقال : بُلِّغَ الرجلُ بلاغةً ؛ إذا صار بليغاً . كما يُقالُ نَبِلَ نبالةً ؛ إذا صار نبيلاً .
وكلامٌ بليغٌ وبلغ (بالفتح) ^(١) ، كما يقال : وجيزٌ ووجز ^(٢) . ورجلٌ بليغٌ (بالكسر) :
يَبْلُغُ ما يريد . وفي مثل لهم «أحمقٌ بليغٌ» . ويقال : أبلغتُ في الكلام إذا أتيت بالبلاغة
فيه . كما تقول : أبرحتُ إذا أتيت بالبرحاء وهو الأمرُ الجسيم . والبلاغةُ من صفة
الكلام لا من صفة المتكلم .

فلهذا لا يجوزُ أن يسمَى اللهُ جلَّ وعزَّ بأنه بليغٌ ؛ إذ لا يجوزُ أن يوصفَ بصفةٍ
كان موضوعها الكلام . وتسميتنا المتكلم بأنه بليغٌ توسعٌ . وحقيقته أن كلامه
بليغٌ ، كما تقول : فلان رجلٌ محكمٌ ، وتُعنى أن أقواله محكمةٌ . قال الله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ
بَالِغَةٌ ﴾ . فجعل البلاغةَ من صفةِ الحكمةِ ، ولم يجعلها من صفةِ الحكيمِ ، إلا أن كثرةَ

الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة ، كما أنها جعلت تسمية الزائدة راوية كالحقيقة ، وكان الراوية حامل الزادة وهو البعير وما يجري مجراه .

ولهذا سمي حامل الشعر راوية ، وكما صار تسمية البغي المكتسبة بالفجور القحبة حقيقة ، وإنما القحباب السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن زنت وتكسبت بالفجور قالوا : قحبت ، أي سعلت .

ومن ذلك النجوى ؛ لأن الرجل كان إذا أراد قضاء الحاجة استتر بنجوة ، والنجوة : الارتفاع من الأرض ؛ فسمى ذلك الشيء نجواً مجازاً ، ثم كثر استعمالهم له فصار كالحقيقة وصرّفوه ، فقالوا : ذهب ينجو ، كما يقال : ذهب يتغوط ، إذا صار إلى الغائط ، وهو البطن من الأرض لقضاء الحاجة ، وسموا الشيء الغائط ، وصار كالحقيقة حين كثر استعمالهم له . وقالوا ، إذا غسل ذلك الموضع من النجوى : يستنجي ، ومثل هذا كثير ليس هذا موضع استيعابه .

فأما الفصاحة فقد قال قوم : إنها من قولهم : أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب : أفصح الصبح إذا أضاء . وأفصح اللبن إذا انجبت عنه رغوته فظهر . وفصح أيضا . وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين ؛ وفصح اللحن إذا عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ .

الفرق بين
الفصاحة
والبلاغة

وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما ؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له .

وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان ؛ فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحاً ؛ إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ؛ ويوصف كلامه بالفصاحة ؛ لما يتضمن من تمام البيان .

والدليل على ذلك أن الألتغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتها عن إقامة

الحروف . وقيل زياد الأعجم لنُقْصَانِ آلهِ نطقه عن إقامة الحروف ، وكان يعبر عن
الحجر بالهمزة ، فهو أعجم ، وشعره فصيح لتمام بيانه .

فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ؛ وذلك أن الفصاحة تمام آله
البيان فهي مقصورة على اللفظ ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ؛ والبلاغة إنما
هي إنباه المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى أن
البغضاء يسمى فصيحاً ، ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى
المعنى الذي يؤدبه .

وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح
المعنى ، سهل اللفظ ، جيد السبك ، غير مستكبره فيج ، ولا متكلف وخيم ، ولا
يمنعه من أحد الاسمين شيء ، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف .

وشهدت قوما يذهبون إلى أن الكلام لا يسمى فصيحاً حتى يجمع مع هذه
النوع فخامة وشدة جزالة ، فيكون مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إن هذا الدين
مئين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» . ومثل كلام
الحسين بن علي رضي الله عنهما : إن الناس عبيد الأموال ، والدين لغو على ألسنتهم
يحوطونه ما درت به معاشهم فإذا محصوا بالابتلاء قل الديانون . ومثل المنظوم قول
الشاعر :

ترى غابة الخطى فوق رؤوسهم كما أشرفت فوق الصوار قرونها (١)

قالوا : وإذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ، ولم يكن فيه فخامة وفضل
جزالة سمي بليغاً ولم يسم فصيحاً ؛ كقول بعضهم - وقد سئل عن حاله عند الوفاة

(١) الخطى : الرماح نسبت إلى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين . والصوار (بالضم ويكسر) :

القطيع من بقر الوحش .

قَالَ : مَا نَحَالُ مِنْ يَرِيدٍ سَفَرًا بَعِيدًا بِلَا زَادٍ ، وَيَقْدَمُ عَلَى مَلِكٍ عَادِلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ ،
وَيَسْكُنُ قَبْرًا وَوَحِشًا بِلَا أُنَيْسٍ .

وقول آخر لآخر له : مَدَدَتْ إِلَى الْمَوَدَّةِ يَدًا فَشَكَرْنَاكَ ، وَشَفَعْتَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنَ
الْجَفَاءِ فَمَدَّرْنَاكَ ، وَالرَّجُوعُ إِلَى مَحْمُودِ الْوَدِّ أَوْلَى بِكَ مِنَ الْمَقَامِ عَلَى مَكْرُوهِ الصَّدِّ .

وَأُنَشِدُنَا أَبُو أَحْمَدَ (١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّوَلِيِّ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ (٢) :

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنَةِ الْفَضَا (٣)
وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَّ هَبُّهَا

قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا
هُوَ يَ كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا

فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَصِيحٌ وَبَلِيغٌ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي بَلِيغٌ وَلَيْسَ بِفَصِيحٍ .

وَأَسْتَدْلُوا عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِ الْعَاصِ بْنِ عَدِي : الشَّجَاعَةُ قَلْبُ رَكِيْنٍ ،
وَالْفَصَاحَةُ لِسَانُ رَزِيْنٍ . وَاللِّسَانُ هَاهُنَا : الْكَلَامُ ، وَالرَّزِيْنُ الَّذِي فِيهِ نَخَامَةٌ وَجَرَالَةٌ .

وَلَيْسَ الْغَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سُلُوكُ مَذْهَبِ الْمُتَشَكِّمِيْنَ ، وَإِنَّمَا قَصِدْتُ فِيهِ مَقْصِدَ

مذهب
الكتاب

صُنَّاعِ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ ؛ فَلِهَذَا لَمْ أُطَلِّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْفَصْلِ .

(١) هُوَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْعَسْكَرِيِّ ، شَيْخِ الْمَوْلَفِ .

(٢) الْأَمَالِيُّ : ٣ - ٩٢ ، الطَّرَائِفُ الْأَدَبِيَّةُ : ١٣٩ (٣) فِي الطَّرَائِفِ : « بِسَاكِنِ ذِي الْفَضَا » .

الفصل الثاني

في الإبانة عن حدّ البلاغة

فنقول : البلاغةُ كُلُّ ما تُبَلِّغُ به المعنى قلبَ السامعِ فتمكّنه في نفسه
كتمكّنه في نفسك مع صورةٍ مقبولة ومعرضٍ حسن .
وإنما جعلنا حُسْنَ المعرض وقَبُولَ الصورة شرطاً في البلاغة ؛ لأنّ الكلامَ
إذا كانت عبارته رثمةً ومعرضه خلقاً لم يُسمَّ بليغاً ، وإن كان مفهوم المعنى ، مكشوف
المعزى .

ألا ترى إلى معنى الكاتب الذي كتب إلى بعض معامليه : قد تأخّر الأمرُ فيما
وعدت حملة ضجوة النهار ، والقومُ غيرُ مقيمين ، وليس لهم صبري ، وهم في الخروج
آنفًا ؛ فإن رأيت في إزاحة العلة مع الجُهْدِ (١) فعلت إن شاء الله . فمعناه مفهوم
ومنزاه معلوم ، وليس كلامه بليغ .

فهذا يدلُّ على أنّ من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهومًا واللفظُ مقبولاً
على ما قدمناه .

ومن قال : إن البلاغة إنما هي إفهامُ المعنى فقط ، فقد جعل الفصاحة ، واللكنة ،
والخطأ ، والصواب ، والإغلاق ، والإبانة سواء .

وأيضاً فلو كان الكلامُ الواضحُ السهلاً ، والقريبُ السلسَ العلو بليغاً ، وما خالفه
من الكلامِ المستهجنِ المستغلقِ والمتكلفِ للتعقيد أيضاً بليغاً لكان كلُّ ذلك محموداً
وممدوحاً مقبولاً ، لأنّ البلاغة اسمٌ يُمدَّحُ به الكلامُ .

فلما رأينا أحدهما مستحسنًا ، والآخرَ مستهجنًا علمنا أنّ الذي يُستحسن
البليغ ، والذي يستهجن ليس بليغ .

(١) الجهد : القاد الحير .

وقال المتأبى : كلٌّ مَنْ أفهمك حاجته فهو بليغ . وإنما عني : إن أفهمك حاجته بالألفاظِ الحسنة ، والمبارةِ النيرة فهو بليغ .

ولو حَمَلْنَا هذا الكلام على ظاهره للزم أن يكونَ الأَلَكْنُ بليغاً ؛ لأنه يُفهِمنا حاجته ؛ بل ويلزم أن يكونَ كلُّ الناسِ بليغاً حتى الأطفال ، لأنَّ كلَّ أحدٍ لا يعدم أن يدلَّ على غرضه بمُجمِّته أو لُكنته أو إيمائه أو إشارته ؛ بل لزم أن يكونَ السُّنورُ بليغاً ؛ لأنَّا نستدلُّ بضغائمه^(١) على كثيرٍ من إرادته . وهذا ظاهرُ الإحالة .

ومنهمَ نَفَهَمُ رِطَانَةَ السُّوقِ^(٢) . وَجَمْعُ جَمَّةٍ^(٣) الأَعْجَمِي لِلْعَادَةِ التي جرت لنا في سماعها . لا لِأَنَّ تلكَ بلاغة ؛ ألا ترى أنَّ الأعرابيَّ إن سمع ذلك لم يفهمه ؛ إذ لا عادةَ له بسماعه .

وأراد رجلٌ أن يسألَ بعضَ الأعرابِ عن أهله فقال : كيفَ أهلكَ ؟ بالكسر . فقال له الأعرابي : صلباً ؛ إذ لم يشكَّ أنه إنما يسأله عن السبب الذي يهلك به . وقال الوليدُ بن عبد الملك لأعرابي شكاه إليه ختناً^(٤) له ، فقال : من ختنك ؟ ففتح النون . فقال : مُعَدِرٍ^(٥) في الحى ؛ إذ لم يشكَّ في أنه إنما يسأله عن خاتنه . وقال رجل لأعرابي : أتى عليك بيتاً . فقال : أتى على نفسك . وسمع أعرابيُّ قصيدةَ أبي تمام^(٦) :

طَلَلُ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ شَهِيداً^(٧)

فقال : إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها ، وأشياء لا أفهمها ؛ فإما أن يكونَ قائلُها أشعرَ من جميعِ الناسِ ، وإما أن يكونَ جميعُ الناسِ أشعرَ منه . ونحن نفهمُ

(١) الضغائن من السنور : صياحه . (٢) الرطانة ، بفتح الراء وكسرها : السلام بالأعجمية .

(٣) الجمجمة : ألا بين الإنسان كلامه . (٤) الختن : الصهر . (٥) الإغذار : الختان .

(٦) ديوانه : ٨٧ يمدح خالد بن يزيد الشيباني . (٧) بقيته :

* وكفى على رزئي بذلك شهيداً *

معاني هذه القصيدة بأسرها ؛ لعادتنا بسماع مثلها ، لا لآنا أعرفُ بالكلام من الأعراب .

ومما يؤيدُ ما قلنا من أنَّ البلاغةَ إنما هي إيضاحُ المعنى وتحسينُ اللفظ قولُ بعض الحكماء : البلاغةُ تصحيحُ الأقسام ، واختيارُ الكلام . إلى غير ذلك مما سندكره ونفسره في هذا الباب إن شاء الله .

وقال محمد بنُ الحنفية رضي الله عنه : البلاغةُ قولُ تضطرُّ العقولُ إلى فهمه بأسهل العبارة ؛ فقوله : «تضطرُّ العقولُ إلى فهمه» عبارةٌ عن إيضاحِ المعنى ، وقوله : «بأسهل العبارة» تشبيهٌ على تسهيلِ اللفظ وتركِ تنقيحه . ومثل ذلك من النثر قول بعضهم لأخيه : ابتدأتني بلطف من غير خيرة ، ثم اعقبته جفا من غير هفوة ، فأطمعني أولك في إخوانك ، وأبأسني آخرك من وفائك ؛ فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشكِّ في حالك ؛ فأقمنا على ائتلاف ، أو افتراقنا على اختلاف .

وقول الآخر : لم يدع انقباضك عن الوفاء ، وانجذابك مع سوء الرأي في ملاحظة المهجر ، والاستمرار على العذر ، محرِّكا من القلب عليك ، ولا خاطراً يؤمِّي إلى حُسن الظنِّ بك . هيهات انقضت مُدَّة الانخداع لك حين أخلفت عدة الأمانى فيك ، وما وجدنا ساتراً من تأنيب النصحاء في الميل إليك ، والتوفُّر عليك ؛ إلا الإقرارَ بطاعة الهوى ، والاعترافَ بسوء الاختيار .

وكتب بعضُ الكتاب إلى أخ له : تأخرت عنى كتبك تأخراً ساء له ظني ، إشفافاً من الحوادث عليك ، لا توهُماً للجفاء منك ؛ إذ كنتُ أرقُّ من مودتك بما يُعنيني عن معاينتك .

ومما هو في هذه الطريقة ، وهو أجزلُ مما تقدّم ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر ابن دريد ، عن عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : وقف علينا أعرابي ونحن برملة اللوى ،

فقال : رَحِمَ اللهُ امرأاً لم تَمِجْ أذناه كلامي ، وُقِدِمَ مَعَاذَهُ (١) من سُوءِ مَقَامِي ؛ فَإِنَّ
الْبِلَادَ مُجْدِبَةً ، وَالْحَالَ مُسْغِيَةً (٢) ، وَالْحَيَاءَ زَاجِرٌ يَمْنَعُ مِنْ كَلَامِكُمْ ، وَالْفَقْرَ عَازِرٌ
يَدْعُو إِلَى إِخْبَارِكُمْ ، وَالنِّعَاءَ إِحْدَى الصِّدْقَتَيْنِ ؛ فَرَحِمَ اللهُ امرءاً أمرَ بِمَيْرٍ (٣) ، أَوْ
دَعَا بِخَيْرٍ .

وقول بعضهم - يمدح رجلاً : كان والله بعيد مسافة الرأي ، يرمى بهمته حيث
أشار الكرم ، يصفح عن صاحبه نوب الزمان ، ويتجسسى مرارة الإخوان ، ويسينغهم
العذب ، ويعطفهم منه على ما جدي نذب (٤) .

(١) المعاذ : الذي يعاذ به . (٢) أسغبت : دخل في المحاجة .
(٣) مار : جلب الطعام . (٤) التدب : الحقيق في الحاجة ، الطريف النجيب .

الفصل الثالث

وهو القول في تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدود البلاغة

حقيقة البلاغة هي ما ذكرته . وقد جاء عن الحكماء فيه ضروبٌ أنا ذاكرها ومفسرٌها لتكتمل فائدة الكتاب إن شاء الله .

قال إسحاق بن حسان : لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع ؛ إذ قال : البلاغة اسم لمعانٍ تجرى في وجوهٍ كثيرة ؛ منها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، وربما كانت رسائل . فعمامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبليغ ، والإيجاز هو البلاغة .

فقوله : «منها ما يكون في السكوت» ، فالسكوت يسمى بلاغة مجازاً ، وهو في حالة لا يتبع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج . إما عند جاهل لا يفهم الخطاب ، أو عند وضعيع لا يرهب الجواب ، أو ظالمٍ سليطٍ يحكم بالهوى ، ولا يرتدع بكلمة التقوى . وإذا كان الكلام يعرَى من الخير ، أو يجاب الشر فالسكوت أولى ؛ كما قال أبو العتاهية^(١) :

ما كلُّ نطقٍ له جوابٌ جوابٌ ما يكره السكوتُ

وقال معاوية رضى الله عنه لابن أوس : أبغ لي محدثاً . قال : أو تحتاج معي إلى محدث ؟ قال : أستريحُ منه إليك ، ومنك إليه ، وربما كان صمتك في حال أوفق من كلامك .

وله وجهٌ آخر ؛ وهو قولهم : كلُّ صامتٍ ناطقٌ من جهة الدلالة ، وذلك أن دلائل الصنعة في جميع الأشياء واضحة ، والموعظة فيها قائمة .

وقد قال الرقاشي : سل الأرض ؛ من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فإن لم تحببك حواراً^(٢) أجابتك اعتباراً .

(١) ديوانه : ٥٥ (٢) الحوار ، بالفتح وبكسر : الجوابة ومراجعة الكلام .

ولمات الإسكندر وقف عليه بعض اليونانيين فقال: قد ظالما وعظنا هذا الشخص بكلامه ، وهو اليوم لنا بسكوتة أو عظة ، فنظم هذا الكلام أبو العتاهية في قوله:

وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ وَأَنْتَ اليومَ أوعِظُ منك حَيًّا

وأحسن من هذا الكلام كله وأبلغ قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ . معناه يدل على الله بصمته فيه ؛ فسكانه يسجد ، وإن لم يسجد ولم يقر بذلك . وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمَاتٍ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ . أي لا تفهمونه من جهة السمع ، وإن كنتم تفهمونه من جهة العقل .

وقد قال بعض الهند : جُمَاع^(١) البلاغة : البصر بالحجة ، والمعرفة بمواقع الفرصة . ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح وعرًا ؛ وكانت الكناية أحصر^(٢) نفعًا . وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد ، عن أبيه ، عن عسل بن ذكوان ، قال : دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، وأراد أن يقدم معه على سريره ، فقال له عبد الملك : ما بال العرب تزعم أنك لا تشبه أباك ؟ قال : والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل ، والغراب بالغراب ، ولكن إن شئت خبرتك عن لا يشبه أباه ! قال : من ذلك ؟ قال : من أنصحه الأرحام ، ولم يؤلّد لتمام ، ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن ذلك ؟ قال : سويد بن منجوف . قال عبد الملك : أ كذاك أنت ياسويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا قال عبيد الله لسويد : ورّيت بك زنادي ، والله ما يسرني بحملك عنى حمر النعم ! قال سويد : وأنا والله ما يسرني أنك تقصته حرقًا ، وإن لي سود النعم^(٣) .

(١) هو من كل شيء : مجتمع أصله . (٢) في ١ ، ب « أحصر نفعًا » .

(٣) النعم : المال الراعي ، وأكثر ما يطلق على الإبل . والحمر : خيار الإبل .

وإنما كان عرضاً بمهد الملك وكان وُلِدَ لسَبْعَةِ أشهر .

وربما كانت البلاغة سبباً للحِرْمَان . وأسبابُ الأمور طريفة والافتاقات عجيبة :
أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان ، قال : كتب بعضهم إلى المنصور
كتاباً حسناً بليغاً يستمنحُه فيه . فكتب إليه المنصورُ : البلاغةُ والغنى إذا اجتمعا
لامرئٍ أبطراه ؛ وأميرُ المؤمنين مُشْفِقٌ عليك من البطر ، فاكْتَفِ بأحدهما .

وقوله (١) : «ربما كانت البلاغةُ في الاستماع» ، فإنَّ المخاطبَ إذا لم يُحَسِّنِ الاستماعَ
لم يَقِفْ على المعنى المؤدى إليه الخطاب . والاستماعُ الحسنُ عَوْنٌ للبليغِ على إفهامِ المعنى .
وقال إبراهيم الإمام : حَسْبُكَ من حظِّ البلاغةِ ألاَّ يُؤْتَى السامعُ من سوءِ إفهامِ
الناطق ، ولا يُؤْتَى الناطقُ من سوءِ فهمِ السامع . وقال الهندي أيضاً : البلاغةُ وضوحُ
الدلالةِ ، واتهازُ الفرصةِ ، وحسُنُ الإشارةِ . وقول عميد الله بن عتبة : البلاغةُ دُنُوُّ
المأخذِ ، وقرعُ الحجّةِ ، وقليل من كثير .

فأما البصر بالحجّةِ فمثل ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال : قال
الهيثم بن عدى : أنبأني عطاء بن مصعب ، قال : كان أبو الأسود شبيعةً لعليّ بن
أبي طالب رضي الله عنه ، وكان جيرانه عثمانية فرمّوه يوماً ؛ فقال : أرموني ؟ قالوا :
بل الله يرّميك . قال : كذبتُم ، إنكم تخطئون ، وإنَّ الله لو رمانى لما أخطأ . وقال
بعضهم لأبي علي محمد بن عبد الوهاب : ما الدليلُ على أنَّ القرآن مخلوق ؟ قال : إنَّ
الله قادرٌ على مثله . فما أحرَّ السائل جواباً .

ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو يومئذ خليفةُ
وكان على المنبرِ يخطبُ في يومِ جمعة ، فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه عليه . فقال عمرُ :
ما بال أقوامٍ يسمعون الأذان ويتأخرون ؟ فقال عثمان : والله ما تأخرتُ إلاَّ ربَّما توضأتُ .
فقال عمر : وهذا أيضاً ، أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أتى الجمعة فليغتسل» .

(١) من كلام ابن المقفع ص ١٤ وعبارته هناك : « ومنها ما يكون في الاستماع » .

ومثله قول أبي يوسف بعرفة فقد صلى خلف الرشيد فلما سلم في الركنين -
قال : بأهل مكة ؛ أتموا صلاتكم فإنما قوم سفر^(١) . فقال بعض أهل مكة : من عندنا
خرج العلم إليكم . فقال أبو يوسف : لو كنت فقيها لما تكلمت في الصلاة .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان ؛ قال : أقام شاعر يباب معن بن
زائدة حولا لا يصل إليه ، فسكتب إليه رقعة ودفعتها إليه^(٢) :

إذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخیل !
فسكتب معن فيها^(٣) :

إذا كان الجواد قليل مال ولم يُمذر تكلل بالحجاب

فانصرف الرجل يائسا ؛ ثم حمل إليه معن عشرة آلاف درهم .

ومن ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال : بلغ على
ابن الحسين رضي الله عنهما أن عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري يتناولان عليا
ويعبثان به ؛ فأرسل إلى عروة ؛ فقال : أما أنت فقد كان ينبغي أن يكون في نكوص
أبيك يوم الجمل وفراره ما يحجزك عن ذكر أمير المؤمنين ، والله لئن كان علي على
باطل لقد رجعت أبوك عنه ، ولئن كان علي حقا لقد فر أبوك منه .

وأرسل إلى ابن شهاب ، فقال : وأما أنت يا ابن شهاب فما أراك تدعني حتى
أعرفك موضع كبير^(٣) أريك .

ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه : ﴿ وضرَبَ لنا مثلا
ونسى خلقه . قال : من يحيي المظالم وهي رميم . قل : يحييها الذي أنشأها أول
مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

(١) مسافرون . (٢) المقدم : ١ - ٨٦ .

(٣) السكر ، بالسكسر : زق ينفخ فيه الحداد ، وأما المني من طين فهو كور .

فهذه دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق، مستغنيةً بنفسها عن الزيادة فيها؛ لأن الإعادة ليست بأصعبَ في العقول من الابتداء. ثم قال تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾؛ فزادها شرًا وقوة، لأنَّ من يُخْرِج النارَ من أجزاء الماء، وهما ضدان، ليس بمنكر عليه أن يُعيد ما أفناه. ثم قال تعالى: ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم﴾. فقواها أيضًا، وزاد في شرحها، وبلغها غاية الإيضاح والتوكيد؛ لأنَّ إعادة الخلق ليست بأصعبَ في العقول من خلق السموات والأرض ابتداءً.

وحضر أبو الهذيل جنازة فلما دفن الميت قال رَجُلٌ: يا أبا الهذيل؛ الإيمان برجوع هذا صعب. فقال أبو الهذيل: يعيده الذي أنشأه أول مرة، إنه على رَجْعِهِ لقادر.

وأما انتهاز الفرصة فقالهُ أيضًا قولُ أبي يوسف مع أكثر ما جرى في هذا الفصل.

ومنه ما أخبرني به أبو أحمد قال أخبرني الحلواني^(١)، قال حدثني محمد بن زكريا، قال حدثنا محمد بن عبد الله الجشمي، عن المدائني، قال: دخل عمرو ابن العاص على معاوية وهو يتعدى فقال له: هلم ياعمرؤ. فقال: هنيئًا يا أمير المؤمنين، أكلتُ أَيْفًا. فقال: أما علمت ياعمرؤ أن من شراهة المرء ألا يدع في بطنه مسترادًا لمستزيد! فقال: قد فعلت يا أمير المؤمنين. فقال: وَيْحَكَ لِمَنْ بَقِيَّتَهُ؟ أَلِمَنْ هُوَ أَوْجِبُ حَقًّا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قال: لا، ولكن لمن لا يهذر عُذْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قال: فلا أراك إلا ضيقتَ حقًا لحقٍ لملك لا تُدْرِكُهُ. فقال عمرو: ما لقيت منك يا معاوية! ثم دنا فأكل.

وقال أبو العيناء لابن ثوابة: بلغني ما خاطبت به أبا الصقر، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم ير عرضًا فيمضغه، ولا مجدًا فيهدمه. وبعد فإنه عاف لحك أن

(١) في ط «أخبرني الجلودى الحلواني».

يَأْكَلَهُ ، وَسَهْكَ^(١) دَمَكَ أَنْ يَسْفِكَه ، فَقَالَ : مَا أَنْتَ وَالسَّكَامُ يَا مُكْدِي^(٢) ؟
فَقَالَ : لَا يَنْكُرُ عَلَيَّ ابْنُ ثَمَازِينَ سَنَةً ، فَقَدْ ذَهَبَ بِبَصْرِهِ ، وَجَفَّاهُ سُلْطَانُهُ ، أَنْ يَمُوتَ عَلَيَّ
إِخْوَانَهُ ؟ فَيَأْخُذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَلَكِنْ أَشَدُّ مِنْ هَذَا أَنْ تَسْتَنْزِلَ مَاءَ أَصْلَابِ الرِّجَالِ
فَتَسْتَفْرِغُهُ فِي حَقِيقتِكَ . فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَةَ : السَّاعَةَ أَمْرٌ أَحَدُ غِلْمَانِي بِكَ . فَقَالَ : أَيُّهُمَا ؟
الَّذِي إِذَا خَلَوْتَ رَكِبَ ، أَمْ الَّذِي إِذَا رَكِبْتَ خَلَا ؟ فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَةَ : مَا تَسَابَّ اثْنَانِ
إِلَّا غَلِبَ الْأَمُّهُمَا . قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : بِهَا غَلِبَتْ أبا الصَّقْرِ .

فَانظُرْ إِلَى انْتِهَازِ الْفُرْصَةِ فِي قَوْلِهِ : بِهَا غَلِبَتْ أبا الصَّقْرِ .

وَمِنْهُ أَنْ بَعْضَ الْكِتَابِ لَقِيَ أبا الْعَيْنَاءِ فِي السَّحَرِ ، فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ بُكُورِهِ ؛
فَقَالَ : أَنْتَ شَارِكُنِي فِي الْفِعْلِ وَتَنْفِرُ بِالْتَعَجَّبِ .

وَقَالَتْ لَهُ قَيْنَةٌ : هَبْ لِي خَاتَمَكَ أَذْكَرُكَ بِهِ . قَالَ : إِذْ كُرَيْتِي بِالْمَنْعِ .

وَقِيلَ لَهُ : لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ الْعَجَلَ^(٣) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ . فَقَالَ : لَوْ كَانَتْ مِنْ عَمَلِ

الشَّيْطَانِ لَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ .

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَانَ : إِنَّ الْأَخْبَارَ الْمَذْكُورَةَ فِي السَّخَاءِ وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ مِنْ

تَصْنِيفِ الْوَرَّاقِينَ وَأَكْذَابِهِمْ . فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : وَلِمَ لَا يَكْذِبُونَ عَلَيَّ الْوَزِيرَ
أَيْدَهُ اللَّهُ !

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ فَسُنْدُ كَرَاهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَقَالَ حَكِيمُ الْهِنْدِ : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ
رَاطِبَ الْجَأْشِ ، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، مَتَخَيِّرَ الْفِظِ ، لَا يَكْتُمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ،
وَلَا الْمَلُوكَ بِكَلَامِ السُّوقَةِ . وَيَكُونُ فِي قَوَاهِ التَّصْرِيفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، وَلَا يَدَقُّ الْمَعَانِي
كُلَّ التَّدْقِيقِ ، وَلَا يَنْفِخُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ ، وَيُصَفِّيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ ، وَيَهْدِيهَا

(١) سهك : كره سفك دمه ، استعارة من السهك ، وهي ريح كريهة تجدها من الإنسان

إذا عرق . (٢) المكدي هنا : الذي لا يقدر على الإبانة ، وأصله في الجذب .

(٣) العجل والعجلة : السرعة .

كلّ التهذيب ؛ ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً ، وفيلسوفاً عظيماً ، ومن تعود
حذف فضول الكلام ، وإسقاطاً مشتركات الألفاظ ؛ ونظر في صناعة المنطق على جهة
الصناعة والمباينة فيها ، لا على جهة الاستطراف والتطرف لها .

قال : واعلم أنّ حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً^(١) ، وتلك الحال له وفقاً ،
ولا يكون الاسم فاضلاً ، ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمناً ؛ ويكون تصفّحه
لمصادر كلامه بقدر تصفّحه لموارده ؛ ويكون لفظه مؤثماً ، ومعناه نيراً واضحاً .
ومدار الأمر على إيفام كلّ قوم بقدر طاقتهم ، والحمل عليهم على قدر منازلهم ؛ وأن
تواريته آتته ، وتتصرف معه أدائه ، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حُسن
الظن بها مقتصداً ؛ فإنه إن تجاوز الحقّ في مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين ،
وإن تجاوز بها مقدار الحقّ في التهمة ظلمها وأودعها ذلّ المظلومين . ولكلّ ذلك
مقدار من الشغل ، ولكلّ شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار
من الجهل .

فقوله^(٢) : « أول البلاغة اجتماع آله البلاغة » وأول آلات البلاغة جودة القرينة
وطلاقة اللسان . وذلك من فعل الله تعالى ؛ لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه
واجتلابه لها .

ومن الناس من إذا خلا بنفسه وأعمل فكره أتى بالبيان العجيب ، والكلام
البديع المصيب ، واستخرج المعنى الرائع ، وجاء باللفظ الرائع . وإذا حاور أو ناظر
قصر وتأخر . فحق هذا ألاّ يتعرض لأرتجال الخطب ، ولا يُجاري أصحاب البدائيل
في ميدان القريض ، ويكتفي بنتائج فكره .

والناس في صناعة الكلام على طبقات : منهم من إذا حاور وناظر أبلغ وأجاد ،
وإذا كتب وأهمل أخلّ وتخلّف . ومنهم من إذا أملى برزّ ، وإذا حاور أو كتب

(١) الطبق من كل شيء : ما ساواه . (٢) أي قول حكيم الهند ص ١٩ .

قَصْر . ومنهم مَنْ إذا كتب أحسن ، وإذا حاور وأملى أساء . ومنهم من يُحسِّن في جميع هذه الحالات . ومنهم من يُسِيء فيها كلَّها .

فأحسنُ حالاتِ المِسيءِ الإمساكُ ، وأحسنُ حالاتِ المحسنِ التوسُّطُ ؛ فإنَّ الإكثارَ يُورِثُ الإملاَلَ ، وقَلَمًا يَنْجُو صاحِبُهُ مِنَ الزَّلَلِ والعَيْبِ والخَطَلِ (١) .

وليس يَبغى للمحسنِ في أحدِ هذه الفنونِ المِسيءِ في غيرها أن يتجاوزَ ما هو مُحسِّنٌ فيه إلى ما هو مِسيءٌ فيه ؛ فإن اضطرَّ في بعض الأحوالِ إلى تجاوزِه فخيرُ سُبُلِه فيه قَصْدُ الاختصارِ ، وتجنُّبُ الإكثارِ والإهذارِ ؛ لِقَلِّ السَقَطِ في كلامه ، ولا يَكثُرُ العَيْبُ في منطقِه .

وقيل لابن المقفَّع : لِمَ لا تُطيلُ القصائدَ ؟ قال : لو أَطَلَّهَا عَرَفَ صاحبُهَا . يريد أن المَحْدَثَ يَتَشَبَهُ بالقديمِ في القليلِ من الكلامِ ، فإذا أطال اختلَّ ، فعَرِفَ أنه كلامٌ مولدٌ . على أن السابقَ في ميادينِ البلاغةِ إذا أَكثَرَ سَقَطَ ، فكيف المَقْصَرُ عن غايتها ، والمتخلفُ عن أمدِها ؟

ومن تمامِ آلاتِ البلاغةِ التوسُّعُ في معرفةِ العربيةِ ، ووجوهِ الاستعمالِ لها ؛ والعلمُ بفاخِرِ الألفاظِ وساقِطِها ، ومتخيرِها ، وردئِها ؛ ومعرفةُ المقاماتِ ، وما يصلحُ في كلِّ واحدٍ منها من الكلامِ ، إلى غيرِ ذلك مما سنذكرُه في البابِ الثاني عند ذكر صَنَعَةِ الكلامِ إن شاء اللهُ .

وقوله (٢) : وهو « أن يكون الخُطيبُ رابطَ الجأشِ » ساكنَ النفسِ جدًّا ؛ لأنَّ الحَيْرَةَ والدَّهْشَ (٣) يُورِثانِ الحَبْسَةَ والحَصْرَ (٤) ؛ وهما سببُ الإرتاجِ والإجبالِ (٥) .

(١) الخطأ : الخطأ . (٢) أي حكيم المهندس ١٩ ، وعبارته هناك : « وذلك أن يكون الخُطيبُ رابطَ الجأشِ » . (٣) الدهش : التَّجِيرُ . (٤) الحبسة : تعبير الكلام عند إرادته . والحصر : العنى في المنطق . (٥) أرَّج عليه : استغلق عليه الكلام . وأجبل الشاعر : صعب عليه القول .

وقد بلغك ما أصاب عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْلَ مَا صَعِدَ الْمَنْبِرَ فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنْ اللَّذَيْنِ كَانَا قَبْلِي كَانَا يُعِدُّانِ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَائِلٍ ، وَسَتَأْتِيكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا . ثُمَّ نَزَلَ .
وصعد بعضُ العربِ منبراً بِخُرَّاسَانَ فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ حِينَ نَزَلَ (١) :

لَنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيْبًا فَإِنِّي بَسِيْفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ الْخَطِيْبِ
ومن حسن الاعتدال عند الإرتاج ما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : أخبرنا الشطبي :
قال : أخبرنا الغلابي قال : أخبرنا العثبي عن أبيه ؛ قال : خطب داود بن علي ، فحمد
الله جلَّ وعزَّ وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فلما قال : «أما بعد» ،
امتنع عليه الكلام ، ثم قال : أما بعد فقد يجدُّ المُعَسِرُ ، وَيُعَسِرُ الْمُوَسِّرُ ، وَيُفَلُّ
الْحَدِيدَ ، وَيَقْطَعُ الْكَلِيلَ ، ؛ وَإِنَّمَا الْكَلَامُ بَعْدَ الْإِفْخَامِ كَالْإِشْرَاقِ بَعْدَ الْإِظْلَامِ . وَقَدْ
يَعَزُّبُ الْبَيَانَ ، وَيَعْتَمُّ الصَّوَابَ ؛ وَإِنَّمَا اللِّسَانُ مُضْعَغَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ . يَقْتَرِفُوتُورِهِ
إِذَا نَكَلَ ، وَيَثُوبُ بِانْبِسَاطِهِ إِذَا ارْتَجَلَ . أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطْرًا ، وَلَا نَسْكُتُ
حَصْرًا ؛ بَلْ نَسْكُتُ مَعْتَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ ، وَنُحْنُ بَعْدُ أَمْرَاءَ الْقَوْلِ ، فِينَا
وَشَجَّتْ (٢) أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطْفَتُ أَغْصَانِهِ ، وَلَنَا تَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ . فَنَتَخَيَّرُ مِنْهُ
مَا أَحْوَلَى وَعَذَبَ ، وَنَطْرَحُ مِنْهُ مَا أَمْوَلَحَ وَخَبِثَ ، وَمِنْ بَعْدِ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ،
وَبَعْدَ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ الْبَيَانِ ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَمَاعِنًا .
ثُمَّ نَزَلَ (٣) .

وعلامةُ سكونِ نفسِ الخطيبِ ورباطةُ جأشِهِ هُدُوهُ فِي كَلَامِهِ ، وَتَهْمَلُهُ فِي
مَنْطِقِهِ .

(٢) وشجت : اشتبكت .

(١) العقد الفريد : ٤ - ٩٦ ، ١٤٧ .

(٣) تروى هذه الخطبة لصالح بن علي ، وتروى لأبي العباس السفاح . وانظر زهر الآداب

(٢ : ٢٨٥) ، وأمالى المرتضى (٤ : ١٩) .

وقال ثمامة: كان جعفر بن يحيى أنطقَ الناسِ ، قد جمع الهدوءَ والتمهلَ ،
والجزالةَ والحلاوةَ . ولو كان في الأرضِ ناطقٌ يَسْتغنى عن الإشارةِ لكانه .
وقوله^(١): «متخير الألفاظ» . فمدارُ البلاغةِ على تحيُّرِ اللفظِ ؛ وتخيُّره أصعبُ
من جمعه وتأليفه . وسنُشبعُ الكلامَ في هذا إن شاء الله .

وقوله : « يكونُ في قواه فضلُ التصرفِ في كل طبقة » ، وهو أن يكونَ
صانعُ الكلامِ قادراً على جميعِ ضروبه ، متمكناً من جميعِ فنونه ، لا يعتاصُ^(٢) عليه
قسم من جميعِ أقسامه . فإن كان شاعراً تصرَّفَ في وجوهِ الشعرِ ؛ مديحِهِ وهجائه
ومراثيه وصفاته ومفاخره ، وغير ذلك من أصنافه .

والاختلافُ قوِي الناسِ في الشعرِ وفنونه ما قيل : كان امرؤُ القيسِ أشعر
الناسِ إذا ركبَ ، والنابعةُ إذا رهبَ ، وزهيرٌ إذا رغبَ ، والأعشى إذا طربَ .
وكذلك السكاكِبُ ربما تقدَّم في ضَرْبٍ من الكتابةِ وتأخَّرَ في غيره ، وسهَّلَ
عليه نوعٌ منها وعيَّرَ نوعٌ آخر .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر الصولي ، قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل ، قال :
حدثنا إبراهيم بن العباس ، قال : سمعتُ أحمد بن يوسف يقول : أمرني المأمونُ أن
أكتبَ إلى النواحي في الاستكثارِ من القناديلِ في المساجدِ في شهرِ رمضان ، فبتُّ
لا أدري كيف أحتدي ، فأتاني آتٍ في منامِي فقال : قل : « فإنَّ في ذلك عمارةٌ
للمساجدِ ، وأنساً للسابلةِ^(٣) ، وإضاءةً للمتجدين ، ونقياً لمكاتبِ الرِّيبِ ،
وتزميةً لبيوتِ الله جلَّ وعزَّ عن وحشةِ الظلمِ » . فالتبَّهتُ وقد انفتح لي ما أريد ،
فابتدأتُ بهذا وأتممتُ عليه .

والقدَّمُ في صنعةِ الكلامِ هو المستولى عليه من جميعِ جهاته ، المتمكِّنُ من

(١) حكيم الهند ص ١٩ . (٢) لا يعتاص : اعتاص الأمر عليه : اشتد عليه فلم يهتد

للصواب . (٣) السابلة : القوم المختلقون على الطرق السلوكية .

جميع أنواعه ، وبهذا فضّلوا جريراً على الفرزدق . وقالوا : كان له في الشعر ضروب لا يعرفها الفرزدق . وماتت امرأته النّوار فباح عليها بشعر جرير^(١) :

لَوْلَا الْحِيَاءُ لَهَا جَنِينِي اسْتَعْمَبَارُ وَارْزَتْ قَبْرِكَ وَالْحَبِيبُ يُرَارُ
وكان البحرى يفضّل الفرزدق على جرير ، ويزعم أنه يتصرّف من المعاني فيما لا يتصرّف فيه جرير ، وبُورِدُ منه في شعره في كلّ قصيدة خلاف ما يورده في الأخرى . قال : وجرير يكرّر في هجاء الفرزدق ذكر الزبير ، وجمّان ، والنّوار^(٢) ، وأنه قَيْنٌ مُجَاشِعٌ . لا يذكر شيئاً غير هذا .

وسئل بعضهم عن أبي نواس ومسلم ؛ فذكر أن أبا نواس أشعر ؛ لتصرّفه في أشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه ، قال : ومسلم جارٍ على وتيرة واحدة لا يتغيّر عنها .

وأبلّغ من هذه المنزلة أن يكون في قوة صائغ الكلام أن يأتي مرّةً بالجزل ، وأخرى بالسهل ؛ فيلين إذا شاء ، ويشتدّ إذا أراد . ومن هذا الوجه فضّلوا جريراً على الفرزدق ، وأبا نواس على مسلم . قال جرير^(٣) :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتُّ الزِّيَارَةِ فَارْجَعِي بِسَلَامٍ
تُجْرِي السُّوَالِكَ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ

فانظر إلى رِقَّةَ هذا الكلام . وقال أيضاً^(٤) :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَأَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبَزْلِ الْقِنَاعِيْسِ^(٥)
فانظر إلى صلابَةَ هذا الكلام .

(١) ديوانه ١٩٩ . (٢) الزبير وجمّان والنّوار أسماء كان جرير يعير بها الفرزدق في شعره . وانظر الموشح ص ١٢٢ . (٣) ديوانه : ٥٥١ .
(٤) ديوانه : ٣٢٣ . (٥) ابن اللبون : ولد الناقة إذا طعن في الثالثة . ولز : شد .
والقرن : الحبل . والبزل : واحده بازل : البعير الذي دخل في السنة التاسعة . والقناعيس : جمع قنعايس : العظيم من الإبل .

والفرزدقُ يَجْرِي على طريقة واحدة ، والتصرفُ في الوجوه أبلغ .
وقال أبو نواس (١) :

قُلْ لِيذَى الْوَجْهِ الطَّرِيرُ (٢) وَلِيذَى الرَّذْفِ الْوَتِيرُ (٣)
وَلِمَغْلَاقِ هُمُومِي وَلِمَفْتَاكِحِ سُورِي
يَا قَلِيلًا فِي التَّنَاقِي وَكَثِيرًا فِي الضَّمِيرِ

فانظرُ إلى سلاسة هذا الكلام وسهولته ، وقال (٤) :

مَا هُوِي إِلَّا لَهُ سَبَبُ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ (٥)
فَتَتُّ قَلْبِي مَحَبَّةً بِرِدَاءِ الْحُسْنِ تَنْتَقِبُ
خَلَيْتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَرَادَتْ فَضْلَ مَا نَهَبُ
صَارَ جِدًّا (٦) مَا مَزَحْتُ بِهِ رَبِّ جِدِّ جَرَّةِ اللَّعِبِ

فهذا أجزلُ من الأول قليلا . وقال في صفة الكلب (٧) :

أَنْعْتُ كَلْبًا جَالًا فِي رَبَاطِهِ جَوْلَ مِصَابٍ فَرًّا مِنْ إِسْعَاطِهِ (٨)
[عِنْدَ طَبِيبٍ خَافَ مِنْ سِيَاطِهِ] هِجْنَا بِهِ وَهَاجَ مِنْ نَشَاطِهِ
كَالْكُوكِبِ الدَّرِّيِّ فِي الْمَحَاطَةِ (٩) عِنْدَ تَهَاوِي الشَّدِّ وَانْبَسَاطِهِ
يُقَحِّمُ (١٠) الْقَائِدَ فِي حِطَاطِهِ (١١) وَقَدَّهُ الْبَيْدَاءَ فِي اغْتِبَاطِهِ (١٢)

(١) ديوانه ٤٢١ (٢) الطرير: ذو المنظر والرواء . (٣) في الديوان: لنا . (٤) ديوانه ٣٦١

(٥) ينشعب: يتفرق . (٦) الجد: ضد الهزل . (٧) ديوانه ٢٠٧ .

(٨) الإسعاط: أسعطه الدواء: أدخله في أفه . (٩) في الديوان: « انخرطه » .

(١٠) قحمته الفرس تقحيمًا: رمته على وجهه . (١١) الحطاط: حط البعير حطاطًا: اعتمد

في الزمام على أحد شقيه كالحط . (١٢) قد المسافر الغلاة: خرقتها أي قطعها . الاغتباط: التبجح

على حسن حال ومسررة . وفي الديوان « الاعتباط » بالعين المهملة، من قولهم: اعتبطت الريح وجه الأرض

قشرته ؛ ونسب ذلك إلى الكلب مبالغة في شدة عدوه .

لَمَّا رَأَى الْعَلِيبَ فِي أَقْوَاطِهِ	سَابَجَهُ وَمَرَّ فِي التِّيَابِطِهِ (١)
كَالْبَرْقِ يَقْرَى الْمَرْوَ بِالتَّقَاطِهِ	مِثْلَ قَلْبِي طَارَ فِي أَنْفَاطِهِ (٢)
وَانصَاعَ يَتَلَوُّهُ عَلَى قِطَاطِهِ	أَغْضَفَ لَا يَبِئْسُ مِنْ خِلَاطِهِ (٣)
يَصِيدُ بِمَسَدِ الْبَعْدِ وَابْنِ سَاطِهِ	إِنْ لَمْ يَبْتَ الْقَلْبَ مِنْ نِيَابَتِهِ (٤)
فَلَمْ يَزَلْ يَأْخُذُ فِي لَطَاطِهِ	كَالصَّقْرِ يَنْقَضُ عَلَى غَطَاطِهِ (٥)
يَقْشُرُ جِلْدَ الْأَرْضِ مِنْ بَلَاطِهِ (٦)	بِأَرْبَعِ يَذْهَبُ فِي إِفْرَاطِهِ
لِشِدَّةِ الْجَرَى وَلَا سَتِخْطَاطِهِ	مَا أَنْ يَمَسَّ الْأَرْضَ فِي أَشْوَاطِهِ
قَدْ خَدَشَتْ رِجْلَاهُ فِي آبَاطِهِ	وَحَرَقَ الْأُذُنَيْنِ بِانْتِشَاطِهِ (٧)
خَلَجُ ذِرَاعِيهِ إِلَى مِلَاطِهِ	يَنْقُدُّ عِنْدَ الصِّيقِ بِانْمِطَاطِهِ (٨)
فِي هَبَوَاتِ الصِّيقِ أَوْ رِيَابَتِهِ	فَأَدْرَكَ الطَّيْبِيَّ وَلَمْ يَبِابَتِهِ (٩)
وَلَفَّ عَشْرِينَ إِلَى أَشْرَاطِهِ	فَلَمْ نَزَلْ نَقْرَنَ فِي رِبَاطِهِ

- (١) العليب : التيس الطويل القرنين . والأقواط : جمع قوط القطيع من الغنم ، وسابجه أبعده معه في السير . والانتباط : العدو في وثب . (٢) يقال : قروت الأرض وكروتها : تتبعها . والمرؤ : حجارة بيض براقه تورى النار . أو أصل الحجارة . والأنفاط من نفضت القدر تنفض ؛ إذا غلت . (٣) انصاع : انقتل راجعاً مسرعاً . والقطاط : المثال يحذو عليه الحاذي . غضف السكاب أذنه : أرخاها وكسرها . والخلاط : اختلاط الإبل والناس والمواشي . (٤) البت . القطع . النياط : معلق كل شيء . وفي الديوان : « في انتياطه » . (٥) اللطاط : الملازمة . والنفاط : بالفتح : القفا أو ضرب منه . (٦) البلاط : الأرض المستوية للمساء . (٧) الانتشاط : النشاط وفي الديوان : وخرم . (٨) الخلاج : الجذب والانتراع ، وهو القشر . والملاط : الجنب . والانعطاط : الشيء من غير كسر . ورواية الديوان :

خَلَجُ ذِرَاعِيهِ إِلَى مِلَاطِهِ يَنْقُدُّ عَنْهُ الصِّيقُ بِانْمِطَاطِهِ

وَالصِّيقُ ، بِكسْرِ الصَّادِ : الْغُبَارُ الْجَائِلُ فِي الْهَوَاءِ .

(٩) الهبوات : جمع هبوة ، بالفتح وهي الغبرة . والرياط : من راط الوحش بالأكمة يروط

ويربط ؛ أي لاذ .

وَيُعْجِلُ^(١) السَّوُونَ مِنْ خَطَاةِ وَيَطْبِخُ الطَّابِخُ مِنْ أَسْقَاطِهِ^(٢)
حتى عَلا في الجَوِّ من شياطه^(٣)

فانظر إليه كيف يتصرف بين الشدة واللين ، ويضع كل واحد منهما في موضعه ، ويستعمله في حينه .

وقوله : « ولا يكلمهم سيّد الأُمّة بكلام الأُمّة ، ولا الملوك بكلام السُّوقة » . لأن ذلك جهلٌ بالمقامات ، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام . وأحسن الذي قال : لكلِّ مقامٍ مقال . وربما غلبَ سوءُ الرأي ، وقلةُ العقل على بعض علماء العربية ؛ فيخطبون السُّوقِيَّ والمملوكَ والأعجميَّ بِاللِّفَاطِ أَهْلَ نَجْدٍ ، ومعاني أهل السراة ؛ كأبي علقمة إذ قال للحجّامه : اشدد قصب المَلَّازِمِ^(٤) ، وأرهِفْ ظُبَاةَ المِشَارِطِ ، وأمر المَسْحَ ، واستنجِجِ الرِشْحَ^(٥) ، وخفّف الوَطءَ ؛ وعجّل التَّرْعَ ، ولا تَكْرِهَنَّ أَيْبَا ، ولا تمننن أَيْبَا . فقال له الحجّام : ليس لي علمٌ بالحروب . ورأى الناس قد اجتمعوا عليه ، فقال : ما لكم تَكأُّ كَأْتُمْ على كَأْنِكُمْ قد تَكأُّ كَأْتُمْ على ذى جَنَّةٍ ، افرْتَقِعُوا^(٦) عني .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن علي بن محمد الأسدي ، عن محمد بن أبي المغازل الضبي ، عن أبيه ، قال : كان لنا جارٌ بالكوفة لا يتكلم إلا بالغريب ، فخرج إلى ضيعة له على حِجْرٍ^(٧) معها مَهْرٌ ، فأفلتت ، فذهبت ومعها مهرها ، فخرج يسأل

(١) في الديوان « ونحط » ، من خط اللحم يحمطه خطا فهو نحيط إذا شواه .

(٢) السقط : ما أسقط من الشيء ، وما لا خير منه وجمعه أسقاط .

(٣) شاط : احترق أو نضج حتى كاد يهلك .

(٤) المَلَّازِم : جمع ملزم ، بكسر الميم وإسكان اللام : خشبتان تشد أو ساطها بمجديدة .

(٥) الظبأة : واحدة ظبة وهي حد سيف أو سنان ونحوه . والمشارط : موضع الحجام

الذي يشرط به الجلد ، واستنجج الرشح : استخرجه . أمر الحبل : أجاد فتلته ، والمراد الإحكام .

(٦) تَكأُّ كَأْتُمْ — بالهمز : تجمع . وافرْتَقِعُوا : اذهبوا . (٧) الحِجْر : الأنتى من الخيل .

عنها ، فر يَخِيَّاط ، فقال : إذا النَّصَّاحُ (١) ، وذات السَّمِّ (٢) ؛ الطاعن بها في غَيْرِ
وَعَى ، لغيرِ عِدِّي ؛ هل رأيتَ الخَيْفَانَ القَبَاءَ (٣) ، يَتَّبِعُهَا الحَاسِنَ المُسْرَهْفَ (٤) .
كَانَ غَرَّتَهُ القَمَرُ الأَزْهَرُ ، يُنْبِرُ فِي حُضْرِهِ كَالخَلْبِ الأَجْرَدِ . فقال الخِيَّاطُ :
اطْلُبْهَا فِي تَرْخٍ (٥) . فقال : وَبَيْلِكَ . وما تقولُ قَبَّحَكَ اللهُ ؟ فَا أَعْلَمَ رطَانَتِكَ . فقال :
لَمَنْ اللهُ أَبغَضْنَا لفظاً ، وأخطأنا مَنطِقاً .

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر الصولي قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل ،
قال حدثني سعيد بن حميد ، قال : نظر رجلٌ إلى أبي علقمة ، وتحتته بَعْلٌ مِصْرِي
حَسَنُ المَنْظَرِ ؛ فقال : إن كان مَخْبِرٌ هَذَا البَغْلُ كمنظره فَقَدْ كَمُلَ . فقال أبو
علقمة : والله لقد خرجتُ عليه من مصر ، فتنكبتُ الطريق ، مخافة السُّراقِ ، وجورِ
السلطانِ ؛ فبينما أنا أسير في ليلة ظلماءَ فتماءَ طَخِيَاءُ (٦) مُدْلِهِمَةٌ حِنْدِسُ (٧)
دَاجِيَةٌ ، فِي صَحَّصِحِ (٨) أَمْسَ ، إِذ أَحَسَّ بِنَبَأِ (٩) مِنْ صَوْتِ نَعْرِ (١٠) ، أَوْ طَيْرَانِ
ضُوعِ (١١) ، أَوْ نَفْضِ سَبْدِ (١٢) ؛ فخاصَّ عن الطريق متنكباً لِمِزَّةِ نَفْسِهِ ، وَفَضَّلَ
قِرَّتَهُ ، فَبَعَثَهُ بِاللَّجَامِ فَعَسَلَ (١٣) ، وَحَرَّ كَتُّهُ بِالرَّكَابِ فَنَسَلَ (١٤) . وَأَنْتَعَلَ الطَّرِيقَ
يَفْتَالُهُ مَعْتَمِراً ، وَالتَّحَفَ اللَّيْلَ لِأَيَّاهُ مُظْلِماً . فوالله ما شَبَّهْتُهُ إِلَّا بِطَبِيبَةٍ نَافِرَةٍ ،
تَحْفِزُهَا (١٥) فَتَخْتَأُ شَاعِيَةً (١٦) . قال الرجل : ادعُ اللهُ وسَلَّهُ أَنْ يَحْشُرَ هَذَا البَغْلَ

(١) النصاح : الخياط (٢) ذات السم : الإبرة ذات الثقب

(٣) الخيفانة : الناقة السريعة . والقباء : الدقيقة الخصر الضامرة البطن . (٤) الحاسن الحسن . والمسرهف من سرهفت . الصبي : أحسنت غذاءه ونعمته (٥) قوله : في ترخ ، أراد به التهكم ، والرُخُ : المزلَّة تزل منها الأقدام .

(٦) الطخياء : الليلة المظلمة . (٧) الحندس : الليل المظلم . (٨) الصحصص :

ما استوى من الأرض . (٩) النبأ : الصوت الخفي . (١٠) النعر : الليل وفرائح

العصافير . (١١) والضوع : طائر من طير الليل . (١٢) النفض : التحرك . والسبد ،

كصرد : طائر لين الريش إذا وقع عليه قطران من الماء جرى . (١٣) عسل : اضطرب

في عدوه وهز رأسه . (١٤) نسل : أسرع . (١٥) الحفز : الدفع من خلف .

(١٦) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . والشاعية : وصف لنوع منها .

معك يوم القيامة ، قال : ولم ؟ قال : لئيجيزك الصراط بظفرة^(١) .
وقال أبوعلقمة لطيب : أجد زسيماً في أسنأخي^(٢) ، وأرى وجماً فيما بين الوايلة
إلى الأطرة^(٣) من دآيات العنق . فقال الطيب : هي هي هذا وجع القرشي ،
قال : وما يُبعدنا منهم يا عددي نفسه ؟ نحن من أرومة واحدة ، ونجل واحد . قال
الطيب : كذبت ، وكذا خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون لك ، قال :
بل لك الهوان والخسار والحقارة والسباب ، اخرج عن قبحك الله .

وقال الجارية كان يهواها : يا خريدة ، قد كنت إخالك عروبا ، فإذا أنت نوار^(٤) ،
مالي أممك وتشتيني ا قالت : يا رقيق ، ما رأيت لأحدأ يجب أحدأ فيشتمه !
وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على
طبقات الناس ، فيخطب السوقي بكلام السوقة ، والبدوي بكلام البدو ، ولا يتجاوز
به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه ؛ فتذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب .

وقوله : « ولا يدقق المعاني كل التدقيق » . لأن الغاية في تدقيق المعاني سبيل إلى
تعميته ، وتعمية المعنى لكمة ؛ إلا إذا أريد به الإنغاز وكان في تعميته فائدة ،
مثل آيات المعاني ، وما يجري معها من اللحن التي استعملوها وكنوا بها عن المراد
لبعض الغرض .

فأما من أراد الإبانة في مديح ، أو غزل ، أو صفة شيء فأتى بإغلاق دل ذلك على
عجزه عن الإبانة ، وقصوره عن الإفصاح ، كآبي تمام حيث يقول^(٥) :
خان الصفاء أخ خان الزمان أخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد^(٦)

(١) الطفر : وثب في ارتفاع . (٢) الرسيس : ابتداء الحمى ، والأسناخ : الأصوص
ومفرده سنخ . (٣) الوايلة : طرف الكتف ، والأطرة — بضم فسكون : عطف الشيء ، ودايات
العنق : فقارها . (٤) العروب : التحمية إلى زوجها ، والنوار المرأة النور .
(٥) ديوانه ٣٦٦ . (٦) رواية الديوان :
خان الصفاء أخ خان الزمان له أخا

وقوله (١) :

بَوْمٌ أَفَاضَ جَوِيَّ أَعْضَا تَعَزَّيًّا خَاضَ الْهَوَى بَحْرِيَّ حِجَاهِ الْمُرِيدِ

وقوله (٢) :

وَإِنَّ نَجْرِيَّةً بَانَتْ جَارَتْ لَهَا إِلَى يَدِي جَلَدِي فَاسْتَوْهَكَ الْجَلْدُ (٣)

وقوله (٤) :

جَهْمِيَّةٌ (٥) الْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ أَقْبَوْهَا جَوْهَرَ الْأَشْيَاءِ

وقوله : «ولا تنقيح الألفاظ كل التنقيح» . وتنقيح اللفظ أن يُدنى منه بناء

لا يكثرُ في الاستعمال . كما قال بعضهم لبعض الوزراء : أحسن الله إبانتك . فقال له
الوزير : عَجَّلَ اللهُ إِمَاتَتَكَ .

ويدخل في تنقيح اللفظ استعمالٌ وَحْشِيَّةٌ وَتَرْكٌ سَلْسَةٌ وَسَهْلَةٌ . وقد أخذ الرواة

على زهير (٦) قوله :

نَقِيٌّ تَقِيٌّ لَمْ يَكُنْ غَنِيمَةً بِنَهْكَةِ ذِي الْقُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ

فاستبشموا الحقلد وهو السبيء الخلق . وقالوا : ليس في لفظ زهير أنكر منه .

وقال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته إليه : أئِنَّ سَأَلْتَكِ ثَمَنَ شَكْرِيهَا
وَشَبْرِكِ أَنْشَاتِ تَطْلَاهَا وَتَضْمَلَهَا .

الشكر : الرضاع . والشبر : النكاح . وتطلها : تسعى في بطلان حقها .

وتضمها : تعطيها الشيء القليل .

(١) ديوانه : ١١١ (٢) ديوانه : ٣٦٧ (٣) رواية الديوان :

وَإِنَّ بَحْرِيَّةً نَابَتْ نَجَارَتْ لَهَا إِلَى ذُرَا جَلَدِي فَاسْتَوْهَلَ الْجَلْدُ

البحرية : الداهية . نابت : أصابت . جارت : رفعت صوتي . استوهل : استوجب .

(٤) ديوانه : ٣ (٥) جهمة الليل : قريب من السحر ، قال الجعدي :

وَقَهْوَةٌ صَهْبَاءٌ بَاكَرَتْهَا بِجَهْمَةِ وَالذِّبْكَ لَمْ يَنْعَبْ

والمراد هنا مظالمه الأوصاف . (٦) ديوانه : ٢٣٤

قال أبو عثمان : رأيتهم يديرون في كتبهم هذا الكلام ، فإن كانوا إنما رووه ودوّنوه لأنه يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة الفصاحة والبلاغة ؛ وإن كانوا فعلوا ذلك لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج ، وشعر الطرماح ، وأشعار هذيل ، يأتي لهم مع الرصف الحسن على أكثر من ذلك . ولو خاطب أحد الأصمعي بمثل هذا الكلام لظننت أنه سيجهل بعضه . وهذا خارج عن عادة البلغاء .

وقوله : « ويصفيها كل التصفية ، ويهديها كل التهديب » . فتصفيته تعرّيته من الوحش ، ونفى الشواغل عنه . وتهديبه تبرّته من الردى المرذول ، والسوق المرذود .

فمن الكلام المهذب الصافي قول بعض الكتاب : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ، وسمح بحقٍ وجب له ، وقيل واضح العذر ، واستكثر قليل الشكر ، لا زالت أيديك فوق شكر أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

ومثله قول آخر : ما أتتهى إلى غايةٍ من شكرك إلا وجدت وراءها حادثاً من برك ؛ فلا زالت أيديك ممدودة بين أمل فيك تملّغه ، وأمل فيك تحقّقه ، حتى تتملى (١) من الأعمار أطولها ، وتنبال من الدرجات أفضلها .

وقول أحمد بن يوسف : يومنا يوم أين الحواشي وطى النواحي ، وهذه سمايا قد هلت بؤدقها (٢) ، وضحكت بعارس غيمها ولا مع برقها ، وأنت قطب السرور ، ونظام الأمور ؛ فلا تغيب عنا فنقل ، ولا تفرّدنا فنستوحش ؛ فإن الحبيب بحبيبه كثير ، وبمساعديه جدير .

وقوله : ولا يفعل ذلك حتى يلتقى حكماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومن تعود حذف فضول الكلام ، ومشتركات الألفاظ ، ونظر في المنطق على جهة الصناعة فيها ،

لا على جهة الاستطراف والتظرف لها .

يقول : ينبغى أن يتكلمَ بفاخر الكلام ، ونادره ورصينه ومُحكّمه عند من يفهمه عنه ، ويقبله منه ، ممن عرف المعاني والألفاظ علماً شافياً ؛ لنظرة في اللغة والإعراب والمعاني على جهة الصناعة ، لا كمن استطرفَ شيئاً منها ؛ فنظر فيه نظراً غير كامل ، أو أخذ من أطرافه ، وتناول من أطرافه (١) ، فتحلّى باسمه ، وخلا من وسمه . فإذا سمع لم يفقهه ، وإذا سئل لم ينقّه . وإذا تكلم عند من هذه صفة ذهبت فائدة كلامه ، وضاعت منفعة منطوقه ؛ لأن المعاني إذا كلفته بكلام العلية سخر منك ، وزرى عليك ؛ كما روى عن بعضهم أنه قال لبعض العامة : بم كنتم تلتقون بالراحة ؟ يعنى على النبيذ . فقال : بالحمالين . ولو قال له : أى شيء كان تلتقونكم (٢) سلم من سخريته . فينبغى أن يخاطب كل فريق بما يعرفون ، ويتجنب ما يجهلون .

وأما قوله : «من تَمَوَّدَ حذفَ فضولِ الكلام» . فحذفُ فضولِ الكلام هو أن يُسقط من الكلام ما يكون الكلام مع إسقاطه تاماً غير منقوص ، ولا يكون في زيادته فائدة .

وذلك مثل ما روى عن معاوية أنه قال لصحار العبدي : ما البلاغة ؟ فقال : أن تقول فلا تخطيء ، وتسرع فلا تبطيء . ثم قال : أقليني ؛ هو ألا تخطيء ولا تبطيء . فاللقى اللفظتين ؛ لأن في الذى أبقي غنى عنهما ، وعوضاً منها .

فأما إذا كان في زيادة الألفاظ وتكثيرها ، وترديدتها وتكريرها ، زيادة فائدة فذلك محمودٌ ، وهو من باب التذييل . ونشرحة في موضعه إن شاء الله .

وقوله : ومشتركات الألفاظ ؛ وقول جعفر بن يحيى : وتخرجه من الشركة ؛ فهو أن يريد الإبانة عن معنى فيأتى بألفاظ لا تدل عليه خاصة ؛ بل تشترك معه فيها معانٍ آخر ، فلا يعرف السامع أيها أراد . وربما استبهم الكلام في نوع من هذا الجنس

(١) أطرافه : أطرافه (٢) النقل : ما يتقل به على الشراب .

حتى لا يُوقَفَ على معناه إلا بالتوهم . فمن الجنس الأول قول جرير^(١) :

لو كنت أعلم أن آخرَ عهدِكُم
يوم الرحيل فعلتُ ما لم أفعل

فوجهُ الاشتراك في هذا أن السامعَ لا يدري إلى أي شيء أشار من أفعاله
في قوله : «فعلتُ ما لم أفعل» . أراد أن يبكي إذا رحلوا ، أو يهيم على وجهه من الغم
الذي لحقه ، أو يتبهمهم إذا ساروا ، أو يمنعهم من المضي على عزيمة الرحيل ، أو يأخذ
منهم شيئاً يتدكّرهم به ، أو يدفع إليهم شيئاً يشدّ كرونه به ، أو غير ذلك ، مما يجوز أن
يفعله العاشق عند فراق أحبته ، فلم يبين عن غرضه ؛ وأخوج السامع إلى أن يسأله
عما أراد فعله عند رحيلهم .

وليس هذا كقولهم : لو رأيت عليا بين الصفين ؛ لأن دليل البسالة والنكابة
في هذا الكلام بين ؛ وأمارة النقصان في بيت جرير واضحة ؛ فمن يسمعه وإن
لم يكن من أهل البلاغة يستبرده ويستغثه ، ويسترجع الآخر ويستجيده .

ومثله قول سعد بن مالك الأزدي :

فإنك لو لاقيت سعد بن مالك
للاقيت منه بعض ما كان يفعل

فلم يبين عما أراد بقوله يلقى . أخيراً أراد أم شراً ؟ إلا أن يسمع ما قبله أو ما
بعده ؛ فيتبين معناه ، وأما في نفس البيت فلا يتبين مغزاه .

ومثله قول أبي تمام^(٢) :

وقنا قلنا بعد أن أفرد الثرى
به ما يقال في السحابة تُقلع

فقول الناس في السحاب إذا أقلع على وجوه كثيرة ؛ فمنهم من يدحّه ، ومنهم
من يدنّه ، ومنهم من كان يجب إقلاعه ، ومنهم من يكره إقشاعه^(٣) ، على حسب
ما كانت حالها عندهم ، ومواقفها منهم ؛ فلم يبين بقوله ما يقال في السحابة تُقلع
معنى يعتمده السامع . وأبين منه قول مسلم :

فذهب كما ذهب غواذي مزنه
أثني عليها السهل والأوعار

(١) ديوانه : ٤٤٣ ، (٢) ديوانه : ٣٧٣ ، وفيه «أفرد الندى» (٣) أفضعت الريح السحاب : كشفته .

على أن المحتج له لوقال: إن أكثر العادة في السحاب أن يُحمَد أثره، ويثني عليه
بمده لما كان مُبْعِداً. ولم أَرِدْ عيبَ أبي تمام بما قلت، وإنما أَرَدْتُ الإخبارَ عن وجوه
الاشتراك، وذكر ما يتشعب منه، وما يُقْرَبُ من بابيه، وينظرُ إليه من قريب أو بعيد.
ومثل قول أبي تمام قول ابن قيس الرقيات:

إن تعش لا نزلٌ بخيرٍ وإن تهـ لك نزلٌ مثل ما يزول العماء
والعماء: السحاب. بل هذا أجودُ من بيت أبي تمام وأبين.

ومن اللفظ المشترك قولُ أبي نواس:

وخبْنٌ ما يُخبِنُ من آخرٍ منسه وللطابنِ أُمّهارة^(١)

الأمهارة هاهنا جمع مهر، من قولهم: مهرَ يمهر مهراً: والمصدرُ لا تُجمَعُ،
ولا يشكُّ سامعُ هذا الكلام أنه يريدُ جمعَ مهرٍ فيشكِلُ المعنى عليه.
وخطبَ بعضُ المتكلمين، فقال في صفةِ الله تعالى: لا يُقاسُ بالقياسِ، ولا يدرك
بالإلاس. أراد جمعَ لس؛ فأصاب السجعَ وأخطأ المعنى.

وأما ما يستتبهيم فلا يُعرَفُ معناه إلا بالتوهم فهو مثل قول أبي تمام^(٢):

جَهْمِيَّةُ الأوصافِ إلا أنهم قد لَقِبُوها جَوْهَرَ الأَشْيَاءِ

فوجهُ الاشتراك في هذا: أن لجهم مذاهبَ كثيرة، وآراءَ مختلفة متشعبة،
لم يدلَّ فحوى كلامِ أبي تمام على شيءٍ منها يصلحُ أن يُشَبَّه به الحجر وينسب إليه،
إلا أن يتوهم المتوهم فيقول: إنما أراد كذا وكذا، من مذاهبِ جهم، من غير أن
يدلَّ الكلامُ منه على شيءٍ بعيينه.

ولا يُعرَفُ معنى قوله: «قد لَقِبُوها جَوْهَرَ الأَشْيَاءِ» إلا بالتوهم أيضاً.

ومن الكلام الخالي من الاشتراك قول بعضهم لأخ له أراد فراقه: لا تصفحْتُ
أخلاقك فوجدتها مبينةً لمشاكتي، زائغةً عن قصدِ طريقي. صبرتُ عليها؛ رياضةً
لنفسى على الصبرِ مساويةً لأخلاقِ المعاشرين، ولعلمى بكامنِ العدوِّان في جميع العالمين،
والذي رجوتُ من مذمةِ خصالك بما أقابلها به من التجاوز، وأسحبُ على سوءِ آثارها

(١) في الديوان ص ٩٢ «وخبْن ما يخبِن من بعده». الطابن: الفطن. (٢) ديوانه: ٣

أذبال التَّغاضِي ، وأنتَ مع ذلك دَائِبٌ لا تُقَوِّمُ اعوجاجَ مذاهبِك ، ولا يَمُطِفُ بِكَ
الرأى إلى رُشْدِكَ ؛ فلَمَّا فَنَيْتَ حَيْلَتِي فِيكَ ، وانقَطَعَتِ أسبابُ أَمَلِي مِنكَ ، ورأيتُ
الداءَ لا يَزِيدُ عَلَى التَّعَهُدِ بالدواءِ إِلَّا فساداً ، والخرقَ على التَّرْقِيعِ إِلَّا اتِّساعاً قَدِّمْتُ
اليأسَ مِنكَ على الرجاءِ فِيكَ ، واحتَسَبْتُ أَيامِي السالِفةَ في استِصلاحِي لَكَ .

وقوله : وحقُّ المعنى أن يكون له الاسم طباقاً ؛ أى يكون الاسم طباقاً للفظ بقدر
المعنى غير زائد عليه ، ولا ناقص عنه . وكان ذلك من قول امرئ القيس (١) :

* طَبَقُ الْأَرْضِ تَحْرِيٌّ وَتَدْرٌ *

أى هى على الأرض كالتطبق على الإناء لا ينقص منه شيء . وسنأتى بالكلام
على هذا في فصل الإيجاز إن شاء الله .

وقوله : ولا يكون الاسم فاضلاً ولا مقصراً . فهذا داخل في الأول من قوله :
وحق المعنى أن يكون الاسم له طباقاً .

ومثال الفاضل من اللفظ عن المعنى قول عروة بن أذينة (٢) :

وَاسْقِ الْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَاعْلَمْ لَهُ بِالغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَا كَيْهَا
وَاجْزِ الْكِرَامَةَ مَنْ تَرَى أَنْ لَوْلَاهُ يَوْمًا بَدَلَتْ كِرَامَةً لجزأ كَيْهَا
ومعنى هذا الكلام محصور تحت ثلاث كلمات : أجز كلاً فِعْلُهُ . وكان السكوت
لِعُرْوَةَ خَيْراً مِنْهُ .

ومن الكلام الفاضل لفظاً عن معناه قولُ أبى العيالى الهذلى (٣) :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فذكر الرأس مع الصداع فضلٌ .

وقول أوس بن حجر (٤) :

وَهُمْ لِمَقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مَخُولًا
فقوله : «المال» مع «المقل» فضلة .

(١) ديوانه : ١٣١ واللسان ٥ مادة طبق ، وصدرة : * ديمة هطلاء فيها وطف *

(٢) الموشح ٢١٢ (٣) شعراء الهذليين : ٢ - ٢٤٢ . (٤) الموشح ٩٠

والمقصّر من الكلام : ملا يُنبيك بمعناه عند سماعك إياه ويحوجك إلى شرح ؛
كبيت الحارث بن حلزة (١) :

والعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ لِ النَّوْكِ مِمَّنْ رَامَ كَدًّا

وسند كرجة العيب فيه بمد هذا .

وقوله : ولا مضمنا : التضمن أن يكون الفصل الأول مفتقرا إلى الفصل الثاني ،
والبيت الأول محتاجا إلى الأخير كقول الشاعر :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةٌ قِيلَ يُغْدَى بَلْبَلِي الْعَامِرِيَّةُ أَوْ يُرَاحُ
قِطَاةٌ غَرَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَازِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

فلم يتم المعنى في البيت الأول حتى أتمه في البيت الثاني ، وهو قبيح .

ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم : وجعل سيدنا آخذاً من كل ما دعي
ويُدعى به في الأعياد ، بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .

وقد تسمى استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك ، وإدخالك إياه في أثناء
أبيات قصيدتك تضميناً ؛ وهذا حسن وهو كقول الشاعر :

إِذَا دَلَّهُ عَزْمٌ عَلَى الْحَزْمِ لَمْ يَقُلْ « غَدَاً غَدُّهَا إِنْ لَمْ تَعْمَقْهَا الْعَوَائِقُ »
وَلَكِنَّهُ مَاضٍ عَلَى عَزْمِ يَوْمِهِ فَيَفْعَلُ مَا يَرْضَاهُ خَلْقٌ وَخَالِقُ

فقوله : « غداً غدُّها إن لم تعمقها العوائق » من شعر غيره وهو هاهنا مضمّن .

وكقول الآخر :

عَوَّذَ لَمَّا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصَهُ بِخَلَا بِيَّاسِينَ
فَبَتَّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدَّ غَنَّتْ « قِفَانِبُكَ » (٢) مَصَارِينِي

وقول الآخر :

وَلَقَدْ سَمَا لِلخُرَيْمِيِّ وَلَمْ يَقُلْ بَعْدَ الْوَعَا « لَكِنْ تَصَاقِقَ مَقْدَمِي » (٣)

(١) نقد الشعر : ١٢٧ ، الموشح : ٢٣٢ . (٢) من كلام امرئ القيس . (٣) لعنترة .

وقول ابن الرومي في معنى :

مَجْلِسُهُ مَأْتَمُ اللذَاذَةِ وَالـ
يُنَشِّدُنَا اللّهُوَ عِنْدَ طَلْعَتِهِ
قَصْفِ وَعُرْسِ المَهْمُومِ والسَّقْمِ
« مَنْ أَوْحَشْتَهُ الدِّيَارُ لَمْ يُقِمِ »

وكقول جحظة :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ مَعَاشِرِ هَجْرٍ وَالنَدَى
قَوْمٌ أَحَاوِلُ نَيْلَهُمْ فَسَكَانِمَا
وَتَقَبَّلُوا الأَخْلَاقَ عَنِ أَسْلَافِهِمْ
حَاوَاتُ تَتَفَ الشَّعْرَ مِنْ أَنَافِهِمْ
هَاتِ اسْقِينِيَا بِالكَبِيرِ وَعَنِّي
« ذَهَبَ الذِّينُ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ »

وباقى كلامه يتضمنُ صفةَ التَّكَلُّمِ لا صفةَ الكَلَامِ . إلا قوله : ويكون تصفُّحُه
لموارِدِه بِقَدْرِ تصفُّحِه لمصادرِه . وسنأتى على الكَلَامِ فى هَذَا ونستقصيه فى فصل
المَقَاطِعِ وَالمَبَادِي .

وقال بعض الحكماء : البلاغة قولٌ يسير ، يشتملُ على معنى خطير . وهذا مثلُ
قولِ الآخر : البلاغةُ حِكْمَةٌ تحت قولٍ وَجِيزٍ . وقول الآخر : البلاغةُ علمٌ كثيرٌ
فى قولٍ يسيرٍ .

ومثاله قولُ الأعرابي ، وقد سئل عن مالٍ يسوقُه ، لِمَنْ هو ؟ فقال : لله فى
يَدِي . فأى شىء لم يَدْخُلْ تحت هذا الكَلَامِ القليلِ مِنَ الفَوَائِدِ الخَطِيرَةِ ، وَالحِكْمِ
البَارِعَةِ الجَسِيمَةِ .

وقال الله عزَّ وجلَّ اسمه : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ . قد دخل تحت
قوله : فهو حَسْبُهُ مِنَ المَعَانِي مَا يَطْوِلُ شَرْحُهُ مِنَ إِيْتَاءِ مَا يُرْجَى ، وَكِفَايَةِ
مَا يُخْشَى .

وهذا مثل قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهَى الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾ .
ومثل بعض الأوائل : مَا كَانَ سَبَبُ مَوْتِ أَخِيكَ ؟ قَالَ : كَوْنُهُ . فَأَحْسَنَ

مَا شَاءَ .

وقد تنازع الناس في هذا المعنى . أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي ، قال : قيل لأعرابي : كيف حالك ؟ فقال : ما حال من يفنى ببقائه ، ويسقم بسلامته ، ويؤتى من مأمته .

وأخبرنا أبو أحمد قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الغلابي ، قال : حدثنا ابن عائشة ، قال : قلت لأبي : حدثني حماد بن سلمة ، عن حميد بن ثابت ، عن أنس والحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كفى بالسلامة داءً . قال : يا بني ، ولا أراه إلا مستنداً ؛ فقد قال حميد بن ثور (١) :

أَرَى بَصْرِي قَد رَأَيْتِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبِكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ
وقال آخر :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاحِمِي فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيَصِحَّنِي إِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ
وأول من نطق بهذا المعنى النمر بن توبل في الجاهلية (٢) :

يَوَدُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى وَكَيْفَ يَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ تَفَعَّلُ
يَرِدُ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ يَنْوِي إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ
وقال آخر (٣) :

مَا حَالٌ مَنْ أَفْتَهُ بَقَاؤُهُ نَفَّصَ عَيْشِي كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
وقال ابن الرومي (٤) :

لِعَمْرِكَ مَا الدُّنْيَا بَدَارٍ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنِ النَّفْسِ الْبَصِيرِ غَطَاؤُهَا
وَكَيفَ بَقَاءُ الْعَيْشِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْبِنَاءِ بَقَاؤُهَا
ونقله إلى موضع آخر فقال (٥) :

(١) ديوانه ٧ ، الثبيان : ٢ - ٢٩٠ (٢) ديوان المعاني : ٢ - ١٣٨ (٣) ديوان المعاني : ٢ - ١٨٣ (٤) ليسا في ديوانه التي بأيدينا (٥) ديوان المعاني : ٢ - ١٨٤

فإن الداء أكثر ما تراه من الأشياء تحلوا في الحلو
 وقريب من ذلك قول محمد بن علي رضي الله عنهما : مالك من عيشك إلا لذة
 تزديف بك إلى حمامك ، وتقربك من يومك ، فأية أكلة ليس معها غصص ،
 وشربة ليس معها شرق ؛ فتأمل أمرك ؛ فكأنك قد صرت الحبيب المفقود ،
 أو الخيال المحترم . وقال أبو العاتية :

* أسرع في نقص امرئ تمامه *

ومن الأمثال : كل من أقام شخص ، وكل من زاد نقص ، ولو كان يميت
 الناس الداء لأحياهم الدواء . وقال آخر :

إذا تم أمرنا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

وقلت :

لا بد أن يشكوه من يشكره	ما خير عيش صفوه يكدره
يُميته بقاؤه فيميره	والمرء يلبس والتبايا تذكره
يطويه من مداه مالا ينشره	وكسره منه الذي لا يجبره
يهدم من عمرك مالا تعمره	في كل مجرى نفس يكرره

وقلت :

وأسعف الإلف بعد صدّه	قد قرب الأمر بعد بعده
صرت إلى خفضه ورغده	وبعد بوئس وضيق عيش
لا بد من نزعه وزده	لكنه ملبس معار
ووجوده علة لفقده	وهل يسر الغنى بحظ

وقال الروي : البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة ، والفزارة عند

الإطالة .

الاقتضاب : أخذ القليل من الكثير ؛ وأصله من قولهم : اقتضبت الغصن

إذا قطعته من شجرته . وفيه معنى السرعة أيضاً ؛ فيقول : البلاغة إجادة في إسراع ، واقتصاراً على كفاية .

فمن البديهة الحسنة ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا إبراهيم بن محمد الشطرنج قال : حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال : دخل المأمون ديوان الخراج فرأى بغيلاً جميلاً على أذنه فلم فأعجبته ما رأى من حسنه ؛ فقال : مَنْ أَنْتَ يَا غِلاَمُ ؟ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَّاشِءُ فِي دَوْلَتِكَ ، وَخَرَجَ أَدَبُكَ ، وَالتَّقَلُّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْحَسَنُ بْنُ رِجَاءٍ . فقال المأمون : بِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهِةِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولِ . ثم أمر أن يُرْفَعَ عَنْ مَرْتَبَةِ الدِّيَوَانِ وَيُعْطَى مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

ومن الاقتضاب الجيد : ما أخبرنا به أبو أحمد قال : أخبرني أبو أحمد الواذاري عن شميمخ له قال : قال أبو حاتم : سمعت أبا عبيدة يقول : استفتحت غلامين في الصبا . فَرَزَيْتُ^(١) مِنْهَا بِلُغَةِ الْغَايَةِ ، فَجَاءَا كَمَا زَكَيْتُ : بَلَفَسِي أَنْ النِّظَامَ يَتَمَاطَى عِلْمَ السَّكْلَامِ فَرَّ وَهُوَ غِلَامٌ عَلَى حِمَارٍ يَطِيرُ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا غِلَامُ ؛ مَا عَيْبُ الرَّجَاحِ ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْكَسْرُ ، وَلَا يَقْبَلُ الْجَبْرَ . وَبَلَفَسِي أَنْ أَبَا نَوَاسٍ يَتَمَاطَى قَرَضَ الشُّعْرَ ، فَتَلْقَانِي وَهُوَ نَسْكَرَانٌ مُلْتَمِخٌ^(٢) ، وَمَا طَرَّ شَارِبُهُ بَعْدَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ فَلَانٌ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : ثَقِيلُ الظِّلِّ ، جَامِدُ النَّسِيمِ . فَقُلْتُ : زِدْ . فَقَالَ : مُظْلِمُ الْهَوَاءِ ، مُتَيْنُ الْفِنَاءِ . فَقُلْتُ : زِدْ . فَقَالَ : غَلِيظُ الطَّبَّعِ ، بَيْضُ الشَّكْلِ . فَقُلْتُ : زِدْ . فَقَالَ : وَحِيمُ الطَّلَعَةِ ، عَسِيرُ الْقَلَمَةِ . قُلْتُ : زِدْ . قَالَ : نَابِي الْجَنَابَاتِ ، بَارِدُ الْحَرَكَاتِ . ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي سُؤْلاً أَرَدْتُكَ جَوَاباً . فَقُلْتُ : كَفَى مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

ومن جيد البدائه ما أخبرنا به أبو أحمد قال : أخبرني أبي عسل بن ذكوان قال :

(١) زكته كفرح وأزكنه : علمه وفهمه وحرصه وظنه .

(٢) التميخ في الأمر : اختلط . وسكران ملتمخ : مختلط لا يفهم شيئاً .

قال المأمون ليحيى بن أكرم : صِفْ لِي حَالِي عِنْدَ النَّاسِ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
قَدْ انْقَادَتْ لَكَ الْأُمُورُ بِأَرْسَالِهَا ، وَمَلَكَتْكَ الْأَمَّةُ فُضُولَ أَعْنَتِهَا ؛ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالْمَحَبَّةِ
لَكَ ، وَالرَّفْقِ مِنْكَ ، وَالْعِيَاذِ بِكَ ، بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِمْ ، وَمَنْكَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى لَقَدْ أُنْسِيَتْهُمْ
سَلْفَكَ ، وَأَيَسَتْهُمْ خَلْفَكَ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَنَا بِكَ بَعْدَ التَّقَاتِعِ ، وَرَفَعَنَا فِي دَوْلَتِكَ
بَعْدَ التَّوَاضُعِ .

فقال : يايحيى ، أَنْجَبِيْرًا ، أَمْ ارْتَبِحَالًا ؟ قال : قلت : وهل يمتنعُ فيك وَضْفٌ ،
أَوْ يَتَمَدَّرُ عَلَى مَادِحِكَ قَوْلٌ ، أَوْ يُفَحِّمُ فِيكَ شَاعِرٌ ، أَوْ يَتَلَجَّجُ فِيكَ خَطِيبٌ ؟
وقدم على المهدي رجل من أهل خراسان ، فقال : أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟
إِنَّا قَوْمٌ نَائِبُونَ عَنِ الْمَرْبِ ، وَشَغَلْتَنَا الْجُرُوبُ عَنِ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ
طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ؛ فَيَكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِي
الضَّمِيرِ دُونَ التَّفْسِيرِ . فقال المهدي : أَنْتَ أَخْطَبُ مَنْ سَمِعْتَهُ .

وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الكاغذي ، قال : أخبرنا أبو بكر العقدي ،
قال : أخبرنا أبو جعفر الخراز ، قال : أخبرنا المدائني : أن أعرابياً دخل على المنصور
فَتَكَلَّمَ ؛ فَأَعْجَبَ بِكَلَامِهِ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ ، فَقَالَ : يُبَيِّتُكَ اللَّهُ ، وَيَزِيدُ
فِي سُلْطَانِكَ . فقال : سَلْ حَاجَتَكَ ، فليس في كلِّ وقتٍ تُوَمَّرُ بِذَلِكَ . قال : وَلِمَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فوالله ما أَسْتَتِرُ عُمْرَكَ ، وَلَا أَخَافُ بَحْلَكَ ، وَلَا أَعْتَمُ مَالَكَ ؛
وَإِنَّ سَأَلَكَ لَشَرَفٌ ، وَإِنْ عَطَاكَ لَزَيْنٌ ، وَمَا بَامِرِيٌّ بِذَلِكَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ
وَلَا شَيْنٌ .

أَخَذَ الْمَعْنَى الْأَخِيرَ مِنْ أُمِيَّةِ بْنِ الصَّلْتِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جِدْعَانَ (١) :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَامِرِيٌّ إِنَّ حَبْوَتَهُ بِسَيِّبٍ وَمَا كَلَّ الْمَطَاءُ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لَامِرِيٌّ بِذَلِكَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ ، كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ بِشَيْنٍ

وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك ؛ ويُجَلَّى عن مَعْرَاكَ ، وتُخْرِجُهُ من الشَّرِكَةِ ، ولا تستعين عليه بطول الفِكرَةِ ، ويكون سليماً من التَّكَلُّفِ ، بعيداً من سوء الصَّنْعَةِ ؛ برياً من التَّعْقِيدِ ، غَنِيّاً عن التَّأَمُّلِ .

قوله : أن يكون الاسم يحيط بمعناك . فالاسمُ ها هنا : اللَّفْظُ ؛ أى يَحْصُرُ اللَّفْظُ جميعَ المعنى وَيَشْتَمِلُ عليه . فلا يَشِدُّ منه شَيْءٌ يحتاج أن يُعْرَفَ بِشَرْحٍ ، أو تفسيرٍ ؛ فإذا سَمِمْتَ اللَّفْظَ عرفتَ أَقْصَى المعنى ، وهذا مِثْلُ قولِ الآخرِ : البليغُ من طَبَقِ المَفْصِلِ فَأَغْنَاكَ عن المَفْسرِ (١) .

ولا يكون الكلامُ بليغاً مع ذلك حتى يَعْرِى من العَيْبِ ، ويتضمن الجزالةَ والسهولةَ وجودةَ الصَّنْعَةِ ، كما ذكرنا قبل .

ومِثَالُ ذلك ما كتب بعضهم إلى أخٍ له : أما بعدُ فإنَّ المرءَ ليسرُّه دَرَكُ ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه قَوْتُ ما لم يكن ليدركه ؛ فليكن سرورك فيما قدمت من خير ، وأسفك على ما فاتك من برِّ .

وقول أعرابي لابنه : يا بُنَى ؛ إن الدنيا تسمى على مَنْ يسمي لها ، فالهرب قبل العطب . فقد أَذِنْتَكَ بَيْنِ ، وانطوت لك على حَيْنٍ . قال الشاعر :

حلالٌ لِيَلِي أن تروع فؤاده بهيجرٍ ومَنفُورٍ لِيَلِي ذُنُوبُهَا
تطلع من نَفْسِي لِيَلِي نَوَازِع عوارف أن اليأس منك نصيبها
وَزَالَتْ زوالَ الشمسِ عن مستقرها فَمَنْ مَحْجِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا
وقال آخر :

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إننى لك عاشقُ
أَجَلٌ صدق الواشون أنتِ حبيبةٌ إلى وإن لم تصف منك الخلائقُ

وقوله : وَيُجَلَّى عن مَعْرَاكَ . أى يوضِّحُ مَقْصِدَكَ ، وَيُبَيِّنُ للسامعِ مَرَادَكَ ؛ يَنْهَى عن التعمية والإغلاق .

(١) المفسر : مصدر ميمي كالمفسر بمعنى التفسير .

وقوله : ويخرجه من الشَّرْكَه . فقد مضى تفسيره .

وقوله : ولا يستمينُ عليه بطُولِ الفِكرَةِ . هذا لأنَّ الكلامَ إذا انقطعت أجزاؤه ، ولم تتصلْ فصولُهُ ذهبَ رَوْتُهُ ، وغاضَ ماؤُهُ ، وإنما يَرُوقُ الكلامُ إذا جرى جَرِيانُ السيلِ ، وانصبَّ انصبابُ القَطْرِ .

وقال ثُمَامَةُ : ما رأيتُ أحداً إذا تكلمَ لا يتحبَّسُ ، ولا يتوقَّفُ ، ولا يتلفَّفُ ، ولا يتلجَّجُ ، ولا يتنحَّجُ ، ولا يترقَّبُ لفظاً استدعاه من بُعد ، ولا يتلمَّسُ التخلُّصَ إلى معنى قد اعتاصَ عليه بعد طَلَبِهِ ، إلا جعفر بن يحيى .

فن الكلامِ الجارِي مَجْرَى السَّيْلِ قولُ بعضِ العربِ لبعضِ ملوكِ بني أمية : أقطمتُ فلانا أرضاً ، ومنسَطَ محلَّتينا ، وسَوَاءَ خِطَّتينا ، ومَرَّ كَرِّ رِمَاحِنَا ، ومَبْرَكِ إِفْراحِنَا ، ومَخْرَجِ سِائِنَا ، ومُنْقَلَبِ إِمائِنَا ، ومَسْرَحِ سَائِنَا ، ومَنْدى بَهْمِنَا (١) ، ومَحَلِّ ضَيْفِنَا ، ومَشْرِقِ سِائِنَا ، ومصبِحِنَا في صيفِنَا . فقال : تُكْفُونُ . وعَوَّضَهُ عنها وردَّها عليهم .

وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرني أبي عن عسل بن ذكوان أن الحسن بن علي رضي الله عنهما خطب فقال : اعلِّمُوا أنَّ الحِكمةَ زَيْنٌ ، والوقارُ مروءةٌ ، والصلوةُ نعمةٌ ، والإكثارُ صَلْفٌ ، والمعجلةُ سَفَهٌ ، والسَّفَهَةُ ضَعْفٌ ، والغلقُ ورطةٌ ، ومُجَالَسَةُ أهلِ الدُّنَاءَةِ شَيْنٌ ، ومخالطةُ أهلِ الفسوقِ رِيبةٌ . فهذه هي البلاغةُ التامةُ ، والبيانُ الكاملُ .

وكما قال بعضهم : البلاغةُ صوابٌ ، في سرعةِ جوابٍ ؛ والعيُّ إكثارٌ في إهذارٍ ، وإبطاءٌ يردِّفه أخطاءً .

وقال بعضهم : لست ممن يتوهم بجهله ، ويظن بقلة عقله ، أن الديانة ، والأمانة ، والنزاهة ، والصيانة ، إنما هي في تسميرِ ثوبه ، وإحفاءِ شاربه ، وكشفهِ

(١) البهم : جمع بهيمة : أولاد الضأن والمز والمز والبقر .

عن ساقه ، وزهوه بأطماره ، وإنمال خفه ، وترقيع ثوبه ، وإظهار سَجَادَتِهِ ؛ وتعليق
سُبْحَتِهِ ، وخفض صَوْتِهِ ، وخشوع جسمه دون قلبه ، واختلاس مِشِيَّتِهِ ،
وخفة وطئه بين قومه . ولا يرتشي في حكمه ، وبأخذ على علمه ، ويطلب الدنيا بدينه ،
ولا يرفع طرفه من عظمته وكبريائه ، ولا يكلم الناس من تصنعه وريائه .
فهذا الكلام وأمثاله في طول النفس يدل على اقتدار المتكلم ، وفضل قوته في
التصرف .

وقوله : ويكون سلبا من التكلف . فالتكلف طلب الشيء بصعوبة للجهل
بطرائق طلبه بالسهولة . فالكلام إذا أُجْمِعَ وطُلب يتعب ويجهد ، وتُنَوَّلُ ألفاظه من
بُعدٍ فهو متكلف . مثاله قول بعضهم في دعائه : اللهم ربنا وإلهنا ، صلِّ على محمد
نبيِّنا ؛ ومن أراد بنا سوءا فأحيطْ ذلك السوء به ، وأرسخه فيه كرسوخ السَّجِّيلِ
على أصحاب الفيل ، وانصُرنا على كلِّ باغٍ وحسود ، كما انتصرت لناقة تمود .

وقوله : برياً من سوء الصنعة . فسوء الصنعة يتصرف على وجوه : منها
سوء التقسيم وفساد التفسير ، وقُبْحُ الاستعارة والتطبيق ، وفساد النَّسْجِ والسَّبْكِ .
وسنذكر المحمود من هذه الأبواب ، والمذموم منها فيما بعد إن شاء الله .
وروى أنه قال : برياً من الصنعة . فالصنعة النقصان عن غاية الجودة ،
والتصور عن حدِّ الإحسان . وهو مثل قول الغائب في هذا الأمر - بعد عمل -
معناه أنه لم يحكم .

ولمَّا دخل النابتة يُثْرِبُ^(١) وغنى بقوله^(٢) :

* أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَأَيْتُ أَوْ مُغْتَدِي *
* بجلان ذا زاد وغير مزود *

ومن هذه القصيدة^(٣) :

(١) يثرب : اسم مدينة الرسول . (٢) ديوانه ٣٤ ، وقام البيت :

* بجلان ذا زاد وغير مزود *

(٣) ديوانه ٣٧ ، وصدر البيت : * بمخضب رخص كأن بنائه *
* بمخضب رخص كأن بنائه *

* عَمَّ (١) يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعَقِّدُ *

وعرف أنه عيب (٢) خرج وهو يقول: دَخَلْتُ يَرْبَ فَوَجَدْتُ فِي شِعْرِي صَنْعَةً،
فَخَرَجْتُ مِنْهَا وَأَنَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ؛ أَي وَجَدْتُ نُقُصَانًا عَنْ غَايَةِ التَّمَامِ .
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر الصولي ، قال : كان ابنُ الأعرابي يَأْمُرُ بِكُتُبِ
جَمِيعِ مَا يَجْرِي فِي مَجْلِسِهِ ، قال : فَأَنْشَدَهُ رَجُلٌ يَوْمًا أَرْجُوزَةَ أَبِي تَمَامٍ فِي وَصْفِ
السَّحَابِ عَلَى أَنَّهَا لِبَعْضِ الْعَرَبِ :

سَارِيَةٌ لَمْ تَسْكُنْ لِي لِبَعْضِ كَدْرَاءُ ذَاتُ هَطْلَانٍ مَحْضِ
مَوْقَرَةٌ مِنْ خَلَّةٍ وَنَحْضِ تَمْضَى وَتَبْقَى نَعْمًا لَا تَمْضِي
قَضَتْ بِهَا السَّمَاءُ حَقَّ الْأَرْضِ (٣)

فقال ابنُ الأعرابي : أَكْتُبُوهَا ، فَلَمَّا كَتَبُوهَا قِيلَ لَهُ : إِنَّهَا لِحَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ ؛
فقال : خَرَّقَ خَرَّقَ (٤) ، لَا جَرَمَ إِنْ أَثَرَ الصَّنْعَةَ فِيهَا بَيْنَ .
وقال الفرزدق القصائد تصدماً ؛ أَي مَعَابًا وَمَنْقُصَةً عَنْ حَدِّ الْإِحْسَانِ .

وقوله : بعيداً عن التعميد . والتعميد ، والإغلاق ، والتقميرُ سواء . وهو استعمالُ
الوحشي ، وشدة تعليق الكلامِ ببعضه ببعض ؛ حتى يَسْتَبْهِمَ المعنى . وقد ذكرنا
أمثلة ذلك فيما تقدّم ، ونذكرُ هاهنا منها شيئاً :

فمثالُ الوحشي قولُ بعضِ الأمراءِ وقد اعتلتُ أُمَّهُ فَكُتِبَ رِقَاعًا وَطَرَحَهَا
فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ: صَيْنَ امْرُؤٌ وَرَعَى ، دَعَا لِامْرَأَةٍ إِنَّهَا لِحَلَّةٌ (٥) مُسْتَنْدَةٌ ،
قَدْ مُنِنْتَ بِأَكْلِ الطَّرْمُوقِ ؛ فَأَصَابَهَا مِنْ أَجْلِهِ الْإِسْتِمْصَالُ ، أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا

(١) العَمَّ : نبت أحمر يصنع به . (٢) العيب في «يعقد» بالرفع ، وهو ما يسمى بالإقواء ،
وهو اختلاف حركة الروي .

(٣) السارية : السحابة تأتي ليلاً . والحلّة ، بالضم : ما فيه حلاوة من النبات . والحض :
ما ملح وأمر من النبات ، وعليه قولهم : الحلة خبز الإبل ، والحض فاكهتها .

(٤) التخریق : التمزيق .

(٥) قحل الشيخ : يبس جلده على عظمه وهو قحل واقحل . واقسان الرجل : كبر وعسا .

بالأَطْرِغَشَاشِ ، وَالإِبْرَغَشَاشِ . فَكُلُّ مَنْ قَرَأَ رُقْعَتَهُ دَعَا عَلَيْهَا ، وَلَمَنَّهُ وَلَمَنَ أُمَّهُ .
الطَّرْمُوقُ ^(١) ؛ الطين . وَالإِسْتِمْصَالُ : الإسهال ، واطرغش ، وابرغش : إذا
أبلَّ وبرأ .

ومثال الشديدي التعليق بعض ألفاظه ببعض حتى يَسْتَبِيهِمُ المعنى ، كقول
أبي تمام ^(٢) :

جَارِي إِلَيْهِ الْبَيْنُ وَصَلُ خَرِيدَةٍ مَاشَتْ إِلَيْهِ الْمَطْلُ مَشَى الْأَكْبِيدُ ^(٣)
يَا يَوْمَ شَرِّدَ يَوْمٌ لَهْوَى لَهْوَهُ بَصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزِّي تَجَلْدِي
يَوْمٌ أَفَاضَ جَوِيَّ أَغَاضَ نَعَزِيًّا خَاضَ الْهَوَى بَحْرِيَّ حِجَاهُ الْمَزِيدُ
جَمَلُ الْحِجَاؤِ مُزِيدًا .
وقوله أيضاً ^(٤) :

والمجدُّ لَا يَرْضَى بَأَنَّ تَرْضَى بَأَنَّ يَرْضَى الْمَعَاشِرُ مِنْكَ إِلَّا بِالرِّضَا ^(٥)
وبلغنا أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَهُ يُنْشِدُ هَذَا وَأَمْثَالَهُ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ؛
فَقَالَ : يَا هَذَا ، لَقَدْ شَدَّدْتَ عَلَى نَفْسِكَ . وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ كَانَ
مَذْمُومًا .

وقوله : غَنِيًّا عَنِ التَّأْمَلِ ؛ أَي هُوَ مُسْتَعْفَنٌ لَوْضُوحِهِ عَنِ تَأْمَلِ مَعَانِيهِ ، وَتَرْدِيدِ
النَّظَرِ فِيهِ . كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ لَصَدِيقٍ لَهُ : وَجَدْتَ الْمَوْدَةَ مُنْقَطِعَةً ، مَا دَامَتِ الْحِشْمَةُ
عَلَيْهَا مَسَلْطَةٌ ، وَلَا يُزَالُ سُلْطَانُ الْحِشْمَةِ إِلَّا بِمَلَكَةِ الْمُؤَانَفَةِ .

وَمَا يُؤَيِّدُ مَا قَلْنَا قَوْلُ الْجَاحِظِ : مَنْ أَعَارَهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ مِنْ مَعُونَتِهِ
نُصِيبًا ، وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذُنُوبًا ^(٦) ، حَبَّبَ إِلَيْهِ الْمَعَانِي ، وَسَلَّسَ ^(٧) لَهُ نِظَامَ

(١) كذا في جميع الأصول وفي القاموس: الطرموق: الخفاش. (٢) ديوانه: ١١١ . (٣) البين:
الفراق . الخريفة : البكر . الماطل : التسويف . الأكيد : من يشكى وجع الكبد . أو الضخم
الوسط البطيء السير . (٤) ديوانه : ١٨٧ . (٥) في الديوان : « امرؤ يرجوك » .
(٦) الذنوب : اللو ، أو الملائى ، والحظ . والنصيب . (٧) التسليس : الترتيب والتأليف
لما ألف من الحلى سوى الخرز .

اللفظ . وكان قبل قد أعفَى المستمع من كدّ التلطف ، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهيم .

وقال العربي : البلاغةُ التقربُ من المعنى البعيد ؛ والتباعدُ من حشو الكلام ؛ وقربُ المأخذ ؛ وإيجازُ في صواب ؛ وقصدُ إلى الحجّة ؛ وحسنُ الاستعارة .
ومثله قول الآخر : البلاغةُ تقربُ ما بعدَ من الحكمةِ بأيسرِ الخطابِ .
والتقربُ من المعنى البعيد ، وهو أن يعمد إلى المعنى اللطيف فيكشفه ، وينفي الشواغل عنه ؛ فيفهمه السامعُ من غير فكرٍ فيه ، وتدبرٍ له .
مثله قول الأول في امرأة :

لم نَدْرِ ما الدنيا وما طيبها وحسنها حتى رأيناها
إنك لو أبصرتها ساعةً أجللتها أن تتمناها

وقال بعضهم للملك من الملوك : أمّا التعجبُ من مناقبك فقد نسخته توأترها ؛ فصارت كالشيء القديم الذي قد كسى به ؛ أي ألف لا كالشيء البديع الذي يتعجب منه . ومن هذا أخذ أبو تمام قوله (١) :

على أنها الأيامُ قد صرنا كلها عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ
وقول آخر لبعض الملوك أيضاً : أخلاقك تجعل العدوَّ صديقاً ، وأحكامك تصيرُ
الصديقَ عدواً ، ويشهد عدمُ مثلك فيما يكون .
وقال بعض القدماء : لكل حيلةٍ دقيقةٍ ودقيقة الموتِ الهجر .
وقلت :

اسمُ التفرُّقِ بينَ لكنَّ معناه موتُ
وجداننا كلَّ شيءٍ إذا تباعدتْ فوتُ

والرواية الصحيحة أن العربي قال : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ؛ ولكن

(١) ديوانه : ٣٥٢ .

رأيتُهُ في بعض أصولي كما ذكرتهُ قبل ، فأوردتهُ ها هنا ، وفسّرتُه على ما رأيتُه في الأصل .

وقوله : والتباعدُ من حَشْوِ الكلام . فالحَشْوُ على ثلاثة أضرب : اثنان منها مذمومان ، وواحد محمود :

فأحدُ الذمومين هو إدخالك في الكلام لفظاً لو أسقطته كان الكلام تاماً ، مثل قول الشاعر :

أَنْبِي فِتْيَ لَمْ تَذَرَّ الشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعًا
فقوله : يوماً من الدهر حَشْوٌ لا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ لأن الشمس لا تطلع ليلاً .

وقول بعض بني عيس : أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن ثعلب عن ابن الأعرابي :

أَبْعَدَ ابْنِي بَكْرٍ أَوْ مَلَّ مُقْبِلًا مِنَ الدَّهْرِ أَوْ آسَى عَلَى إِثْرِ مُدْبِرٍ
وَلَيْسَ وِرَاءَ القَوْتِ شَيْءٌ يَرُدُّه عَلَيْكَ إِذْ أَوْلَى سِوَى الصَّيْرِ فَاصْبِرْ
أَوْلَاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرِّ كَلِيمَا جَمِيعًا وَمَعْرُوفٍ أُرِيدُ وَمُنْكَرٍ

قوله : أريد حَشْوً وزيادة . وقوله : كليهما يكاد يكون حَشْوًا ، وليس به بأس ، وبقى الكلام متوازن الألفاظ والمعاني ، لا زيادة فيه ولا نقصان . وهذا الجنس كثيرٌ في الكلام .

والضربُ الآخرُ العبارةُ عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله ويمكن أن يعبرَ عنه بأقصر منه . مثل قول النابغة^(١) :

تَبَيَّنَتْ آيَاتِ لَهَا فَعَرَفْتَهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا العَامِ سَابِعٍ

كان ينبغي أن يقول لسبعة أعوام ويبي البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة ، فمَجَزَّ عن ذلك ، فحشا البيت بما لا وجه له .

وأما الضربُ الحمود فسكقول كثير :

لَوْ أَنَّ البَاخِلِينَ وَأَنْتَ فِيهِمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ المَطَالَ^(٢)

(١) ديوانه ٤٩ ، ٦٧ . (٢) المطال : التسوية .

قوله : «وأنت فيهم» حَشَوهُ إِلَّا أَنَّهُ مَلِيحٌ . وَ يُسَمَّى أَهْلُ الصَّنْعَةِ هَذَا الْجِنْسَ
اعتراض كلام في كلام .

ومنه قول الآخر ، وهو جرير (١) :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ

وسنأتني على هذا الباب فيما بعدُ إن شاء الله .

ومن الكلام الذي لاحشوفيه قولُ صَبْرَةَ بنِ شَيْمَانَ حين دخل على مُعَاوِيَةَ مع
الوفود فتكلموا فأكثرُوا ، فقال صَبْرَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا حَيٌّ فَعَالٌ ، وَلِسْنَا
حَيٌّ مَقَالٌ ، وَنَحْنُ بِأَذْنِي فَعَالِنَا عِنْدَ أَحْسَنِ مَقَالِهِمْ .

فقال معاوية : صدقت .

ومن هذا قولُ الشاعر :

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

وكتب رجلٌ إلى أخٍ له : ثَمَّتِي بِكَرْمِكَ تَمَنَعُ مِنْ اقْتِضَائِكَ ، وَغَلِمِي بِشَغْلِكَ
يَجِدُو عَلَى أَدَاكَرِكَ .

وقال آخر : فِي النَّاسِ طِبَائِعٌ سَيِّئَةٌ وَحَسَنَةٌ ، فَارْتَبِطْ بِمَنْ رَجَحَتْ مَحَاسِنُهُ .

وقال الحسن : نَعِمُ اللهُ عَلَى الْعَبْدِ إِذَا كَثُرَ مِنْ أَنْ تُشْكِرَ ، إِلَّا أَنْ يُعَانَ عَلَيْهَا .
وذنوبه أكثر من أن يسلم منها ، إِلَّا أَنْ يُعْفَى لَهُ عَنْهَا .

وأما قرب المأخذ فهو أن تأخذ عَفْوَ الْخَاطِرِ ، وَتَتَنَاوَلَ صَفْوَ الْهَاجِسِ ،
وَلَا تَكِدْ فِكْرَكَ ، وَلَا تَتَعَبِ نَفْسَكَ . وهذه صفةُ المطبوعِ .

وروى أن الرشيد ، أو غيره ، قال لندمانه - وقد طلعت الثريا : أَمَا تَرَوْنَ الثَّرِيَّا ؟

فقال بعضهم : كَأَنَّهَا عَقْدُ رِيَا .

(١) التبيان : ٣ - ٢١٦ ، وقد نسبه هناك إلى عوف بن محم .

وقال بعضهم لأبي العتاهية : * عذب الماء فطابا * فقال أبو العتاهية :
* حبذا الماء شرابا *

وقال بشار ، وقد حبسه يعقوب بن داود على بابه :
* طَالَ الثَّوَاءَ عَلَى رُسُومِ النَّزْلِ *

فرُفِعَ إليه قوله ، فقال :

* فَإِذَا تَشَاءَ أَبَا مُعَاذٍ (١) فَارْحَلْ *

ومن قرب المأخذ أن الجاحظ أو غيره قال للجهاز : أريد أن أنظر إلى الشيطان ،
فقال : انظر في المرأة .

وقال بعض الوُلاة لأعرابي : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً ! فقال الأعرابي :
وأنت أيضاً فاعمل به ، فوالله لما أوعدك الله به منه أعظم مما أوعدتني به منك .

ومنه أن المأمون قال لأم الفضل بن سهل بعد قتله إياه : أتجزعين ولك ولدٌ مثلي ؟
قالت : وكيف لا أجزع على ولدٍ أفادنيك .

وهذا على حسب ما قال أبو حنيفة : إذا أتتك مُعْضِلَةٌ فاجمل جوابها منها .

ومن ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا الجوهري ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ،
قال : حدثنا مهدي بن سابق ، قال : حدثنا عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان ، قال :
دعا عبد الملك بن مروان يوماً بالغداء وبحضرتة رجلاً فدعاه إلى غدائه ، فقال ليس :
بي غداء يا أمير المؤمنين ، قد تغدّيت . فقال عبيد الملك : أقبیح بالرجل أن يأكل
حتى لا يكون فيه فضلٌ للطمام . فقال : يا أمير المؤمنين ، في فضل ، ولكن
أكره أن آكل فأصير إلى ما استقبجه أمير المؤمنين .

و[أما] قوله : « إيجاز في صواب » ، فسند كرهه في بابه . و[أما] الاستمارة فسننهما

في مواضعها .

وأما قوله : « وقصد إلى الحجّة » ، فقد ذكرنا الكلام فيه .
وقال محمد بن علي رضي الله عنهما : البلاغة قولٌ مُفَقِّهٌ ^(١) في لُطْفٍ ؛ فالفَقِّهُ : الفُهِمُ ،
واللُّطِيفُ من الكلام : ما تُعْظِفُ به القلوبَ النافرةَ ، ويُؤنِّسُ القلوبَ المستوحشةَ ،
وتلِينُ به العريكةَ الأبيّةَ المستصعبَةَ ، ويُبلِّغُ به الحاجةَ ، وتُقَامُ به الحجّةُ ؛ فتخلص
نفسك من العيبِ ، ويلزمُ صاحبك الذنبَ ، من غير أن تهيجه ^(٢) وتُقْلِقَهُ ، وتستدعي
غضبه ، وتستثير حفيظته .

كقول بعض الكتاب لأخ له : أنفدَ إلى أبو فلانِ كتاباً منك ؛ فيه ذرٌّ ^(٣)
من عتابٍ ، كان أحلى عندي من نعيصة الفجرِ ^(٤) ، وألذَّ من الزُّلالِ العذبِ ،
ولك العتبي داعياً مستجاباً له ، وعاتباً معتذراً إليه . ولو شئت مع هذا أن أقول : إنَّ
العتبَ عليك أوجب ، والاعتذار لك ألزم لعملي ، ولكني أسامحك ولا أشاحك ^(٥) ،
وأسلم إليك ولا أزدك ؛ لأن أفعالك عندي مرضية ، وشيمك لدى مقبولة ، ولولا
أن للحجّة موقعها لأعرضتُ عما أو مأتُ إليه وما عرضت مما بدأت به ، وقلت :
إذا مرضنا أتيناكم نعوذكم وتذنبون ففأنسيكم ففنعتمدركم
فانظروا كيف خلص نفسه من الجرمِ ، وأوجه لصاحبه في اللطفِ وجهه ،
واللينِ مس .

ومن الكلام الذي يعظف القلوب النافرة قول أخير لأخ له : زين الله
ألفتنا بمعاودة صلّتك ، واجتماعنا بترادف زيارتك ، وأيامنا الموحشة - لعينتك -
برؤيتك ؛ توعّدتني بالانتقامِ على إخلالي بمطالعتك ، وحبسي من عقوبتك
ما ابتليت به من عدمِ مشاهدتك .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البلاغة إيضاحُ الملتبسات ، وكشفُ

(١) فقه كعلمه : فهمه ، وفقهه تفقيها : علمه ، كأفقيه . (٢) حاجة : أثاره .

(٣) أصل الدر صغار النمل ، ولعله يريد : قليل من عتاب . (٤) التعريس : نزول القوم

في السفر آخر الليل . (٥) تشاحا على الأمر : لا يريدان أن يفوتها .

عَوَارٍ (١) الجهالات ، بأسهل ما يكون من العبارات .

وقريب منه قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة .

ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنهما : البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ . وقد مضى فيما تقدم من كلامنا ما يكون مثلاً لهذه الفصول .

وأنا أورد هاهنا فصلاً يشرح به أبوابها ، ويتضح وجوهها . أخبرني أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان ، قال : قال المأمون لرتدي عن الإسلام إلى النصرانية : أى شيء أوحشك من الإسلام فتركته ؟ قال : أوحشني ما رأيت من كثرة الاختلاف فيكم . فقال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما كاختلافنا في الأذان ، وتكبير الجنائز ، والاختلاف في التشهد ، وفي صلاة الأعياد ، وتكبير الشربق ، ووجوه القراءات ، واختلاف وجوه الفتيا ، وما أشبه ذلك . وليس هذا باختلاف ؛ وإنما ذلك توسعة وتخفيفاً من المحنة . والاختلاف الآخر كتححو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الخبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، مع إجماعنا على أصل التنزيل ، واتفقنا على عين الخبر .

فإن كان الذي أوحشك هو هذا حتى أنكرت هذا الكتاب فينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله ، كما يكون متفقاً على تنزيهه ، ولا يكون بين النصارى اختلاف في شيء من التأويلات . ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه ، وورثة رسوله كلاماً لا يحتاج إلى التفسير لفضل ؛ ولكننا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دُفع إلينا على الكفاية . ولو كان الأمر كذلك لسقطت المحنة والبلوى ، وذهبت المسابقة والمنافسة ، ولم يكن تفاضل ؛ وليس على هذا بنى الله الدنيا .

(١) العوار : كل ما أعل العين ، والرمد والقذى .

فقال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ولد ، وأن المسيح
عبد الله ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق ، وأنت أمير المؤمنين حقاً .
وقال ابن المقفع : البلاغة ككشف ما غمض^(١) من الحق ، وتصوير الحق في
صورة الباطل .

والذي قاله أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل
التمييز والتحصيل ؛ وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف يُنادى على
نفسه بالصحة ، ولا يُجرح إلى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيباً .

وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن ، وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب
من الاحتيال والتجليل^(٢) ، ونوع من الملل والمعاريض^(٣) والمعاذير ، ليخفى موضع
الإشارة ، ويغمض موقع التقصير ؛ وما أكثر ما يحتاج الكاتب إلى هذا الجنس عند
اعتدائه من هزيمة ، وحاجته إلى تغير رسم ؛ أو رفع منزلة دنيء له فيه هوى ؛ أو حط
منزلة شريف استحق ذلك منه ، إلى غير ذلك من عوارض أمورهِ .

فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرج في معرض الحمود ،
وللمحمود حتى يصير في صورة المذموم . وقد ذم عبد الملك بن صالح المشورة ، وهي
ممدوحة بكل لسان ، فقال : ما استشرت أحداً إلا تكبر على وتصاغرت له ،
ودخلته العزة ودخلتني الذلة ؛ فعملك بالاستبداد فإن صاحبه جليل في العيون ،
مهيب في الصدور ؛ وإذا افتقرت إلى العقول حقرتكَ العيون ، فتضع شأنك ،
ورجفت^(٤) بك أركانك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما عز
سلطان لم يُغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصابه .

ومدح بعضهم الموت فقال :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثرُوا في الموت ألف فضيلة لا تُعرف

(٢) التجليل : الاحتيال .

(١) في ط « أغمض » ، وصوابه عن ا ، ب

(٤) رجفت : تحركت واضطربت .

(٣) المعاريض : التورية بالشيء وعن الشيء .

فيه أمان لقائه بلقائه وفراق كلِّ معاشرٍ لا يُنصِفُ
فألتَمَكُنُ من نفسه يَضَعُ لسانه حيثُ يريد .

ومثلُ هذا كثيرٌ لا وَجَهَ لاستيفائه في مثلِ هذا الموضع .

ذَكَرْتُ في هذا الباب - وهو ثلاثةُ فصول - من نعوتِ البلاغة ، ووجوهِ البيان
والفصاحة ما فيه كفاية ؛ وأتيتُ من تفسيرِ مُشْكِلِهَا على ما فيه مَقْتَنَع ، ولم يسبقني
إلى تفسيرِ هذه الأبوابِ وَشَرَحَ وجوهها أحد ، وإنما اقتصرَ مَنْ كان قبلي على
ذكرِ تلكِ النعوتِ عاريةً مما هي مفتقرةٌ إليه من إيضاحِ غامضها ، وإزالةِ مُظْلِمِهَا ؛
فكان المنفعةُ بها للعالمِ دونَ المتعلمِ ، والسابقِ دونَ اللاحقِ ؛ وربما اعترضَ الشكُّ
فيها للعالمِ المبرِّز ، فسقطت عنه معرفةُ كثيرٍ منها . وأنتَ أَيُّدِكَ اللهُ تعتمدُ ما ذكرتهُ
من ذلك ، وتأتمُّ بما شَرَحْتَهُ منه ، وتستدلُّ به على ما أَلْفَيْتَهُ من جنسه إذا عثرت
به ، لتستغنيَ عن جميعِ ما صُنِّفَ في البلاغة ، وسائرِ ما ذُكِرَ من أصنافِ البيان
والفصاحة إن شاء اللهُ .

الباب الثاني

في تمييز الكلام جيده من رديه ونادره من بارده والكلام في المعاني (فصلان)

الفصل الأول من الباب الثاني

في تمييز الكلام

الكلام - أيدك الله - يَحْسُنُ بِسَلَاةِهِ ، وسهولته ، ونصاعته ، وتخير لفظه ، وإصابة معناه ، وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعادُل أطرافه ، وتشابه^(١) أعجازه بهواديته^(٢) ، وموافقة ماخيره لمباديته ، مع قلة ضروراته ، بل عدمها أصلاً ، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر ؛ فتجد المنظوم مثل المنشور في سهولة مطالعه ، وجودة مقطعه ، وحسن رصفه وتأليفه ؛ وكال صوغه وتركيبه .

فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقاً ، وبالتحفظ خليقاً ؛ كقول

الأول :

هم الألى وهبوا للمجد أنفسهم
فما يُبألون ما نالوا إذا حمداً

وقول معن بن أوس^(٣) :

لعمرك ما أهوت كفى إريية
ولا قادني سمعي ولا بصري لها
وأعلم أني لم تُصيني مصيبة
ولست بمش ما حيت لمنكر^(٤)
ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا دلني رأبي عليها ولا عقلي
من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي
من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي

(١) في ط ، ب « تشبه » ، وما أثبتناه عن ا . (٢) الهادي : العنق ، والمقدم ، وجمعه الهوادي . (٣) الأمالي : ٢ - ٢٣٤ . (٤) في الأمالي : « بمنكر » من الأمر ما يمشي ...

ولا مؤثراً نفسى على ذى قرابة^(١) وأورث ضيفى - ما أقام - على أهلى
وقول الآخر :

وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ النَّسَبِ إِذَا كَانَتِ الْعُلَمَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وقال الآخر^(٢) :

ذَرَيْتِي أُسِيرٌ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُصِيبُ غَسَنِي فِيهِ لَذَى الْحَقِّ مَحْمِلٌ^(٣)
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطَعْ دِفَاعًا لِحَادِثِ تَجِبِي بِهِ الْأَيَّامُ فَالْصَبْرُ أَجْمَلُ
أَلَيْسَ كَثِيرًا أَنْ تُلِمَ مُلِمَةً وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقُوقِ مُعْوَلٌ !
ومما هو فصيح في لفظه جيد في رصفه قول الشنفرى^(٤) :

أَطِيلُ مِطَالٌ^(٥) الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتِهِ وَأَضْرَبَ عَنْهُ الْقَلْبَ صَفْحًا فَيَذْهَلُ
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الْعَازِ لَمْ يُلَفِّ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَى وَمَا كَلَّ
وَلَكِنْ نَفْسًا مُرَّةً مَا تُقِيمُنِي عَلَى الضَّيْمِ إِلَّا رَيْثِمًا أَتَحْوَلُ
وقول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ
وقول الآخر :

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْهُمْ وَلَكِنْ بِأَوْفَى لِلطَّعْمَانِ وَأَكْرَمًا
وقال دعبيل :

وإن امرءاً أمست مساقط رحله بأسوان لم يترك له الحزم معلماً^(٦)

(١) في الأملى : « على ذى قرابتى » . (٢) لعروة بن الورد . وانظر ديوانه ١٠٦ .

(٣) الحمل : العتمد . (٤) ديوان مختارات شعراء العرب : ٢٣ . والأبيات من لاميته

الشمهورة بلامية العرب . وهى فى مختارات شعراء العرب :

أديم . مطال الجوع حتى أميته وأصرف عنه الذكر صفحاً فأذهل

ولولا اجتناب الذمام لم يبق مشرب يعاش به إلا لدى وما كل

على الضيم إلا ريثماً أتحوّل ولكن نفساً حرة لا تقيم بي

(٥) المطال : التسويق .

(٦) أسوان : بلدة بالصعيد من بلاد مصر . قال فى القاموس : بالضم ويفتح .

حَلَمْتُ مَحَلًّا يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ . ويمجز عنه الطَّيْفُ أَنْ يَتَجَشَّأَ (١) .
وقول النابغة (٢) :

ولست بمسْتَبِقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتٍ ، أَى الرِّجَالِ المَهْدَبُ ؟

وليس لهذا البيت نظيرٌ في كلام العرب . وقال بعضهم: نظيره قول أوس بن حجر:

ولست بخائِيءٌ أَبدَا طَعَامَا حِذَارَ غَدٍ ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

وهذا وإن كان نظيره في التأليف فإنه دونه لما تكرر فيه من لفظ «غد» .

فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة ، والجزالة ، والمهولة ، والرصانة ، مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرِّوْنَقِ والطلاوة ، وسلم من حَيْفٍ (٣) التأليف ، وبُعد عن سَمَاجَةِ التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قبيله ولم يردّه ، وعلى السَّمْعِ المصيب استوعبه ولم يمجه ؛ والنفس تقبل الطيف ، وتنبو عن الغليظ ، وتقلق من الجاسي (٤) البشع ؛ وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقها ، وتنفّر عما يصاده ويخالفه ؛ والمين تألف الحسن ، وتقدى بالقيح ؛ والأنف يرتاح للطيب ، وينفّر (٥) للمنين ؛ والفم يلتذ بالحلو ، ويمج المر ؛ والسمع يتشوّف للصواب الرائع ويزوى عن الجهير الهائل ؛ واليد تنعم باللين ، وتتأذى بالخشن ؛ والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن إلى المألوف ، ويصغى إلى الصواب ، ويهزّب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتأخر عن الجافي الغليظ ، ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب ، والروية الفاسدة .

وليس الشأن في إيراد المعاني ، لأنّ المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي

(١) التجشم : التكلف على مشقة . (٢) ديوانه : ١٣ ، والموشح : ٢٣ .

(٣) الحيف : الميل .

(٤) الجاسي : الصلب الغليظ .

(٥) نفر — بفتح الغين وكسرهما : غضب واغتاظ ، من نفر القدر وهو غلبانها وفورها .

أو من نفر الجرح : إذا سال منه الدم .

والبدوى ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحُسْنِه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ،
وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود^(١) النظم
والتأليف . وليس يُطلبُ من المعنى إلا أن يكون صواباً ، ولا يُقنعُ من اللفظ
بذلك حتى يكونَ على ما وصفناه من نعمته التي تقدمت .

ألا ترى إلى قول حبيب (٢) :

مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ سَائِسٌ أُمَّةٍ بَدْوِي تَجَهَّضُهَا لَهُ اسْتِسْلَامٌ
فإنه صوابُ اللفظ ، وليس هو بحسنٍ ولا مقبولٍ - (الجهضة ، الوثوب
والغلبة) .

وقال أبو داود : رأسُ الخطابة الطَّبَعُ ، وعمودُها الدَّرْبَةُ ، وجناحُها رِوَايَةُ
الكلام ، وحليُّها الإِعْرَابُ ، وبهاؤها تَخْيِيرُ الألفاظِ ؛ والمحبةُ مقرونةٌ بِقَلَّةِ
الاستكراه . وأنشد :

يَرْمُونَ بِالخُطْبِ الطَّوَالِ وتارةً وَحَى الملاحظِ خَشِيَةَ الرِّقْبَاءِ
ومن الدليل على أن مدارَ البلاغة على تحسين اللفظ أنَّ الخُطْبَ الرائعةَ ،
والأشعارَ الرائقةَ ما عَمِلَتْ لإفهام المعاني فقط ؛ لأنَّ الرديءَ من الألفاظِ يقومُ
مَقَامَ الجيدةِ منها في الإفهام ، وإنما يَدُلُّ حُسْنُ الكلامِ ، وإحكامُ صَنَعَتِهِ ،
وَرَوْنُقُ ألفاظِهِ ، وجودةُ مَطَالِعِهِ ، وحُسْنُ مَقَاطِعِهِ ، وبديعةُ مَبَادِيهِ ، وغريبُ
مَبَانِيهِ على فَضْلِ قَائِلِهِ ، وفهْمِ مُنْشِئِهِ .

وأكثرُ هذه الأوصافِ تَرَجُّعُ إلى الألفاظِ دون المعاني . وتَوَخَّى صوابِ
المعنى أحسنُ من تَوَخَّى هذه الأمورِ في الألفاظِ . ولهذا تأنق السكاتبُ في
الرسالة ، والخطيبُ في الخطبةِ ، والشاعرُ في القصيدة . يُبَالِغُونَ في تجويدِها ،
وَيَمْلُونَ في ترتيبِها ؛ ليدلُّوا على براعتِهِمْ ، وحِدْقِهِمْ بصناعتِهِمْ ؛ ولو كان الأمرُ

في المعاني لَطَرَحُوا أَكْثَرَ ذَلِكَ فَرَبِحُوا كَثِيرًا ، وَأَسْقَطُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ تَعْبًا طويلاً .

ودليل آخر ؛ إنَّ الكلامَ إذا كان لفظه خُلُوعًا عَذْبًا ، وَسَيَّاسًا سَهْلًا ، ومعناه وَسَطًا ، دخل في جُمْلَةِ الجيِّدِ ، وَجَرَى مع الرَّائِعِ النَّادِرِ ؛ كقول الشاعر^(١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْضِ كَأَن مَن هُوَ مَا سَحُ
وَشُدَّتْ عَلَيَّ حُدُبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالِنَا وَلَمْ^(٢) يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ^(٣) الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ

وليس تحت هذه الألفاظِ كبيرُ معنى ، وهي رَائِقَةٌ مُعْجِبَةٌ ، وإنما هي : وَلَمَّا قَضَيْنَا الْحَجَّ وَمَسَّحْنَا الْأَرْكَانَ وَشُدَّتْ رِحَالِنَا عَلَى مَهَارِيلِ الْإِبِلِ وَلَمْ يَنْظُرْ بَعْضُنَا بَعْضًا جَعَلْنَا نَتَحَدَّثُ وَتَسِيرُ بِنَا الْإِبِلُ فِي بَطُونِ الْأُودِيَّةِ .

وإذا كان المعنى صوابًا ، واللفظُ باردًا وقَاطِرًا ؛ والفاترُ شرٌّ من الباردِ ، كان مَسْمُوحًا مَلْفُوظًا ، ومذمومًا مردودًا ، والباردُ من الشِّعرِ قولُ عمرو بن معدى يكرب :

قَد عَلِمْتَ سَلَمِي وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا^(٤)
شَكَكَتْ بِالْوُجْهِ سَرَابِيلَهُ وَالْحَمِيلُ تَعْدُو زَيْمًا حَوَانَا^(٥)

وقول الفند الزماني :

أَيَا تَمَلِّكَ يَا تَمَلِّ وَذَاتَ الطَوْقِ وَالْحِجْلِ
ذَرِيئِي وَذَرِي عَدْنِي فَإِنَّ الْعَدْلَ كَالْقَتْلِ

وقول النمر :

يُهَيِّئُونَ مَنْ حَقَرُوا شَيْبَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ بَغِي أَوْ يَبِرُّ

(١) الأمازي : ٣-١٦٦ ، الشعر والشعراء ١١ (٢) في الشعر والشعراء : « ولا ينظر الغادي »
(٣) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . (٤) اللسان - مادة قطر . وقطر الرجل : صرعه صرعة شديدة . (٥) السراويل : الدروع . زيمًا : متفرقة .

وقول أبي العتاهية :

ماتَ واللّٰهُ سَعِيدٌ بِنُ وَهَبِ رَحِمَ اللّٰهُ سَعِيدَ بِنَ وَهَبِ
يَا أَبَا عُمَانَ أَبَكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُمَانَ أَوَجَعْتَ قَلْبِي

والباردُ في شعرِ أبي العتاهيةِ كثيرٌ ؛ والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ،
وأحسنُهُ ما تلاءمَ نَسْجُهُ ولم يَسْخَفْ ، وحَسُنَ لفظُهُ ولم يَهْجُنْ ، ولم يُسْتَعْمَلْ فيه
الغليظُ من الكلامِ ، فيكونُ جلفاً بغيضاً ، ولا السوقيُّ من الألفاظِ فيكونُ
مُهلهلاً دُونَاً ؛ فالبغيضُ كقولِ أبي تمام^(١) :

جعل^(٢) القنبا الدرجات للكدجات ذا تِ القَيْلِ والحَرَجاتِ والأدحالِ^(٣)
قد كان حزنُ الخطبِ في أحزانِهِ^(٤) فدعاهُ دَاعِي الحَيْنِ للأسهالِ^(٥)
وقوله^(٦) :

يادهرُ قومٌ مِنْ أَخْدَعِيكَ فقد^(٧) أَضَجَجْتَ هَذَا الأَنامَ مِنْ خَرَقِكَ

ولا خير في الماني إذا استكرهت قهراً ، والألفاظُ إذا اجترت قسراً ، ولا
خيرَ فيما أُجيدَ لفظُهُ إذا سَخِفَ معناه ، ولا في غرابةِ المعنى إلا إذا شرفَ لفظُهُ
مع وضوحِ المَمْزِي ، وظهورِ المقصِدِ .

وقد غلب الجهل على قومٍ فصاروا يستجيدون الكلامَ إذا لم يقفوا على معناه
إلا بكدٍّ ، ويستفصحوه^(٨) إذا وجدوا ألفاظه كزّة غليظةً ، وجاسيةً غريبةً ،
ويستحِقرون الكلامَ إذا رأوه سلساً عذبا وسهلاً خُلواً ؛ ولم يعملوا أن السهل أمتعُ
جانبا ، وأعزُّ مطلباً ؛ وهو أحسنُ موقعا ، وأعذبُ مستمعا .

(١) ديوانه : ٢٦٦ ، ٢٦٢ . (٢) في الديوان : جعلوا .

(٣) الكدج : المأوى (عرب) . الغيل - بالكسر ويفتح : الغاب . الحرجات : مجتمعات

الأشجار . الأدحال : مصانع تجمع الماء . (٤) الحزن - بفتح فسكون : ما غلظ من الأرض .

(٥) في الديوان : «بالأسهال» . الحين : الهلاك . وأسهل : صار إلى السهل ، وهو ضد الحزن .

(٦) ديوانه : ٣٦٢ (٧) الأخدع : عرق في الحجمتين ، وهو شعبة من الوريد . والحرق : الجهل .

(٨) في ط «يستفصحوه» ، وضوايه عن ا ، ب .

ولهذا قيل : أجودُ الكلامِ السهلُ المتنع .

أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الصولي ، قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال :
وصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال : هو أبلغُ الناسِ ؛ ومن بلاغته أن
كلَّ أحدٍ يظنُّ أنه يكتبُ مثلَ كتبه ، فإذا رامها تعذرت عليه .

وأخبرنا أيضاً قال : أخبرنا أبو بكر قال : حدثني عبد الله بن الحسين قال :
حدثنا الحسن بن مخلد ، قال : أنشدنا إبراهيم بن العباس لخاله العباس ابن
الأحنف^(١) :

إليك أشكو ربَّ ما حلَّ بي من صدِّ هذا التائه المعجب^(٢)

إن قال لم يفعل وإن سئل لم يبذل وإن عوتب لم يعتب^(٣)

صب بعصيانى ولو قال لي لا تشرب البارد لم أشرب

ثم قال : هذا والله الشعرُ الحسنُ المعنى ، السهلُ اللَّفظُ ، العذبُ المُستمعُ ،
القليلُ النظيرُ ، العزيزُ الشبيهُ ، الطَّمعُ المُمتنعُ ، البعيدُ مع قرِّبه ، الصَّعبُ في
سهولته . قال : فجللنا نقولُ : هذا الكلامُ والله أبلغُ من شعره .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن طائع وهو العباس بن ميمون ، من
غلمان ابن ميثم ، قال : قيل للسيد : ألا تستعمل الغريب في شعرك . فقال : ذاك عيٌّ
في زمانى ، وتكلفٌ منى لو قلته ، وقد رزقتُ طبعاً واتساعاً في الكلام ، فإننا
أقولُ ما يعرفه الصغيرُ والكبيرُ ، ولا يحتاجُ إلى تفسير . ثم أنشدنى :

أيا ربِّ إني لم أريدُ بالذى به مدحتُ علياً غيرَ وجهك فارحِم

فهذا كلامٌ عاقلٌ يضعُ الشيءَ موضعه ، ويستعملُه في إبانِه ، ليس كمن قال

وهو في زماننا^(٤) :

(١) ديوانه : ١٤ (٢) في الديوان : من ظلم هذا الظالم الذنب .

(٣) في الديوان : إن سئل لم يبذل وإن قال لم * يفعل وإن عوتب لم يعتب

(٤) هو المتنبي ، والشطر الثاني * شيم على الحصب الأغر دلائل *

* جَفَحْتَ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا مَهْمٌ (١) *

فَأَشْمَتَ عَدُوَّهُ بِنَفْسِهِ .

ومن الكلام المطبوع السهل ما وقع به علي بن عيسى : قد بلغتك أقصى طلبتك ، وأنتك غاية بُغيتك ، وأنت مع ذلك تستقل كثيرى لك ، وتستقيح حسنى فيك ، فانت كما قال رؤبة :

كَالْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُصْبِحُ ظَمَانٌ فِي الْبَحْرِ فَمَهُ

ومن المنظوم الممتع قول البحرى (٢) :

أَيْهَا الْعَابِ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى نَمَّ هَنِيئًا فَلَسْتُ أَطَمَّ غَمَضًا
إِنَّ لِي مِنْ هَوَاكَ وَجَدًّا قَدِ اسْتَهَمَ لَمَّكَ نَوْبِي وَمَضْجَمًا قَدِ أَقْضَا (٣)

بَجْفُونِي فِي عِبْرَةٍ لَيْسَ تَرْفَأُ وَفُؤَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقْضَى
يَا قَلِيلَ الْإِنْصَافِ كَمْ أَقْتَضَى عَنْكَ دَكَ وَعَدًّا أَنْجَازُهُ لَيْسَ يُقْضَى

أَحْيَيْنِي بِالْوِصَالِ إِنْ كَانَ جُودًا وَأُثْبِنِي بِالْحُبِّ إِنْ كَانَ قَرَضًا
بِأَبِي شَادِنُ تَعَلَّقَ قَلْبِي بِجُفُونِ فَوَاتِرِ اللَّحْظِ مَرَضِي

لَسْتُ أَنْسَاهُ إِذْ بَدَأَ مِنْ قَرِيبٍ يَتَشَنَّى تَشَنَّى الْغُصْنِ غَضًا
وَاعْتَدَارِي إِلَيْهِ حِينَ تَجَاقَى لِي عَنْ بَعْضِ مَا أُتَيْتُ وَأَغْضَى

وَاعْتِلَاقِي تَفَاحَ خَدَيْهِ تَقْبِي لَّا وَلَثَمًا طَوْرًا وَشَمًّا وَعَضًّا
أَيْهَا الرَّاعِبُ الَّذِي طَلَبَ الْجُودَ دَفَأْبَنِي كُومَ الْمَطَايَا وَأَنْضَى (٤)

رِدِّ حِيَاضَ الْإِمَامِ تَلَقَّ نَوَالًا يَسَعُ الرَّاعِبِينَ طُولًا وَعَرْضًا
فَهَنَّاكَ الْعَطَاءُ جَزَلًا لِمَنْ رَأَى مَ جَزِيلَ الْعَطَاءِ وَالْجُودَ مَحْضًا

هُوَ أُنْدَى مِنَ الْغَمَامِ وَأَوْحَى وَقَعَاتٍ مِنَ الْجُسَامِ وَأَمْضَى

(١) الجفح: الفخر. (٢) ديوانه: ٢-٦٨. (٣) أقضا: من أقض المضجع إذا خشن.

(٤) الكوم: القطعة من الإبل. وأنضى: جعلها هزيلة.

يَتَوَخَّى الإِحْسَانَ قَوْلًا وَفِعْلًا
 فَضَّلَ اللهُ جَعْفَرًا بِخِلَالِ

ومنها يقول فيه :

وَأَرَى المَجْدَ بَيْنَ عَارِفَةٍ مِنْكَ تَرْجَى وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تَمْضَى

وقوله (١) :

يَتَابَى مَنَعًا (٢) وَوَيْعِيمُ إِسْمَا	فَا وَبِدْنُو وَصَلَا وَيَعْدُ صَدَا
أَغْتَدَى رَاضِيًا وَقَدِيتَ غَضْبَا	نَ وَأُمْسَى مَوْلَى وَأُصْبِحُ عَبْدَا
رِقِّي مَن مَدَامِعِ لَيْسَ تَرْقَا	وَارِثِ لِي مِنْ جَوَانِحِ لَيْسَ تَهْدَا
أَتَرَانِي مُسْتَبَدَلًا بِكَ مَا عِشْ	تُ بَدِيلًا أَوْ وَإِجْدَا مِنْكَ بُدَا
حَاشَ لِلَّهِ أَنْتَ أَفْتَنُ أَلْحَا	ظَا وَأَحْلَى شَكَلَا وَأَحْسَنُ قَدَا
خَلَقَ اللهُ جَعْفَرًا قِيمَ الذُّرِّ	يَا سَدَادَا وَقِيمَ الدِّينِ رُشْدَا
أَكْرَمُ النَّاسِ شَيْمَةً وَأَتَمُّ الذِّ	نَاسِ حِلْمًا وَأَكْثَرَ النَّاسِ رِفْدَا (٣)
هُوَ بَخْرُ السَّمَاحِ وَالْجُودِ فَازِدُ	مِنْهُ قُرْبًا تَزِدُّ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدَا
يَأْتِمَالُ (٤) الدُّنْيَا عَطَاءً وَبَدَلًا	وَجَمَالَ الدُّنْيَا ثَنَاءً وَمَجْدَا
فَأَبَقَ عُمَرُ الزَّمَانَ حَتَّى نُؤدِّي	شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤدِّي

ومما هو أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَلِيلًا وَهُوَ مِنَ الْمَطْبُوعِ قَوْلُ ابْنِ وَهْبٍ (٥) :

مَازَالَ يُلْثِمُنِي مَرَّاشَفَهُ	وَيَعْلُنِي الإِبْرِيْقُ وَالْقَدْحُ
حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْمَتَهُ	وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَصَحُّ
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ	وَجَهَّ الخَلِيفَةُ حِينَ يُمْتَدِّحُ
أَنْتَ الَّذِي بِكَ يَنْقَضِي فَرَجًا	ضَبِيقُ البِلَادِ لَنَا وَيَنْفَسِحُ

(١) الديوان : ١-١٢٧ . (٢) في الديوان : منعا . (٣) الرد : العطاء والصلوة .

(٤) الثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه . (٥) معاهد التنصيص : ٢-٥٧ .

نشرت بك الدنيا محاسنها وترينت بصفتك المدح

ومن السهل المختار الجيد الطبوع قول الآخر:

صرفت القلب فانصرفاً ولم ترع الذي سلفاً

وبنت فلم أذب كمدأ عليك ولم أمت أسفاً

كلانا واجد في النا س من مله خلفاً

وقول الآخر:

أما والحلق السود على سائلة الخسف (١)

وحسن الفصن المهتر ز بين النحر والردي

لقد أشفقت أن يجرح ح في وجنهما طرفي

وقول الآخر:

كم من فؤاد كأنه جبل أزاله من مقره النظر

وما كان لفظه سهلاً ، ومعناه مكشوفاً بيناً فهو من جملة الرديء المردود ،

كقول الآخر:

يارب قد قل صبري وضاق بالحب صديري

واشدت شوقي ووجدتي وسيدتي ليس يدري

مفعل عن عبد أبي وليس يرحم ضري

إن كان أعطى اضطباراً فلست أملك صبري

أنا الفدا لغزال دنا فقبل نحري

وقال لي من قريب : ياليت بيتك قبري

وإذا لأن الكلام حتى يصير إلى هذا الحد فليس فيه خير ، لا سيما إذا

ارتكب فيه مثل هذه الضرورات .

وأما الجزل والمختار من الكلام فهو الذي تعرفه العامة إذا سمعته ، ولا

(١) الحذف - مثله : ولد الظبي أول ما يولد ، أو أول مشيه .

ولا تستعمله في محاوراتها . فن الجيد الجزل المختار قول مسلم :
 وردن رواق الفضل فضل بن خالد فخط الثناء الجزل نائله الجزل
 بكف أبي العباس يستمطر الغنى وتستنزل النعمى ويسترعف (١) النصل
 ويستمطف الأمر الأبى يحزمه إذا الأمر لم يعطفه نقض ولا قتل

ومما هو أجزل من هذا قول المرار الفقعسى :

فقال يُدير الموت في مُرجحة تسف العوالى وسطها وتشول (٢)
 وكان ترَكنا من كرائم معشٍ لهنّ على إباهنّ عويل (٣)
 على الجردِ يملكن الشكيم كأنها إذا ناقلت بالدارعين وُعول (٤)
 على كلّ جيش إذا ردّ غربه يُقلبُ نهد المرَكّين رجيل (٥)
 مجنبة قبل (٦) العيون كأنها قسى بأيدى العاطفين عطول (٧)
 فللأرض من آثارهنّ عجاجة وللفج من تصها لهنّ صليل (٨)

(١) استرعف : استقطر . (٢) ارجحن : مال واهتز من ثقل . والغرب تقول :
 رجا مرجحة : ثقيلة . وتشول : أى تفرق . (٣) كائن - بالتخفيف وهي لغة من كائن
 اسم مركب من كاف التشبيه وأى المنونة . والكرائم : واحده كريمة وهي العزيرة .
 (٤) الجرد : جمع أجرد ، الفرس القصير الشعر . علك الشكيم : حركة فيه . والشكيمة :
 الحديدية المعارضة في فم الفرس من اللجام وجمعها شكيم . المناقلة من الفرس : سرعة نقل القوائم ،
 أو هو بين العدو والخب . (٥) الجيش : الفرس الذى إذا حركته بعقبك ارتفع وهاج .
 وغربه : حدته ونشاطه . والنهد : الشيء المرتفع . والمركلان : هما الموضعان اللذان تصيبهما برحلك
 من النابة وأنت راكب حين تحركها للركض . والرجيل : الصلب ، وفرس رجيل : ركوب لا يعرق
 وفي نسخة الرحيل ، ويأتى بمعنى القوى على الرحلة . (٦) القبل : إقبال إحدى الحدقتين
 على الأخرى ، أو إقبال السواد على الأنف ، أو مثل الحول أو أحسن منه . (٧) العطول : التى
 لا رسن لها والقوس التى لا وتر عليها . (٨) الفج : الطريق الواسع . والصليل : ترجيع الصوت .

مَنَعْتُ بِنَجْدٍ مَا أَرَدْتُ غُلْبَةً وَبِالغُورِ لِي عِزٌّ أَشَمُّ طَوِيلٌ^(١)
فهذا وإن لم يكن من كلام العامة فإنهم يعرفون الغرض فيه ، ويقفون على
أكثر معانيه ؛ لتحسن ترتيبه ، وجودة نسيجه . وقول المرار أيضاً :
لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَن مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُفْتِرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مَحْمُودٌ
أَمْضَى عَلَى سُنَّةٍ مِّنْ وَالِدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ^(٢) مَا يُنْبِتُ الْعُودَ
ومن النثر قول يحيى بن خالد : أعطانا الدهر فأسرف ، ثم عطف علينا ففسف .
وقول سعيد بن حميد : وأنا من لا يحاجك عن نفسه ، ولا يُعاليطك عن جرمه ،
ولا يلتمس رضاك إلا من جهته ، ولا يستدعي برك إلا من طريقته ، ولا يستعطفك
إلا بالإقرار بالذنب ، ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجرم ؛ نبت بي عنك غرة^(٣)
الحدائث ، وردتني إليك الحنكة ، وباعدتني منك الثقة بالأيام ، وقادتني إليك
الضرورة . فإن رأيت أن تستقبل الصنعة بقبول العذر ، وتجدد النعمة باطراح
الحقد - فإن قديم الجرمة ، وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة . فإن أيام
القدرة وإن طالت قصيرة ، والمتعة بها وإن كثرت قليلة - فعلت .
وفي هذا الكلام وما قبله قوة في سهولة .

ومما هو أجزل من هذا قول الشعبي للحجاج - وقد أراد قتله لخروجه عليه مع
ابن الأشعث : أجذب بنا الجناب^(٤) ، وأحزن بنا المنزل ، واستحلستنا^(٥) الحدرة .

(١) الغلبة : بالضم والتشديد بمعنى الغلبة بالفتح والتخفيف ، كما في اللسان - مادة غلب -
واستشهد له بهذا البيت والرواية عنده هكذا :
أخذت بنجد ما أخذت غلبة وبالغور لي عز أشم طويل
(٢) الأرومة ، بفتح الهمزة وضم الأصل . (٣) الغنار : الغافل ، واغتر : غفل ،
والاسم الغرة . (٤) الجناب ، بالفتح : الفناء والتاحية .
(٥) استحلستنا الحذر : يريد تمسكنا به .

وَأَكْتَحَلْنَا السَّهْرَ ، وَأَصَابْنَا قَنْتَهُ لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتْقِيَاءَ ، وَلَا فَجْرَةً أَقْوِيَاءَ .
فَعَمَّا عَنْهُ .

وأجودُ الكلام ما يكونُ جزلاً سهلاً ، لا يَنْغَلِقُ معناه ، ولا يَسْتَبْهِمُ مُعْزَاهُ ،
ولا يكونُ مكدوداً مستكراً ، ومتوعراً متقعراً ، ويكونُ بريئاً من الغثائَةِ ، عارياً
من الرثائَةِ .

والكلامُ إذا كان لفظُهُ غثاً ، ومعرضه رثاً كان مردوداً ، ولو احتوى على أَجَلٍ
معنى وأنبكه ، وأرْفَعِهِ وَأَفْضَلِهِ . كقوله :

لَمَّا أَطَعْنَاكُمْ فِي سُخْطِ خَالِقِنَا لَأَشْكُ سَلَّ عَلَيْنَا سَيْفَ قَمَمَتِهِ

وقول الآخر :

أرى رجالاً بأدنى الدين قد فتموا وما أراهم رصوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما أس تنغى الملوك بدنياهم عن الدين

لا يدخل هذا في جملة المختار ، ومعناه - كما ترى - نبيلٌ فاضلٌ جليلٌ .

وأما الجزلُ الرديءُ الفججُ الذي ينبغي ترك استعماله فمثل قول تالط شرّاً (١) :

إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِثَلَاثَةِ أَوْ اثْنَيْنِ مِثْلَيْنَا فَلَا أَبْتُ آمِنَا (٢)

وَلَمَّا سَمِعْتُ الْعَوْضَ (٣) تَدْعُو تَنْفَرْتُ عَصَافِيرُ (٤) رَأْسِي مِنْ نَوَى فَعَوَّائِنَا (٥)

وَحِثَّحْتُ مَشْعُوفَ الْفُؤَادِ فِرَاعِي أَنَّاسٌ بِقَيْفَانٍ فَمَزَتْ الْقَرَائِنَا (٦)

فَأَدْبَرْتُ لَا يَنْجُو نَجَائِي تَقْنُ يُبَادِرُ فَرَحِيهِ شَمَالًا وَدَاجِنَا

(١) الأغانى ١٨ : ٢١٣ ، واللسان - مادة عوض ، وقرن ، وهزرف ، وعون .
(٢) أبت : رجعت . (٣) العوض : أسم قبيلة من العرب . (٤) عصفور الرأس :
قطعة - بالتصغير - من الدماغ تحت مقدمه تفصل بينهما جليدة . (٥) وقوله فعوائنا : عوائن :
موضع ، واستشهد بهذا البيت في اللسان : مادة عون . (٦) القيفان : موضع بالبادية .
مُزَتْ القرائنا : القرائن جبال معروفة مقترنة ، قاله في اللسان (مادة قرن) . والبيت فيه :
وَحِثَّحْتُ مَشْعُوفَ الْفُؤَادِ فِرَاعِي أَنَّاسٌ بِقَيْفَانٍ فَمَزَتْ الْقَرَائِنَا

من الحِصِّ هُزْرُوفٌ بِطَيْرٍ عِفَاوُهُ إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْفَاءَ مَدَّ الْمَغَابِنَا^(١)
أَزَجٌ زُلُوجٌ هَزْرِفِيٌّ زَفَازِفٌ هَزْرَفٌ يَبْدُ النَّاحِيَاتِ الصَّوَابِنَا^(٢)
فهذا من الجزلِ البغيضِ الجلفِ ، الفاسدِ النَّسِجِ ، القبيحِ الرَّصْفِ ، الذي ينبغي
أن يُتَجَنَّبَ مثله .

وتمييز الألفاظِ شديد . أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن فضل الزبيدي ، عن
إسحاق الموصلي عن أيوب بن عباية^(٣) : أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله :

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ دَخَلْتَ قَبْلُ لَهَا هَذَا ابْنُ هَرَمَةَ قَائِمًا بِالْبَابِ
فَقَالَ : مَا كَذَا قُلْتُ ؛ أ كُنْتُ أَتَصَدَّقُ ؟^(٤) قَالَ : فَقَاعِدًا . قَالَ : كُنْتُ أَبُولُ ؟
قَالَ : فَاذَا ؟ قَالَ : وَاقِفًا . لَيْتَكَ عَلِمْتَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ مِنْ قَدْرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى .

ولولا كراهة الإطالة وتخوُّفُ الإملالِ لَزِدْتُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ ، وَلَكِنْ يَكْفِي
مِنَ الْبَحْرِ جَرَعَةٌ . وَقَالُوا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ ، وَدَلَّ وَلَمْ يُعْمَلْ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) الحِصِّ : شدة العدو في سرعة . والهزروف : السريع . والعفاء : الغبار . والفيفاء :
الغازاة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسعة . والمغابن : الأرفاغ والأباط ، وكل ما ثبت عليه خذك
فهو مغبن .

(٢) أزج : مسرع في مشيته ، ومثله : زلوج . والهزروف : الخفيف السريع . والزفرقة :
السرعة أيضاً . والهزف : الجافي من الظلمان . وقيل : الطويل الریش . والبذ : السبق .

(٣) في ب « عباية » (٤) عن ابن الأنباري أنه جاء تصدق بمعنى سأل - اللسان - مادة صدق .

الفصل الثاني

في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها ليتبع من يريد التمثل برسمنها مواقع الصواب فيرسمها ، ويقف على مواقع الخطأ فيتجنبها

فنقول : إن الكلام ألقاظ تشتمل على معان تدل عليها ويمر عنها ، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ ؛ لأن المدار بعدد على إصابة المعنى ، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان ، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة ، ومرتبطة إحداها على الأخرى معروفة .

ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى ؛ ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي ؛ فحولها إلى اللسان العربي . فلا يكمل لصناعة الكلام إلا من يكمل لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجود الاستعمال .

والمعاني على ضربين :

ضربٌ يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدى به فيه ، أو رسوم قائمة في أمثلة مما عمل عليها . وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ، ويتنبه له عند الأمور النازلة الطارئة .

والآخر ما يحتديه على مثال تقدم ورسم فرط^(١) .

وينبغي أن يطلب الإصابة في جميع ذلك ويتوخى فيه الصورة المقبولة ، والمبارة المستحسنة ، ولا يتشكل فيها ابتكاره على فضيلة ابتكاره إياه ، ولا يغرّه ابتداعه له ؛

(١) فرط : سبق .

فِيَسْأَهِلَ نَفْسَهُ (١) فِي تَهَجُّبِينَ (٢) صُورَتِهِ ؛ فَيُذْهِبُ حُسْنَئِهِ وَيَطْمِسُ نُورَهُ ، وَيَكُونُ فِيهِ أَقْرَبَ إِلَى الذَّمِّ مِنْهُ إِلَى الْحَمْدِ .

وَالْمَعْنَى بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ ، نَحْوُ قَوْلِكَ : قَدْ رَأَيْتُ زَيْدًا . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ نَحْوُ قَوْلِكَ : قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ . وَإِنَّمَا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَفْسَدْتَ النِّظَامَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ النِّظْمُ ، وَهُوَ كَذِبٌ ؛ مِثْلُ قَوْلِكَ : حَمَلَتِ الْجِبِلَّ ، وَشَرِبْتَ مَاءَ الْبَحْرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَالٌ ، كَقَوْلِكَ : آتَيْتُكَ أَمْسًا وَأَتَيْتُكَ غَدًا . وَكُلُّ مُحَالٍ فَاسِدٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ فَاسِدٍ مُحَالًا ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ : قَامَ زَيْدٌ فَاسِدٌ ، وَلَيْسَ بِمُحَالٍ . وَالْمُحَالُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ الْبَتَّةَ ، كَقَوْلِكَ : الدُّنْيَا فِي بَيْضَةٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : حَمَلَتِ الْجِبِلَّ وَأَشْبَاهَهُ فَكَذِبٌ ، وَلَيْسَ بِمُحَالٍ ، إِنْ جَازَ أَنْ يَزِيدَ اللَّهُ فِي قُدْرَتِكَ فَتَحْمَلَهُ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ كَذِبًا مُحَالًا ؛ وَهُوَ قَوْلُكَ : رَأَيْتُ قَائِمًا قَاعِدًا ، وَمَرَرْتُ بَيْتَقَطَّانَ نَائِمًا ؛ فَتُفَصَّلُ كَذِبًا بِمُحَالٍ ، فَصَارَ الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ هُوَ الْمُحَالُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ، وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنَى عَلَى حَيْثُهَا ؛ وَذَلِكَ لِمَا عَقَدَ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى صَارَا كَلَامًا وَاحِدًا .

وَمِنْهَا الْغَلَطُ ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : ضَرَبَنِي زَيْدٌ ، وَأَنْتِ تَرِيدُ ضَرَبْتُ زَيْدًا ، فَغَلَطْتَ ، فَإِنَّ تَعَمَّدْتَ ذَلِكَ كَانَ كَذِبًا .

وَاللَّخْطُ صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ نَهَتْ عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَبَيَّنَّتْ وَجُوهَهَا ، وَشَرَحَتْ أَبْوَابَهَا لِتَقِفَ عَلَيْهَا فَتَجْتَنِبَهَا ، كَمَا عَرَفْتَكَ مَوَاقِعَ الْبُصُوبِ فَتَعْتَمِدُهَا ، وَلِيَكُونَ فِيهَا أُرْدَتْ دَلَالَةٌ عَلَى أَمْثَالِهِ مِمَّا تَرَكْتَ ؛ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَطَأَ كَانَ جَدِيرًا بِالْوُقُوعِ فِيهِ . فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ (٣) :

(١) . يياسر . (٢) التهجيين : التقييح . (٣) ديوانه : ١٢٨ .

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ بَعْسًا^(١) كَأَنِّي أَنْادِي إِذَا أَكَلْتُمْ أَخْرَسًا^(٢)
هذا من التشبيه فاسد لأجل أنه لا يقال : كَلَّمْتُ حَجْرًا فَلَمْ يَجِبْ فَكَأَنَّهُ
كان حجراً ، والذي جاء به امرؤ القيس مقلوب .
وتبعه أبو نواس فقال يَصِفُ دَارًا :

كَأَنَّهَا إِذَا خَرَسَتْ جَارِمٌ
والجيد منه قول كثير في امرأة^(٤) :

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مَصِيبَةٍ إِذَا وَطَّنتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
كَأَنِّي أَنْادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنْ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ
فشبهه المرأة عند السكوت والتفافل بالصخرة .

قالوا : ومن ذلك قول المسيب بن علس^(٥) :

وَكأن غَارِبَهَا رِبَاوَةٌ مَخْرَمٌ وَتَمَدَّتْ نِثْنِي جَدِيلَهَا بِشَرَاغٍ^(٦)
أراد أن يشبهه عنقها بالدقل^(٧) فشبهها بالشراع . وتبعه أبو النجم
فقال^(٨) :

كَأَنَّ أَهْدَامَ النَّسِيلِ الْمُنْسَلِ عَلَى يَدَيْهَا وَالشَّرَاغِ الْأَطْوَلِ^(٩)

(١) عسوس : موضع بالبادية وجبيل .
وفي ديوانه هكذا :

أما على الربيع القديم بعسسا
قال شارحه أبو بكر البطيوسي : وعسوس ، موضع . ثم قال : وفي كتاب الأزمعة أنه أراد انزلا
في أدبار الليل ؛ لأن الأصل في عسوس الليل أي عصى . (٣) الجارم : مقترف الذنب . والبيت
لم يروه جامع ديوانه . (٤) الأغاني : ٩ : ٢٧ ، الأمالي : ٢ : ١٠٨ ، الموشح : ١٤٦ .
(٥) الوساطة ١٢ ، والفضليات ١ - ٦٠ . (٦) الغارب : ما بين السنام والعنق .
والرباوة : منقطع الجبل حيث استندق . والمخرم من الجبل : أفته . والثني : ما انثنى منه . والجديل :
الزمام . أراد تمد جديلها بعنق طويلة . (٧) الدقل : خشبة طويلة تمتد في وسط السفينة عند
عليها الشراع . (٨) الطرائف الأدبية : ٦٦ ، من لامية أبي النجم .

(٩) أهدام النسيل : أخلاق بالية . والنسيل : ما يسقط من الصوف والوبر .

والجيد منه قولُ ذى الرمة^(١):

وهادٍ كجذع الساج سامٍ يقوده معرقُ أحناء الصبيبين أشدق^(٢)
وقال أبو حاتم: الشراع: العنق، يقال: للعنق الشراع والثليل والهادى،
فإذا صحَّت هذه الرواية فالعنى صحيح في قول أبي النجم.

وقال طفيل:

يرادى على قاس اللجام كأنما يرادى على مرقة جذع مشذب^(٣)
ومن ذلك قول الراعى^(٤):

يكسو المفارق واللبات ذا أرجٍ من قصبٍ مُعتلف الكافورِ دراجٍ
أراد المسك، فجعله من قصب الطبي؛ والقصب: العى. وجعل الطبي يعتلف
الكافور فيتولد منه المسك، وهذا من طرائف الغلط.
وقريب منه قول زهير^(٥):

يخرجن من شربات ماؤها طحل^(٦) على الجذوع يخفن الغم^(٧) والغرقا
ظن أن الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق. ومثله قول ابن أحر^(٨):
لم تدر ما نسج اليرندج قبلها ودراس أعوص دارس متخذ

(١) ديوانه ٣٩٧ (٢) المعرق: العظم الذى عرى عنه اللحم. والأحناء: جمع حنو وهو الجانب. والصبيان: طرفا اللحيين. والشدق: سعة الفم.

(٣) اللسان - مادة ردى، وراديه على الأمر: راودته. وفأس اللجام: حديدته التى توضع فى الحنك، ورواية اللسان * يرادى به مرقة جذع مشذب * (٤) اللسان - مادة قصب.

(٥) ديوانه ٤٠، والوساطة ١٠، والمزهر: ٢-٥٠٢. واللسان - مادة طحل، والموشح ٤٧
(٦) الشربات: جمع شربة وهى حوض صغير يتخذ حول أصل النخلة فيرويهما. والطحل: السكر.

ويريد بالجدوع جذوع النخل. قال المرزبانى: والضفادع لا تخرج من الماء خوفا من الغمر والغرق. وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ. (٧) فى المزهر: الغمر.

(٨) الوساطة: ٦٤. واللسان - مادة عوص. والموشح: ٤٧.

ظَنَّ أَنَّ الْيَرَنْدَجَ مِمَّا يُدْسَجُ ، وَالْيَرَنْدَجُ : جِلْدٌ أَسْوَدٌ ، مُعْمَلٌ مِنْهُ الْخِفَافُ -
فَاهُو سِي مَعْرَبٌ ، وَأَصْلُهُ رَنْدَهٌ ، وَفَسَّرَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ تَفْسِيرًا آخَرَ ، وَقَالَ : إِنَّمَا
هَذِهِ حِكَايَةٌ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي يَصِفُهَا ظَنَّتْ لِقَلْبِ تَجْرِبَتِهَا أَنَّ الْيَرَنْدَجَ شَيْءٌ مَنْسُوجٌ ، وَلَمْ
تُدَارِسْ عَوِيصَ الْكَلَامِ ، وَالْفَاطَةُ الْبَيْتَ لِأَنْتَدَلُّ عَلَى مَا قَالَتْ .

ومثله قول أوس بن حجر :

كَأَنَّ رَيْقَهَا بَعْدَ الْكُرَى اعْتَبَقَتْ مِنْ مَاءِ أَدَكْنِ فِي الْخَانُوتِ نَضَاحٌ ^(١)
وَمِنْ مَشْمَعَةٍ كَلْمَسِكٍ يَشْرِبُهَا أَوْ مِنْ أَنْأَيْبِ رُمَانٍ وَتَفَاحِ
ظَنَّ أَنَّ الرُّمَانَ وَالتَّفَاحَ فِي أَنْأَيْبِ ، وَقِيلَ : إِنَّ الْأَنْأَيْبَ الطَّرَائِقُ الَّتِي فِي الرُّمَانِ ،
وَإِذَا حُمِلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ صَحَّ الْمَعْنَى .

ومِنْ فِسَادِ الْمَعْنَى قَوْلُ الْمَرْقَشِ الْأَصْغَرِ ^(٢) :

صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَيَّ أَنْ ذِكْرَهُ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا
وَكَيفَ صَحَا عَنْهَا مَنْ إِذَا ذُكِرَتْ لَهُ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَلَيْسَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِمْ :
ذَهَبَ شَهْرُ رَمَضَانَ إِذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يَعْرِفُونَ أَشَدَّ الْحُبِّ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ صَاحِبُهُ فِي الْحَدِّ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَرْقَشُ .

وَالجَمِيدُ فِي السَّلْوِ قَوْلُ أَوْسٍ :

صَحَا قَلْبُهُ عَنِ سُكْرِهِ وَتَأْمَلًا وَكَانَ بِيَدِ كَرَى أُمِّ عَمْرٍو مَوْكَلًا
فَقَالَ : وَكَانَ بِيَدِ كَرَى أُمِّ عَمْرٍو مَوْكَلًا .

وَمِثْلُ قَوْلِ الْمَرْقَشِ فِي الْخَطَأِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(٣) :

أَغْرَاكَ مَسْتَى أَنْ خَبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ
وَإِذَا لَمْ يَغْرُهَا هَذِهِ الْحَالُ مِنْهُ فَمَا الَّذِي يَغْرُهَا ! وَلَيْسَ لِلْمَحْتَجِّ ^(٤) عَنْهُ أَنْ يَقُولَ :

(١) الدكبة : لون بين الحمرة والسواد . (٢) المفضليات : ٢ - ٤٥ .

(٣) ديوانه : ٢٤ . (٤) قوله : وليس للمحتج عنه : أراد به البطليوسي أحد شراح

إنما عني بالقتل ههنا التبريح؛ فإن الذي يلزمه من الهجنة مع ذكر القتل يلزمه أيضاً مع ذكر التبريح.

ومما أخذ على امرئ القيس قوله^(١):

فَلِلسَوِّطِ أَلْهُوبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِمِ نَهْ وَقَعُ أَخْرَجَ مَهْذِبِ^(٢)

فلو وصف أخس حمارٍ وأضعفه ما زاد على ذلك.

والجيدُ قوله:

عَلَى سَابِحٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤْلِهِ أَفَأَنْبِنَ جَرِيَّ غَيْرَ كَرِيٍّ وَلَا وَإِنْ^(٣)

وما سمعنا أجودَ ولا أبلغَ من قوله «أفأنبن جري».

وقول علقمة^(٤):

فَأَدْرَكْنِ ثَمَانِيًّا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ^(٥)

فأدرك طريدته وهو ثمانٍ من عنانهِ ولم يضر به بسوطٍ، ولم يمر به يساق، ولم

يزجره بصوت.

ومما يُعَاب قولُ الأعشى^(٦):

وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلِّ عَشِيَّةٍ بَقْتٍ وَتَعْلِيْقٍ قَقْدَ كَانِ^(٧) يَسْتَقِ^(٨)

يعني باليحموم فرس الملك، يقول: إنه يأمر لفرسه كلَّ عشية بقت وتعليق؛

(١) ديوانه: ٧٨، والموشح: ٨٧، واللسان - مادة لهب.

(٢) الأهوب: شدة الجري. والدرّة: شدة الدفع. والأخرج: الظلم. والمهذب: المسرع

في العدو، ورواية اللسان - مادة نعب:

فلسان أهوب وللسوط درة ولازجر منه وقع أهوج منعب

والنعب: من سير الإبل. (٣) الأفانين: الضروب. والسكر: المنقبض، وأراد باقباضه تقارب

خطاه في السير. (٤) ديوانه: ٧ الشعر والشعراء ١٧١. (٥) المنحلب: طالب الحلبة

بفتح فسكون وهي الدفعة من الخيل في الرهان خاصة. وعجز البيت في ديوانه:

* يمر كغيث راعٍ متحلب *

(٦) اللسان - مادة سثق (٧) في اللسان: كاد (٨) السثق: كالبشم وذلك

للحيوان كالنخمة للإنسان.

وهذا مما لا يُمدح به الملوك ، بل ولا رجل من خِساس الجُندِ .

وقريبٌ منه قولُ الأخطل (١) :

وقد جعل اللهُ الخلافةَ منهم لا بلجَ لا عارى الخوانِ ولا جَدْبِ

يقوله في عبد الملك . ومثلُ هذا لا يُمدح به الملوك .

وأطرافٌ منه قولٌ كثير (٢) :

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرِفْقِهِ

فَجَعَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ .

وقوله لعبد العزيز بن مروان (٣) :

وتخرج من مكائنها ضبابي

وما زالت رُفَاكَ تَسْلُ ضِفْئِي

أجابت حية تحت التراب

وِيرْقِي لَكَ الرَّاقُونَ حَتَّى

وإنما تمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

وهِمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلَ مِنَ الدَّهْرِ

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا

على البرِّ كان البرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ

لَمْ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعشَرَ جُودِهَا

ومثل قول النابغة (٤) :

وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ (٥)

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

وقوله (٦) :

تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَدَبَّدَبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةَ

إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبٌ

بَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ

ومن غفلته أيضاً قوله - يعني كثيراً (٧) :

(١) الموشح ١٤١ (٢) الموشح ١٤٤ (٣) الموشح ١٤٣ (٤) ديوانه ٧١

(٥) المنتأى : البعد . (٦) ديوانه : ١٧ (٧) الموشح ١٥٥

أَلَا لَيْتُنَا يَا عَزَّزٌ مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ بَعِيرَانِ نُرْعَى فِي خِلَاءٍ وَنَعْرَبُ^(١)
كِلَانًا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقْلُ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تَعْدَى وَأَجْرُبُ
نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مُعْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلَبُ
إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا هَاجَ أَهْلُهُ إِلَيْنَا فَلَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ

فَقَالَتْ لَهُ عَزَّةٌ : لَقَدْ أُرِدْتُ بِي الشَّقَاءَ الطَّوِيلَ ، وَمِنَ الْمَنَى مَا هُوَ أَوْطَأُ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ . فَهَذَا مِنَ التَّمَنَى الْمَذْمُومِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :
سَلَامٌ لَيْتَ لِسَانًا تَنْطَقِينَ بِهِ قَبْلَ الَّذِي نَأَلِنِي مِنْ خَبْلِهِ قُطْمًا^(٣)
فَدَعَا عَلَيْهَا بِقَطْعِ لِسَانِهَا .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ^(٤) :
وَرَأَهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدَّ وَرَّ بَنِي وَأُحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَسَاوِيَا^(٥)
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَنَادَةَ^(٦) :

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَّنَى أَنْ يُبْلِقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلْسَمِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
لَسَكَى يَكُونُ^(٧) فِرَاقِي لَا لِقَاءَ لَهُ وَتُضْمِرَ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا
فَإِذَا تَمَّنَى الْمَحَبُّ لِحُبِّيهِ الْمَوْتَ فَمَا عَسَى أَنْ يَتَمَنَّى الْمُبْغِضُ لِبَغِيضَتِهِ ؟ وَشَتَّانَ بَيْنَ
هَذَا وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ :

(١) رواية الموشح :

أَلَا لَيْتُنَا يَا عَزَّزٌ كُنَّا لَدَى غَنَى بَعِيرَيْنِ نُرْعَى فِي الْخِلَاءِ وَنَعْرَبُ
(٢) نقد الشعر : ١١٧ . (٣) الحبل ، بالتسكين : الفساد . وهنا بمعنى فساد قلبه بجبها .
والبیت أوردہ قدامة بن جعفر فی کتابہ نقد الشعر (صفحة ١١٧) هكذا :

سَلَامٌ لَيْتَ لِسَانًا تَنْطَقِينَ بِهِ قَبْلَ الَّذِي نَأَلِنَا مِنْ صَوْتِهِ قُطْمًا
ثم قال : فما رأيت أغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث أجادت في غنائها له .
(٤) ديوانه : ٢٤ . (٥) الوری : داء يلصق بالرئة فيقتل صاحبه . (٦) الموشح ١٥٦
الأمالی : ٢ - ٤٨ ، وهما منسوبان فيه إلى نجدة بن جنادة . (٧) رواية الأمالی : كيما أقول .

أَلَا لَيْتَنَا عِشْنَا جَمِيعًا وَكَانَ بِي مِنَ الدَّاءِ مَا لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مَا بِيَا
 فِهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ . وَلَوْ أَنَّ جِنَادَةَ كَانَ يَتَمَنَّى وَصَلَهَا وَلِقَاءَهَا لَكَانَ
 قَدْ قَضَى وَطَرًا مِنَ الْمُنَى وَلَمْ تَلْزِمَهُ الْهُجْنَةُ ، كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ (١) :
 فَإِنْ تَبَخَّلُوا عَنِّي بِيَدَلِ نَوَالِكُمْ . وَبِالْوَصْلِ مِنْكُمْ كَيْ أُصَبَّ وَأُحْرَزَنَا
 فَإِنِّي بِلَدَاتِ الْمُنَى وَنَعِيمِهَا . أَعِيشُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا
 وَمِنَ الْمُخْتَارِ فِي ذِكْرِ الْمُنَى قَوْلُ الْآخِرِ :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَانًا رَعْدًا
 أَمَانِي مِنْ لَيْلِي حِسَانٌ كَانَمَا سَقَمْتُكَ بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا
 وَقَوْلُ الْآخِرِ :

وَلَا نَزَلْنَا مَتَزِلًّا طَلَّهُ النَّدَى أَنْيَقًا ، وَبُسْتَانًا مِنَ النَّوْرِ حَالِيَا
 أَجَدَّ لَنَا طِيبُ الْمَسْكَانِ وَحُسْنُهُ مُسَى فْتَمَنِينَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
 وَقَالَ الْآخِرُ :

فَسَوْغِيَنِ الْمُنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهِ ثُمَّ امْسِكِي الْمَنْعَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي
 عَلَى أَنْ عَنْتَرَةَ ذَمَّ جَمِيعَ الْمُنَى حَيْثُ يَقُولُ (٢) :

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الطُّلُوقَ الْبَوَالِيَا وَقَاتَلَ ذِكْرَكَ السَّنِينَ الْخَوَالِيَا
 وَقَوْلِكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا تَنَالُهُ إِذَا هُوَيْتَهُ النَّفْسُ : يَا لَيْتَ ذَا لِيَا
 وَقِيلَ أَيْضًا :

* إِنْ لَيْتَنَا وَإِنْ لَوَّا عَنَاءَ *

وَمِنَ الْفَاسِدِ قَوْلُ النَّابِغَةِ (٣) :

الْكِنْيَ يَا عِيْنُ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي

(١) لَهَا فِي دِيْوَانِهِ النَّبِيَّ بَيْنَ أَيْدِينَا (٢) دِيْوَانُهُ : ١٦٤ . (٣) دِيْوَانُهُ : ١٠٨ .

وليس من الصواب أن يُقال: أُرْسِلَنِي^(١) إلى نفسك ثم قال: ستحمّله الرواة
إليك عنى .

ومن خطّالِ الوصف قولُ أبي ذؤيب^(٢):

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّجَ لَحْمَهَا بِالنَّيِّ فَهِيَ تَشْوِخُ فِيهَا الإِصْبَعُ

تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتَسْكِرْهَتْ إِلاَّ الحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ^(٣)

قال الأصمعي: هذه الفرس لا تُساوي دِرْهَمَيْنِ؛ لأنه جعلها كثيرة اللحم

رِخْوَةً^(٤) تدخل فيها الإصبع . وإنما يُوصَفُ بهذا شاء بضحي [بها]، وجعلها حَرُونًا^(٥)

إِذَا حُرَّتْ قَامَتْ ، إِلاَّ العَرَقُ فَإِنَّهُ يَسِيلُ^(٦) .

والجيد قول أبي النجم :

جُرْدًا تَعَادَى كَالقِدَاحِ ذُبْلَهُ نَطِيَّ اللَحْمِ وَلَسْنَا نُهَزَلُهُ

نَطْوِيهِ وَالطِّيَّ الدَّقِيقَ يَجْدُلُهُ طَيَّ التَّجَارَ العَصَبَ إِذْ تَبْجَلُهُ

(١) تفسير قول النابغة «ألكني» . قال في اللسان - قلا عن الجوهرى : وقول الشعراء ألكني
إلى فلان يريدون كن رسولاً وتحمل رسالتي إليه . ثم قال قلا عن ابن بري : وألكني من ألك
إذا أرسل وأصله ألكني ثم أخربت الهمزة بعد اللام فصار ألكني ثم خففت الهمزة بأن نقلت حركتها
على اللام وحذفت . وبجز بيت النابغة المذكور كما في ديوانه :

** سأهديه إليك إليك عنى **

(٢) ديوان الهذليين : ١٦ ، ١٧ .

(٣) قصر : حبس . فشرج لحمها بالني : جعل فيه لوتين من اللحم والشحم . تشوخ : تدخل .
والحميم : هو العرق . ويتبضع : يتفجر . تأبى بدرتها : أى تأبى بدرة العدو ، ويقال للفرس الجواد
إذا حركته للعدو : أعطاك ما عنده ، فإذا حملته على أكثر من ذلك فحركته بساق أو سوط حملته
عزة نفسه على ترك العدو وأخذ في المرح . والبيتين من مرثيته المشهورة ومطلعها :

أمن المنون وربها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٤) هذا معنى : فشرج لحمها بالني . (٥) هذا معنى : تأبى بدرتها إذا ما استكرهت .

(٦) هذا معنى : إلا الحميم فإنه يتبضع .

حَتَّى إِذَا لَحِمُ بَدَأَ تَدْبِلُهُ وَأَنْضَمَّ عَنْ كُلِّ جَوَادٍ رَهْلُهُ
رَاحَ وَرُحْنَا بِشَدِيدِ زَجَلِهِ^(١)

وقال غيلان الربيعي :

يَمْتَأَخُ عَصْرِيهَا قُرُونُ مَايْهَا مَتَمَّحَ السَّبَاعِ الْحَسِيِّ مِنْ بَطْحَائِهَا^(٢)
حَتَّى اعْتَصَرْنَا الْبُدْنَ مِنْ أَعْقَائِهَا بَعْدَ انْتِشَارِ اللَّحْمِ وَاسْتِعْصَائِهَا
تَجْرِبِدَاكَ الْقِنَاةَ مِنْ لِحَائِهَا مَكْرُمَةٌ لَا عَيْبَ فِي احْتِذَائِهَا
وقد قال غيلان أيضاً :

قَدْ صَارَ مِنْهَا اللَّحْمُ فَوْقَ الْأَعْضَاءِ مِثْلَ جَلَامِيدِ الضَّفَاةِ الصَّلْغَا^(٣)
وقال أيضاً :

فَوْقَ الْهُوَادِي ذَابِلَاتِ الْأَكْشَحِ يُشْقِنَ أَشْوَالَ الْمَزَادِ النَّزْحِ^(٤)
وقال أيضاً :

حَتَّى إِذَا مَا أَضَّ عَبْلًا جُرْشُمَا قَدْ تَمَّ كَالْفَالِجِ لَا بَلَّ أَضْلَمَا^(٥)
هَجْنَا بِهِ نَطْوِيهِ حَتَّى اسْتَوْكَمَا قَدْ اعْتَصَرْنَا الْبُدْنَ مِنْهُ أَجْمَعَا^(٦)

(١) القُداح ، واحدة قُدح : السهم قبل أن يراش . ونطى بالتخفيف للوزن وأصله بالتشديد : أى مسدى . وهنا بمعنى ليس بالمهزول . والعصب : نوع من برود اليمن . والرهل : استرخاء اللحم واضطرابه ، وأراد بعد أن ضمرت ذهب رهلها واشتد لحمها . والزجل : الرى والذفع ورفع الصوت .

(٢) المتح : كالنزع . والقرون : العرقى ، والعرب تقول حبسنا الفرس قرنا أو قرنين أى عرقناه . والحسى ، بالكسر : حفيرة قريبة القعر وقيل : لأنها لا تكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل فإذا أمطرت نشفه الرمل فاذا انتهى إلى الحجارة أمسكته .

(٣) الضفاة ، بالفتح : جانب الشئ . والصلغة : السفينة الكبيرة ، وجاء فى نسخة :

* مثل جلاميد ضفاة صلغا * .

(٤) أشوال المزاد : بقيته . (٥) أض : رجع . والعليل : الضخم من كل شئ . والجرشع : العظيم الصدر . والفالج : مكيال ضخم . والأضلع : الشديد الغليظ أو الأشد .

(٦) استوكع : اشتد .

ثُمَّ اتَّقَانَا بِالَّذِي لَنْ يَدْفَعَا وَأَضَّ أَعْلَى اللَّحْمِ مِنْهُ صَوْمَعًا^(١) .
فوصفه بِعِظَمِ الْجِسْمِ ، وَصَلَابَةِ اللَّحْمِ ، وَمَا وَصَفَ أَحَدُ الْفَرَسِ بِتَرَكٍ ،
الانبعثت إذا حرك غير أبي ذؤيب . وإنما تَوْصَفُ بِالسَّرْعَةِ فِي جَمِيعِ خَالَاتِهَا ، إِذَا
خُرِّ كَتَ وَإِنْ لَمْ تَحْرُكْ ، فَتَشْبَهُ بِالسُّكُوكِ ، وَالْبَرْقِ ، وَالْحَرِيقِ ، وَالرَّيْحِ ، وَالْقَيْثِ ،
وَالسَّيْلِ ، وَانْفِجَارِ الْمَاءِ فِي الْحَوْضِ ، وَالدَّلْوِ يَنْقَطِعُ رِشَاؤُهَا ، وَيَدُ السَّابِجِ ، وَغَلِيَانِ
الْمِرْجَلِ^(٢) ، وَالْقَمْقَمِ ، وَبِأَنْوَاعِ الطَّيْرِ : كَالْبَازِي ، وَالسُّوَذْنِيقِ ، وَالْأَجْدَلِ^(٣) ،
وَالْقَطَامِيِّ ، وَالْعَقَابِ ، وَالْقَطَا ، وَالْحَمَامِ ، وَالْجَرَادِ ، وَأَنْوَاعِ الْوَحْشِ ؛ كَالْوَعْلِ ،
وَالظَّبْيِيِّ ، وَالذَّبِّبِ ، وَالتَّنْفَلِ^(٤) ، وَيَشْبَهُ بِالْخَذْرُوفِ^(٥) ، وَلِعَمَانِ الثَّوْبِ ، وَبِالسَّهْمِ
وَبِالرَّيْحِ وَبِالْحَسِيِّ .

قال أعرابيٌّ وقد سُئِلَ عَنْ حُضْرٍ^(٦) فَرَسِهِ : يُحْضِرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا .
وقال آخر : هُمَا أَمَامَهَا ، وَسَوْطُهَا عِنَانُهَا . أَخَذَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ^(٧) :
* فَكَانَ لَهَا سَوْطًا إِلَى ضِحْوَةِ الْعَدِ *
وَأَخَذَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ ، فَلَمْ يَسْتَوْفِهِ قَوْلُهُ :
* أَضْيَعُ شَيْءٍ سَوْطُهُ إِذْ يَضْرِبُهُ *
فَذَكَرَ « إِذْ يَضْرِبُهُ » . وَقَالَ فِي أُخْرَى :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - سَيَاطِنًا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدِي سِرَاعٍ وَأَرْجُلُنِ
وَقِيلَ لِمَرْأَةٍ صَفِي لَنَا النَّاقَةُ النَّجِيبِيَّةُ . فَقَالَتْ : عَقَابٌ إِذَا هَوَتْ^(٨) وَحَيَّةٌ
إِذَا التَّتَوَتْ ، تَطْوِي الْفَلَاةَ وَمَا أَنْطَوَتْ .

(١) صومعا : أي دقيقا .

(٢) غليان الرجل : أزره وارتفاعه لشدة الغليان . والمرجل بالكسر : الإناء الذي يغلي فيه
والقمقم : ما سخن فيه الماء . (٣) السوذنيق : الصقر . وقيل : الشاهين . والأجدل : نوع من الطير .

(٤) التنفل : الثعلب أو جروه . (٥) الخذروف : شيء يدوره الصبي بحيث في يديه

فيسمع له دوى . (٦) ارتفاع الفرس في عدوه . (٧) ديوان المعاني ٢ : ١٠٨

(٨) العقاب : طائر .

وكتب ابن القريّة - عن الحجاج - إلى عبد الملك : بعثت بفرس حسن المنظر ، محمود المخبر ، جيد القد ، أسيل الخد ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف .

وأجود ما قيل في العدو قول عبدة بن الطبيب (١) :

يخفي التراب بأظلاف ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل (٢)

والتحليل ، من تحلة اليمين ، وهو أن يقول إن شاء الله ؛ فقول الحالف : إن شاء الله ، لا يكون إلا موصولا باليمين . يقول : إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف بالتحلة يمينه من غير تراخ . أخذه المحدث فقال :

* كأنما يرفعن ما لم يوضع *

وقال أبو النجم (٣) :

جاء كلمع البرق جاش ماطرة يسبح أولاه ويطفو آخره
فأيمس الأرض منه حافره

وأخذ على أبي النجم قوله : * يسبح أولاه ويطفو آخره * أنشده الأصمعي فقال : حمار الكساح أسرع من هذا ؛ لأن اضطراب ماخيره قبيح ؛ وقد أحسن في قوله : « ويطفو آخره » (٤) . وقوله : « فأيمس الأرض منه حافره » جيد .

وقال أبو نواس (٥) :

ما إن يقعن الأرض إلا فرطاً كأنما يعجلن شيئاً لقطاً

(١) الفضليات : ١ - ١٣٨ ، ديوان المعاني : ٢ - ١٠٨ . (٢) يخفي التراب : يستخرجه لشدة عدوه . أربع : أي قوائمه . وفي كل قائمة ظلفان . (٣) ديوان المعاني : ٢ - ١٠٨ ، الشعر والشعراء : ٥٨٦ . (٤) رواية الشعر والشعراء : يسبح أخراه ويطفو أوله . وقال بعد ذلك : قال الأصمعي : إذا كان ذلك كذلك فحمار الكساح أسرع منه ، لأن اضطراب ماخيره قبيح . قال : وما أحسن في قوله : ويطفو أوله (صفحة ٥٨٦) . (٥) ديوانه : ٢٠٩

وقال^(١):

فأنصاع كالسكوكب في انجداره لفت الشير موهنا بناره
وقال ذو الرمة :

* كأنه كوكب في إثر عفرية *

أخذه ابن الرومي ، فقال^(٢):

خذها تبوعاً لمن ولي مسومة^(٣) كأنها كوكب في إثر عفرية
وقال ابن المعتز في كلبه :

وكلبة زهراء كالشهاب تحسبها في ساعة الذهب
نجماً منيراً لآح في انصباب خفيفة الوطاء على التراب
وقال خلف بن الأحمر^(٤) :

كالسكوكب الدررى منصلتنا شدا يفوت الطرف أسرع
وكأنما جهدت أيتها أن لا تمس الأرض أربعة
أخذه من قول الأعشى :

بجلالة أجد مداخلة ما إن تكاد خفافها تقع^(٥)
وقال أبو نواس^(٦) :

أرسله كالسهم إذ غلا به يسبق طرف العين في التهايه
يكاد أن ينسل من إهابه ككلمان البرق في سحابه
مأخوذ من قول ذي الرمة^(٧) :

لا يذخران من الإيقال بأقية حتى تكاد تقرى عنهما الأهب^(٨)

(١) ديوانه : ٢١٢ . (٢) ليس في ديوانه الذى بين أيدينا . (٣) تبوعا :
أى متاعا لمن هرب . والمسومة : هنا المرسله . (٤) ديوان المعاني ٢-١٣٤ . (٥) الجلالة :
الناقة العظيمة . والأجد : الناقة القوية الموثقة الخلق . (٦) ليس في ديوانه الذى بين أيدينا .
(٧) ديوان المعاني ٢-١٣٣ . (٨) الإيقال : من أوغل ، أى أبعد في ذهابه ،
أو بالغ في سيره .

وقال كثير:

إِذَا جَرَى مُعْتَمِدًا لَأَمِهِ يَسْكَادُ يَفْرَى (١) جِلْدَهُ عَنِ لِحْمِهِ

وقال أعرابي:

غَايَةُ مَجِيدٍ رُفِعَتْ فَمِنْ لَهَا نَحْنُ حَرِيْنَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ أَرْسَلَ الرِّيحَ لَجِئْنَا قَبْلَهَا

وقال أبو النجم:

كَأَنَّ فِي المَرُوِّ حَرِيْقًا يَشْعَلُهُ أَوْ لَمَعَ بَرَقٍ خَافِقٍ مُسْتَسْلَهُ (٢)

ومما عيب على طرفة قوله (٣):

وَإِذَا تَلَسَّنِي السُّهَى إِنِّي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَفَرَّ (٤)
وَالعَاشِقُ يُبَلِّغُ مَنْ يَحِبُّهُ وَلَا يُحَاجُّهُ ، وَيُلَاقِيهِ وَلَا يُبَلِّغُهُ .

وقد قال بعضُ المحدثين (٥):

بُنِي الحُبُّ عَلَى الجَوْرِ فَلَوْ أَنْصَفَ العَاشِقُ فِيهِ لَسُمِّجَ
لَيْسَ يَسْتَحْسِنُ فِي وَصْفِ الهَوَى عَاشِقٌ يَعْرِفُ تَأْلِيْفَ الحُجَجِجِ

ومن خطأ المعاني قول الأعرابي:

وَمَا رَأَيْتُهَا مِنْ رَيْبَةٍ غَيْرِ أَنَّهَا رَأَتْ لِمَتِّي شَابَتْ وَشَابَتْ لِذَاتِيَا
وَأَيُّ رَيْبَةٍ عِنْدَ امْرَأَةٍ أَكْبَرُ مِنَ الشَّيْبِ .

ومثله قوله (٦):

وَأَنْكَرْتُ نِيَّ وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ مِنْ الحَوَارِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَامَا

(١) يفري : يقطع . (٢) المرو ، بالفتح : حجارة بيض رفاق براقه تقدح منها النار .
(٣) المختار من شعر العرب : ٤٠ ، واللسان - مادة لسن ومادة ففر . (٤) لسنه : أخذه
بلسانه . ولسنه أيضاً : كله . ورجل ففر ، بفتح الفاء وكسر القاف : يشتكى فقاره من كسر أو مرض .
وفي مختارات شعر العرب : غمر ، بضم العين والميم صفحة ٤٠ .
(٥) في زهر الآداب (١-١١) أن الشعر لعنبة بنت المهدي .
(٦) الموشح : ٥٢ .

وأعجب منه قوله أيضاً^(١) :

صَدَّتْ هُرَيْرَةٌ عَنَا مَا تَكَلَّمْنَا جَهَلًا بِأَمْ خُلَيْدِ حَبِلٍ مَنْ تَصِلُ
إِنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبُ بِهِ رَبِيبُ الزَّمَانِ وَدَهْرٍ خَاتِلُ خَبِلُ
وَأَيُّ شَيْءٍ أَبْغَضُ عِنْدَ النِّسَاءِ مِنَ العِشَاءِ وَالضَّرِّ يَبِيدُنَّهُ فِي الرَّجُلِ ؟ وَأَعَجِبُ مَا فِي
هَذَا الكَلَامِ أَنَّهُ قَالَ : حَبِلٌ مَنْ تَصِلُ هَذِهِ المَرَأَةُ بَعْدِي وَأَنَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ العِشَاءِ
وَالفَقْرِ وَالشَّيْبِ ؟ فَلَا تَرَى كَلَامًا أَحْمَقَ مِنْ هَذَا .

ومن اضطراب المعنى قولُ امرئِ القيسِ^(٢) :

أَرَاهُنَّ لَا يُجِيبِينَ . مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مِنْ رَأْيِنِ الشَّيْبِ فِيهِ وَقَوَّسًا^(٣)
وَمَنْ يُبْغِضُنَهُ مِنْ قَبْلِ التَّقْوِيسِ ، فَمَا مَعْنَى ذِكْرِ التَّقْوِيسِ ؟ فَمَا يُبْغِضُنَ لِمَنْ
قَوَّسٌ فَجْدِيرٌ وَلَيْسَ بِيَدِيَعِ .

ومن الجيِّدِ في هذا الباب قولُ بعضِ المتأخرين^(٤) :

لَقَدْ أَبْغَضْتُ نَفْسِي فِي مَشِيئِي فَكَيْفَ تَجِبُنِي الخُودُ^(٥) السَّكَابِ
وَقَلْتُ^(٦) :

فَلَا تَعْجَبَا أَنْ يَعْينَ الشَّيْبُ فَا عَيْنَ مَنْ ذَاكَ إِلَّا مَعِييَا
إِذَا كَانَ شَيْئِي بِنَيْضًا إِلَى فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِييَا
وَمِنْ فسادِ المعنى قولُ النابغة^(٧) :

تَحِيدُ عَنِّي أَسْتَنِي سُوْدٍ أَسَافِلُهُ مَشَى الإِمَاءِ الغَوَادِي تَحْمِلُ الحَزْمَا^(٨)
وَإِنَّمَا تَحْمِلُ الإِمَاءُ حُزْمَ الحَطَابِ عِنْدَ رَوَاجِهِنَّ ؟ فَمَا غَدُوهُنَّ إِلَى الصَّحْرَاءِ
فَإِنَّهُنَّ مَخْفَاتٌ .

(١) الفصائد العشر : ٢٩٤ (٢) ديوانه : ١٢٩ (٣) قوس الشيخ : انجى
(٤) هو ابن المعتز كما في ديوان المعاني : ٢ - ١٥٧ وديوانه ١٣٥ (٥) الخود : جمع خود ،
يفتح وسكون : الشابة الحسنة الخلق أو الناعمة (٦) ديوان المعاني : ٢ - ١٥٧
(٧) ديوانه : ٩٥ ، واللسان - مادة ستان . (٨) الأستان ، على وزن أحر : شجر
يفشو في منابته ويكثر ، وإذا نظر إليه الناظر من بعد شبهه بشخص الناس .

والجيد قول التغلبي :

يَظَلُّ بِهَا رَبِّدَ النَّعَامِ كَأَنَّهَا إِمْلَاءُ تَزْجِي بِالْعَشِيِّ حَوَاطِبُ (١)
وقد روى مثل الإماء (٢) . وإذا صحَّت هذه الرواية سلِّمَ المعنى .

والأسنان : شجر بَشِعَ المنظر تسميه العرب رهوس الشياطين . وجاء في
بعض التفسير في قوله تعالى : (طَلَعَهَا كَأَنَّه رَهْوسُ الشَّيَاطِينِ) : إنه عنى
الأسنان .

وقد أساء النابعة أيضاً في وصف الثور حيث يقول (٣) :

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشَى أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ (٤)
أراد بالفرد أنه مسلول من غمده ، فلم يبين بقوله : « الفرد » عن سلله بياناً
واضحاً .

والجيد قول الظرمّاح وقد أخذه منه :

يَبْدُو وَيُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُعْمَدُ

وهذا غاية في حُسن الوصف .

وربما سماح الشاعر نفسه في شيء فيعود عليه بعيب كبير . وقد قال

التملّس (٥) :

وقد أتنّاسي ألهمَّ عند احتضاره بنّاجٍ عليهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُسَكِّدَمٌ (٦)

(١) الربذ ، وزان كتف : الخفيف القوأم في مشيه .

(٢) أى بيت النابعة . كما في اللسان مادة سنن . (٣) ديوانه ٢٧ . الشعر والشعراء ١٢٣ .

(٤) وجرة : موضع بين مكة والبصرة كثير الوحش . موشى أكارعه : أبيض وفي قوائمه
نقط سود . والمصير : المعى كنى به عن البطن . والفرد : المنفرد . (٥) الشعر والشعراء :

١٢٣ ، ٥٧٢ ، ديوان المعاني ٢ : ١٣١

(٦) الموشح ٧٦ ، ٨٧ ، واللسان - مادة صعر ، ونسبه فيهما إلى المسيب بن علس واستدل به

على أن الصيغرية قد يوسم بها الذكور . (٧) المسكدم : الصليب .

كَمَيْتٍ كِنَازِ اللَّحْمِ أَوْ حَمِيرِيَّةٍ مُوَاشِكَةٍ تَنفِي الْحَصَى بِمَثَلٍ (١)
والصعيرية : سِمَةٌ لِلنَّوْقِ فَجَعَلَهَا لِلجَمَلِ .
وسمعه طَرَفَةٌ يُنْشِدُهَا ، فَقَالَ : اسْتَنَوَقَ الجَمَلُ . فَضَحَكَ النَّاسُ وَسَارَتْ مِثْلًا .
فَقَالَ لَهُ المَتَمِّسُ : وَبِئْرَ لِرَأْسِكَ مِنْ لِسَانِكَ ، فَكَانَ قَتْلُهُ بِلِسَانِهِ - وَرَوَى هَذَا
الحَدِيثُ لَهُ مَعَ المَسِيَّبِ بْنِ عِلَسِ .

وأخبرنا أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه ، عن الجاحظ أنه قال : وممن
أراد أن يمدح فهدج الأخطل وأنبرى له فتى ، فقال له : أردت أن تمدح سماكا الأسدي
فهدجوتَه ، فقلت (٢) :

نَعِمَ المَجِيرُ سِمَاكَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بِالطَّفِّ (٣) إِذْ قَتَلْتَ جَبْرَانَهَا مُضْرُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُ قَيْنًا وَأَنْبُوهُ فَاليَوْمَ طَيْرَ عَنْ أَمْوَالِهِ الشَّرْرُ (٤)
وَأَرَدْتُ أَنْ تَهْجُو سُؤَيْدَ بْنَ مَنجُوفٍ فَمَدَحْتَهُ ، فقلت (٥) :
وَمَا جَدُّعٌ سَوْءُ خَرَبِ السُّوسِ جَوْفَهُ (٦) بِمَا حَمَلْتَهُ وَإِئْتِ بِمِطِيقِ
فَاعْطَيْتَهُ الرِّيَاسَةَ عَلَى وائِلٍ ، وَقَدَّرَهُ دُونَ ذَلِكَ .

وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلي وأن تصغر من شأنه وتضع منه :
فقلت :

وَسَوَدَ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّيْرَانَ نَارًا •
فَاعْطَيْتَهُ السُّودَ فِي الجَزِيرَةِ وَأَهْلِهَا وَمَنْعْتَهُ مَا لَا يَضُرُّهُ .
وقلت في زفر بن الحرث (٧) :

بَنِي أُمِيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَبِيْتُنَّ فِيكُمْ آمِنًا زُفْرًا

(١) كِنَازٌ : أَي كَثِيرَةٌ اللَّحْمِ صَلْبَةٌ . وَقَوْلُهُ مَوَاشِكَةٌ : أَي سَرِيعَةٌ . وَفِي مَهْذَبِ الأَغَانِي : بِمَثَلٍ ،
وَفَسْرُهُ بِقَوْلِهِ : هُوَ خَفَّ قَدْ لُتِمَتْهُ الحِجَارَةُ .

(٢) (٢) الشَّعْرَاءُ وَالشُّعْرَاءُ : ٤٦٠ (٣) الطَّفُّ : أَرْضٌ مِنْ نَاحِيَةِ الكُوفَةِ تَشْرَفُ عَلَى رَيْفِ
العِرَاقِ ، فِيهَا كَانَ مَقْتَلُ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . (٤) فِي ط : السَّرْرُ وَهَذِهِ رِوَايَةُ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ

(٥) الشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ : ٤٦٠ (٦) فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ : وَسَطُهُ لَأ . (٧) المَوْشِحُ ١٣٦

مُفْرَشٌ كَأَقْرِاشِ اللَّيْلِ كَأَسْكَلِهِ (١) الْوَقْعَةَ كَأَنَّ فِيهَا لَكُمْ حِزْرٌ (٢)
فَأَرَدَتْ أَنْ تُعْرِى بِهِ فِعْظَمَتَ امْرَأَةٍ ، وَهَوَّثَتْ امْرَأَةَ بِنِي أُمِيَّة .
وَمِنْ اضْطِرَابِ الْمَعْنَى مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ مَبْرَمَانَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْقَيْسِ (٣) ،
قَالَ : لَمَا قَتَلْتُ بَنُو تَغْلِبِ عَمِيرَ بْنَ الْحَبَابِ السَّامِيَّ أَنْشَدَ الْأَخْطَلُ عَبْدَ الْمَلِكِ وَالْجَحَّافُ
السَّامِيَّ عِنْدَهُ (٤) :

أَلَا سَائِلَ الْجَحَّافِ هَلْ هُوَ نَائِرٌ بِقَتْلِي أُصِيبْتُ مِنْ سَلِيمٍ وَعَامِرِ
نَجْرَجِ الْجَحَّافِ مُغْضِبًا حَتَّى أَغَارَ عَلَى الْبَشْرِ - وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي تَغْلِبِ - قَتَلْتُ
مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ رَجُلًا ، وَقَالَ (٥) :

أَبَا مَالِكٍ هَلْ لَمْتَنِي مَدَّ حَضَضْتَنِي عَلَى الْقَتْلِ أَوْ هَلْ لَامَنِي لَكَ لَأُمِّ
مَتْنِي تَدْعُنِي أُخْرَى أُجِبُكَ بِمِثْلِهَا وَأَنْتَ امْرُؤٌ بِالْحَقِّ لَيْسَ بِعَالَمِ

نَجْرَجِ الْأَخْطَلُ حَتَّى آتَى عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَقَدْ قَالَ (٦) :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَّافُ بِالْبَشْرِ وَقْعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُسْتَكِي وَالْمُعُولُ
فَالَا تُعِيرُّهَا قُرَيْشٌ بِمِثْلِهَا (٧) يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَأْزِرٌ وَمَزْحَلٌ (٨)

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِلَى أَيِّ بَنِي اللَّخْنَاءِ (٩) ؟ فَقَالَ : إِلَى النَّارِ . فَقَالَ . وَاللَّهِ لَوْ
غَيْرَهَا قُلْتُ لَضَرَبْتُ عُقْلَكَ !

وَوَجْهُ الْعَيْبِ فِيهِ أَنَّهُ هَدَّدَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ مَلِكُ الدُّنْيَا بَرٌّ كَرِيمٌ وَإِيَّاهُ وَالْإِنْصِرَافِ
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَهَذِهِ حَمَاقَةٌ مُجْرَدَةٌ ، وَغَفْلَةٌ لَا يُطَارَرُ غُرَابُهَا . ثُمَّ قَالَ (١٠) :

(١) رواية الموشح : يظلم مفترشا كالليث كالكلمة . (٢) في الأصل : حزر .

(٣) قول القيسى : هكذا في بعض الأصول . وفي بعضها القتي . (٤) الشعر والشعراء :

٤٥٧ ، والموشح ١٣٧ (٥) الشعر والشعراء : ٤٦١ (٦) الشعر والشعراء : ٤٥٧

واللسان ... مادة ميث ، وزحل (٧) في اللسان : فالأ تعيرها قريش بملكها .

(٨) مستأز : موضع ينفصل إليه ويتباعده . ومزحل : موضع يزحل إليه ، أى يتسحق ويتباعده .

(٩) اللخناء : التى لم تختن . واللخن : قبيح ربح الفرج (١٠) الموشح ، ١٣٨

فلا هدى الله قيساً من ضلالتها ولا لعماً لبني ذكوان إذ عثروا (١)
ضجوا من الحرب إذ عصت غواربهم وقيس غيلان من أخلاقها الضجر (٢)

فقال له عبد الملك : لو كان الأمر كما زعمت لما قلت :

* لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة *
ومن أراد أن يمدح نفسه فهجأها جرير في قوله (٣) :

تعرضن التميم لي عمداً لأهجوها كما تعرض لاسيت الحارثي الحجير
فشبه نفسه باست الحارثي .

وقرب من ذلك قول الراعي (٤) :

ولاً أتيت نجيدة بن عويمر أبني الهدى فيزيدني تضليلاً (٥)
فأخبر أنه على شيء من الضلال ؛ لأن الزيادة لا تكون إلا على أصل ، وأراد
أن يمدح نفسه فهجأها .

وأراد جرير [أن] يذكر عفوهُ عن بني غدانة حين شفع فيهم عطية بن جمال ،
فهجأهم أقبح هجاء حيث يقول (٦) :

أبني ، غدانة إني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جمال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم ما بين الأم أنف وسبال

(١) لعماً : كلمة يدعى بها للعائر . (٢) الغارب : الكاهل . والعرض هنا كناية عن

تأثير حمل السلاح في غواربهم فلا يطيقون الحرب (٣) ديوانه : ٢٨٣

(٤) جهرة أشعار العرب : ٣٥٦ .

(٥) نجيدة بن عويمر : تصغير نجدة بن عامر الحنفي . قال في الجهرة : كان باليمامة اتخذ مذهباً
ينسب إليه النجدية وهم فرقة من الفرق الضاللة . وقال المبرد في كامله : كانت رأساً ذا مقالة منفردة
من مقالات الخوارج . وفي القاموس : وكان خارجياً ويقال لأصحابه : النجدات بالتحريك . والبيت
مبسرّه في الجهرة بما الخففة من قصيدته التي مطلعها :

ما بال دفتك بالفراش مذنبلاً أفذى بعينك أم أردت رسيلاً

وأوردها في قسم اللحيات . قال المبرد : وخطب بها عبد الملك بن مروان .

(٦) الشعر والشعراء : ٤٥٣ ، والموازنة ١٩

فلما سمع عطية هذا الشعر قال : ما أُسْرِعَ ما رجح أخى في عطيته
ومثل ذلك سواء قول يزيد بن مالك العامري حيث يقول^(١) :
أَكْفُ الْجَهْلَ عَنْ حُلَمَاءِ قَوْمِي . وَأَعْرَضُ عَنْ كَلَامِ الْجَاهِلِينَ
فأخبر أنه يحلم عن الجهال ولا يُعاقبهم ؛ ثم نقض ذلك في البيت الثاني ، فقال :
إِذَا رَجُلٌ تَعَرَّضَ مُسْتَخْفًا لَنَا بِالْجَهْلِ أَوْشَكَ أَنْ يَحِينَا
فذكر أنه كاد أن يفنك بمن جهل عليه^(٢) .
وقريب منه قول عبد الرحمن بن عبد الله القس^(٣) :
أَرَى هَجْرَهَا وَالْقَتْلَ مِثْلِينَ فَاقْصِرُوا مَلَابِكُمْ فَالْقَتْلُ أَعْفَى وَأَيْسَرُ
فأوجب أن الهجر والقتل سواء ، ثم ذكر أن القتل أَعْفَى وَأَيْسَرُ^(٤) ، ولو أتى
بيل استوى^(٥) .

ومن عجائب الغلط قول ذى الرمة^(٦) :
إِذَا انْجَابَتِ الظُّلَمَاءُ أَضْحَتِ رُؤُوسُهَا عَلَيْهِنَّ مِنْ جَهْدِ السَّكْرَى وَهِيَ ظَلَعٌ^(٧)
وقال ابن أبي فروة : قلت لذي الرمة : ما علمتُ أحداً من الناس أظلع الرؤوس
غيرك ! فقال : أجل .

ومن الغلط قول العجاج^(٨) :
كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِنَ الْعَوُورِ قَلْتَانِ أَوْ حَوَجَلْتَا قَارُورِ
صَيَّرَتَا بِالنَّضْحِ وَالتَّصْبِيرِ صَلَاصِلَ الرِّيتِ إِلَى الشُّطُورِ

(١) نقد الشعر ١٢٤ ، الموشح ٢٢٦ وقد نسب فيهما هذان البيتان إلى يزيد بن مالك الغامدي .

(٢) تفسير لقول الشاعر : أوشك أن يحينا (٣) الموشح : ٢٢٦

(٤) في الموشح : فكأنه قال : إن القتل مثل الهجر وليس مثله (٥) استوى : أى المعنى

وسلم من الاستحالة والتناقض ؛ لأن مقام لفظه بل ، مقام ما ، ينقى الماضى ويثبت المستقبل .

(٦) الشعر والشعراء : ٥١٤ (٧) الظلع ، بتشديد اللام جمع ظالع ، وهو المائل أو المتأخر

(٨) أراجيز العرب : ٨٨ ، واللسان - مادة حجل ، وصل .

فَجَمَلَ الزَّجَاجَ يَنْضَعُ (١)

ومن الخطأ قول رُوْبَةٌ في صفة قوائم الفرس : * يهون شتى ويقعن وقعا (٢) *
فقال له سلم (٣) : أخطأت ، جعلته مقيداً ، فقال له رُوْبَةٌ : أدنني من ذنب البعير ،
أى لست أبصر الخيل ، وإنما أنا بصيرٌ بالإبل .

ومن الغلط قول رُوْبَةٌ أيضاً (٤) :

وَكُلُّ زَجَّاجٍ سُوْحَامِ الْخَمَلِ يَبْرِي لَهُ فِي رَعَلَاتٍ خُطَلٍ (٥)

جعل للظلم عدّة إناث ؛ وليس للظلم إلا أنثى واحدة .

وأخطأ في قوله (٦) :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا تَقِ الْأَسْوَدَا

(١) قوله : ينضع بالحاء في ط : والذي في اللسان (مادة صل) تبعاً للصحاح وحواشي

ابن بري ينضع بالميم هكذا :

كأن عينيه من الفؤور قلتان في الحدى صفا منقور
صفران أو حوجلتا فارور غيرتا بالنضج والتصير

صلاصل الزيت إلى الشطور

القلتان : قلت بإسكان اللام : النقرة في الجبل تمسك الماء . والحوجلة : فارورة صغيرة واسعة الرأس . والصلاصل : بقايا الماء وكذلك البقية من الدهن . قال في اللسان : وأنشد الجوهري صلاصل بالضم قال : وقال ابن بري : صوابه بالفتح لأنه مفعول لغيرتا وقال : ولم يشبههما بالجرار وإنما شبههما بالفاوروتين . قال ابن سيده : شبه أعينها حين غارت بالجرار فيها الزيت إلى أنصافها (مادة صل)
وإذا صح ذلك ينتفي ماأراده المؤلف . (٢) الموشح : ٢١٩ ، وفيه : ويقعن ونقا . قال الأصمعي :
لأن الجياد لا تقع حوافرها معا (الموشح) .

(٣) هو سلم بن قتيبة كما في الموشح . (٤) أراجيز العرب : ١٢٥

(٥) في ط : رخاج . وفي أراجيز العرب : زجاج من زج الظلم برجله : عدا ، فهو حينئذ نعت للظلم . والسحام ، بالحاء في ط ، وفي أراجيز العرب : سخام ، بالحاء ، وهو اللين من الشعر والريش والقطن . والحمل ، بالحاء في ط ، ولكنه في أراجيز العرب بالحاء : الغراب . والرعات : جمع رعاة وهي النعامة سميت بذلك لأنها تتقدم فلا تكاد ترى إلا سابقة للظلم . وجاء في أراجيز العرب : زعات ؛ أى نسيطات . والحطل : بضم الحاء وإسكان الطاء جمع خطلاء . بالفتح : الطويلة اليدين ، أو المضطربة . (٦) الشعر والشهراء : ٥٧٩ .

فجعل الأفعى دون الأسود في المصرة ، وهي فوقه فيها .

ومن خطأ الوصف قول أبي النجم ^(١) :

* أخص في مثل الكظام المخطمة ^(٢) *

والأخص : القصير المشافر ، وإنما توصف المشافر بالسبوتة ^(٣) .

ووصف أعرابي إبلا ، فقال : كوم بهازر ، مكد خناجر ، عظام الحناجر ،
سباط المشافر ، أجوافها رغب ، وأعطانها رحاب ، تمنع من الهمم ، وتبذل
للجمم .

ناقة مكود وخنجورة ^(٤) : كثيرة اللبن ^(٥) . والبهازر : العظام ^(٦) . والكوم :
المرتفعة الأنمة . ولم يحسن أيضاً صفة ورود الإبل . قال ^(٧) :

جاءت تسمى ^(٨) فالرعيل الأول والظل عن أخفافها لم يفضل
ذكر أنها وردت في الهاجرة ، وهذا خلاف المهود ؛ وإنما يكون الورود
غلمسا ، كقول الآخر ^(٩) :

* فوردت قبل الصباح الفائق ^(١٠) *

(١) الشعر والشعراء ٥٩٠ (٢) الكظام : جمع كاظم ، والكظام من الإبل : العطشان
اليابس الجوف . المخطمة : أى المخطومة بالحظام ، قال ابن سيده : والحظام بكل ما وضع في أنف
البعير ليقاد به . وناقة مخطومة ونوق مخطمة شددالكثرة ، وخفت هنا للوزن . وجاء في الشعر والشعراء :
٥٩٠ بدون أل هكذا :

* أخص في مثل الكظام مخطمه *

(٣) الطول . (٤) في ط بغير تاء . (٥) في القاموس : المكود : الناقة الدائمة الغزر ،
والقليات اللبن ضد ، أو هذه من أغاليط الليث . (٦) العظام من النوق .

(٧) قائله أبو النجم ، والرعيل الأول : القطعة المقدمة من الخيل أو من غيرها - الطرائف
الأدبية ٦٤ ، والشعر والشعراء ٥٩٠ . (٨) تسمى : ترتفع .

(٩) الطرائف : ٧٠ ، والشعر والشعراء : ٥٩١ . (١٠) في ط الفائق ، وهذه
رواية الشعر والشعراء .

وقال الآخر^(١) :

* فوردنَ قبلَ تَبَيَّنِ الأَلْوَانِ *

وقول لبيد^(١) :

* إن من وِرْدِي تَغْلِيَسَ النَّهْلِ *

ومن الفلّطِ قولُ أبي النّجم^(١) :

* صُلْبُ العَصَا جَافٍ عَنِ التَّغَزُّلِ^(٢) *

يصفُ رَاعِي الإِبِلِ بصلابة العَصَا ، وليس بالمعروف .

والجيدُ قولُ الراعي^(٣) :

ضَعِيفُ العَصَا بِأَدْيِ العُرُوقِ تَرَى لَهُ عَظِيمًا إِذَا مَا أُجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعًا
وإنما يقال : فلانٌ صُلْبٌ العَصَا على أهله إذا كان شديدًا عليهم .

ومن الفلّطِ قولُ أبي النّجم أيضًا في وصف الفرس ، وهو غلط في اللفظ^(٥) :

* كَأَنَّهَا مِيجَنَةٌ القَصَّارِ *

وإنما المِيجَنَةُ لِصَاحِبِ الأَدَمِ ، وهي التي يُدَقُّ عليها الأَدَمُ من حَجَرٍ وغيره .
ومن فساد المعنى قولُ الشَّمَاحِ^(٦) :

بَانتَ سُمَادٌ فِي العَيْنَيْنِ مُنْمُولٌ^(٧) وَكَانَ فِي قِصْرِ من عَهْدِهَا طُولُ

كان ينبغي أن يقول^(٨) : في طول من عهدها قصر ؛ لأنّ العيشَ مع الأَحْبَةِ

يُوصَفُ بقصر المدة ، كما قال الآخر :

يَطُولُ اليَوْمُ لا أَلْفاكُ فِيهِ وَحَوْلُ نَلْتَمِي فِيهِ قَصِيرُ

(١) الطرائف : ٧٠ ، والشعر والشعراء : ٥٩١ . (٢) في ط : التعزل بالعين ، وهذه

رواية الطرائف والشعر والشعراء . (٣) الشعر والشعراء ٥٩١ . (٤) في الشعر والشعراء :

إذا ما أحل الناس . (٥) الشعر والشعراء ٥٩١ (٦) ديوانه ٧٧ ، والموشح ٨٨

(٧) المملول : المسكحل . (٨) في الموشح : وكان في طول عهدها قصر ، أو يقول :

فصار في قصر عهدها طول .

ومن اضطراب المعنى قول أبي ذؤاد الأيادي (١) :
لو أنها بذلت لذي مقمٍ حرض (٢) القوادٍ مشارف القبض
حُسن (٣) الحديث لظلٍ مُكْتَنِباً حَرَّابٍ مِنْ وَجْدِهَا مَضٌ
وكان استواء المعنى أن يقول : لبرأ من سقمه - كما قال الأعشى :
لو أسندت مئيتاً إلى نحرها عَاشَ ولم يُنْقَلْ إلى قَابِرِ
وقال تَابِطُ شِراً :

* قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ *

تقديره قليل يسير النوم ، وهذا فاسد ؛ وَوَجْهُ السَّكْلَامِ أَنْ يَكُونَ مَا يَبْنَامُ إِلَّا
غِرَاراً ؛ فَإِنْ احْتَلَّتْ لَهُ قَلْتُ : يَعْنِي أَنَّ نَوْمَهُ أَيْسَرُ مِنَ الْيَسِيرِ .
وقول أبي ذؤيب (٤) :

فلا يهتأ (٥) الواشون أن قد هجرتها وأظلم دوني ليلها ونهارها
هذا من المقلوب ؛ كان ينبغي أن يقول : وأظلم دُونَهَا لَيْلِي وَنَهَارِي .
وقول ساعدة (٦) :

فلو نباتك الأرض أو لو سمعته
كان ينبغي أن يقول : لَوِ بَعْدَكَ أَوْ كَمَدَ .

ومن الخطأ قول طرفة يصف ذئب البعير (٧) :

كأن جناحي مضرحي تكنفأ حقاقيه شكافي العسيب بمسرد (٨)
وإنما توصف النجائب بخفة الذئب (٩) . وجعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً .

(١) الموشح ٨٨ . (٢) في الموشح : صره . (٣) في الموشح : أنس الحديث .

(٤) أشعار الهذليين : ١ - ٢١ ، والموشح ٨٨ . (٥) في الموشح : ولا يهتأ الواشون .

(٦) في ط ساعد ، وهو ساعدة بن جؤية كما في أشعار الهذليين : ١ - ٢٣٨ .

(٧) الموشح ٨٨ . (٨) المضرحي : الصقر الطويل الجناح . وحقاقيه : جانبيه . والعسيب :

عظم ذئبه . والمسرد : المثقب . واستشهد له في اللسان بالشر الثاني من البيت - مادة سرد .

(٩) عبارة الموشح : وإنما توصف النجائب بركة شعر الذئب وخفته .

وقول امرئ القيس (١) :

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ حَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ
شَبَّهَ نَاصِيَةَ الْفَرَسِ بِسَعْفِ النَّخْلَةِ لَطُولِهَا ، وَإِذَا غَطَى الشَّعْرُ الْعَيْنَ لَمْ يَكُنْ
الْفَرَسَ كَرِيمًا .

وقول الحطيئة (٢) :

وَمَنْ يَطْلُبُ مَسَاعِي آلِ لَأَى تَصْعَدُهُ الْأُمُورُ إِلَى عِلَاهَا
كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : مَنْ طَلَبَ مَسَاعِيهِمْ عَجَزَ عَنْهَا وَقَصَّرَ دُونَهَا ، فَأَمَّا إِذَا تَنَاهَى
إِلَى عِلَاهَا فَأَيُّ نَجْرٍ لَهُمْ ؛ فَإِنْ قِيلَ : إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ [أَنَّهُ] يَلْتَقَى صَعُوبَةً كَمَا يَلْتَقَى الصَّاعِدُ
مَنْ أَسْفَلَ إِلَى عُلُو ، فَالْمِيبُ أَيْضًا لَازِمٌ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْبرَ عَنْهُ تَعْبِيرًا مَبِينًا .

وقول النابغة (٣) :

مَاضِي الْجَنَانِ أَخِي صَبْرٍ إِذَا نَزَلَتْ حَرْبٌ يُوَارِئُ مِنْهَا كُلَّ تَنْبَالٍ
التَّنْبَالُ : القَصِيرُ مِنَ الرِّجَالِ ، وَلَيْسَ الْقَصِيرُ بِأُولَى بِطَلْبِ الْمُوئِلِّ مِنَ الطَّوَالِ ؛ وَإِنْ
جَعَلَ التَّنْبَالُ الْجَبَانَ فَهُوَ أَبْعَدُ مِنَ الصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ الْجَبَانَ خَائِفٌ وَرَجُلٌ اشْتَدَّتْ الْحَرْبُ
أَمْ سَكَنْتَ .

والجيد قول الهمداني :

يَكْرَهُ عَلَى الْمَصَافِّ إِذَا تَعَادَى مِنْ الْأَهْوَالِ شَجَمَانَ الرَّجَالِ

وقول المسيب بن علس (٤) :

فَتَسَلَّ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ بِخَمِيصَةٍ سُرْحِ الْيَدَيْنِ وَسَاعٍ
وَكَأَنَّ قَنْطَرَةً بِمَوْضِعِ كُورِهَا وَتَمَدَّدَتْ نِيَّ جَدِيلِهَا بِشِرَاعٍ (٥)
وَإِذَا أَطْفَتَ بِهَا أَطْفَتَ بِكُلِّ كَلٍّ نَيْضُ الْفَرَاثِصِ مُجَفَّرِ الْأَضْلَاعِ

(٢) ديوان مختارات شعراء العرب : ١٣١ ،

(١) ديوانه : ١١ ، والموشح : ٨٩ .

(٤) الموشح : ٩٠ ، والمفضليات : ٥٩ .

(٣) الموشح : ٧٩ .

(٥) تكملة البيت في الموشح والمفضليات : * ملساء بين غوامض الأنساع *

وهذا من المتناقض؛ لأنه قال خميسة، ثم قال: كأن موضع كورها قنطرة، وهي
مُجْفَرَة الأضلاع؛ فكيف تكون خميسة وهذه صفتها.

وقول الحطيئة^(١):

حَرَجٌ يَلَاوِذُ بِالْكَنَاسِ كَأَنَّهُ ، مَطْوُوفٌ^(٢) حَتَّى الصَّبَاحِ يَدُورُ
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ شَقَّ مَحْمُودَهُ ، وَعَلَاهُ أَشْطَعُ لَا يَرُدُّ مِنْبِرُ
وَحَصَى الكَثِيبِ بِصَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ ، خَبَثُ الحَدِيدِ أَطَارَهُنَّ الكَبِيرُ
زَعَمَ أَنَّهُ يَطُوفُ حَتَّى الصَّبَاحِ ، فَمَنْ أَيْنَ صَارَ الحَصَى بِصَفْحَتَيْهِ؟

وقول لبيد^(٣):

فَلَقَدْ أَعْوَصُ بِالْخَصْمِ^(٤) وَقَدْ أَمَلْتُ الجَفْنََةَ مِنْ شَحْمِ القَلْبِ
أَرَادَ السَّنَامَ ، وَلَا يُسَمَّى السَّنَامَ شَحْمًا .
وقوله^(٥):

لَوْ يَقُومُ الفَيْسَلُ أَوْ فَيَّالَهُ زَلَّ عَنِ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ

ليس للفَيْسَل من الشدة والقوة ما يكون مثلاً .

ومن الخطأ قول أبي ذؤيب في الدرة^(٦):

فَجَاءَ بِهَا مَا شَدَّتْ مِنْ كَطْمِيَّةٍ يَدُومُ الفِرَاتُ فَوْقَهَا وَيَمُوجُ

والدرة إنما تكون في الماء المالح دون العذب . وقال من احتج له: إنما يريد بماء

الدرّة صفاءه فشبهه بماء الفرات؛ لأنّ الفرات لا يخطئه الصفاء والحسن .

وقوله أيضاً^(٧):

فَمَا بَرَحَتْ فِي النَّاسِ حَتَّى تَبِيدَتْ تَقِيْفًا بِرِيزَاءِ^(٨) الأَشَاةِ^(٩) قَبَائِبِهَا

(١) الموشح ٩٠ . (٢) في ط متطرف . (٣) الموشح ٨٩ ، واللسان - مادة عوص .

(٤) أعوص بالخصم: أدخله فيما لا يفهم، أولوى عليه أمره . (٥) الموشح ٨٩ ، ٧٢ .

(٦) أشعار الهذليين ١ - ٥٧ . (٧) أشعار الهذليين: ١ - ٧٣ .

(٨) الريزاء: ظهر متقاد غليظ من الأرض . (٩) في ط: الأساءة، وهذه رواية أشعار

الهذليين، قال: والأشاة: موضع .

يقول : مازالت هذه الخمرة في الناس يحفظونها حتى أتوا بها ثقيفا . قال الأصمعي :
وكيف تحمّل الخمرة إلى ثقيف وعندهم العنب .

وقول عدى بن الرقاع :

لهم راية تهدي الجموع كأنها إذا خطرت في ثعلب^(١) الرمح طائر
والراية لا تخطر ، وإنما الخطران للرمح .

ومما لم يسمع مثله قط قول عدى بن زيد في الخمرة ووصفه إياها بالخضرة
حيث يقول :

والمشرف الهيدب يسعى بها أخضر مَطْمُونًا بماء الحريص^(٢)
والحريص : السحابة تحمص وجه الأرض ، أي تقشرها بشدة وقع مطرها .
ومن وضع الشيء في غير موضعه قول الشاعر :

يمشي بها كل موشى أكارعه مشى الهرا بده حجوا بيعة الدون
فالغلظ في هذا البيت في ثلاثة مواضع : أحدها أن الهرا بده الجوس^(٣) لا النصارى .
والثاني أن البيعة للنصارى لا للمجوس . والثالث أن النصارى لا يعبدون الأصنام
ولا المجوس .

ومن الحال الذي لا وجه له قول اللبس^(٤) :

وإني إذا ما الموت حلّ بنفسها يرّال بنفسي قبل ذلك فأقبر
وهذا شبيه بقول قائل لو قال : إذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله . وهذا عين
الحال الممتنع الذي لا يجوز كونه .

ومن عيوب المعنى مخالفة العرف وذكرك ما ليس في العادة كقول المرار^(٥) :
وخال على خديك يبدو كأنه سنا البدر في دعجاء باد دجونها

(١) الثعلب : طرف الرمح . (٢) الهيدب : سحاب يقرب من الأرض كأنه متدل
يكاد يمسه من قام براحته . (٣) في اللسان : هم قومة بيت النار التي للهند فإرسى معرب .
(٤) الموشح ٢٢٦ . (٥) الموشح ٢٣٢ .

والمعروف أن الخيلان مسود أو سمر ؛ والحدود الحسان إنما هي البيض ، فأتى
هذا الشاعر بقلب المعنى .

وهكذا قول الآخر :

كأنما الخيلان في وجهه كواكبٌ أهدقن بالبدير

ويمكن أن يحتج لهذا الشاعر بأن يُقال : شبه الخيلان بالكواكب من جهة
الاستدارة لا من جهة اللون .

والجيد في صفة الخال قولُ مسلم :

وَخَالَ نَخَالِ الْبَدْرِ فِي وَجْهِ مِثْلِهِ

لَقِينَا الْمُتَى فِيهِ فَحَاجَزَنَا الْبَدْلُ

وقال العباس بن الأحنف (١) :

نَخَالِ بَدَاتِ الْخَالِ أَحْسَنُ عِنْدَنَا

مِنَ النَّسَكَةِ السَّوْدَاءِ فِي وَضَحِ الْبَدْرِ

ومن المعاني ما يكون مقصراً غير بالغ مبالغ غيره في الإحسان ، كقول كثير (٢) :

وَمَارَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى

تَمَجُّ النَّدَى (٣) حَوْذَانِهَا (٤) وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنَا

وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمِنْدَلِ الرَّطْبَ (٥) نَارُهَا

وقد صدق ؛ ليس ریح الروض بأطيب من ریح العود ، إلا أنه لم يأت بإحسانٍ
فيما وصف من طيب عرق المرأة ؛ لأن كل من تجمر بالعود طابت رائحته .

والجيد قول امرئ القيس (٦) :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كَلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا

وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيِبْ

والعود الرطب ليس بمختار للبخور ؛ وإنما يصلح للمضع والسواك ، والعود اليابس
أبلغ في معناه .

(١) ديوانه : ٧٩ (٢) الموشح : ١٥٠ ، ١٥١ (٣) في ط : الثرى
(٤) الحوذان : نبت ، وفي الموشح : ججائها (٥) في رواية الموشح : وقد أوقدت
(٦) ديوانه : ٦٦ ، ١٠٥ ، ٢٢٠ .
بالجمهر اللدن .

وأُشِدُّ الكَمِيَّتِ نَصِيْبًا^(١) :
كَأَنَّ الْغُطَّامِطَ فِي غَلِيْبَهَا أَرَا جَبِيْرُ أَسْلَمَ تَهْجُوْ غِفَارًا
فَقَالَ نَصِيْبٌ : لَمْ تَهْجُجْ أَسْلَمَ غِفَارًا قَطْ ، فَقَالَ الْكَمِيَّتِ^(٢) :
إِذَا مَا الْهَجَارِسُ غَنِيْنَهَا تَجَاوَبْنَ^(٣) بِالْفَلَوَاتِ الْوَبَارَا
فَقَالَ نَصِيْبٌ : لَا يَكُوْنُ بِالْفَلَوَاتِ وَبَارَ ، فَاسْتَحَى الْكَمِيَّتِ وَسَكَتَ^(٤) .
وَمِنْ عُيُوْبِ الْمَدِيْحِ عَدُوْلُ الْمَادِحِ عَنِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ مِنْ الْعَقْلِ ،
وَالْعِفَّةِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، إِلَى مَا يَلِيْقُ بِأَوْصَافِ الْجِسْمِ : مِنْ الْحُسْنِ ، وَالْبَهَاءِ
وَالزَّيْنَةِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٥) :
يَأْتَلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرَقِهِ عَلَى جَبِيْنٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ
فَغَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ : قَدْ قَلَّتْ فِي مُصْعَبٍ^(٦) :
إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّذِّ هِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ^(٧)
فَأَعْطَيْتَهُ الْمَدْحَ بِكَشْفِ الْغُمِّ ، وَجَلَاءِ الظُّلْمِ ؛ وَأَعْطَيْتَنِي مِنَ الْمَدْحِ مَا لَا فَجْرَ فِيهِ ؛
وَهُوَ اعْتِدَالُ التَّاجِ فَوْقَ جَبِيْنِي الَّذِي هُوَ كَالذَّهَبِ فِي النُّضَارَةِ .
وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ أَيْمَنِ بْنِ خَزِيْمٍ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ^(٨) :
يَأْبَنَ الْأَسْكَارِمِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا وَابْنَ الْخَلَائِفِ وَابْنَ كُلِّ قَلَمَسٍ^(٩)

(١) الموشح : ١٩٣ (٢) الموشح : ١٩٣ (٣) في الموشح : يجاوب
(٤) الغطاطمط : الصوت . والهجارس : جمع هجرس وهو القرد والتعلب وقيل : ولده ، والدب
وقيل : كل ما يعسعس بالليل دون التعلب وفوق اليربوع . والوبار : جمع وبرة ، بالتسكين : حيوات
كالسثور (٥) نقد الشعر : ١١١ ، الموشح : ٢٢١ (٦) الموشح : ٢٢١ ، نقد الشعر : ١١١
(٧) في رواية : عن نوره . (٨) نقد الشعر : ١١١ ، الموشح : ٢٢٢
وقد أورد الأبيات قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر والمرزباني في الموشح وأولها عندهما :
يابن التوائب والذرى والأرؤس والفرع من مضر العفرنى الأقمس
يابن المسكارم من قريش ذا العلا
(٩) يقال : عز قلمس : إذا كان قدما .

مِنْ قَرَعِ آدَمَ كَارِراً عَنْ كَابِرٍ حَتَّى أَتَيْتَ (١) إِلَى أَبِيكَ الْعَنْثَسِ
 مَرَوَانَ ، إِنَّ قَنَاتَهُ خَطِيئَةٌ غُرِسَتْ أُرُومَتُهَا أَعَزَّ الْمَغْرَسِ
 وَبَنِيَتْ عِنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةً خَضْرَاءَ كَلَّلَتْ تَأْجُهَا بِالْفِسْفِسِ (٢)
 فَمِإُوهَا ذَهَبٌ وَأَسْفَلَ أَرْضِهَا وَرَقٌ تَلَالُأٌ فِي صَمِيمِ الْخُنْدِسِ
 فإِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَدْحِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ سُودِدَ
 الْأَبَاءِ ، وَفِيهِ فَخْرٌ الْأَبْنَاءِ ، وَلَسْكَنَ لَيْسَ الْعِظَامَى كَالْعِصَامَى ، وَرَبَّمَا كَانَ سُودِدُ الْوَالِدِ
 وَفَضِيلَتُهُ نَقِيسَةٌ لِلْوَالِدِ إِذَا تَأَخَّرَ عَنِ رَتْبَةِ الْوَالِدِ ، وَيَكُونُ ذَكَرَ الْوَالِدِ الْفَاضِلِ تَقْرِيباً لِلْوَالِدِ
 النَّاقِصِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: لِمَ لَا تَكُونُ كَأَبِيكَ؟ فَقَالَ: لَيْتَ أَبِي لَمْ يَكُنْ ذَا فَضْلٍ؛ فَإِنْ
 فَضَّلَهُ صَارَ تَقْصَالِي .

وقد قال الأول :

إِنَّمَا الْمَجْدُ مَا بَسَنَى وَالِدِ الصَّدِّ قِ وَأَحْيَا فِعَالَهُ الْمَوْلُودِ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خِلَافِهِ :

لَئِنْ نَحَرْتَ بِآبَاءِ ذَوِي شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَسَنَ مَا وَلَدُوا
 وَقَالَ آخَرُ :

عَفَّتْ مَقَابِحُ أَخْلَاقٍ خُصِصَتْ بِهَا عَلَى مَحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ
 لَئِنْ تَقَدَّمَتْ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ بِهِ نَقَسَتْ تَأَخَّرَ آبَاءُ اللَّئِمَاءِ بِكَ

ثم ذكر أيمن بناء قبة حسنة ، وليس بناء القباب مما يدل على جود وكرم ؛ بل
 يجوز أن يبني اللئيم البخيل الأبنية النفيسة ، ويتوسّع في النفقة على الدور الحسنة

(١) في الموشح : انتهيت (٢) النفس : الفضة الرطبة . والبيت المصور بالنفساء :
 هو المنقوش بقطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره يؤلف بعضها إلى بعض ثم تركب في حيطانه من داخل .

مع منع الحق ، وردّ السائل ، وليس اليسار مما يُمدح به مدحا حقيقيا ؛ ألا ترى
كيف يقول أشجع السلمي (١) :

يُرِيدُ لِلْمَلُوكِ مَدَى جَمْفِرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْفَنَى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
وَمِنْ عِيُوبِ الْمَدْحِ قَوْلُ أَيْمَنَ بْنِ حُرَيْمٍ أَيْضًا فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ (٢) :

فَإِنَّ أَعْطَاكَ (٣) بِبَشْرِ أَلْفِ أَلْفٍ رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَا
وَأَعْقَبَ مِدْحَتِي سَرَجًا خَلَنَجًا وَأَبْيَضَ جَوْزَجَانِيًا عُنُودًا (٤)
وَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا أُمَّ بَشْرِ كَأَمِّ الْأَسَدِ مِذْكَارًا وَلُودًا

جميع هذا الكلام جارٍ على غير الصواب ، إلا في ابتداء وصفه في التناهي في
الجود ، ثم انحط إلى مالا يتبع مع الأول موقعا وهو السرج وغيره . وأتى في البيت
الثالث بما هو أقرب إلى الذم منه إلى المدح ، وهو قوله :

وَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا أُمَّ بَشْرِ كَأَمِّ الْأَسَدِ مِذْكَارًا وَلُودًا
لَأَنَّ النَّاسَ جَمْعُونَ عَلَى أَنْ تَنَاجِيَ الْهَيَوَانَاتُ الْكَرِيمَةُ أَعْسُرُ وَأَوْلَادُهَا أَقَلُّ . كَمَا
قَالَ الْأُولُ (٥) :

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمَّ الصَّخْرِ مِقْلَاتُ (٦) نَزْوَرُ

وَمِنْ عِيُوبِ الْمَدْحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ - هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَوِيثِ - لِبَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :
إِنِّي رَحَلْتُ إِلَى عَمْرٍو لِأَعْرِفَهُ إِذْ قِيلَ بَشْرٌ وَلَمْ أَعْدِلْ بِهِ نَسْبًا
فَنَكَرَ الْمَدُوحَ وَسَلَبَهُ النَّبَاهَةَ ؛ وَكَانَ يَبْغِي أَنْ يَقُولَ : لِيَعْرِفَنِي .

(١) نقد الشعر : ١١٢ ، الموشح : ٢٢٤ (٢) نقد الشعر : ١١٢ ، الموشح : ٢٢٢

(٣) في نقد الشعر : « فلو أعطاك » ، وفي الموشح : « لو أعطاك » .

(٤) كذا في الأصول ، والذي في نقد الشعر والموشح « عقودا » . والخنج : كل مخطوط

بالوان وأشكال . (٥) نقد الشعر : ١١٢ ، الموشح : ٢٢٣

(٦) المقلات : ناقة تضع واحدا ، ثم لا تحمل ، وامرأة لا يعيش لها ولد .

والتادير العجب الذي لا شبه له قول عدى بن الرقاع ، وذكر الله سبحانه ،
فقال (١) :

وكفك سبطة (٢) ونداك عمر
وأنت المرء تفعل ما تقول
فجعل إله امرءاً ، تعالى الله عما يقول :

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي ، قال : أخبرنا أبو العيناء عن الأصمعي قال :
اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج . فقال : من مدحني منكما بشعر يورج
فيه ويحسن صفتي فهذه الخلعة له ؛ فقال الفرزدق (٣) :

فمن يأمن الحجاج والطير تنقي
عقوبته إلا ضعيف العزائم
فقال جرير (٤) :

فمن يأمن الحجاج أمّا عقابه
فمرّ وأما عقده فوثيق
يسرّ لك البغضاء كلّ منافق
كما كلّ ذي دين عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق : ما عملت شيئاً ، إن الطير تنفر من الصبي (٥) والخشبة ؛
ودفع الخلعة إلى جرير .

والجيد في المديح قول زهير (٦) :

هنالك أن يستخروا المال بخوروا
وإن يسألوا يعطوا وإن يسروا يغلوا (٧)

(١) الموازنة ٢ : وفيها : « ونداك مسح » (٢) رجل سبط اليدين : سخطي سمح

(٣) الموشح : ١١٢ (٤) ديوانه : ٣٩٨ ، ٣٩٩

(٥) عبارة الموشح : لأن الطير تنقي كل شيء ، الثوب والصبي .

(٦) الأبيات من قصيدته التي مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسأل
وأقفر من سلمى التعانيق فالقل

ديوانه صفحة ١١٢ ، العمدة ٢ : ١٢٧

(٧) في الديوان : « يستخباوا المال يخباوا » . والاستخباوا : أن يسألوهم شيئاً

فيمسكوكهم إياه .

وفيهم مقامات حسان وجوها وأندية ينتابها القول والفعل^(١)
فلما استتم وصفهم بحسن المقال ، وتصديق القول بالفعل ، وصفهم بحسن
الوجوه .

ثم قال :

على مكثرهم حق من يعترهم^(٢) وعند المقلين السماحة والبدل^(٣)
فلم يخل مكرراً ولا مقللاً منهم من برّ وفضل .

ثم قال :

فإن جنتهم أفتت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل
فوصفهم بالحلم .

ثم قال :

وإن قام منهم قائم قال قاعد رشدت فلا غرم عليك ولا خذل
فوصفهم أيضاً بالتضافر والتعاون .

فلما آتاهم هذه الصفات النفيسة ذكر فضل آبائهم فقال :

وما يك^(٤) من خير أتوه فإنما توارثه آباءه آباءهم قبل^(٥)
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل^(٥)
وكقول ذي الرمة^(٦) :

إلى ملك^(٧) يعلو الرجال بفضله كما بهر^(٨) البدر النجوم السواريا
فامرّ تع الجيران^(٩) إلا جفانكم^(١٠) تبارون أتم والرياح تباريا

(١) المقامات : المجلس . والندى : المجلس . ينتابها القول والفعل : يقال فيها الجميل ويفعل .

(٢) يعترهم : يطلب منهم . (٣) في الديوان : « فا كان من خير » .

(٤) توارثه : ورثه كبر عن كبر . (٥) الخطي : الرياح . والشيج : القنا .

(٦) ديوانه ٩٤ ، ٩٥ . (٧) في الديوان : لدى ملك . (٨) في الديوان : كما بهر .

(٩) في الديوان : فما مربع . (١٠) الجفان : القصاع .

أخذه بعضهم ، فقلل وأحسن :

رَأَيْتَكُمْ بَقِيَّةً حَتَّى قَبَسِ

تُبَارُونَ الرِّيحَ إِذَا تَبَارَتْ

يَذَكِّرُنِي مَقَامِي فِي ذُرَاكُم

وكقول الراعي :

إِنِّي وَإِيَّاكَ وَالشُّكْرَى الَّتِي قَصَرَتْ

كَلَامًا وَالظَّالِعُ الصَّدْيَانُ يَطْلُبُهُ

ضَافِي العَطِيَّةِ ، رَاجِيهِ وَسَائِلُهُ

وقول مروان بن أبي حفصة (١) :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِقَاءِ كَأَنَّهُمْ

هَمُّ المَانِعُونَ (٢) الجَارِ حَتَّى كَأَنَّمَا

بِهَالِيلٍ فِي الإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَسْكُنْ

هَمُّ القَوْمِ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا

وَلَا يَسْتَطِيعُ الفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ

ثَلَاثُ بَأْمَثَالِ الجِبَالِ جِبَاهُهُمْ

وآقول الآخر :

عَلَّمَ الغَيْثَ النَّدَى حَتَّى إِذَا

فَلَهُ الغَيْثُ مُمِرٌّ بِالنَّدَى

وكقول الآخر :

شَبِهَ الغَيْثَ فِيهِ وَاللِّثُ وَأُ

وَهَضْبَتُهُ الَّتِي فَوْقَ الهِضَابِ

وَتَمَثَّلُونَ أفعال السحاب

مقاي أمس في ظل الشبَابِ

خَطْوِي وَبَابِكَ وَالوَجْدُ الَّذِي أَجِدُ

وهو الشفاه له لو أنه يرد

سيان ، أفلح من يعطي ومن يعد

أَسُودُ لَهُمْ فِي غَيْلِ خَفَانٍ (٢) أَشْبِلُ

لجَارِهِمْ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنَ مَنَزِلُ

كَأَوَّلِهِمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ

أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَبُّوا وَأَجَزُّوا

وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

وَإِحْلَامُهُمْ مِنْهَا لَدَى الوِزْنِ أَثْقَلُ

مَاحِكَاهُ عَلَّمَ البَّاسَ الأَسَدُ

وَلَهُ اللِّيثُ مُقَرَّرٌ بِالجلدِ

بَدْرٌ فَسَمَحٌ وَمِحْرَبٌ وَجَمِيلٌ

(١) العمدة ٢ - ١٣٤ . (٢) خفان : مأسدة . (٣) في العمدة : هم يمنعون .

ومع ما ذكرناه فإنه لا ينبغي أن يخلو المدح من مناقب آباء المدوح ، وتقرىظ
من يعرف به وينسب إليه .

وأشده أبو الخطاب الفضل بن يحيى :

وَجِدُّ لَهُ يَا بْنَ أَبِي عَلِيٍّ بِنَفْحَةٍ مِنْ مَلِكِ سَخِيٍّ
فَإِنَّهُ عَوْدٌ عَلَى بَدِيٍّ فَإِنَّمَا الْوَسْمِيُّ بِالْوَلِيِّ (١)

فقال الفضل : بنفحة من نفح برمكي ؛ فجعله كذلك .

وأشده مروان بن أبي حفصة :

نَفَرَتْ فَلَا شَلَّتْ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَقَّتْ بِهَا الْفَتَقَ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمِ
فقال له الفضل : قل برمكية ؛ فقد يشركنا في خالد بشر كثير ، ولا يشركنا
في برمك أحد .

والهجاء أيضا إذا لم يكن يسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس ؛ ويثبت
الصفات المستهجنة التي تختصها أيضا لم يكن مختاراً .

والاختيار أن ينسب المهجور إلى اللؤم والبخل والشرة وما أشبه ذلك .

وليس بالمختار في الهجاء أن ينسب إلى قبح الوجه وصغر الحجم وضوء
الجسم ؛ يدل على ذلك قول القائل (٢) :

فَقَلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشُّجُوبُ عَلَى الْفَسَى بِمَا رٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينِهَا
وقول الآخر :

تَنَالُ الْخَيْرَ مِمَّنْ تَزْدَرِيهِ وَيُخَلِّفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

وقول الآخر (٣) :

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ خِرْقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ

(١) الوسمي : مطر أول الربيع . والولي : مطر بعد مطر .

(٢) نقد الشعر : ١١٣ . (٣) نقد الشعر : ١١٣ .

وذكر السموءل أن قلة العدد ليست بعيب ، فقال^(١) :

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا

فقلت لها إن الكرام قليل

ومن الهجاء الجيد قول بضمهم^(٢) :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ

واللؤم أكرم من وبر وما ولدنا

قَوْمٌ إِذَا مَا جَسَى جَانِبَهُمْ آمَنُوا

من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا^(٣)

وقول أعشى باهلة^(٤) :

بَنُو تَيْمٍ قَرَارَةٌ كُلُّ لُؤْمٍ

كذلك لكل سائلة قرار^(٥)

وتبعه أبو تمام ، فقال^(٦) :

مُلَقَى الرَّجَاءِ وَمُلَقَى الرَّحْلِ فِي نَفَرٍ

الجودُ عندهم قولُ بلا عمل

أَضْحَوْا بِمِسْتَانَ^(٧) سَبِيلِ اللُّؤْمِ^(٨) وَارْتَفَعَتْ

أموالهم في هضاب المظل والعمل

ونقله إلى موضع آخر ، فقال^(٩) :

وَكَانَتْ زَفْرَةٌ^(١٠) مِثْمَ اطْمَانَتْ

كذلك لكل سائلة قرار

وقول الآخر^(١١) :

لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ

من خلقه خفيت عنه بنو أسد

وقول الحكم الحضري^(١٢) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ رُقِمُوا بِاللُّؤْمِ

كما رُقمت بأذرعها الحمير

(١) شعراء اليهود : ٢٢ ، نقد الشعر : ٥٦ ، ١١٣ . (٢) نقد الشعر : ٥٨ .

(٣) بقصص . (٤) نقد الشعر : ٥٧ . (٥) القرارة : ما بقي في القدر بعد الغرف

منها . والقرار : المستقر من الأرض . وعجز البيت في نقد الشعر : * لكل مصب سائلة قرار *

(٦) ديوانه : ٢٥٠ ، ونقد الشعر : ٥٧ (٧) المستن : المنصب . الهضاب : المرتفعات .

(٨) في الديوان : أضحوا بمستان سبيل اللؤم (٩) ديوانه : ١٤١ ، نقد الشعر : ٥٧

(١٠) في الديوان : وكانت لوعة (١١) نقد الشعر : ٥٧

(١٢) نقد الشعر : ٥٧

ومن خبيث الهجاء قول الآخر (١) :

إِنْ يَغْدُرُوا أَوْ يَجْبُنُوا
يَفْدُوا عَلَيْكَ مَرَجِلِي

أَوْ يَبْخَلُوا لَا يَجْفُلُوا (٢)
نَ كَاتِمِهِمْ لَمْ يَفْعَلُوا

وقول الآخر (٣) :

لَوْ أَطَّلَعَ الْغُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ
وقول مرة بن عدى القمسي (٥) :

وما فيها من السَّوِّءَاتِ شَابًا (٤)

وَإِذَا تَسَرَّكَ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةٌ
فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ

ومن المبالغة في الهجاء قول ابن الرومي (٦) :

يُقْتَرُّ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ
لَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ

وَلَيْسَ يَبَاقِي وَلَا خَالِدٍ
تَنْفَسَ مِنْ مَنخَرٍ وَاحِدٍ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى ، وإنما أخذه ممن حكاه أبو عثمان
أن بضمهم قبر إحدى عينيه وقال : إن النظرَ بهما في زمانٍ واحدٍ من الإصراف .

وقول البُخَيْرِي (٧) :

وَرَدَّدْتُ الْعِتَابَ عَلَيْكَ حَتَّى
وَهَانَ عَلَيْكَ سُخْطِي حِينَ تَعْدُو

سَمِئْتُ وَأَخِرُّ الْوُدَّ الْعِتَابُ
بِعُرْضٍ لَيْسَ تَأْكُلُهُ الْكِلَابُ

(١) نقد الشعر : ٥٦ (٢) كذا البيت الأول في الأصول ، وفي النقد قال : ومن خبت
الهجاء ما أنشدناه أحمد بن يحيى أيضاً :

إِنْ يَغْدُرُوا أَوْ يَجْبُنُوا
أَوْ يَبْخَلُوا لَا يَجْفُلُوا

ثم أورد البيت الثاني كما أورده المؤلف .

(٣) نقد الشعر : ٥٧ (٤) البيت من شعر العباس بن يزيد الكندي يهاجى جريراً
كما في نقد الشعر صفحة ٥٧ وقوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضاباً

(٥) نقد الشعر : ٥٧ (٦) ديوانه : ٣٧٥ (٧) ديوانه : ٤٨

ومن خطأ الوصف قول كعب بن زهير (١) :

* ضَحْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعَمٌ مُقَيَّدُهَا * (٢)

لأن النجائب توصف بدقة المذبح (٣)

ومن خطأ اللفظ قول ذي الرمة :

حَتَّى إِذَا الْهَيْقَ أَمْسَى شَامَ أَفْرُخَهُ
لأنه لا يُقال شَامَ إِلَّا فِي الْبَرَقِ .

ومن ردَىء التشبيه قول لبيد (٥) :

فَتَى يَنْقَعُ صُرَاخُ صَادِقٍ
فَخَمَةٌ ذَفْرَاهُ تَرْتِي بِالْعُرَا
يُحْلِبُوهَا ذَاتَ جَرَسٍ وَزَجَلٍ
قُرْدُمًا نَيْبًا وَتَرَكَأَ كَالْبَصْلِ

فشبهه البيضة بالبصل، وهو بعيد، وإن كانا يتشابهان من جهة الاستدارة لبعدهما

ما بينهما في الحنيس .

وقول أبي العيال (٦) :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي
صَدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ (٧)

(١) ديوانه : ١٠ (٢) صدر بيت من قصيدته المشهورة بيات سعاد ، وعجزه :

* في خلقها عن بنات الفحل تفضيل * المقلد : الرقبة . والفعم : الممتلىء . والمقيد : موضع القيد من

رجل الفرس . (٣) قال السكري في شرح ديوان كعب : قال الأصمعي : هذا خطأ من الصفة

لأنه قال هي غليظة الرقبة ، وخبر النجائب ما يدق مذبحه ويعرض منجره ويدق أعلى عنقه (صفحة ١١)

(٤) الهيق : العظيم ، والأنتى هيقة (٥) الموشح : ٨٧ ، اللسان - مادة : رتى

ومادة نقع وقردم وذر ، وقد اختلفت روايات النسخ في هذين البيتين ، وهذه هي رواية اللسان .

ينقع : يرتفع ، وقيل يدوم ويثبت ، والضمير في محلها للحرب وإن لم يذكره لأن في الكلام

دليلاً عليه ، أحلوا الحرب : أى جمعوا لها . الزجل : الجلبة ورفع الصوت . الذفراء : من الذفر

وهو التنت ، وفي إحدى روايتي اللسان مادة قردم ومادة ذفر : بالذال المعجمة وهو سهك صدأ الحديد

وقوله : ترتى - من الرتو ، وهو الشد . وعندى ترتى إلى مفعولين لأن فيه معنى تكسى .

والقرمانيه : الدروع الغليظة . (٦) أشعار الهذليين ٢ : ٢٤٢ ، والموشح ٩٠ .

(٧) الوصب : الوجع ، وهو النصب والتعب أيضاً .

فَذِكْرُ الرَّأْسِ مَعَ الصَّدَاعِ فَضْلٌ ، لِأَنَّ الصَّدَاعَ لَا يَكُونُ فِي الرَّجْلِ وَلَا فِي غَيْرِهَا
مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَفِيهِ وَجْهُ آخَرٌ مِنَ الْعَيْبِ ؛ وَهُوَ أَنَّ الدَّاءَ كَرًّا لِمَا قَدْ فَاتَ مِنْ مَحْبُوبٍ
يُوصَفُ بِالْمِ الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقِهِ لَا بِالصَّدَاعِ .

وَقَوْلُ أَوْسَ بْنِ حَجَرَ (١) :

وَهُمْ لِمَقْلٍ الْمَالِ أَوْلَادُ عَمَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مَخُولًا
فَقَوْلُهُ : « الْمَالِ » مَعَ الْمَقْلِ فَضْلٌ .

وَقَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزْرَجِيِّ (٢) :

قِيدَتْ قَعْدٌ لَنْ حَاذَاهَا (٣) وَحَارَكُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا مُطَارُ الْقَلْبِ مَذْعُورٌ (٤)

فَمَا سَمِعْنَا بِأَعْجَبَ مِنْ قَوْلِهِ : فَالْقَلْبُ مِنْهَا مُطَارُ الْقَلْبِ .

وَقَوْلُ الْآخَرِ (٥) :

أَلَا حَبْدًا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أُنَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ نَهْ

فَقَوْلُهُ : « النَّأْيُ » مَعَ « الْبَعْدِ » فَضْلٌ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ فِي

كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ ، وَالْبَيْتُ فِي نَفْسِهِ بَارِدٌ .

وَمِنْ عِيُوبِ اللَّفْظِ ارْتِكَابُ الضَّرُورَاتِ فِيهِ كَمَا قَالَ التَّمَلُّسُ (٦) :

إِنْ تَسْلُكِي سَبِيلَ الْمُوَاةِ مَنْجِدَةٌ مَا عَاشَ عَمْرٌ وَمَا عَمَّرَتْ قَابُوسٌ (٧)

(١) الموشح : ٩٠ (٢) الموشح : ٩٠ (٣) في الموشح : وقد لان هاديا .

الحاذان : ما وقع عليه الذنب من الفخذين . والحارك : أعلى الكاهل . وقيل : هو منبت أذن العرف
إلى الظهر الذي يأخذ به الفارس إذا ركب . وقيل : هو عظم مشرف من جانبي الكاهل .

(٤) في الموشح : مطار القلب مخدور (٥) الموشح : ٩١ ، ونسبه إلى الخطيئة فيه .

(٦) الموشح : ٩١ ، ومعجم ما استعجم ١ : ٢٨٤ . (٧) الموماة : المغارة ، وقيل :

التي لا ماء فيها ولا أنيس . وعمرو ، وقابوس : هما ابنا المنذر بن ماء السماء . والبيت في معجم
ما استعجم : ١ - ٢٨٤ :

لن تسلكي سبل البوابة منجدة ما عشت عمرو وما عمرت قابوس

وقال : البوابة ثنية في طريق نجد يتحدر منها راكبها إلى العراق .

أراد [ما عاش عمرو]^(١) وما عمر قابوس .

وقول الأَعشى^(٢) - حكاة بعض الأديباء وعابه :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ سُجُوفَ الْحِجَابِ لِ لَمْ تَرِ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا
قال : لا توضع الشمس مع الزمهرير . قال : وكان يجب أن يقول ، لم تر شمسة
ولا قمرًا ، ولم يصبها حرٌّ ولا قترٌ ، وقد أخطأ لأن القرآن قد جاء فيه موضع هاتين
اللفظتين مما .

ومن المطابقة أن يتقارب التضاد دون تصريحه ، وهذا كثير في كلامهم . وقد
أوردناه في باب الطباق .

وكقول علقمة^(٣) :

يَحْمِلُنْ أَنْزَجَةً نَضَخُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
والتطياب ها هنا على غاية السماجة . والطيب أيضًا مشموم لا محالة ، فقوله :
كأنه مشموم هجته . وقوله : في الأنف أهجن ؛ لأن الشم لا يكون بالعين .
وقول عامر بن الطفيل^(٤) :

تَنَاوَلْتُهُ فَاحْتَلَّ سَيْفِي ذُبَابُهُ شَرَّاشِيفَةَ الْعُلْيَا وَجَدَّ الْمَاعِصِمِ^(٥)
وهذا البيت على غاية التكلف .

وقول خفاف بن ندبة^(٦) :

إِنَّ تَعْرِضِي وَتَضَنِّي بِالنَّوَالِ لَنَا تَوَاصِلِينَ^(٧) إِذَا وَاصَلْتِ أُمَّثَالِي
وكان ينبغي أن يقول : إن تضنني بالنوال علينا ، على أن البيت كله مضطرب
النسج .

(١) الزيادة من الموشح . (٢) الموشح : ٩١ ، ويفهم من سياق كلامه أن البيت للمتأسس .

(٣) في الموشح : وقوله : ٩١ . (٤) الموشح : ٩٩ . (٥) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به

أوحده . والشراشيف ، واحده شرسوف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن .

(٦) الموشح : ٩١ . (٧) في الموشح : فواصلن .

وقول الحطيئة^(١) :

صفوف ومأذئ الحديد عليهم وببيض كأولاد النعام كثيف^(٢)
جعل بيض النعام أولادها .

ومن عيوب اللفظ استعماله في غير موضعه المستعمل فيه ، وحمله على غير وجهه
المعروف به ؛ كقول ذي الرمة^(٣) :

نغار إذا ما الروع أبدي عن البرى ونقرى عبيط اللحم والماء جامس
لا يقال : ماء جامس ، وإنما يقال : ودك جامس .

وقول جرير^(٥) :

لما تددت كرت بالديرين أرقيني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
قالوا : لا يكون التأريق إلا أول الليل . والدجاج : الديكة ها هنا .

وقول عدى بن زيد في الفرس : «فارها متابها» . لا يقال : فرس فاره ، وإنما يقال
بغل فاره .

وقول النابغة^(٦) :

رفاق النعال طيب حجزاتهم يحمون بالريحان يوم السباب^(٧)
مدح بذلك ملوكاً بأنهم يحمون بالريحان يوم السباب ، ويوم السباب يوم
عيد لهم ؛ ومثل هذا لا يمدح به السوق فضلاً عن الملوك .

(١) الموشح : ٨٩ . (٢) المأذئ : الدرع اللينة السهلة . (٣) ديوانه : ٤٦ ،
واللسان - مادة جس . (٤) البرى : مثل الورى لفظاً ومعنى . والجامس : الجامد . والبيت
في الديوان :

نغار إذا ما الروع أبدي عن البرى ونقرى عبيط اللحم والماء جامس
(٥) ديوانه : ٣٢١ . (٦) ديوانه : ١٢ . (٧) يوم السباب : يوم الشعانين
وهو يوم عيد لنصارى ، وكان الممدوح نصرانياً .

ومنه قوله فيهم^(١) .

* وأكسية الإضريح فوق المشاجب^(٢) *

جعل لهم أكسية جُمراً يضعونها على مشاجب . فترى لو كان لهم ديباج أين كانوا يضعونه ؛ وليس هذا مما يمدح به الملوك .

ومن الرديء أيضاً قول امرئ القيس^(٣) :

أرانا موضعين لأمرٍ غيبٍ ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافيرٍ وذبانٍ ودودٍ وأجرٍ من مجلحة الذئاب^(٤)

هذا وإن لم يكن مستحسباً ، فهو على غاية القباحة في اللفظ وسوء التمثيل .

وقول بشر :

على كل ذي ميمة ساجٍ يقطع ذو أبهرية الحزاما^(٥)
وإنما له أبهر واحد .

ومن الأبيات العارية الخربة من المعاني قول جرير للأخطل^(٦) :

قال الأخطل إذ رأى راياتكم يامار سرجس لا أريد قتالا
ومن المتناقض قول عروة بن أذينة^(٧) :

نزلوا^(٨) ثلاث مئني بمنزل غبطة وهم على غرض لعمرك ما هم

(١) ديوانه : ١٢ . (٢) المشاجب : جمع مشجب ، وهو عود ينشر عليه الثوب . وصدر

البيت :

* تحميمهم بيض الولائد بينهم *

قال الأصمعي في معنى البيت : هم ملوك أهل نعمة فخدمهم الإماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الأعواد . (٣) ديوانه : ١٢٠ ، واللسان - مادة جلع .

(٤) موضعين ، من الإيضاح : ضرب من السير . وذئب مجلج : جرى .

(٥) الميمة من الفرس : أول جريه ونشاطه . وقيل : الميمة من كل شيء : معظمه .

(٦) ديوانه : ٤١٤ . (٧) الموشح : ٢١١

(٨) في الموشح : لبثوا ثلاث .

متجاورين بنسب دار إقامة لو قد أجد رحيلهم لم يندموا
فقال: لبثوا في دار غبطة، ثم قال: لو رحلوا لم يندموا.
ومثله قول جرير (١):

فلم أرَ داراً مثلها دارَ غبطةٍ ومَلَقَى إذا التَفَّ الحَجِيجُ بِمَجْمَعِ
أَقْلٍ مَقِيماً رَاضِياً بِمَقَامِهِ وَأَكْثَرَ جَاراً ظَاعِناً لَمْ يُوَدِّعْ
وهل يفتبطُ عاقِلٌ بِمَكَانٍ مِنْ لَا يَرْضَى بِهِ (٢).
وقول جميل (٣):

خَلِيلِيَّ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلَا بَسَكِي مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ مِثْلِي (٤)
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا (٥) وَلَكِنْ طَلَا بِهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
زعم أنه يهواها لنهاب عقله، ولو كان عاقلاً ما هوىها.
والجيد قول الآخر (٦):

وَمَا سَرَنِي أَنِّي خَلِيلِيَّ مِنَ الْهَوَى وَلَوْ أَنَّ لِي مِنْ بَيْنِ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ
فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُبُّ ذَنْبِي إِلَيْكُمْ فَلَا غَفَرَ الرَّحْمَنُ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبٍ
وقول الآخر:

أَحْبَبْتُ قَلْبِي لِمَا أَحَبَّكُمْ وَصَارَ رَأْيِي لِرَأْيِهِ تَبَعاً
وَرُبَّ قَلْبٍ يَقُولُ صَاحِبُهُ تَبّاً لِقَلْبِي فَبِئْسَ مَا صَنَعَا

والجيد في هذا المعنى قول البحتري (٧):

وَيَعْجَبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجَبْنِي لَوْلَا مَحَبَّتُكَ الْفَقْرُ
وقول المرجى:

مَنْ ذِكْرِي لَيْلِي وَأَيُّ الْأَرْضِ مَا سَكَنْتُ لَيْلِي فَإِنِّي بَتَلْتُكَ الْأَرْضَ مُحْتَسِبُ

- (١) الموشح: ٢١٢ ونسب فيه البتان إلى كثير. (٢) عبارة الموشح: وهل يفتبط
عاقل بمكان ولا يرضى به. (٣) ديوانه: ٤٨، والموشح: ١٥٩.
(٤) في الموشح: قلبى. (٥) في رواية للموشح صفحة ١٦٠: ما بكيتها.
(٦) هو مجنون بن عامر كما في سر الفصاحة صفحة ٢٤٦. (٧) ديوانه: ٢١٨.

ومنه :

مثل الضفادع تقفون وحسبهم إذا خلوا وإذا لا قبيهم خرس

وقال ابن داود : من التشبيه الذي لا يقع أبرد منه قول أبي الشيبان :

وناعس لو يذوق الحب ما نعا بلى عسى أن يرى طيف الحبيب عسى
وللهوى جرس ينفي الرقاد به فكما كدت أغفى حرك الجرسا

وقول الآخر :

إن قلبي سئل من غير مرض (١) وفؤادي من جوى الحب غرض (٢)

كجرباب كان فيه جبن دخل الفأر عليه فقرض

وقال عبد الملك يوماً لجلسائه : أعلمتم أن الأخوص أحق لقوله :

فما بيضة بات الظليم يحفها ويجعلها بين الجناح وحوصله

بأحسن منها يوم قالت تدلا تبدل خليلي إنني متبدله

فما أعجبه وهي تقول هذه المقالة !

والجيد قول أبي تمام (٣) :

لا شيء أحسن منه ليلة وصله (٤) وقد اتخذت مخدة من خده

وأنشد عبد الملك قول نصيب (٥) :

أهيم بدعدي ما حبيت فإن أمت فواجزنا من ذا بهيم بها بمدى (٦)

فقال بعض من حضر : أساء القول ؛ أيجزن لمن بهيم بها بعده؟ فقال عبد الملك :

فلو كنت قائلاً ما كنت تقول ؟ فقال :

(١) في ١ ، ب : « إن جسمي » . (٢) الغرض : الضجر والملال .

(٣) ديوانه : ٤٤٠ (٤) في الديوان : ليلة وصلنا . (٥) الموشح : ١٨٩ ، ١٦٠ .

(٦) فوط : ممن بهيم .

أَهِيمٌ بَدَعِدُ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمَّتُ^(١) أَوْ كَلُّ بَدَعِدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَسْوَأُ قَوْلًا ؛ أَتَوَكَّلُ مِنْ يَهِيمُ بِهَا ! ثُمَّ قَالَ :
الْجِيدُ^(٢) :

أَهِيمٌ بَدَعِدُ مَا حَيَّيْتُ^(١) فَإِنْ أُمَّتُ فَلَا صَلَاحَتَ دَعْدُ لَدِي خَلَّةَ بَعْدِي
وَأَخَذَ الْأَصَمَعِيُّ عَلَى الشَّمَاخِ قَوْلَهُ^(٣) :

* رَحَى حَيْرُومِهَا كَرَحَى الطَّحِينِ^(٤) *

وَقَالَ : السَّمْدَانَةُ^(٥) تَوْصَفُ بِالصَّغْرِ . فَقَالَ مَنْ احْتَجَّ لِلشَّمَاخِ : إِنَّمَا شَبَّهَهَا بِالرَّحَى
لصَلَابَتِهَا^(٦) ، كَمَا قَالَ :

* فَلَائِصٌ يَطْحَنُ الحَصَى بِالكَرَاكِرِ^(٧) *

وَمِنَ الْمَعِيْبِ قَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ هَذَا^(٨) :

أَوَمْتَ بِكَفَيْهًا مِنَ الْهُودَجِ لَوْلَاكَ فِي^(٩) ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجُجْ
أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي حُبًّا وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَخْرُجْ
لَا يُبْنَى الْإِيْمَاءُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلِّهَا .
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ^(١٠) :

(١) رواية الموشح ١٨٩ : * تحببكم نفسى حياتى فإن أمت * *

(٢) الموشح : ١٦٠ ، ١٨٩ . (٣) ديوانه : ٩٢ ، واللسان - مادة رحي .

(٤) الرحي : الأولى كركرة البعير والناقاة ؛ أى زور البعير الذى إذا برك أصابته الأرض وهى
ناشئة عن جسمه كالفرصة . وقيل : هى الصدر من كل ذى خف . والحيزوم : الصدر ، وقيل :
الوسط . وصدر البيت كما فى اللسان : * فنعم المعترى ركدت إليه * مادة رحي . وصدره
فى الديوان : * فنعم المرتجى ركدت إليه * *

(٥) السمدانة : الرحي . (٦) عبارة شارح ديوانه : شبهها بالرحى فى الصلابة

لا فى العظم لأنه يعاب فى الإبل . (٧) القلائص ، جمع فلوص ؛ وهى الفتية من الإبل .

(٨) الموشح : ٩٢ . (٩) فى الموشح : لولاك هذا العام . (١٠) الموشح : ٩٢ ،

واللسان - مادة درأ ، ووضن .

تقول إذا درأت لها وصيني أهدنا دينه أبداً وديني^(١)
أكل الدهر حلُّ وارتمال^(٢) أما يُبقى عليّ ولا يقيني

والذي يقارب الصواب قول عنتره^(٣):

فأزور من وقع القنأ بلبانه وشكاً إلى بعبرة وتحمم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولسان لوعلم الكلام مكلمي

ومن النسب الرديء قول نصيب^(٤):

فإن تصلى أصلك وإن تعودي لهجر^(٥) بعد وصلك لا أبالي
وذلك أن التجلد من العاشق مذموم . وفي خلاف ذلك قول زهير^(٥):

لقد باليت مطعن أم أوفى ولكن أم أوفى لا تبالي

وقول عمر بن أبي ربيعة^(٦):

قالت لها أختها تعادبها^(٧) لا تُفسدن الطواف في عمر

قومي تصدّي له ليُبصرنا^(٨) ثم اغمز به يا أخت في خفر^(٩)

قالت لها قد غمزته فأبي ثم أسبكرت تشتدني أرى^(١٠)

فشبب بنفسه ووصفها بالفتح ، وناقض في حكايته عن صاحبها ؛ فذكر نهياً

إياها عن إفساد الطواف فيه ، ثم إنها قالت لها : « قومي انظري » .

(١) درأت وضمين البهيم : إذا بسطته على الأرض ، ثم أبركته عليه لتشد به . والوضين :

بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يشد به الرجل على البهيم . وفي اللسان - مادة وضم :

* أهدنا دأبه أبداً وديني * (٢) ديوانه : ٨٦ ، والموشح : ٩٢

(٣) الموشح : ١٦٣ ، وسر الفصاحة : ٢٤٦ (٤) في سر الفصاحة : وإن تبيني

بهجر ، وفي الموشح : وإن تبيني بصرمك قبل وصلك . (٥) ديوانه : ١٤٢ .

(٦) الموشح : ١٦٢ ، ١٦٣ ، العمدة : ٢ ، ١١٨ (٧) رواية الموشح :

* قالت لثرب لها تعادبها * قال : ويروي : * قالت لأخت لها تعادبها *

(٨) في رواية : تصدى له ليعرفنا . (٩) الخمر : شدة الحياء .

(١٠) المنبكر : المسترسل ، ورواية الموشح : « أسبكرت » .

ومما جاء في ذلك من أشعار المحدثين قول بشار (١) :
إِنَّمَا عَظُمُ سُلَيْمَى حَبِستى (٢) قصبُ السكر لا عظم الجمل
وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا (٣) بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
وقوله (٤) :

* وبعض الجود خزير *

ومن المعاني البشعة قول أبي نواس (٥) :
يا أحمدُ المُرْتَجَى في كلِّ نائبةٍ قم سيدي نعص جبار السموات
فهذا مع كفره ممقوت .
وكذا قوله :

* لو أكرت المسيح ما نجّاه *

وقوله (٦) :

* من رسول الله من نفره *
وقد تبع في هذا القول حسان بن ثابت في قوله (٧) :
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
والخطأ من كل واحد خطأ .
وقول أبي نواس أيضاً (٨) :

* أحب قريشاً أحب أحدها *

وقوله (٩) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشِّبَةَ فَاشْتَبَهَا خَلَقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدَّ الشَّرَّكَانِ

(١) الموشح : ٢٤٨ ، ٢٥٠ . (٢) في الموشح : خلتي . وحبتي : محبوبتي ، وفي رواية له * إن سليمان خلقت من قصب * (٣) في الموشح رواية : من نصل .
(٤) الموشح : ٢٥٠ . (٥) الموشح : ٢٦٩ .
(٦) ديوانه : ٦٨ . وصدرة : * كيف لا يدنيك من أمل * (٧) ديوانه : ٢٥٠ .
(٨) ديوانه : ١٥٧ ، وتمامه : * وأعرف لها الجزل من مواهبها * (٩) الموشح : ٢٦٩ .

فزعم أن ابن زُبَيْدَةَ^(١) مثلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في خلقه وخلقه .
ومثل ذلك قول أبي الخلال في يزيد بن معاوية :

يأيها الميتُ بجوارِيتنا إنك خيرُ الناسِ أجمعينا

وقول أبي العتاهية :

غَنَيْتَ عن الوصلِ التَّكْمِيمَ غَنَيْتَا وَضَيَّعْتَ وُدًّا كَانَ لِي وَنَسَيْتَا^(٢)
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ^(٣) أَنْ يَمَاتَ مَا لَفَى وَمَنْ كُنْتَ تَرَعَانِي^(٤) لَهُ وَبِقَيْتَا
تَجَاهَلْتَ عَمَّا كُنْتَ تَحْسِنُ وَصَفَهُ وَمَتَّ عَنِ الْإِحْسَانِ حِينَ حَيَّيْتَا

وليس من العجب أن يموت إنسان ويبقى بدمه إنسان آخر ؛ بل هذه عادة الدنيا
والمهزود من أمرها ، ولو قال : « من ظلم الأيام » كان المعنى مُستَوِيًّا .

وسمعتُ بعضَ العلماءِ يَقُولُ : ومن المعاني الباردة قولُ أبي نواس في صفة البازي :

في هامةِ عُلَمَاءِ مُهْدِي مَنْسَرَا كعطفة الجيم بكفِّ أَعْسَرَا
فهذا جيدٌ مَلِيحٌ مُسْتَوِيٌّ فِي

ثم قال :

يقولُ مَنْ فِيهَا بَعْقَلٌ فَكَّرَا لَوْ زَادَهَا عَيْنًا إِلَى فَاءِ وِرَا

* فَاتَّصَلَتْ بِالْجِيمِ صَارَ جَعْفَرَا *

فمن يجهل أن الجيم إذا أضيف إليها العينُ والفاءُ والراءُ تصير جعفرًا .
وسواء قال هذا ، أو قال :

لَوْ زَادَهَا حَاءٌ إِلَى دَالٍ وَرَا فَاتَّصَلَتْ بِالْجِيمِ صَارَ جَعْدَرَا

وما يَدْخُلُ فِي صِفَةِ الْبَازِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ .

(١) قد قال هذا الشعر في الأمين . (٢) في ديوانه : * وضيعت عهداً كان لي ونسيتنا *

(٣) في الديوان : ومن عجب الأيام . (٤) ومن كنت تشناني به .

وتبعه أبو تمام فقال^(١) :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَّرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِرِنَّ فَإِنَّنِي حِمَامٌ^(٢)
فمن ذا الذي جهل أن الحمام إذا كسرت حائرها صارت حماماً .

وإنما أراد أبو نواس أنه يشبه الجيم لا يُغَادِرُ من شبهها شيئاً ، حتى لو زِدَتْ عليها هذه الأحرف صارت جعفرًا لشدة شبهها به ، وهو عنسدى صوابٌ ، إلا أنه لو اكتفى بقوله : « كعطفة الجيم بكف أعسرا » ولم يَزِدْ الزيادة التي بعدها كان أجوداً وأرشقاً وأدخَلَ في مذاهب الفصحاء ، وأشبهه بالشعر القديم .

وأما قولُ أبي تمام فله معنى خِلافٌ ما ذكره ، وذلك أنه أراد أنك إذا أردت الزَجْرَ والعِيَافَةَ أدَّاكَ الْحَمَامُ إِلَى الْحَمَامِ ، كما أن صوتها الذي يُظنُّ أنه بكاء إنما هو طَرَبٌ ، ويؤدِّيك إلى البكاء الحقيقي^(٣) ؛ وهذا المعنى صحيح ؛ إلا أن المعنى إذا صار بهذه المنزلة من الدقة كان كالمعنى ؛ والتعمية حيث يراد البيان عيٌّ .
ومن عيوب المعنى قولُ أبي نواس في صفة الأسد^(٤) :

كأَما عَيْنُهُ إِذَا نَظَرَتْ بَارِزَةَ الْجَفْنِ عَيْنٌ مَخْنُوقٌ
فوصف عين الأسد بالجُحُوظ ، وهي تُوصَفُ بِالْعُورِ ؛ كما قال الرَّاجِزُ^(٥) :

* كأنما ينظر من خرق حَجَرٍ *

وكقول أبي زبيد :

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ فِي وَقْبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قَيْضًا اقْتِيَاضًا بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِيرِ^(٦)

(١) ديوانه : ٢٧٩ . (٢) الحمام ، بكسر الحاء : الموت .

(٣) هذا إشارة إلى معنى يتبين سبقا هذا البيت وهما :

انحدرت عبرات عينك إن دعت ورفاء حين تضعض الإظلام
لا تشجين لها فإت بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرام

(٤) الشعر والشعراء ٧٧٥ ، والديوان ٩٠ (٥) أراجيز العرب : ٢٢ ، والراجز هو حميد

الأرقط : وروايته هناك * كأنما عيناه في حرفي حجر *

(٦) الشعر والشعراء ٧٧٥ ، الوقب في الحجر : قفرة يجتمع فيها الماء . وقبضا : حفرا .

وقوله أيضا :

وَعَيْنَانِ كَالْقَبِينِ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ يُرَى فِيهِمَا كَالْجُرْتِينِ . تَسْمَرُ
وَأَنْشَدَ مِرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ مَمَارَةَ بْنَ عَقِيلٍ بَيْتَهُ فِي الْمَأْمُونِ (١) :
أَضْحَى إِمَامُ الْهُدَى الْمَأْمُونُ مُشْتَغِلًا بِالدِّينِ ، وَالنَّاسُ بِالدُّنْيَا مَسَاعِلُ
فَقَالَ لَهُ : مَا زِدْتَهُ عَلَى أَنْ وَصَفْتَهُ بِصَفَةِ عَجُوزٍ فِي يَدَيْهَا مَسْبَاحُهَا ؛ فَبَلَاقَلْتُ :
كَأَنَّ جَدِّي فِي عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيْبُهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ
وَمَنْ الْغَلَطِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ (٢) :
رَقِيقُ حَوَائِثِ الْجِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدٌ (٣)
وَمَا وَصَفَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْجِلْمَ بِالرِّقَّةِ ، وَإِنَّمَا يَصِفُونَهُ
بِالرَّجْحَانِ وَالرِّزَانَةِ ؛ كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ (٤) :

وَأَعْظَمُ أَحْلَامًا وَلِي كَبِيرِ سَيِّدًا وَأَفْضَلُ مَسْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَا فِيمَا
وَقَالَ الْأَخْطَلُ (٥) :
صَمٌّ عَنِ الْجَهْلِ عَنِ قَيْسِ ، الْخَنَازِرُ صَمٌّ وَإِنِ الْمَتَّ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبْرًا (٦)
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وَقَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ (٧) :

وَصَبْرُهُ عَلَى حَدِيثِ النَّائِبَاتِ وَجِلْمُ رَزِينٍ وَعَقْلُ ذَكِيٍّ

(١) سر الفصاحة ٢٤٨

(٢) ديوانه : ١٢١ ، الموازنة ٦٣ . (٣) في الديوان : لو ن خلفه . ماريت : جادلت .

(٤) ديوانه : ٧٤ . (٥) الشعر والشعراء : ٤٧٠ ، الموازنة : ٦٣

(٦) رواية البيت في الشعر والشعراء :

حشد على الحق عيافو الحنا أنف إذا ألت بهم مكروهة صبروا

(٧) أشعار المهذلين : ١ : ٦٨ ، الموازنة : ٦٣ .

وقال عدي بن الرقاع (١) :

أبت لكم مواطن طيبات وأحلام لكم تزن الجبالا

وقال الفرزدق (٢) :

إننا نتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

ومثل هذا كثير .

وإذا ذموا الرجل قالوا: خفّ سلمه وطاش، كما قال عياض بن كثيره

الضبي (٣) :

تنايلة (٤) سود خفاف حلومهم ذور نيرب في الحى يندو ويطرق

وقال عتبة بن هيرة الأسدي :

أبنو الغيرة مثل آل خويلد يالرجال لخنفة الأحلام

لا ، بل أحسنى سميت بيتا لبعض المحدثين يصف فيه الحلم بالرقّة وليس

بالمختار .

ومن خطئه أيضاً قوله (٥) :

من الهيف لو أن الخلال صيرت لها وشحاً جالت عليها الخلال

ولو قال: «نطقاً» لكان حسناً ، وهذا خطأ كبير؛ وذلك أن الخلال قدره في

السمية معروف ، ولو صار وشاحاً للمرأة لكانت المرأة في غاية الدمامة والقصر ، حتى

[لو كانت] هي في خلقة الجرذ والهرة ، ولو قال: «حقباً» لكان جيداً ، كما قال النمرى (٦) :

ولو قست يوماً حججها بحقها (٧) لكان سواء ، لا ، بل الحجج أوسع

(١) الموازنة : ٦٤ . (٢) الموازنة : ٦٤ . (٣) الموازنة : ٦٤ .

(٤) في الموازنة : قبانله . تنايلة : واحده تنبال ، وذلك الرجل القصير . والنيرب : السم

والنيمة . (٥) الفائق أبو تمام ، ديوانه ٢٥٦ ، والموازنة ٦٩ . (٦) الموازنة ٦٦ .

(٧) الحجج ، بفتح الحاء وكسرهما : الخلال . والحقاب : شئء تعلق به المرأة الحلى وتشده

في وسطها .

فجعل الحِجْلَ أَوْسَعَ من الحِقَابِ ؛ لأنَّ امتلاءَ الأسواقِ محمودٌ ودِقَّةُ الحِصْبِ

مدوح .

والجِنْدُ في ذِكْرِ الوِشَاحِ قولُ ذِي الرِّمَّةِ (١) :

عَجْزَاءُ مَمْكُورَةٌ مَخْمَصَانَةٌ . قَلْبُ قِوْ
عنها الوِشَاحُ وتمَّ الجِسمُ والقَضْبُ (٢)

وقال ابن مقبل :

وقد دَقَّ منها الحِصْرَ حتَّى وِشَاحُهَا
يَجُولُ ، وقد عمَّ الخِلاخِيلَ والقُلْبَاءُ (٣)

وقال طرْفَةُ (٤) :

وملء السوار مع الدُّمْلَجِينَ
وأما الوِشَاحُ عليها فِجْالًا

وقال كثير (٥) :

يَجُولُ الوِشَاحُ بِأَقْرَابِهَا (٦)
وتَأْتِي خَلَاخِلُهَا أَنْ تَجُولَا

ومن الخطأ قولُه - أي أبو تمام (٧) :

قَسَمَ الزَّمَانُ مِربوعِهَا بَيْنَ الصَّبَا
وقَبُولِهَا ودَبُورِهَا أنْ لَأَمْنَا

والصَّبَا : هي القَبُولُ .

أخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي خاتم عن الأصمعي

قال : منبج الجنوب من مَطْلَعِ سهيل إلى طرف جناح الفجر ، وما يُقَابِلُ ذلك من

ناحية المغرب ، فهي الشمال ، وما يجيء من وراء البيت الحرام فهي دبور ، وما يقابل

ذلك فهي القبول ، والقبول والصبا واحدة .

(١) ديوانه : ١٢ ، الموازنة : ٦٦ . (٢) العجزة : العظيمة العجز . والمكورة :

مستديرة السافين ، أو المرتوية الساق . والحمصانة : الضامرة البطن . والقلق : الاضطراب عن ضيق

أو سعة . والوشاح : هو ما نقله المرأة متشعبة به . (٣) القلب : السوار ، والبيت في الموازنة

صفحة ٦٧ هكذا :

ومن دق منها الحصر حتى وشاحها يجول وقد عم الخلاخيل والقلبا

(٤) الموازنة : ٦٧ . (٥) الموازنة : ٦٧ . (٦) القرب - بضم الفاء وسكون

الراء : الحاصرة ، والجمع بأقرب . (٧) ديوانه : ٦٣ ، الموازنة : ٧٠ .

والجيد ما قال البحترى (١) :

متروكةٌ للريح بين شمالها وجنوبها ودبورها وقبولها
وأما قوله (٢) :

شَنَنْتِ الصَّبَا إِذْ قِيلَ وَجَّهَنَ قَصْدَهَا وَعَادَتُ مِنْ بَيْنِ الرِّيحِ قَبُولَهَا
فإنما معنى شَنَنْتِ هذين الاسمين ؛ لأنَّ حَمُولَ الظَّاعِنِينَ تَوَجَّهَتْ نَحْوَهَا .

ومن الخطأ قول أبي المعتصم :

كأَنَّمَا أَرْبَعُهُ إِذَا تَنَاهَيْنَ الثَّرَى رِيحَ الْقَبُولِ وَالذَّبُورِ وَالشَّمَالِ وَالصَّبَا
ومن الخطأ قوله - أي أبو تمام - (٣) :

الوَدُّ لِلْقُرْبَى وَلَكِنْ عُرْفُهُ (٤)

ولا أعرف لِمَ حرم أقارب هذا المدوح عُرْفَهُ وصيره للأبعدين ؟ فنقصه الفضل

في صلة الرحم ، وإذا لم يكن مع الود نفع لم يمتدَّ به . قال الأعشى :

بَأَنْتِ وَقَدْ أَسَارَتْ (٥) فِي النَّفْسِ حَاجَتَهَا بَعْدَ ائْتِلَافٍ وَخَيْرُ الْوَدِّ مَا نَفَعَا

وقال القنع :

* جَعَلْتُ لَهُمْ مِنْنِي مَعَ الصَّلَةِ الْوَدَّ (٦) *

وقد أغرى أبو تمام بهذا القول أقباء المدوح ؛ لأنهم إذا رأوا عُرْفَهُ يَقْبِضُ

في الأبعدين ويقصر عنهم أَبْغَضُوهُ وَدَمَوْهُ .

وقد ذمَّ الشاعر الطريقة التي يمدح بها أبو تمام ، فقال :

كمرضعةٍ أولادٍ أخرى وضيعتُ
بينها فلم ترَقَّعْ بِذَلِكَ مَرَقَمَا

وقال آخر - وهو ابنُ هرمة (٧) :

(١) ديوانه : ١٨٤ ، الموازنة : ٧٠ . (٢) ديوانه : ١٩٧ ، الموازنة : ٧٠ .

(٣) ديوانه : ١٤ . (٤) العرف : عمل المعروف . (٥) أسارت : أبيت .

(٦) صدر البيت كما في الموازنة : * إذا جمعوا صرى معاً وقطعتني * .

(٧) الموشح ٢٣٧ .

كِنَارِكُمْ بِيَمِينِهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسَةٍ بِيَمِينِ أُخْرَى جَنَاحًا
 وقال أبو دؤاد الإيادي (١) :
 إِذَا كُنْتَ مَرْتَادَ الرَّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فَرِشْنٌ (٢) وَأَصْطَنِعُ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي
 وقال آخر (٣) :

وَإِذَا أَصَبْتَ مِنَ النَّوَافِلِ رَغْبَةً وَذَمًّا قَدِيمًا الْمَذْهَبَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ مَسَافِرَ الْعَبْشِيِّ ، فَقَالَ (٤) :
 فَامْنَحْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَى فَضْلَهَا تَمَدَّ إِلَى الْأَقْصَى بِشَدِّكَ كَلَّهُ وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى صُرُورٌ مُجَدِّدٌ
 فَإِنَّكَ لَوْ أَصْلَحْتَ مَنْ أَنْتَ مُفْسِدٌ تَوَدَّدَكَ الْأَقْصَى الَّذِي تَتَوَدَّدُ
 وقال المسيب بن علس (٥) :

مَنْ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الْأَبْعَدِينَ وَيَشْقَى بِهِ الْأَقْرَبُ الْأَقْرَبُ
 وقال الحارث بن كلدة (٦) :
 مَنْ النَّاسِ مَنْ يَنْفَى الْأَبَاعَ نَفْعَهُ وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى الْمَاتِ أَقْرَبَهُ
 وقد ذهب البحتری مذهب أبي تمام ، فقال (٧) :

بَلْ كَانَ أَقْرَبُهُمْ مِنْ سَبِيهِ سَبِيًّا مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمًا
 إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُخْرِجُهُمْ مِنْ مَعْرُوفِهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ دَخَلَ تَحْتَ الْإِسَاءَةِ .
 وَالْجَيِّدُ قَوْلُهُ (٨) :

ظَلَّ فِيهِ الْبَعِيدُ مِثْلَ الْقَرِيبِ بِ الْمُحْتَسِبِيِّ وَالْمَدْرُؤُ مِثْلُ الصَّدِيقِ
 وقوله أيضاً (٩) :

مَا إِنْ يَزَالَ النَّدَى يَدْنِي إِلَيْهِ يَدًّا مُمْتَاخَةً مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ وَالرَّحِمِ

(١) الموازنة : ٨١ . (٢) رأس النهم : أنزق عليه الريش . (٣) الموازنة : ٨٣ .
 (٤) الموازنة : ٨٣ . (٥) الموازنة : ٨٣ . (٦) الموازنة : ٨٣ . (٧) الموازنة : ٨٣ ،
 ديوانه : ٢٦٠ . (٨) الموازنة : ٨٤ . (٩) الموازنة : ٨٤ .

ومن الخطأ قوله (١) :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوْسَعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِ بَلَدٍ
وذلك أن البلدان التي تضيق بأهلها لم تضيق بأهلها لضيق الأرض ، ومن اختطت
البلدان لم تختطها على قدر ضيق الأرض وسعتها ؛ وإنما اختطت على حسب الاتفاق ؛
ولعل المسكون منها لا يكون جزءاً من ألف جزء ؛ فلا ي معنى تصييره ضيق البلدان
الضيقة من أجل ضيق الأرض . والصواب أن يقول : ورحب صدر لو أن الأرض
واسعة كوسعها لم يسعها الفلك ؛ أو لضائق عنها السماء ؛ أو يقول : لو أن سعة كل
بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد .
والجيد في هذا المعنى قول البحترى (٢) :

مَفَازَةُ صَدْرٍ لَوْ تَطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ لَيْسَلُكُمَا فَرْدًا سَلِيكُ الْمَقَانِبِ (٣)
أى لم يكن لَيْسَلُكُمَا إلاً بدليل لسعتها ؛ على أن قوله «مفازة صدر» استعارة
بميدة .

ومن الخطأ قول أبي تمام (٤) :

سَأَمَهُ نَصْرًا (٥) مَا حَبِيتُ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الْحَمْدِ
وقد رفع المدوح عن الحمد الذي رضي به الله جل وعز لنفسه ، وندب عباده
لذكره ونسبه إليه ، وافتتح به كتابه . وقد قال الأول : الزيادة في الحد نقصان ،
ولم نعرف أحداً رفع أحداً عن الحمد ، ولا من استقل الحمد للمدوح .
قال زهير بن أبي سلمى (٦) :

مَتَصَرَّفٌ لِلْحَمْدِ مَعْتَرِفٌ لِلرِّزِّ نَهَاضٌ إِلَى الذِّكْرِ
وقال الأعشى (٧) :

(١) ديوان أبي تمام : ٩٧ . (٢) ديوانه : ٧٣ . (٣) المقانِب : واحده مقنب بالكسر
جماعة الخيل والفرسان . (٤) ديوانه : ١١٦ . (٥) هو نصر بن منصور بن بسام المدوح
(٦) ديوانه : ٩٣ ، الموازنة : ٩١ . (٧) الموازنة : ٩٢ .

ولكن على الخمد إنفاقه وقد يشتريه بأغلى ثمن

وقال الحطيمية :

* ومن يُعطِ أمانَ الحامدِ يُحمَدِ *

وقالت الخنساء (١) :

ترى الحمدَ يهوى إلى بيته ترى أفضلَ المجدِ أن يُحمدا
والجيدِ قولُ البحترى (٢) :

لو جَلَّ خلقٌ قطَّ عن أكرؤمةٍ تنشئُ جَلَّتْ عن الندى والبأسِ
ومن الخطأ قوله (٣) :

ظعنوا فكان بكأى حولا بعدهم ثم ارعويتُ وذلك حُكمُ لبديدِ
أجدرُ بجمرةٍ لوعه إطفأوها بالدمع أن تزدادَ طولَ وقودِ
هذا خلاف ما يعرفه الناس ؛ لأنهم قد أجمعوا أن البكاء يُطفى الفليل ، ويرد
حرارة المحزون ، ويُزيل شدة الوجْدِ .

وذكروا أن امرأة مات ولدها فأمسكت نفسها عن البكاء صبرا واحتسابا ،
تفرج الدم من ثديها ؛ وذلك لما ورد عليها من شدة الحزن مع الامتناع من
البكاء .

وقد شهد أبو تمام بصحة ما ذكرناه ، وخالف قوله الأول ، فقال (٤) :

نثرت فريدَ مدامعٍ لم تُنظَمِ والدمعُ يحملُ بعضَ ثقلِ المعرَمِ (٥)
وقال (٦) :

واقِع (٧) بالحدود والبردُ منه واقِعٌ بالقلوب والأكبَادِ

(١) شواجر العرب : ٨ ، وفي رواية : جموع الضيوف إلى بيته يرى أفضل الكسب .

(٢) ديوانه ٢ - ٦٠ . (٣) الموازنة ٩٢ . (٤) ديوانه ٣١٢ ، الموازنة ٩٣

(٥) في ديوانه : بعض شجر المعرَم . (٦) ديوانه ٧٥ ، الموازنة ٩٣

(٧) في الديوان : واقعا بالحدود والحر منه .

وقال امرؤ القيس (١) :

وإن شفاني عبرة مَهْرَاقَةٌ فهل عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الأنباري ، قال : حدثنا محمد بن المرزبان ، قال ،
حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثنا محمد بن كناسه ، قال ،
قال أبو بكر بن عياش : كنتُ وأنا شابُّ إذا أصابتنِي مُصِيبَةٌ لَا أَبْكِي فَيَحْتَرِقُ
جَوْفِي ، فرأيتُ أعرابيا بالكِنَاسِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ وَهُوَ يَنْشُدُ (٢) :

خَلِيلِي عُوْجًا مِنْ صُدُورِ الرِّوَا حِلِّ
لعلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً
بِرَقَّةِ حَزْوِي (٣) فَبِكِيًا فِي الْمَنَازِلِ
مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ
فسألت عن الأعرابي ؛ فقيل : هو ذو الرِّمَّة ؛ فكنت بعد ذلك إذا أصابتنِي
مُصِيبَةٌ بَكَيْتُ فَاشْتَفَيْتُ . فقالت : قاتل الله الأعرابي ما كان أبصره !

وقال الفرزدق (٤) :

فقلت لها إنَّ البُكَاءَ لِرَاحَةٍ به يشتفى من ظنٍّ أن لا تَلَاقِيَا
وقد تبعه البحتري على إساءته ، فقال (٥) :

فَعَلَّامٌ فَيُضِ مَدَامِعَ تَدِيقِ الْجَوَى وَعَذَابَ قَلْبٍ فِي الْحَسَانِ مُعَذِّبِ
تدق : من الوديقة ، وهي المهاجرة لدنو الحرِّ فيها . والودق : أصله الدنو ؛
يقال : أَنَا نَوْدِيقٌ ، إِذَا دَنَتْ مِنَ الْفَحْلِ . والودق : القطر ؛ لدنوّه من الأرض بعد
انحلاله من السحاب .

والخطأ الفاحش له قوله ؛ أي أبو تمام (٦) :

رَضِيْتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا مِنْ لَهْ الْأَمْرِ
والمعنى : لست أرضى إذا كان الذي يُسْخِطُنِي هو الذي يَرْضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛

(١) ديوانه ١٩ . (٢) ديوان ذي الرمة ٧٠ . (٣) في الديوان : جمهور
حزوي ، وحزوي : موضع في ديار بني تميم . (٤) الموازنة ٩٣ .
(٥) ديوانه : ٦٠ ، الموازنة ٩٣ . (٦) ديوانه : ٤٧٥٠ .

لأن هل تقريرُ لفعل يَنْفِيهِ عن نفسه ، كما تقول : هل يمكنني القيام ؟ وهل آتى بما تكره ؟ ممناه لا يمكنني القيام . ومعنى قوله : هل أرضى إذا كان مُسْخِطِي ؟ أى لا أرضى .

ومن الخطأ قوله (١) :

ويوم (٢) كطول الدهر في عرض مثله ووجدى من هذا وهذالك أطول قد استعمل الناس الطول والعرض فيما ليس له ، استعمالاً مخصوصاً ، كقول كثير (٣) :

أنت ابن فرعى قریش لو تقايسها في المجد صار إليك العرض والطول
أى صار إليك المجد بتمامه .

وقول كثير أيضاً :

بطاحي له نسبة موصفي وأخلاق لها عرض وطول

فعلی هذا استعمل هذان اللفظان .

وقالوا : هذا الشيء في طول ذلك وعرضه ؛ إذا كان مما يرى طوله وعرضه ، ولا يُستعمل فيما ليس له طول وعرض على الحقيقة ، ولا يجوز مخالفة الاستعمال البتة . وكان أبو تمام قد استوفى المعنى في قوله : « كطول الدهر » ولم يكن به حاجة إلى ذكر العرض .

ومن الخطأ قول البحتري - ورواه لنا أبو أحمد عن ابن عامر لأبي تمام ، والصحيح أنه للبحتري :

بدت صفرة في لونه إن حدهم من الدر ما صفرت حواشيه في العقد

وإنما يوصف الدر بشدة البياض ، وإذا أريد المبالغة في وصفه وُصِفَ بالنصوع ، ومن أعيب عيوبه الصفرة . وقالوا : كوكب دري ، لبياضه ؛ وإذا اصفر احتيل

(١) ديوانه : ٢٤٤ ، الموازنة ٨٧ . (٢) في الديوان : بيوم . (٣) الموازنة ٨٧ .

في إزالة صُفْرته . لِيَتَضَوَّأ . واستعمال الحواشي في الدر أيضاً خطأ ؛ ولو قال نواتجيه ،
لكان أجود ، والحاشية للبرد والثوب ، فأما حاشية الدر فغير معروف ، وفيها :
وجرت على الأيدي مجسة جسمه كذلك موج البحر مُلْتَهَبُ الوَقْدِ
وهذا غلط ؛ لأن البحر غير مُلْتَهَبِ المَوْجِ ولا متقد الماء ، ولو كان متقدّاً
أو ملتهباً لما أمكن رُكوبه ؛ وإنما أراد أن يعظم أمر المدوح فجاء بما لا يعرف :
وفيها :

ولست ترى شوكة القتادة خائفاً مسموم رباح القادحات من الزند
وهذا خطأ ؛ لأنه شبه الليل بشوك القتاد على صلابته على شدة العلة ، وزعم
أن شوكة القتاد لا يخاف النار التي تقدح بالزناد . وقد علمنا أن النار تفلق الصخر
وتلين الحديد ؛ فكيف يسلم منها القتاد ؛ وليس لذكر السموم والرياح أيضاً في
هذا البيت فائدة ولا موقع .

ولما مات المتوكل أنشد رجل جماعة (١) :

* مَاتَ الخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ *

فقالوا : جيد ؛ نعى الخليفة إلى الجن والإنس في نصف بيت ، فقال :

* فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ *

فضحكوا منه .

ونُورِد هاهنا جملة نتمم بها معاني هذا الباب :

ينبغي أن تعرف أن أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف ، حتى كأنه

يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك ، وذلك مثل قول الشماخ في نبالة (٢) :

خَلَّتْ (٣) غَيْرَ آثار الأراجيل تر تمي تققعق في الآباط منها وفاضها

(١) في ديوان أبي العتاهية قلا عن كتاب العمدة : أن أبا العتاهية صاحب هذا القول .

(٢) ديوانه : ٥٣ . (٣) في الديوان : عفت ... تعرى . والأراجيل : الرجال .

تعرى : قصد .

فهذا البيتُ يَصوِّرُ لك هرولة الرجالة ، ووفاضها في آباطها تتمتع .
وإفاض جمع وفضة وهي الجمبة . وقول يزيد بن عمرو الطائي :
أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَأَنَّ رِجَالَهُمْ نَخِيلٌ أَنَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَالَهَا
فهذا التشبيه كأنه يَصوِّرُ لك القتلَى مصر وعين .

وقال المتأني في السحاب :

والنيمُ كالثوب في الآفاق مُنْتَشِرٌ من فَوْقَهُ طَبَقٌ مِنْ تَحْتِهِ طَبَقٌ
تظنه مُصْمِتًا لَأَفْتَقَ فِيهِ فَإِنْ سَأَلْتَ عِزَالِيَهُ قُلْتَ الثَّوْبُ مُنْفَتِقٌ
إِنْ مَعَمَعَ الرَّعْدُ فِيهِ قَلْتَ مِنْخَرِقٌ أَوْ لَأَلَّا الْبَرْقُ فِيهِ قَلْتَ مَحْتَرِقٌ
وينبغي أن يكون التشبيبُ دالًّا على شدة الصباية ، وإفراط الوجد ، والتهالك
في الصبوة ، ويكون برئًا من دلائل الخشونة والجلادة ، وأمارات الإباء والمزّة . ومن
أمثلة ذلك قول أبي الشيص (١) :

وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَيَاكِلِ لَذِيذَةٍ حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي اللَّهُمَّ
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحَبَّهُمْ . إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ
وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهْنَيْتَ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكَ مِنْ أَكْرَمٍ
فهذا غايةُ التهالك في الحب ، ونهايةُ الطاعة للمحبيب :

وإستجدَّ التشبيبُ أيضًا إذا تضمنَ ذِكْرَ التشوق والتذكُّرَ لماهد الأجابة ،
بهبوب الرياح ، ولتمع البروق ، وما يجري مجراها من ذِكْرِ الديار والآثار .

(١) العقد الفريد ٥ : ٣٧٤

فمن أجود ما قيل في الديار قول الأزدى :

فلم تدع الأرياح والقطر والبلى من الدار إلا ما يشف ويشغف

وفي ذكر البروق قول الأول :

سرى البرق من نحو الحجاز فشاقتني

بدا مثل نبض العرق والبعد دونه

نهاري بأشرف التسلاع مؤكل

فوا كيدي مما ألقى من الهوى

وكذا ينبغي أن يكون التشبيب دالاً على الحنين ، والتحسر ، وشدة الأسف ؛

كقوله :

ولست عشيّات الحمى برّ واجع

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني

وقال ابن مطير :

وكنت أذود العين أن ترد البكا

خليلى ما في العيش عيب لو أننا

فهذا يدل على تحسر شديد، وحنين مفرط .

وقول الآخر :

وددت بأبرق العيشوم أتى

أبأسره وقد نديت عليه

فحن إليه حين السقم إلى الشفاء .

ومن الشعر الدال على شدة التحسرة والسوق قول الآخر :

يقر بعيني أن أرى رملة الغضا

ولست وإن أحببت من يسكن الغضا

إذا ما بدت يوماً لعيني قلالها

بأول راج حاجة لا ينالها

(١) الساق : الطمش بين ربوتين ، وقيل : القاع الصنف .

وينبغي أن يُظهِرَ النَّاسِبَ الرَّغْبَةَ فِي الْحُبِّ ، وَأَلَّا يُظْهِرَ التَّبَرُّمَ بِهِ ، كَأَبِي صَخْرٍ
حِينَ يَقُولُ (١) :

فِي أَحْبَابِهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ كَلِيلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

وقول الآخر :

تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي تَشَكَّى الْمَحْبُونِ الصَّبَابَةَ لِيَتْنِي

فَسَكَتَ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلُّهَا وَلَمْ يَهْلِقَهَا قَبْلِي حُبٌّ وَلَا بَعْدِي

وينبغي أن يكون في النسيب دليلُ التذكُّرِ والتَّحْيِيرِ ، كَقَوْلِ الْحَكَمِ الْحَضْرِيِّ :

تَسَاهَمَ مَوْبَاهَا فِي الدَّرْعِ رَأْدَةٌ (٢) وَفِي الْمِرْطِ لِفَاوَانٍ رِدْفُهُمَا عَجِيلُ

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أُرِيدَتْ مَلَاحَةٌ وَحَسَنًا عَلَى النَّسْوَانِ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلُ

وقيل لبعضهم : ما بلغ من حُبِّك لفلانة ؟ فقال : إني أرى الشمسَ على حيطانها

أحسنَ منها على حيطانِ حيرانِها .

ولما كانت أغراضُ الشعراءِ كثيرةً ، وممانيتهم متشعبةً جُمَّةً ، لا يَبْلُغُهَا الإحصاءُ

كان من الوجهِ أن نذكرَ ما هو أكثرُ استعمالاً ، وأطولُ مدارسةً له ، وهو المَدْحُ ،

والمَهْجَاءُ ، والوصْفُ ، والنَّسِيبُ ، والمَرَاتِي ، والمَفْخَرُ ؛ وقد ذُكِرَتْ قَبْلَ هَذَا المَدِيحُ

والمَهْجَاءُ وما ينبغى استعمالُهُ فِيهِمَا ؛ ثم ذُكِرَتْ الآنَ الوصفُ والنَّسِيبُ ، وتركتُ

المَرَاتِي والمَفْخَرُ ؛ لأنَّهما داخِلَانِ فِي المَدِيحِ . وذلك أنَّ المَفْخَرَ هو مَدْحُكَ نَفْسِكَ

بِالطَّهَارَةِ ، وَالْعَفَافِ ، وَالْحِلْمِ ، وَالْعِلْمِ ، وَالْحَسَبِ ، وما يَجْرِي بِمَجْرَى ذَلِكَ .

والمَرْتِيَّةُ مَدِيحُ المَيْتِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ المَدِيحِ أَنْ تَقُولَ : كَانَ كَذَا وَكَذَا ،

وتَقُولَ فِي المَدِيحِ : هُوَ كَذَا وَأَنْتَ كَذَا . فَيُنْبَغِي أَنْ تَتَوَخَّى فِي المَرْتِيَّةِ مَا تَتَوَخَّى فِي

المَدِيحِ ، إِلا أَنْكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذْكَرَ المَيْتَ بِالجُودِ والشَّجَاعَةِ تَقُولُ : مَاتَ الجُودُ ،

وَهَلَكْتَ الشَّجَاعَةُ ؛ وَلَا تَقُولُ : كَانَ فلاناً جواداً وشجاعاً ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ بَارِدٌ غَيْرُ

مُسْتَحْسَنٌ ، وَمَا كَانَ المَيْتَ يَكِدُّهُ فِي حَيَاتِهِ فَيُنْبَغِي أَلَّا يَذْكَرَ أَنَّهُ يَبْكِي عَلَيْهِ مِثْلَ

الخليل والإبل وما يجري مجراها ، وإنما يذكر اغتباطهم بموته . وقد أحسنَتِ النساءُ
حيث تقول (١) :

قَدَّ قَدَّ تَكْ طَلَقَةً وَاسْتَرَا حَتْ
فَلَيْتَ الْخَيْلَ فَا رَمُهَا يَرَاهَا
بَلْ يُوصَفُ بِالْبَيْكَاءِ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يُحْسِنُ فِي حَيَاتِهِ (٢) إِلَيْهِ كَمَا قَالَ الْفَنَوِيُّ :
لَيْبِكَ شَيْخٌ لَمْ يَجِدْ مِنْ يَعِينِهِ وَطَاوَى الْحَشَانَ نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبِ
فهذه جملةٌ إذا تدبرها صانِعُ الكلامِ استغنى بها عن غيرها ، والله التوفيق .

(١) شواعر العرب : ١٨ .

(٢) في ط : « من كان يحسن إليه في حياته إليه » والصواب ما أثبتناه عن ا ، ب .

البَابُ الثَّالِثُ

في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ (فصلان)

الفِصْلُ الْأَوَّلُ

في كيفية نظم الكلام والقول في فضيلة الشعر وما ينبغى استعماله في تأليفه .

إذا أَرَدْتَ أَنْ تصنع كلاماً فأخطِرْ معانيه ببالك ، وتنوِّقْ له كرائمَ اللفظِ ، واجعلها على ذكر منك ؛ ليقربَ عليك تناولها ، ولا يتعبك تطلبها ، واعمله ما دُمْتَ في شبابِ نشاطك ؛ فإذا غَشِيكَ الفتور ، وتحوَّنَكَ اللال فأَمْسِكْ ؛ فإنَّ الكثيرَ مع اللال قليل ، والنفيسَ مع الضَّجَرِ خسيس ؛ والخواطرَ كالينابيع يسقى منها شيءٌ بعد شيء ، فتجد حاجتك من الرِّى ، وتنال أربك من المنفعة . فإذا أ كثرَت عليها نَضَبَ ماؤها ، وقلَّ عنك غناؤها .

وينبغي أَنْ تجرَى مع الكلام معارضة ، فإذا مررتَ بلفظٍ حَسَنٍ أخذتَ برقبته ، أو معنى بديع تعلقتَ بذيله ، وتحذّر أن يسبقك فإنه إن سبقك تعبت في تتبعه ، ونصبت في تطلبه ؛ ولعلك لا تلحقه على طولِ الطلب ، ومواصلَةِ الدأب ؛ وقد قال الشاعر :

إذا ضيَّعتَ أولَ كلِّ أمرٍ أبتَ أعجازه إلا التواءَ

وقالوا : ينبغى لصانع الكلام ألاَّ يتقدّم الكلامَ تقدماً ، ولا يتبع ذناباه تَتَبُعاً ، ولا يحمله على لسانه حملاً ؛ فإنه إن تقدّم الكلامَ لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجفه والشارد منه . وإن تتبعه فاتته سوابقه ولو احقه ، وتباعدت عنه جياذه وغرره ؛ وإن حمّله على لسانه ثقلت عليه أوساقه وأعباؤه ، ودخلت مساويه في محاسنه .

ولكنه يَجْرَى معه فلا تند عنه نَادَةٌ معجبة صمناً إلا كَبَحَهَا ، ولا تتخلف عنه بثقله هزيلة إلا أَرْهَقَهَا . فطوراً يفرِّقه ليختار أحسنه ، وطوراً يَجْمَعُه ليقرب عليه خطوة الفكر ، ويتناول اللفظ من تحت لسانه ، ولا يسلط المثل على قلبه ولا الإكثار على فكره . فيأخذ عفوهُ ، ويستغزِر دَرَه ، ولا يكره أبيتاً ، ولا يدفع أبيتاً .

وقال بشر بن المتمر (١) : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً لنشاطك ، وفراغِ بالك ، وإجابتها لك ؛ فإن قلبك في تلك الساعة أكرمُ جوهرًا ، وأشرقُ حُسنًا ، وأحسنُ في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلمُ من فاحش الخطأ ، وأجلبُ لكل عُرةٍ من لفظٍ كريم ، ومعنى بديع .

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعْطِيكَ يومك الأطولُ بالكِدِّ والمطالبة والمجاهدة والتكلف والمعاودة ؛ ومهما أخطأك لم يُخْطِئَكَ أن يكون مقبولاً قَصْدًا ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ؛ وكما خرج عن ينبوعه ، ونجم من معدنه .

وإياك والتوغر ؛ فإن التوغرَ يُسَلِّمُكَ إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يسهلُكَ معانيك ، ويهينُ ألفاظك ، ومن أراغَ معنَى كريماً فليلتَمِسْ له لفظاً كريماً ؛ فإن حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن يصونهما عما يندسُّهما ويُفسدُهما ويهجنهما ، فتصير بهما إلى حسدٍ تكون فيه أسوأ حالاً منك قبل أن تلتَمِسَ منازل البلاغة ، وترتبهنَ نفسك في ملاسئهما ، فكن في ثلاثِ منازل :

فأولُ الثلاثِ أن يكون لفظك شريفاً عذباً ، ونفماً سهلاً ، ويكون معنالك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً . فإن كانت هذه لا تواتيك ، ولا تستنجح لك عند أولِ خاطر ، وتجد اللفظة لم تقعَ موقعها ، ولم تصل إلى مركزها ، ولم تتصل بسلكها ، وكانت قلقةً في موضعها ، نافرةً عن مكانها ، فلا تُكْرِهها على اغتصاب

الأمّا كن ، والنزول في غير أوطنها ؛ فإنك إن لم تتعاطَ قرييض الشعر المنظوم ، ولم تتكلفَ اختيارَ الكلام المنثور لم يعبك بذلك أحد ، وإن تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ، ولا مُحَكِّماً لشأنك بصيراً عابك من أنت أقلّ عيباً منه ، وزدري عليك من هو دونك .

فإن ابتليت بشكف^(١) القول ، وتعاطى الصناعة ، ولم تسمع لك الطبيعة في أول وهلة ، وتعصى عليك بعد إجابة الفكرة ، فلا تعجل ، ودعه سحابة يومك ولا تضجر ، وأمهله سواد ليلتك ، وعاوده عند نشاطك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن^(٢) كانت هناك طبيعة وجريت من الصناعة على عرق ؛ وهي - المنزلة الثانية .

فإن تمنع عليك بعد ذلك مع ترويح خاطر ، وطول الإمهال ، فالمنزلة^(٣) الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشتمها إلا وبينك نسيب ، والشيء لا يجن إلا إلى ماشأ كله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ فإن النفوس لا تجود بمكنونها ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود مع الرغبة والمحبة .

وينبغي أن تعرف أقدار المعاني ، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين ، وتبين أقدار الحالات ؛ فتجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاما ، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات . واعلم أن النعمة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ؛ فإن كنت متكلماً ، أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض من تصالح له الخطب ، أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد ، فتخط أفاظ المتكلمين ، مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر ، فإن ذلك هجنة .

(١) في ط ، ب : « بتكلفة » ، وما أثبتناه عن ا . (٢) في ط : وإن .

(٣) في ط : والمنزلة .

وخطب بعضهم فقال : إِنَّ اللَّهَ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَسَوَّاهُمْ وَمَكَّنَّهُمْ ثُمَّ لَا شَأْمَ ،
فَضَحِكُوا مِنْهُ ؛ وَقَالَ بَعْضُ الْمَتَأَخِّرِينَ :

نورٌ تبين فيه لاهوتيه فيكاد يعلم علم مالن يعلم

فأتى من الهُجْنة بما لا كفاء له ، وكذلك كن أيضاً إذا كنت كاتباً .

الرسائل
والخطب

واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلامٌ لا يلحقه وزنٌ ولا تقيمية ،
وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل ؛ فالألفاظ الخطباء تشبه الألفاظ
الكتّاب في السهولة والعذوبة ؛ وكذلك فواصل الخطب ، مثل فواصل الرسائل ؛
ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها ، والرسالة يكتب بها ؛ والرسالة تجعل
خطبة ، والخطبة تجعل رسالة ، في أيسر كلفة ؛ ولا يتهيأ مثل ذلك في الشعر من
سرعة قلبه وإحاطته إلى الرسائل إلا بكلفة ؛ وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان
شِعراً إلا بمشقة .

ومما يُعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين والسلطان ،
وعليهما مدارُ الدار ، وليس للشعر بهما اختصاصٌ .

أما الكتابة فعملها مدار السلطان .

والخطابة لها الحظُّ الأوفر من أمر الدين ؛ لأن الخطبة شطرُ الصلاة التي هي
عمادُ الدين في الأعياد والجمعات والجماعات ، وتشتمل على ذكرِ المواعظ التي يجب أن
يتعمدها الإمام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله عز وجل من ذلك
في كتابه ، إلى غير ذلك من منافع الخطب .

الشعر

ولا يقع الشعر^(١) في شيء من هذه الأشياء موقفاً ، ولكن له مواضع لا يتنجس
فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها ، وإن كان أكثره قد بُني على الكذب
والاستحالة من الصفات الممتنعة ، والنموت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة ؛

من قَدَفِ المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ؛ لاسيما الشعرُ الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفحله ؛ وليس يُراد منه إلا حُسْنُ اللفظ ، وجوده المعنى ؛ هذا هو الذي سوَّغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه .
وقيل لبعض الفلاسفة : فلان يكذبُ في شعره ؛ فقال : يُرادُ من الشاعر حُسْنُ الكلام ، والصدِّقُ يُرادُ من الأنبياء .

فن مراتبه العالية التي لا يلحقه فيها شيء من الكلام النظم^(١) الذي به زينة^{مميزات الشعر} الألفاظ ، وتمازج حسيها ؛ وليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر .
ومما يفضلُ به غيره أيضاً طولُ بقائه على أفواه الرواة ، وامتدادُ الزمان الطويل به ؛ وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعض ؛ وهذه خاصة له في كل لغة ، وعند كل أمة ؛ وطولُ مدة الشيء من أشرف فضائله .

ومما يفضلُ به غيره من الكلام استفاضة في الناس وبعده سيرة في الآفاق ؛ وليس شيء أسير من الشعر الجيد ، وهو في ذلك نظيرُ الأمثال .

وقد قيل : لا شيء أسبق إلى الأسماع ، وأوقع في القلوب ، وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر ، وشعر نادر .

ومما يفضلُ به غيره أنه ليس يُؤثِّرُ في الأعراض والأنساب تأثير الشعر في الحمد والذم شيء من الكلام ؛ فكم من شريف وضع ، وخامل دنى رَفَع ؛ وهذه فضيلة غير معروفة في الرسائل والخطب .

ومما يفضلُهما به أيضاً أنه ليس شيء يقوم مقامه في المجالس الحافلة ، والمشاهد الجامعة ، إذا قام به مُنشد على رهوس الأشهاد ، ولا يفوز أحد من مؤلفي الكلام بما يفوز به صاحبه من العطايا الجزيلة ، والموارف السنية ، ولا يهتز ملك ، ولا رئيس شيء من الكلام كما يهتز له ، ويرتاح لاستماعه ؛ وهذه فضيلة أخرى لا يلحقه فيها شيء من الكلام .

ومنه أن مجالس الظرفاء والأدباء لا تطيب ، ولا تؤنس إلا بإنشاد الأشعار ،
ومذاكرة الأخبار ؛ وأحسن الأخبار عندهم ما كان في أثنائها أشعار ؛ وهذا شئ
مفقود في غير الشعر .

ومما يفضل به الشعر أن الألحان - التي هي أهني اللذات - إذا سمعها ذؤو القرائح
الصافية ، والأنفيس اللطيفة ، لا تهبأ صنعها إلا على كل منظوم من الشعر ؛ فهو لها
بمنزلة المادة القابلة لصورها الشريفة ؛ إلا ضرباً من الألحان الفارسية تصاغ على كلام
غير منظوم نظم الشعر ، تمطط فيه الألفاظ ؛ فالألحان منظومة ، والألفاظ منشورة .

ومن أفضل فضائل الشعر أن ألفاظ اللغة إنما يؤخذ جزؤها وفضيحها ،
وفحلها وغربها من الشعر ؛ ومن لم يكن راوية لأشعار العرب تبين النقص
في صناعته .

ومن ذلك أيضاً أن الشواهد تنزع من الشعر ، ولولاه لم يكن على ما يلتبس
من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد .

وكذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة
أشعارها ؛ فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حكمها ، ومستنبت آدابها ، ومستودع
علومها ؛ فإذا كان ذلك كذلك فحاجة الكاتب والخطيب وكل متادب بلغة العرب
أو ناظر في علومها [إليه] ماسة وفاقة إلى روايته شديدة .

وأما النقص الذي يدحق الشعر من الجهات التي ذكرناها فليس يوجب الرغبة
عنه والزهادة فيه ، واستثناءه الله عز وجل في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من
الشعر إنما هو الممدول عن جهة الصواب إلى الخطأ والمصروف عن جهة الإنصاف
والعدل إلى الظلم والجور .

وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الدم ، ولو كان الدم لازماً له لكوته شعراً
لسا جاز أن يزول عنه على حال من الأحوال . ومع ذلك فإن من أكمل الصفات

صفات الخطيب والكتاب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيباً كاتباً . والذي قصر بالشعر كثرتُه وتعاطى كلُّ أحدٍ له حتى العامة والسفلة ؛ فلحقه من النقص ما لحق العودَ والشطرنج حين تعاطاها كلُّ أحد .

ومن صفات الشعر الذي يختصُّ بها دون غيره أن الإنسان إذا أراد مدح نفسه فأنشأ رسالة في ذلك أو عمل خطبة فيه جاء في غاية التباهة ، وإن عمل في ذلك أبياتاً من الشعر احتَمِل .

ومن ذلك أن صاحب الرياسة والأبهة لو خطب بذكر عشيق له ، ووصف وجده به ، وحنينه إليه ، وشهرته في حبه ، وبكائه من أجله لاسْتَهْجِنَ منه ذلك ، وتنقص به فيه ؛ ولو قال في ذلك شعراً لكان حسناً .

وإذا أردت أن تعمل شعراً فأحضِر الماعنى التي تريد نظمها فيكرك ، وأخطرها كيف تعمل للشعر ؟ على قلبك ، واطلب لها وزناً يتأى فيه إرادها وقافية يحتملها ؛ فمن الماعنى ما تمكَّن من نظمه في قافية ولا تمكَّن منه في أخرى ، أو تسكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفة منه في تلك ؛ ولأن تعلم الكلام فتأخذه من فوق فيجىء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورواقٍ خير من أن يعملوك فيجىء كزاً فجاً ومتجمداً جلفاً . فإذا عملت القصيدة فهدبها ونقحها ؛ بإلقاء ماغث من أبياتها ، ورث ورذل ، والافتصار على ما حسن ونظم ، بإبدال حرفٍ منها بأخر أجود منه ، حتى تستوى أجزاؤها وتتضارع هواجسها وأعجازها .

فقد أنشدنا أبو أحمد رحمه الله قال : أنشدنا أبو بكر بن دريد :

طَرَقَتْكَ عَزَّةٌ مِنْ مَزَارٍ نَارِحٍ يَا حُسْنَ زَائِرَةٍ وَبُعْدَ مَزَارٍ

ثم قال أبو بكر : لو قال : « يا أقرب زائرة وبُعد مزار » لكان أجود . وكذلك

هو لتضمينه الطباق .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه عن المنتجع بن نهران ،

قال : سمعت الأشهب بن جميل يقول : أنا أول من أتى الهجاء بين جرير وابن لجأ ،
أنشدت جريراً قوله (١) :

تصطكُ إلمها على دلائها تلاطم الأزدِ على عطاءها
حتى بلغتُ إلى قوله :

تجرُّ بالأهونِ من دُعائها جرَّ المعجوزِ الثننى من كسائها (٢)

فقال جرير : ألا قال : « جرَّ الفتاة طرفي رداؤها » فرجعت إلى ابن لجأ فأخبرته .
فقال : والله ما أردت إلا ضعفة المعجوز ؛ ووقع بينهما الشر . وقول جرير : « جرَّ
المروس طرفي رداؤها » . أحسن وأظرف وأحلى من قول عمرو بن لجأ : « جرَّ المعجوز
الثنى من كسائها » . وليس في اعتذار ابن لجأ بضعفة المعجوز فائدة ؛ لأن الفتاة معها
من الدلال ما يقوم في المويبا مقام ضعفة المعجوز . وإنكار جرير قوله : « الثننى
من كسائها » نقدٌ دقيق ، وإنما أنكره لأن فيه شعبة من التكاف . وقول جرير :
« طرفي رداؤها » أسلس وأسهل وأقل حروفاً .

وقولك : رأيت الإيماز بذلك أجود من قولك : رأيت أن أوعز بذلك ؛ كذا
وجدتُ حذائق الكتاب يقولون . وعجبت من البحترى كيف قال (٣) :

لعمري النواني يوم صحراء أربد لقد هيَّجتُ وجداً على ذي توجدي

ولو قال : « على متوجد » لكان أسهل وأسلس وأحسن .

وفي غير هذه الرواية قال ، فقال ابن لجأ لجرير : فقد قلت أعجب من هذا ، وهو
قولك (٤) :

وأوثق عند المرذقات عشيية لحاقاً إذا ماجرد السيف لا مع
والله لو لم يلحقن إلا عشيياً لما لحقن حتى نكحن وأجلبن .

(١) الموشح ١٢٨ . (٢) في الموشح : من خفائها . وقال : الحفاء : طرف اللسان .
(٣) ديوانه ١٩٦ . (٤) ديوانه : ٣٧٢ ، والموشح : ١٢٧ .

وقد كان هذا دأب جماعة من حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء، منهم زهير؛
كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهدبها في ستة أشهر، ثم يظهرها، فتسمى
قصائده الحوليات لذلك.

وقال بعضهم: خير الشعر الحولى المنقح؛ وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر،
وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها. وكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة،
ثم ينظر فيها فيلتي أكثرها ويقتصر على العيون منها؛ فلهذا قصر أكثر قصائده.
وكان البحترى يلتقي من كل قصيدة يعملها جميع مايرتاب به فخرج شعره مهذبا.
وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل، وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب
كثير.

وتخير الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب الثمام الكلام؛ وهو من أحسن
نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة الخارج كان
أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتفق له أن يكون موقعا في الإطناب والإيجاز
أليق بموقعه، وأحق بالمقام والحال كان جامعا للحسن، بارعا في الفضل؛ وإن بلغ
مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوله يكشف قناع آخره، كان قد
جمع نهاية الحسن، وبلغ أعلى مراتب التمام.

ومثاله ما أنشدنا أبو أحمد قال: أنشدنا أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي، قال:

أنشدنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

أشارت بأطراف البنان المخصب وضنت بما تحت النقاب المكتب
وعضت على تفاحة في يمينها بذى أثر عذب المذاقة أشنب
وأومت بها نحوى فتمت مبادرا إليها فقالت: هل سمعت بأشعب

فهذا أجود شعر سبكا وأشد الثاماً وأكثره طلاوة وماء.

وينبغي أن تجعل كلامك مشتبا أوله بآخره، ومطابقاً هاديه لمجزه، ولا تتخالف

أطرافه ، ولا تتنافر أطرافه (١) ، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ، ومقرونة بلفظها ؛ فإن تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام ؛ ولا يكون ما بين ذلك حشو يُستغنى عنه ويتم الكلام دونه .

ومثال ذلك من الكلام المتلائم الأجزاء ، غير المتنافر الأجزاء قول أخت عمرو

ذى السكب :

فَأَقْسِمُ يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّاهُكَ إِذَا نَبَّاهُ مِنْكَ دَاءُ عَضَالَا
إِذَا نَبَّاهُ لَيْتَ عَرِيْسَةً (٢) مُفِيْتًا مُفِيْدًا نَفُوسًا وَمَالًا
وَحَرْقٍ تَجَاوَزَتْ مَجْهُولُهُ بُوْجَاءَ حَرْفٍ تَشْكَى الْكَلَالَا (٣)
فَكَنْتَ النَّهَارَ بِهِ شَمْسُهُ وَكُنْتَ دُجَى اللَّيْلِ فِيهِ الْهَلَالَا .

فجعلته الشمس بالنهار ، والهلل بالليل . وقالت : مُفِيْتًا مُفِيْدًا ، ثم فسرت فقالت :

نفوساً ومالاً .

وقال الآخر :

وَفِي أَرْبَعٍ مَسَى حَلَّتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ فَمَا أَنَا دَارٍ أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي
أَوْجَهَكَ فِي عَيْنِي أَمَ الرَّيْقِ فِي فَمِي أَمَ النَّطْقُ فِي سَمِي أَمَ الْحَبُّ فِي قَلْبِي
وأخبرني أبو أحمد ، قال : كنتُ أنا وجماعة من أحداث بغداد بمن يتعاطى الأدب تختلف إلى مُدْرِكٍ تتعلم منه علم الشعر ، فقال لنا يوماً : إِذَا وَضَعْتُمُ الْكَلِمَةَ
مَعَ لَفْظِهَا كُنْتُمْ شَعْرَاءَ ، ثم قال : أَجِزُوا هَذَا الْبَيْتَ :

* أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ غَرُورٌ *

فَأَجَارَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمَاعَةِ بِشَيْءٍ فَلَمْ يَرْضَهُ ، فَقُلْتُ :

* وَإِنْ عَظُمَتْ فِي أَنْفُسٍ وَصُدُورٍ *

فقال : هذا هو الجيد المختار .

(١) أطرافه . (٢) كذا في ب ، والعريسة : مأوى الأسد والضبع وغيرها ، وفي ط

« عربية » تصحيف . (٣) : الحرق : الأرض البعيدة . والفلاة : الواسعة . والوجناء :

الناقة الشديدة . والحرف من الإبل : التجيبة الماضية .

وأخبرنا أبو أحمد الشطبي ، قال : حدثنا أبو العباس بن عربي ، قال : حدثنا حماد عن يزيد بن جبلة ، قال : دفن مسامة رجلاً من أهلهم ، وقال :

* نَرُوحُ وَنَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ *

ثم قال لبعضهم : أجزء ، فقال : * نَحْتِي مَتَى هَذَا الرُّوحُ مَعَ الْعَدُوِّ * فقال مسامة : لم تَصْنَعْ شَيْئاً . فقال آخر : * فَيَا لَكَ مَعْدِي مَرَّةً وَرَوَّاحاً * فقال : لم تَصْنَعْ شَيْئاً . فقال لآخر : أجزء أنت ، فقال :

* وَعَمَّا قَلِيلٍ لَا نَرُوحُ وَلَا نَعْدُو *

فقال : الْآنَ نَمَّ الْبَيْتُ .

وعما لم يُوضَعْ [فيه] الشئ مع لِقْفِهِ من أشعار المتقدمين قول طرفه (١) :

وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْرَفِ الْقَوْمِ أُرْفِدُ (٢)

فالمصراع الثاني غير متشاكل الصورة للمصراع الأول ، وإن كان المعنى صحيحاً ؛ لأنه أراد : ولست بحلال للتلاع مخافة السؤال ، ولكنني أنزل الأمانة المرتفعة ، لينتابوني فأرقدم ، وهذا وجه الكلام ؛ فلم يعبر عنه تعبيراً صحيحاً ، ولكنه خلطه وحذف منه جذفاً كثيراً فصار كالمثنافر ؛ وأدواء الكلام كثيرة .

وهكذا قول الأعشى (٣) :

وإن امرأ أسرى إليك ودونه . سهوب ومومة وببدا سملق (٤)
لحقوقه أن تستجيب ليصوته وأن تعلمي أن المعان موقق

(١) الموشح : ٥٤ . (٢) التلاع : جمع تلة ، وهي ما ارتفع من الأرض وما انهبط أيضاً .

(٣) الموشح : ٥٤ ، ورواية البيت الأول فيه :

وإن امرأ أهداك بيني وبينه فياف تنوفات وبهماء خفيق

وقلة خفيق : واسعة .

(٤) السهوب : الأرض الواسعة . والسملق : القاع المستوي الأملس ، وقيل : القفر الذي

لا شجر فيه .

قوله : « وأن تعلمي أن المعان موفِّقٌ » غير مشا كل لما قبله .

وهكذا قول عنتره^(١) :

حَرَقُ الْجَنَاحِ كَانَ لِحَسِي رَأْسِهِ جَلَمَانَ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ^(٢)
إِنَّ الَّذِينَ نَعِمْتَ لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْمَعُوا لَيْلِي التَّمَامِ وَأَوْجَعُوا^(٣)

ليس قوله « بالأخبار هشٌّ مولعٌ » في شيء من صفة جناحه ولحميه .

وقول السموءل^(٤) :

فَنَحْنُ كَمَا الزنِ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلٍ^(٥)

ليس في قوله : « ما في نصابنا كهامٌ » . من قوله : « فنحن كماء الزن » في شيء ؛ إذ ليس بين ماء الزن والنصاب والكهوم مقاربة ، ولو قال : ونحن ليسوث الحرب ، أو أولو الصرامة والنجدة ما في نصابنا كهامٌ لكان الكلام مستويا . أو نحن كماء المزن صفاء أخلاق وبذل أكف لكان جيدا .

وجعل بعض الأدباء من هذا الجنس قول امرئ القيس^(٦) :

كَأَنَّ لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّدَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أَسْبِأِ الزَّقَّ الرَّوِيِّ وَلَمْ أَقُلْ لِحَلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

قالوا : فلو وُضِعَ مِصْرَاعُ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي مَوْضِعِ الْآخَرِ لَكَانَ أَحْسَنَ^(٧) وأدخل في استواء النسخ ؛ فكان يُرَوَى :

كَأَنَّ لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لِحَلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ
وَلَمْ أَسْبِأِ الزَّقَّ الرَّوِيِّ لِلذِّدَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ

(١) ديوانه : ٨٨ ، واللسان - مادة حرق . (٢) الحرق في الجناح : قصر ريشه .
والجلمان : المقرضان واحدهما جلم . (٣) في الديوان : قد أسهروا ليلى التمام فأوجعوا .
(٤) شعراء اليهود : ٢٦ ، نقد الشعر : ١١٥ . (٥) الكهام : من كهم الرجل كهامة
إذا ضعف وجبن عن الإقدام ، أي ليس فينا رجل ضعيف . (٦) الموشح : ٣٤ ، وديوانه : ٥٨ .
(٧) عبارة الموشح : لكان أشكل .

لأن ركوب الجواد مع ذكر كرور الخيل أجود ، وذكر الحمر مع ذكر الكواكب

أحسن .

قال أبو أحمد: الذي جاء به امرؤ القيس هو الصبح؛ وذلك أن العرب تَضَعُ الشيء مع خلافه فيقولون: الشدة والرخاء ، والبؤس والنعيم ، وما يجري مع ذلك. وقالوا في قول ابن هرمة (١) :

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كثاركه بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق :

وإنك إذ تهجو تيمًا وترثني سرابيل قيس أو سحوق المأم
كهريق ماء بالفلاة وغره سراب أذاعته رياح السأم

كان ينبغي أن يكون بيت ابن هرمة مع بيت الفرزدق وبيت الفرزدق مع بيت

ابن هرمة ، فيقال :

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحى بكفى زندا شحاحا
كهريق ماء بالفلاة وغره سراب أذاعته رياح السأم

[ويقال] (٢) :

وإنك إذ تهجو تيمًا وترثني سرابيل قيس أو سحوق المأم
كثاركه بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا
حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعاً .

ومن المتنافر الصدر والأعجاز قول حبيب بن أوس (٣) :

(١) الموشح : ٢٣٧ ، سر الفصاحة : ٢٤٢ .

(٢) الزيادة من الموشح .

(٣) ديوانه : ٨٦ .

محمد^(١) إنَّ الحاسدين حُشودُ وإنَّ مصابَّ المزنِ حيثُ تريدُ

ليس النصفُ الأولُ من النصفِ الثاني في شيء .

وقريبٌ من ذلك قولُ الطالبي :

قومٌ هدى اللهُ العبادَ بجدِّهمِ والمؤثرون^(٢) الضيفَ بالأزوادِ

ومن الشعر المتلائم الأجزاء المتشابهة الصدور والأعجاز قولُ أبي النجم :

إنَّ الأعادي لَنَ تنالَ قديمينا حتى تنالَ كواكبُ الجوزاءِ

كَمْ في لجيمٍ من أغرٍّ كأنه صُبِحَ يشقُّ طيالسَ الظلِّماءِ

ومجربٍ خضل^(٣) السبانِ إذا التقى زحفٌ بخاطرةِ الصدورِ ظاه

وكقول القطامي^(٤) :

يمشِين رَهْواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصُّدُورُ على الأعجازِ تتكَلُّ

فهنَّ معترِضاتٌ والحصى رمض^(٥) والريح ساكنةٌ والظلُّ معتدلٌ

إلا أن هذا لو كان في وصفِ نساءٍ لكان أحسنَ ؛ فهو كالشيء الموضوع في غير

موضعه .

ويبغى أن تتجنبَّ إذا مدحتَ أو عانتِ المعاني التي يُتطيرُ منها ويُستشعقُ سماعها

مثل قول أبي نواس^(٦) :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقدتمُ بنى برمكٍ من راحينٍ وغادى

وإذا أردتَ أن تأتي بهذا المعنى فسبيلك أن تسلكَ سبيل أشجع السلمي

في قوله :

لقد أمسى صلاحُ أبي عليٍّ لأهل الأرض كُلبهم صلاحا

إذا ما الموتُ أخطأه فليسنأ نُبالي الموتِ حيثُ غداً وراحاً

(١) في الديوان : «أأحمد» . (٢) في ط : «والمؤثرون» ، تحريف ، وصوابه من اء ب .

(٣) الخضل : كل شيء ندى . (٤) الموشح : ١٤٧ .

(٥) الرمض محركة : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره . (٦) ديوانه : ٧٤ .

فذكر إخطاء الموت إياه وتجاوزته إلى غيره ؛ فجاد المعنى وحسن المستمع . وقد
أَحْسَنَ القائل :

ولا تحسبنَّ الحُزْنَ بَبَقَى فإنه شهابٌ حَرِيقٌ وَاقِدٌ ثم خَامِدٌ
سَتَأَلَفُ فَقْدَانَ الَّذِي قَدْ فَقَدْتُهُ كَأَلْفِكَ وَجِدَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاجِدٌ
فجعل ما يتطير منه من فقدان نفسه وما يستحب من الوجدان للممدوح ؛ وقد

أساء أبو الوليد أرطاة بن شهبة ، حين أنشد عبد الملك :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَا كُلُّ كُلٍّ حَيٌّ كَأَكْلِ الأَرْضِ سَاقِطَةَ الحديدِ
وما تُبْقَى المَنِيَّةِ حينَ تَعْدُو على نَفْسِ ابنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ
وأَعْلَمُ أَنهَا سَتَكُرُّ حَتَّى تُوفِي نَدْرَهَا بِأبي الوَلِيدِ
وكان عبدُ الملك يُكَنِّي أبا الوليد فتطير منه ، وما زال يرى كراهة شعره في وجهه
حتى مات .

وإذا دعتِ الضرورةُ إلى سوقِ خبرٍ واقتصاصِ كلامٍ ، فتحْتَاجُ إلى أن تتوخى
فيه الصدقَ ، وتتحرى الحقَ ؛ فإن الكلامَ حينئذٍ يملكك ويحوجك إلى اتِّباعِهِ
والانقيادِ له .

وينبغى أن تأخذَ في طريقِ تسهيلِ عليكِ حكايته فيها ، وتركِ قافيةٍ تطيعك في
استيفائكِ له ، كما فعل النابغة في قوله (١) :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامِ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ (٢)
يُحْفَهُ جَانِبًا نَيْقِ (٣) وَتَتَّبِعُهُ مِثْلَ الزُّجَاجَةِ لَمْ تَكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدِ

(١) ديوانه : ٢٢ . (٢) فتاة الحى : زرقاء اليمامة . وشراع : مجتمعة . والثمد : هو

الماء القليل . (٣) النيق : أرفع موضع في الجبل .

فَسَكَمَتْ مِائَةً فِيهَا سَمَاهُهَا وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ
مُحْسَبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
فهذا أجود ما يُدكرُ في هذا الباب ، وأضعف ما رامه شاعرٌ منه ؛ لأنه عمد إلى
حسابٍ دقيقٍ ، فأورده مشروحا ملخصا ، وحكاه حكاية صادقة . ولما احتاج إلى أن
يُدكر العدَدَ والزيادةَ والتمدُّنَ بسننِ الكلامِ على قافيةٍ فاصلةٍ الدالِ فسَهَّلَ عليه طريقتهُ ،
وأطرد سبيله .

ومثل ذلك ما أتاه البحترى في القصيدة التي أولها (١) :

هَاجَ الْخِيَالُ (٢) لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا وَاقِي مُجَادِعُنَا وَالصَّبْحُ قَدْ وَاقِي

وكان قد احتاج إلى ذكر الآلاف ، والإسماع ، والأضغاف ، والإسراف ،
وترك الاختصار على الأنصاف ؛ فجعل القصيدة فائية ؛ فاستوى له مرآده وقرب عليه
مرامه ، وهو قوله (٣) :

قَضَيْتَ عَنِي ابْنَ بَسْطَامٍ صَلْبَعَتَهُ عِنْدِي وَضَاعَفْتَ مَا أَوْلَاهُ أَضْعَافَا

وَكَانَ مَعْرُوفُهُ قَصْدًا إِلَى (٤) وَمَا جَارِزَتُهُ عَنْهُ تَبْذِيرًا وَإِسْرَافَا

مِثُونَ عَيْنَا تَوَلَّيْتَ الثَّوَابَ بِهَا حَتَّى انْتَدَتِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ آآفَا

قَدْ كَانَ يَكْفِيهِ مِمَّا قَدَمْتُ يَدَهُ رَبَّا (٥) بَزِيدُ عَلَى الْآحَادِ أَنْصَافَا

ولا ينبغي أن يكون لفظك وحشياً بدوياً ، وكذلك لا يصلح أن يكون مبتدلاً

سوقياً .

أخبرنا أبو أحمد عن مبرمان عن أبي جعفر بن القتيبي عن أبيه ، قال ، قال خلف
الأحمر : قال شيخٌ من أهل الكوفة : أما عجبَت أن الشاعر قال : « أُنبت قيصوما

(١) ديوانه : ١٠٦ . (٢) في الديوان : يهدى الخيال . (٣) ديوانه : ١٠٧ .

(٤) في الديوان : لدى . (٥) في ط : وما .

وجثجاثا» (١) فاحتمل ، وقلت أنا : أنبت إحصاءً وتفاحا - فلم يجتمعا .
والخيار من الكلام ما كان سهلاً جزلاً لا يشوبه شيء من كلام العامة والفاظ
الحشوية ، وما لم يخالف فيه وجه الاستعمال ؛ ألا ترى إلى قول المتنبي (٢) :
أَبْنِ البَطَّارِيقُ والحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا بِمَفْرِقِ المَلِكِ وَالرَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا
هذا قبيحٌ جداً ، وإنما سمع قول العامة حلف برأسه ، فأراد أن يقول مثله ؛
فلم يستوره ، فقال : بمفرق الملك ، ولو جاز هذا لجاز أن يقول : حلف بياقوخ أبيه ،
وبقمة حدوة (٣) سيده .

وقبيحٌ هذا يدلُّ على أن أمثاله غيرُ جازٍ في جميع المواضع ، وهذا النوع في شعر
المتنبي كبعد الاستعارة في شعر أبي تمام .

ومن الألفاظ ما يستعمل رباعيةً وخماسيةً دون ثلاثيةً ، ومنها ما هو بخلاف ذلك ،
فينبغي ألا تعدل عن جهة الاستعمال فيها ، ولا يفرك أن أصولها مستعملة ؛ فالخروجُ
عن الطريقة المشهورة والنهج السلوك رديٌّ على كل حال . ألا ترى أن الناسَ
يستعملون « التعاطي » فيكون منهم مقبولاً ، ولو استعملوا « العطو » وهو أصلُ
هذه الكلمة وهو ثلاثيٌّ ، والثلاثيُّ أكثرُ استعمالاً ، لما كان مقبولاً ولا حسناً مرضياً ؛
فقيس على هذا .

ومن الألفاظ ما إذا وقع نكرة قبَّح موضعه وحسن إذا وقع معرفة ، مثل
قول بعضهم :

لَمَّا التَّقِينَا صَاحَ بَيْنَ بَيْنِنَا يُدْنِي مِنَ القُرْبِ البَعَادَ لِجَاقَا

فقوله : « صاح بين بيننا » متكلفٌ جداً . فلو قال : « البين » كان أقرب ؛ على
أن البيت كله رديٌّ ، ليس من وصف البلغاء .

(١) القيصوم : نبات زهره مر جدا . والجنجات : نبات مر . (٢) ديوانه : ٤ - ١٦ .

(٣) الهنة الناشزة فوق الففا وأعلى القندال خلف الأذنين ، ومؤخر القندال .

وينبغي أن تجتنب ارتكاب الضرورات وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية ، فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه ؛ وإنما استعمالها القديما في أشعارهم لعدم علمهم بقبحها (١) ، ولأن بعضهم كان صاحب بداية ، والبداية مزلة ، وما كان أيضا تنقذ عليهم أشعارهم ، ولو قد نُقِدَت وبهرج منها المعب كما تنقذ على شعراء هذه الأزمنة وبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها ، وهو كقول الشاعر :

له زَجَلٌ كأنه صوتُ حَادٍ إذا طَلَبَ الوَسِيْقَةَ أو زَمِيرُ
فلم يشبع .

وقول الآخر :

ألم يأتِكَ والأبناء تَنَمَى بما لَاقَتْ لبونَ بِنِي زيَادِ
فقال : « ألم يأتِكَ » ، فلم يجزم .
وقال ابن قيس الرقيات :

لَا بَارَكَ اللهُ فِي العَوَانِي هَلْ يُصْبِحَنَّ إِلَّا لَهِنَّ مُطَلَبُ
فحرف العلة .

وقال قعب بن أم صاحب (٢) :

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي إني أجود لأقوام وإن ضننوا
فأظهر التضعيف .

ومثله قول العجاج (٣) :

* تشكو الوجي من أظلل وأظلل (٤) *

(١) في « بقائها » وفي ط : لعلمهم كان قبحها . (٢) ديوان المختار من شعر العرب :

٨ ، واللسان - مادة ظل . (٣) اللسان - مادة ظل . (٤) الوجي : الحفا .

والأظلل : ما نحت منسب البعير ، وتكلمة البيت :

* من طول لملال وظهر أملل *

وقال جميل (١) :

أَلَا لَا أَرَىٰ إِنِّنَّيْنِ أَحْسَنَ شِيمَةً عَلَىٰ حَدَّثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمَلِ

وقال (٢) :

إِذَا جَاوَزَ الْإِنِّنَّيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ بِنَشِيرِ (٣) وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينِ

قطع ألف الوصل .

وقال غيره (٤) :

* مِنَ الثَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا (٥) *

إلى غير ذلك مما يجري مجراه ، وهو مكروه الاستعمال .

وينبغي أن تتجامى العيوب التي تعترى القوافي ، مثل السناد والإقواء والإبطاء ، وهو أسهلها ، والتوجيه وإن جاء في جميع أشعار المتقدمين وأكثر أشعار المحدثين .

وينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيباً صحيحاً ؛ فتقدم منها ما كان يحسن تقديمه ، وتؤخر منها ما يحسن تأخيرها ؛ ولا تسدّم منها ما يكون التأخير به أحسن ، ولا تؤخر منها ما يكون التقديم به أليق .

فما أفسد ترتيب ألفاظه قول بعضهم :

يَضْحَكُ مِنْهَا كُلُّ عُضْوٍ لَهَا مِنْ بَهْجَةِ الْعَيْشِ وَحُسْنِ الْقَوَامِ

(١) ديوانه : ٤٩ . (٢) ديوانه : ٦٥ . (٣) في الديوان : بنت وإفشاء الحديث ..

(٤) قال في اللسان : إنه لزجل من يشكر ... مادة ثعلب . والثعالى : جمع ثعلب قال : ووجه ذلك سيبويه فقال : إن الشاعر لما اضطر إلى الباء أبدلها مكان الباء كما أبدلها مكان الهمزة وصدره :

* لها أشارير من لحم تمره *

(٥) الوحز : القليل من كل شيء . يريد الثعالب والأرانب : قال في اللسان - مادة رنب :

ووجهه أن الشاعر لما احتاج إلى الوزن واضطر إلى الباء أبدلها من الباء .

تَرْفُلُ فِي الدَّارِ لَهَا وَفِرَّةٌ كَوْفِرَةٌ الْمِلْطُ^(١) الْخَلِيعُ الْغَلَامُ
كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: كَوْفِرَةُ الْغَلَامِ الْمِلْطُ الْخَلِيعُ ، أَوْ الْغَلَامُ الْخَلِيعُ الْمِلْطُ ؛
فَأَمَّا تَقْسِيمُ الصِّفَةِ عَلَى الْمُوصُوفِ فَرَدِيٌّ فِي صِنْعَةِ الْكَلَامِ جَدًّا . وَقَوْلُهُ أَيْضًا :
« بَهْجَةُ الْمَيْشِ وَحَسَنُ الْقَوَامِ » مِتَنَافِرٌ غَيْرٌ مُقْبُولٌ .

وقول ابن طباطبا :

وَعِجَلَةٌ تَشْدُو بِأَحَانِهَا وَكَانَتِ الْخَادِمَةَ الْخَادِمَةَ

لو قال : « وَكَانَتِ الْخَادِمَةَ الْكَيْسَةَ » لَكَانَ أَجُودَ .

وَيَنْبَغِي أَلَّا يَنْدَكُرَ فِي التَّشْبِيهِ اسْمًا بَغِيضًا ؛ فَقَدْ أَنْشَدَ جَرِيرٌ بَعْضَ مُلُوكِ
بَنِي أُمَيَّةَ^(٢) :

وَتَقُولُ بَوَزَعٌ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزَيْتِ بَغَيْرِنَا يَا بَوَزَعُ

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ^(٣) : أَفْسَدْتَهَا بِبَوَزَعٍ .

وَقَدْ يَقْدَحُ فِي الْحَسَنِ قُبْحُ اسْمِهِ ، وَيَزِيدُ فِي مَهَابَةِ الرَّجُلِ نِفَامَةُ اسْمِهِ ، وَهَذَا
تَكْنَى الْبَحْتَرَى بِأَبِي عِبَادَةَ ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ؛ وَشَهِدَ رَجُلٌ عِنْدَ شُرَيْحٍ وَكَانَ
الرَّجُلُ يُكْنَى أَبَا الْكُوَيْفِرِ ، فَرَدَّ شَهَادَتَهُ ، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْهُ .

وَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَجُلًا يَكْنَى أَبَا الْعَمْرَيْنِ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ عَاقِلًا
لَكَفَاهُ أَحَدَهُمَا .

وَأَتَى ظَالِمٌ بْنُ سَرَّاقٍ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَسْتَعْمِلَهُ فَرَدَّهُ ، وَقَالَ :
أَنْتَ تَظْلِمُ وَأَبُوكَ يَسْرِقُ ؛ وَظَالِمٌ هَذَا جَدُّ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ .
وَهَذِهِ جُمْلَةٌ كَافِيَةٌ إِذَا تَدَبَّرْتَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) المِطُّ : الْحَيْثُ أَوْ الْمُخْتَلِطُ النَّسَبِ . (٢) دِيْوَانُهُ : ٣٤٢ .

(٣) هُوَ الْوَالِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

ومن عيوب الكلام تكرير الكلمة الواحدة في كلام قضيته : مثل قول سعيد
ابن حميد : ومثل خادمك بين ما يملك فلم يجد شيئاً نبي بحمك ، ورأى أن تقرظك
بما يبلغه اللسان - وإن كان مقصراً عن حقه - أبلغ في أداء ما يجب لك .

فكر الحق في المقدار اليسير من الكلام .

وينبغي أن يتجنب الكاتب جميع ما يكسب الكلام تسمية ، فيرتب ألفاظه
ترتيباً صحيحاً ، ويتجنب السقيم منه ، وهو مثل ما كتب بعضهم : فلان - وله في حرمة
مظلمة . وكان ينبغي أن يقول : فلان وأنا أرعى حرمة مظلمة . وما يجري هذا
الجرى من الترتيب المختار البعيد من الإشكال .

الفصل الثاني

فيما يحتاج الكاتب إلى ارتسامه وامثاله في مكاتباته

ينبغي أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة ، وآلات كثيرة ؛ من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ ، وإصابة الماني ، وإلى الحساب ، وعلم المساحة ، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهله ، وغير ذلك مما ليس هاهنا موضع ذكره وشرحه ، لأننا إنما عملنا هذا الكتاب لمن استكمل هذه الآلات كلها ، وبق عليه المعرفة بصنعة الكلام ، وهي أصعبها وأشدّها .

والشاهد ما روى لنا أبو أحمد عن مبرمان عن البرد ، أنه قال : لا أحتاج إلى وصف نفسي لعلم الناس بي ؛ إنه ليس أحد من الخافقين يحتكج في نفسه مسألة مشككة إلا ألقيني بها ، وأعدني لها ، فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس ، لا يخفى عليّ مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ، ولربما احتجت إلى اعتذار من قلتة أو التماس حاجة ، فأجعل المعنى الذي أفصده نصب عيني ، ثم لا أجد سبيلا إلى التعمير عنه بيدي ولا لسان . ولقد بلغني أن عبيد الله بن سليمان ذكرني بجميل ، فحاولت أن أكتب إليه رقة أشكره فيها ، وأعرض ببعض أمورى ؛ فأنعت نفسي يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرئضيه منها ، وكنت أحاول الإفصاح عما في ضميري ، فينصرف لسانى إلى غيره . ولذلك قيل : زيادة المنطق على الأدب خدعة ، وزيادة الأدب على المنطق هجنة .

فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم .

والشاهد عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس

كتب إليهم بما يمكن ترجمته ، فكتب : من محمد رسول الله إلى كسرى ابروز
عظيم فارس :

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَأَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي
أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيُحِقَّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
فَأَسْلِمُ تَسْلِمًا ، فَإِنْ أَيْتَ فَأَيْمُ الْمُجُوسِ عَلَيْكَ .
فسمَّه صلى الله عليه وسلم الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها
شيء على من له أدنى معرفة في العربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخم اللفظ ، لما عرف من فضل قوتهم
على فهمه وعادتهم لسماع مثله .

فكتب لوائل بن حجر الحضرمي :

من محمد رسول الله إلى الأقبال^(١) العباهلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة ، على التبعة الشاة ، والتيمة لصاحبها^(٢) ، وفي السيوب^(٣) الخمس ؛
لا خِلاطَ ولا وِراطَ ولا شِناقَ ولا شِفَارَ^(٤) ، ومن أجبي فقد أربى ، وكلُّ
مُسْكِرٍ حَرَامٌ^(٥) .

وكذلك كتبه صلى الله عليه وسلم لأكيدر صاحب دومة الجندل^(٦) :

(١) الأقبال : جمع قبيل : الملك . أو من ملوك حير . العباهلة : الأقبال المقرون على ملكهم
فلم يزالوا عنه . (٢) التبعة : الأربعون من الغنم أو أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان .
والتيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى . (٣) السيوب : الركام .
(٤) خِلاط : اختلاط الإبل . والشناق : ما بين الفريضتين في الزكاة . والوراط في الصدقة :
الجمع بين متفرق . والشفار : أن يزوج الرجل امرأة على أن يزوجه أخرى بغير مهر وصدق كل
واحدة منهما بضع الأخرى . (٥) أجبي : الإجماء أن يغيب الرجل إبله عن
المصدق ، من أجباته إذا وارثته . (وارجع إلى اللسان - مادة جبي ، والفائق : ١ - ٤١) .
(٦) الفائق : ٣ - ٧٦ .

من محمد رسول الله لا كَيْدِر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام
مع خالد بن الوليد سيف الله .

إن لنا الضاحية من الضحَل (١) والبور والمعامى (٢) وأغفال الأرض ، والحلقة
والسلاح ، ولكم الضامنة (٣) من النخل ، والمعين من المعمور ، لا تُمدل سائر حُتُكم (٤) ،
ولا تُمدد فاردتكم (٥) ، ولا يُحظر عليكم النبات ، تُقيمون الصلاة لوقتها ،
وتؤدون الزكاة ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه .

واعلم أن المعاني التي تنشأ الكتب فيها من الأمر والنهي سبيلها أن تؤكّد
غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام ، لا بجهة كثرة اللفظ ؛ لأن حكم ما ينفذ
عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته ؛ من اختصار اللفظ وتأكيده المعنى . هذا
إذا كان الأمر والنهي واقعين في جملة واحدة لا يقع فيهما وجوه التمثيل للأعمال .
فأما إذا وقع في ذلك الجنس فإن الحكم فيهما يخالف ما ذكرناه ، وسبيل الكلام
فيها أن يُحمّل على الإطالة والتكرير دون الحذف والإيجاز ؛ وذلك مثل ما يكتب
عن السلطان في أمر الأموال وحبائتها واستخراجها ، فسبيل الكلام أن يقدم
فيها ذكر مآراء السلطان في ذلك ودبره ، ثم يعقب بذكر الأمر بامثاله ، ولا يقتصر
على ذلك حتى يؤكّد ويكرّر لتأكيد الحجة على المأمور به ، ويحذر مع ذلك من
الإخلال والتقصير .

ومنها الإجماد والإذام والثناء والتعريض ، والنم والاستصغار ، والمعدل والتوبيخ ،
وسبيل ذلك أن تُشبع الكلام فيه ، ويمد القول حسب ما يقتضيه آثار المكتوب إليه
في الإحسان والإساءة والاجتهاد والتقصير ؛ ليرتاح بذلك قلب المطيع ، وينبسط
أمله ، ويرتاع قلب المسمى ، ويأخذ نفسه بالارتداع .

(١) الضاحية : الخارجة من العارة ، وهي خلاف الضامنة ، والضحل : الماء القليل .

(٢) المعامى : الأغفال ، وهي الأرضون المجهولة . (٣) الضامنة : ما كان داخلا في العارة

وتضمنه أمصارهم وقراهم . (٤) لا تصرف عن معنى تريده . (٥) الفاردة : الزائدة على القرية .

فَأَمَّا مَا يَكْتُبُهُ الْعَاهِلُ إِلَى الْأُمَرَاءِ وَمَنْ فَوْقَهُمْ ، فَإِنَّ سَبِيلَ مَا كَانَ واقِعاً مِنْهَا فِي
إِنهَاءِ الْأَخْبَارِ ، وَتَقْرِيرِ صُورِ مَا يَلَوْنَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَيَجْرِي عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ صُوفِ
الْأُمُورِ أَنْ يُعَدَّ الْقَوْلُ فِيهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ الشِّفَاءِ وَالْإِقْنَاعِ ؛ وَتَعَامُّ الشَّرْحِ
وَالاسْتِقْضَاءِ ؛ إِذْ لَيْسَ لِلْإِيجَازِ وَالِاقْتِصَارِ عَلَيْهِ مَوْضِعٌ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْأَلْفَاظِ السَّهْلَةِ
الْقَرِيبَةِ الْمَأْخُذِ ، السَّرِيعَةِ إِلَى الْفَهْمِ ، دُونَ مَا يَقَعُ فِيهِ اسْتِكْرَاهٌ وَتَعَقُّيدٌ ، وَرَبْمَا تَعَرُّضٌ
الْحَاجَةُ فِي إِنهَاءِ الْخَبَرِ إِلَى اسْتِهْمَالِ السَّكْنَاءِ وَالتَّوَرُّبِ عَنِ الشَّيْءِ دُونَ الْإِفْصَاحِ ؛ لِمَا
فِي التَّصْرِيحِ مِنْ هَتَاكِ السِّرِّ ؛ فِي حِكَايَتِهِ ^(١) عَنِ عَدُوِّ أَطْلَقَ لِسَانَهُ بِهِ ، وَفِيهِ أَطْرَاحُ
مَهَابَةِ الرَّئِيسِ ؛ فَيَجِبُ إِجْلَالُهُ عَنْهُ ؛ وَفِي الصِّدْقِ مَا يَسُوِّدُهُ سَمَاعُهُ ، وَيَقَعُ بِخِلَافِ
مُحِبَّتِهِ ؛ فَيَحْتَاجُ مَنْشَأَ السِّكْلَامِ إِلَى اسْتِهْمَالِ لَفْظٍ فِي الْعِبَارَةِ لَا تَنْخَرِقُ مَعَهُ هَيْمَةٌ
الرَّئِيسِ ، وَلَا يَعْتَرِضُ فِيهِ مَا يَشْتَدُّ عَلَيْهِ ، وَلَا يَكُونُ أَيْضاً مَعَهَا خِيَانَةٌ فِي طَيِّ مَا لَا
يَجِبُ سِرُّهُ ، وَلَا يَكْمَلُ لِهَذَا إِلَّا الْبُرْزُ السَّكَّامِلُ الْمَقْدَّمُ .

وَسَبِيلُ مَا يَكْتُبُ بِهِ فِي بَابِ الشُّكْرِ أَلَّا يَقَعُ فِيهِ إِسْهَابٌ ؛ فَإِنَّ إِسْهَابَ التَّابِعِ فِي
الشُّكْرِ ، إِذَا رَجَعَ إِلَى خُصُوصِيَّةِ ، نَوْعٍ مِنَ الْإِبْرَامِ ^(٢) وَالتَّثْقِيلِ ؛ وَلَا يَحْسُنُ مِنْهُ أَنْ
يَسْتَعْمَلَ الْإِكْتِثَارَ مِنَ الثَّنَاءِ وَالدَّعَاءِ أَيْضاً ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْأَبَاعِدِ الَّذِينَ لَمْ تَقْدِّمْ لَهُمْ
وَسَائِلُ مِنَ الْخِدْمَةِ وَمَقَدِّمَاتِ فِي الْحَرَمَةِ ، أَوْ تَكُونُ صِنَاعَتُهُمُ التَّكْسِبَ بِتَقْرِيطِ
الْمُلُوكِ وَإِطْرَاءِ السُّلْطَانِ . فَلَا يَقْبَحُ إِكْتِثَارُ الثَّنَاءِ مِنْ هُؤُلَاءِ .

وَلَيْسَ يَحْسُنُ مِنْهُ أَيْضاً تَسْكَرِيرُ الدَّعَاءِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ وَالرِّقَاعِ عِنْدَمَا يَجْزِيهِ
مَنْ ذَكَرَ الرَّئِيسَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَشْغَلَةٌ وَكَلْفَةٌ ، وَالْحُكْمُ فِيمَا يَسْتَعْمَلُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْكُتُبِ
مُشَبَّهٌ بِحُكْمِ مَا يَسْتَعْمَلُ مِنْهُ شَفَاهِماً . وَيَقْبَحُ مِنْ خَادِمِ السُّلْطَانِ أَنْ ^(٣) يَشْغَلَ سَمْعَهُ فِي
مُخَاطَبَتِهِ إِيَّاهُ بِكَثْرَةِ الدَّعَاءِ لَهُ وَتَسْكَرِيرِهِ عِنْدَ اسْتِثْنَائِهِ كُلِّ لَفْظَةٍ .

وَسَبِيلُ مَا يَكْتُبُ بِهِ التَّابِعُ إِلَى التَّبَوُّعِ فِي مَعْنَى الاسْتِعْظَافِ وَمَسْأَلَةِ النَّظَرَاءِ

(١) فِي أ ، ط « وَفِي حِكَايَتِهِ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَاهُ عَنْ ب . (٢) أْبْرَمُهُ : أَمَلُهُ .

(٣) فِي ط : أَلَا .

ألا يكتر من شكايته الحال ورقتها ، واستيلاء الخصاصة^(١) عليه فيها ؛ فإن ذلك يجمع إلى الإبرام والإضجار شكايته الرئيس لسوء حاله وقلة ظهور نعمته عليه . وهذا عند الرؤساء مكروهٌ جداً ، بل يجب أن يجعل الشكايته ممزوجةً بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير العائدة^(٢) .

وسبيل ما يكتب به في الاعتذار من شيء أن يتجنب فيه الإطناب والإسهاب إلى إيراد النكت التي يتوهم أنها مُقنعة في إزالة الموجبة ، ولا يعين في تبرئة ساحته في الإساءة والتقصير ؛ فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء ؛ والذي جرت به عادتهم الاعتراف من خدمهم وخولهم بالتقصير والتفريط في أداء حقوقهم وتأدية فروضهم ؛ ليكون لهم فيما يعقبون ذلك من العفو والتجاوز موضع منة مستأنفة تستدعي شكراً ، وعارفة مستجددة تقتضي نشرأ ؛ فأما إذا بالغ المتنصل في براءة ساحته من كل ما قذف به فلا موضع للإحسان إليه في إعفائه عن ترك السخط ، بل ذلك أمر واجب له ؛ وفي منع الرئيس حصته منه ظلم وإساءة .

وينبغي أن يكتر الألفاظ عنده ، فإن احتاج إلى إعادة المعاني أعاد ما يعيده منها بغير اللفظ الذي ابتدأ به ؛ مثل ما قال معاوية رضي الله عنه : من لم يكن من بني عبد المطلب جواداً فهو دخيل ؛ ومن لم يكن من بني الزبير شجاعاً فهو لزيق ؛ ومن لم يكن من ولد المغيرة تياها فهو سنيد^(٣) . فقال : « دخيل » ثم قال : « لزيق » ثم قال : « سنيد » . والمعنى واحد والكلام على ما تراه أحسن ، ولو قال لزيق ، ثم أعاده لسمع .

هذا ، أدام الله عزك ، بعد أن تفرق بين من تكتب إليه ؛ « فإن رأيت ، وبين من تكتب إليه » فرأيتك^(٤) . وأن تعرف مقدار المكتوب إليه من الرؤساء

(١) الخصاصة : الفقر . (٢) العائدة : المعروف والصلة والعطف والمنفعة .

(٣) اللزيق : اللصيق . والسنيد : الدعوى . (٤) عبارة أدب السكاتب صفحة ١٨ :

« فليس يفرقون بين من يكتب إليه : « فرأيتك في كذا » وبين من يكتب إليه : فإن =

والنظرَاء والغلمان والوكلاء ، فتفرق بين من تكتب إليه بصفة الحال وذِكْرِ السلامة ، وبين من تكتب إليه بتركيها إجلالاً وإعظاماً ، وبين من تكتب إليه : أنا أفعلُ كذا ، وبين من تكتب إليه : نحن نفعلُ كذا ؛ « فأنأ » من كلام الإخوان والأشباه ، « ونحن » من كلام الملوك . وتكتب في أول الكتاب « سلامٌ عليك » ، وفي آخره « والسلام عليك » ؛ لأنَّ الشيء إذا ابتدأتَ بذِكْرِهِ كان نكرةً ، فإذا أعدته صار معرفةً ؛ كما تقولُ : مرَّ بنا رجلٌ فإذا رجعتُ قلتُ : رجعتُ الرجل .

وكان الناسُ فيما مضى يستعملون في أولِ فصولِ الرسائل « أما بعد » . وقد تركها اليوم جماعةٌ من الكتاب ، فلا يكادون يستعملونها في شيء من كتبهم ، وأظههم أَمْثُوا بقول ابن القرية وسأله الحجاجُ عما يُنكرُهُ من خطابته ، فقال : إنك تكثرُ الردَّ ، وتُشيرُ باليدِ ، وتستعينُ بأَمَّا بعد . فتحاموه لهذه الجهة مع أنهم رَوَوْا في التفسير أن قول الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ هو قوله أَمَّا بعد ؛ فإن استعملته اتباعاً للأسلاف ، ورغبةً فيما جاء فيه من التأويل فهو حسنٌ ؛ وإن تركته توخيًّا لمطابقة أهلِ عصرِكَ ، وكراهةً للخروجِ عمَّا أصْلُوهُ لم يكن ضارًّا .

وينبغي أن يكون الدعاءُ على حَسَبِ ما توجَّه به الحالُ بينك وبين من تكتبُ إليه وعلى القدرِ المكتوب فيه .

وقد كتب بعضهم إلى حبة له : عصمنا الله وإياك مما يكره . فكتبت إليه : يا غليظَ الطَّبَعِ ؛ لو استجيت لك دَعْوَتُكَ لم نلتقُ أبدًا .

واعلم أن الذي يلزمك في تأليفِ الرسائل والخطب هو أن تجعلها مُزْدَوِجَةً فقط ، ولا يلزمك فيها السَّجْعُ ؛ فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ، ما لم يكن في سَجْعِكَ استكراه وتنافر وتعميد ، وكثر ما يقع ذلك في السَّجْعِ ، وقيل ما يسلم - إذا طال - من استكراه وتنافر .

= رأيت كذا . و « رأيتك » إنما يكتبها إلى الأكفاء والساوين ، ولا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء لأن فيها معنى الأمر . ولذلك نصبت .

وينبغي أن تتجنب إعادة حروف الصلوات والرباطات في موضع واحد إذا كتبت
مثل قول القائل: منه له عليه . أو عليه فيه . أو به له منه . وأخفها له عليه ، فسبيله
أن تدأويه حتى تربله بأن تفصل ما بين الحرفين ، مثل أن تقول : أقت به شهيداً عليه .
ولا أعرف أحداً كان يتبع العيوب فيما غيرها غير مكثر إلا المتنبى ، فإنه ضمن شعره
جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها حتى تخطى إلى هذا النوع فقال (١) :
ويسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح له منها عليها شواهد (٢)
فأني من الاستكراه بما لا يطأرُ غرابه .
فتدبر ما قلناه ، وارثه تظفر ببعيتك منه إن شاء الله .

(١) ديوانه : ١ - ٢٧٠ ، معاهد التنصيص : ١ - ٥٨ .

(٢) الغمرة : الشدة . السبوح : الفرس الشديد الجرى .

الباب الرابع

في البيان عن حُسنِ النظمِ وجوْدَةِ الرِّصْفِ والسَّبِيكِ وخلاف ذلك

أجناس الكلام المنظوم ثلاثة : الرسائل ، والخطب ، والشعر ، وجميعها تحتاج إلى حُسنِ التاليفِ وجوْدَةِ التركيبِ .

وحُسنُ التاليفِ يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ، ومع سوء التاليفِ ورداءة الرِّصْفِ والتركيبِ شعبة من التعمية ، فإذا كان المعنى سببياً ، ورصف الكلام ردياً لم يوجد له قبُولٌ ، ولم تظهر عليه طلاوة . وإذا كان المعنى وسطاً ، ورصفُ الكلام جيداً كان أحسنَ موقعاً ، وأطيبَ مستمماً ؛ فهو بمنزلة العقْد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائماً في المرأى وإن لم يكن مرتفعاً جليلاً ، وإن اختلَّ نظمه فضمت الحبة منه إلى ما لا يليقُ بها افتحمته العينُ وإن كان فائقاً ثميناً .

وحُسنُ الرِّصْفِ أن توضع الألفاظُ في مواضعها ، وتمكّن في أمّاكنها ، ولا يستعملُ فيها التقديمُ والتأخيرُ ، والحذفُ والزيادةُ إلا حدفاً لا يفسدُ الكلامَ ، ولا يُعمى المعنى ؛ وتضمُّ كل لفظةً منها إلى شكلها ، وتضاف إلى لفظها .

وسوءُ الرِّصْفِ تقديمُ ما ينبغي تأخيرهُ منها ، وصرْفُها عن وجوها ، وتغييرُ صيغتها ، ومخالفةُ الاستعمالِ في نظمها .

وقال العتابي : الألفاظُ أجساد ، والمعاني أرواح ؛ وإنما تراها بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخرًا ، أو أخرت منها مقدماً أفسدت الصورةَ وغيرت المعنى ؛ كما لو حوّل رأسٌ إلى موضع يد ، أو يدٌ إلى موضع رجل ، لتحوّلت الخِلقة ، وتغيّرت الحليّة .

وقد أَحْسَنَ في هذا التمثيلِ وَأَعْلَمَ به على أن الذي يَنْبَغِي في صيغة الكلامِ وَضَعُ كلِّ شيءٍ منه في موضعه ليَخْرُجَ بذلك من سوء النظم .

فمن سوء النظمِ المَعاظلةُ ، وقد مدح عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه زهيراً لجانبتها^(١) . فقال : كان لا يَعاظِلُ بين الكلامِ ؛ وأَصْلُ هذه الكلمة من قولهم : تعاطلت النجر أدنان إذا رَكبت إحداهما الأخرى ، وعاظِل الرجل المرأة إذا رَكبها ؛ فمن المَعاظلة قولُ الفرزدق^(٢) :

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونِي تَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَذِئِبُ يَصْطَحِبَانِ
وقوله^(٣) :

هُوَ السَّيْفُ الَّذِي نَصَرَ ابْنَ أَرْوَى بِهِ عُثْمَانُ مَرَّوَانُ الْمُصَابَا
وقوله للوليد بن عبد الملك^(٤) :

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبُ^(٥) نُصَاهِرُهُ
وقوله بمدح هشام بن إسماعيل^(٦) :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلِّكًا أَبُو أُمَّه حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وقوله :

الشمسُ طالعةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَدَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالقَمَرَا
وقوله^(٧) :

مَا مِنْ نَدَى رَجُلٍ أَحَقَّ بِمَا أَتَى مِنْ رَاحَتَيْنِ^(٨) يَزِيدُ بِقَدْحِ زَنْدِهِ^(٩)
وقوله^(١٠) :

إِذَا جِئْتَهُ أُعْطَاكَ عَفْوَاً وَلَمْ يَكُنْ عَلَى مَالِهِ حَالُ الرَّدَى مِثْلَ سَائِلِهِ

من سوء
النظم

(١) أي المَعاظلة . (٢) ديوانه : ١٥٣ . (٣) ديوانه : ٦٤ . (٤) ديوانه : ٦٦ .
(٥) في ط ، ب « كليبيا » وصوابه من أ . (٦) ديوانه : ٢٦ .
(٧) ديوانه : ٦٠ . (٨) في الديوان : من ساعدين . (٩) في ط : تريد تقطع زنده .
(١٠) هو لذي الرمة كما في ديوانه صفحة ٧٠ ، واللسان - مادة نعل .

إلى ملك لا تنصفُ الساقَ نعله^(١) أجل لا وإن كانت طويلاً محامله^(٢)
وقال قدامة: لا أعرفُ المعاظلةَ إلا فاحشَ الاستعارة؛ مثل قول أوس^(٣):
وذاث هدمٍ عارٍ نواشِرُها نُصِمَتْ بالماءِ تَوَلَّبا جِدَعاً^(٤)
فسمى الصبي تَوَلَّبا؛ والتَوَّاب: وَلَدُ الحمارِ.
وقول الآخر^(٥):

وما رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتَهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ^(٥)
فسمى قَدَمَ الْإِنْسَانِ حَافِراً. وهذا غَلَطٌ مِنْ قَدَامَةِ كَبِيرٍ؛ لِأَنَّ الْمَعَاظِلَةَ فِي أَصْلِ
السَّكَّامِ إِنَّمَا هِيَ رُكُوبُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ بَعْضاً؛ وَسُمِّيَ السَّكَّامُ بِهِ إِذَا لَمْ يَنْضُدْ نَضْداً مُسْتَوِيًا،
وَأَرْكَبُ بَعْضُ أَلْفَاظِهِ رِقَابَ بَعْضٍ، وَتَدَاخَلَتْ أَجْزَاؤُهُ، تَشْبِيهاً بِتَعَاظِلِ الْكَلَابِ وَالْجِرَادِ،
عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ؛ وَتَسْمِيَةِ الْقَدَمِ بِحَافِرٍ لَيْسَتْ بِمَدَاخِلَةِ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ بُعْدٌ
فِي الْإِسْتِعَارَةِ.

والدليلُ على ما قلنا أنك لا ترى في شعرٍ زهيرٍ شيئاً من هذا الجَنَسِ، ويوجد
في أكثر شعر الفحول نحو^(٦) ما نَفَّاهُ عَنْهُ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحَدَهُ؛ فَمَا وَجَدَ مِنْهُ
فِي شَعْرِ النَّابِغَةِ قَوْلُهُ^(٧):

(١) هذه رواية اللسان قال: ويروى حائله، وفي ديوان ذي الرمة: ترى سيفه. وصفه
بالطول. (٢) اللسان - مادة هدم، وتقد الشعر: ٦١، والموشح: ٦٣، وهو أوس بن حجر.
(٣) الهدم، بالكسر: الكساء الذي ضوعفت رقاعه وخص ابن الأعرابي به الكساء البالي
من الصوف. والنواشر: عصب النراع من داخل وخارج، وقيل: هي العصب التي في ظاهرها.
وقال في اللسان: ذات بالرفع، لأنه معطوف على فاعل قبله وهو:

لييكك الشرب واللدامة والفتيات طراً وطامع طمعا

(٤) الموشح: ٦٤، واللسان - مادة حفر. (٥) البكر: الفتى من الإبل. يمر به -
من مر بهت الفرس: إذا استخرجت ما عنده من الجرى. والبيت لجيها الأسدَى يصف ضيقاً طارقاً
أسرع إليه - كما في اللسان - وقيله:

فأصر ناري وهي شقراء أوقدت بليلى: فلاحت للعيون النواظر...

(٦) في الأصول: فنحو (٧) ديوانه: ٦٢.

يُزِنَ الثَّرَى حَتَّى يَبَاشِرْنَ بَرْدَهُ إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيقَهَا بِالْكَلاَكِلِ (١)
معناه : يُزِنَ الثَّرَى حَتَّى يَبَاشِرْنَ بَرْدَهُ بِالْكَلاَكِلِ إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيقَهَا .
وهذا مستهجنٌ جداً ؛ لأنَّ المعنى تعمى فيه .

وقول الشماخ (٢) :

تَخَامَصُ عَنِ بَرْدِ الوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ تَخَامَصُ حَافِيَ الخَيْلِ فِي الأَمْعَزِ الوَجِي (٣)
معناه تخامص الحافي الوجي في الأمعز .

وقول ليبيد :

وشمولى قهوة (٤) باكرتها في التباشير مع الصبح الأول (٥)
أى في التباشير الأول مع الصبح .

وكقول ذى الرمة :

كأنَّ أصواتَ من إيفالهنَّ بنا أواخرِ الميسِّ أصواتُ الفَرَارِيحِ (٦)
يريد كأنَّ أصواتَ آخرِ الميسِّ أصواتُ الفَرَارِيحِ من إيفالهنَّ .

وقوله أيضاً :

نضا البرد عنه وهو من ذو جنونه أجارى تصهالٍ وصوتٍ صلاصلٍ (٧)
كأنه من تخليطه كلامٌ مجنونٌ أو هجرٌ مبرسم (٨) يريد : وهو من جنونه ذو أجارى .

(١) الكلال والكلكال : الصدر من كل شيء . والبيت في ديوانه هكذا :

يثرن الحصى حتى يباشرن برده إذا الشمس مدت ريقها بالكلال

(٢) ديوانه : ٧ . (٣) التخامص : التجافي عن الشيء ، قاله في اللسان واستشهد له بالبيت .

والأمعز : المكان الذى فيه غلظ وصلابة . ويقال ، وجى الفرس وهو أن يجد وجعاً فى حافره .

(٤) القهوة : الحجر . (٥) روى هذا البيت اللسان ، قال : ليبيد يصف صاحباً له

عرس فى السفر فأيقظه :

قلما عرس حتى هجته بالتباشير من الصبح الأول

قال : والتباشير : طرائق ضوء الصبح فى الليل .

(٦) الميس : الرجل . الإيفال : السير السريع . (٧) يقال : فرس ذو أجارى :

أى ذو فنون فى الجرى . (٨) المبرسم : المصاب بعلّة البرسام .

وكقول أبي حية النيرى (١) :

كأخط الكتاب بكف يوماً يهودى يقارب أو يزيل

يريد : كما خط الكتاب بكف يهودى يوماً يقارب أو يزيل .

وقول الآخر (٢) :

هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَ لَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا

يريد : أَخَوَا مِنْ لَا أَخَ لَهُ فِي الْحَرْبِ .

وليس للمحدث أن يجعل هذه الأبيات حجة ، ويبنى عليها ؛ فإنه لا يُعَدَّرُ في شيء منها ، لاجتماع الناس اليوم على مجانبة أمثالها ، واستجادة ما يصحُّ من الكلام ويستبين ، واستبدال ما يسكل ويستبينهم .

فن الكلام المستوى النظم ، اللتئم الرصف قولُ بعض العرب (٣) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكٌ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ (٤) عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

فَقَتِي لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ النَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءِ وَسُيُوفٍ

وَأَجْرَدَ شَطْبٍ فِي الْعِنَانِ خُنُوفٍ (٥) وَأَجْرَدَ شَطْبٍ فِي الْعِنَانِ خُنُوفٍ (٦)

مَقَامًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرِ خَفِيفٍ كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ طِعَانًا (٧) وَلَمْ تَقُمْ

فَلَا تَجْزَعَا يَا بَنِي طَرِيفٍ (٨) فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ حَالًا (٩) بِكُلِّ شَرِيفٍ

والمنظوم الجيد ما خرج مخرج المنثور في سلاسته ، وسهولته واستوائه ، وقلقه

ضروراته ؛ ومن ذلك قول بعض المحدثين :

(١) الموشح : ٢٢٧ . (٢) قال في الموشح - ٢٢٧ : ومثله لامرأة من بني قيس .

(٣) معاهد التنصيص : ٣ - ١٥٩ . وقد نسب هذه الأبيات إلى ليلي بنت طريف الشيباني

ترثي أخاها . (٤) في معاهد التنصيص : لم تجزع . (٥) في المعاهد :

ولا التَّحْزَنُ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءِ صَلْدِمٍ مَعَاوِدَةَ لِلْيَكْرِ بَيْنَ صَفُوفٍ

(٦) الخنوف : الفرس الذي يلوى حافره .

(٧) في المعاهد : هناك . (٨) في المعاهد : عليه سلام الله وقفا . . .

(٩) في المعاهد : وقفا .

وقُوفَكَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ أقر الخِلافة في دارها
كأنك مطلع في القلوب إذا ما تَنَجَّتْ بِأَسْرَارِهَا
فكفَّراتُ طرفِكَ مرْدُودة إِلَيْكَ بِبَاطِنِ أَخْبَارِهَا
وفي راحَتَيْكَ الرَّدى والنَّدَى وكتاتهما طَوْعُ مِمْتَارِهَا
وأفضيةُ اللهِ مَحْتَمَّةٌ وأنت منفَّذُ أقدارها

ولا تكاد القصيدة تستوى أبياتها في حُسنِ التَّأليفِ ، ولا بدَّ أن تتخالف ؛ فمن ذلك قول عبيد بن الأبرص (١) :

وقد عَلَا لِمَتِي شَيْبٌ فودَعَنِي مِنْهُ الْغَوَانِي وَدَاعَ الصَّارِمِ الْقَالِي
وقد أَسَلَّتْهُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي بِجَمْرَةٍ كَعَلَاةِ النَّيْنِ شَمْلَالِ (٢)
زِيَافَةٍ بِقَتُودِ الرَّحْلِ نَاجِيَةٍ تَفْرِي الْهَجِيرَ بِتَبْغِيلِ وَإِرْقَالِ (٣)
وفيها :

تَحْتِي مُسُومَةٌ جَرْدَاءُ عِجْلِزَةٍ كَالْمَهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الْغَالِي (٤)
وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ أَرْمَى بِسَاحَتِهِ لِلَّهِ دَرٌّ سَوَادِ اللَّمَّةِ الْخَالِي
فهذا نظم حسن وتأليف مختار .

وفيها ما هو رديء لاخير فيه ، وهو قوله :

بَانَ الشَّبَابُ فَآلِي لَا يُلِيمُ بِنَا وَاحْتَلَّ بِي مِنْ شَيْبٍ كُلِّ (٥) مَحْلَالِ

(١) ديوان المختار من شعراء العرب : ٩٧ . (٢) الجسرة : الناقة إذا كانت طويلة ضخمة . والعلاة : السندات ، أي ما يضرب عليه الحداد الحديد ، ويقال للناقة علاة : تشبه بها في صلابتها . والشمال : الحقيبة السريعة . (٣) الزيافة : الناقة المختالة . والقعود ، بفتح القاف : خشب الرجل . وفي ط : بقعود الرجل ، أي سيوره . والتبغيل والإرقال : ضربان من السير . (٤) المسومة : العلامة بعلامة . والعجلزة : الصلبة . والغالي : الذي يغلو بسهمه أي يباعده في الرمي (اللسان - مادة غلا) . (٥) في ديوان مختارات العرب : أي .

وقوله :

فبت^(١) أُلْعِبَهَا طَوْرًا^(٢) وَتَلْعِمُنِي ثم انصرفتُ وهي مَسْنَى عَلَى بَالٍ^(٣).

قوله : « واحتل بي من مشيب كل محلال » بغيض خارج عن طريقة الاستعمال

وَأَبْغَضُ مِنْهُ قَوْلُهُ : « وهي منى على بال » .

وفيها :

وَكَبْشٌ مَلْمُومَةٌ بِأِدْنِ نَوَاجِذِهَا شَهْبَاءُ ذَاتِ سَرَائِيلٍ وَأَبْطَالٍ^(٤)

السرايل : الدروع ، فلو وضع السيوف موضع الدروع لكان أجود .

وفيها :

أَوْجَرْتُ جُفْرَتَهُ خِرْصًا فَهَالَ بِهِ كَمَا انْتَنَى خَضُدٌ مِنْ نَاعِمِ الضَّالِّ^(٥)

النصف الثاني أكثر ماء من النصف الأول .

وفيها :

وَقَهْوَةٌ كَرُضَابٍ^(٦) الْمَسْكَ طَالَ بِهَا فِي دَمِّهَا كَرٌّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالٍ

هذا البيت متوسط .

بَا كَرَّتْهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو الضَّبَّاحُ لَنَا فِي بَيْتٍ مِنْهُمْ الْكَفَّيْنِ مِفْضَالٍ

النصف الثاني أجود من النصف الأول .

(١) في الديوان : قد بت . (٢) في الديوان : وهنا . (٣) ألعبها ، ألعب المرأة :

جعلها تلعب ، أو جاءها بما تلعب به ، وقد استدل اللسان على هذين المعنيين بيت عبيد .

(٤) الكبش من القوم : رئيسهم . والمعمومة : الكتيبة المجمعة المضموم بعضها إلى بعض .

(٥) أوجره الريح : طعنه به في فيه . والجفرة : وسط كل شيء ومعظمه ، والخرس : سنان

الريح ، وتجاوز فيه الحركات الثلاث . والخضد : ما قطع من عود رطب . والضال : الصدر البري

والخضود منه الذي قطع شوكة . وهذا البيت اضطربت الأصول في روايته ، وما أثبتناه موافق لما في

الختارات واللسان - مادة خرس ، خضد . (٦) في الديوان : كرفات .

وقوله:

أما إذا دُعيت نزال^(١) فإنهم
هذا ردى الرصف .

وبعده:

نخلت بعدم وأسْتُ بخالد
متوسط .

وبعده:

إلا لأعلم ما جهلت بمقبيهم^(٢) وتذكرى ما فات أى أوان
مختل النظم ، ومعناه لست بخالد إلا لأعلم ما جهلت ، وتذكرى ما فات ، أى
أوان كان .

وقول النمر بن تولب^(٣) :

لممري لقد أسكرت نفسى ورابنى
فضول أراها فى أديمى بعد ما
بطنى عن الداعى ، فاست بأخذ
كان حطاً فى يدى حارثية
تدارك ما قبل الشباب وبعده
يود الفتى طول السلامة والغنى
مع الشيب أبدالى التى أتبدل
يكون كفاف اللحم أو هو أفضل^(٤)
سلاحى إليه مثل ما كنت أفعل^(٥)
صناع علت منى به الجلد من عل^(٦)
حوادث أيام تمر وأغفل^(٧)
فكيف ترى طول السلامة تفعل

(١) نزال : مثل قطام بمعنى انزل ، وهو معدول عن المنازلة. وفي ط : « يحمدون » ، صوابه
عن ب (٢) عقب كل شىء : آخره .
(٣) جمهرة أشعار العرب : ١٩٦ . (٤) اللسان - مادة كفف ، وفيه : أو هو أجل . وأراد
بالفضول : تفضن جلده لكبره بعد ما كان مكتنز اللحم . (٥) أورده فى الجمهرة بعد قوله :
وكننت صفى النفس لاشىء دونه وقد صرت من إقصا حبيبي أذهل
(٦) الحط : الذى يوشم به ، وقيل : الحديدية التى تكون مع الحزازين ينقشون بها الأديم ،
والبيت فى اللسان - مادة حطط . (٧) فى الجمهرة : « نضر وأعقل » .

يرد^(١) الفتى بعد اعتدالٍ وصِحَّةٍ . يَنُوءُ إذا رَامَ البِقِيَامَ وَيُحْمَلُ
فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف .

وفيها :

فلا الجارة الدُّنيا لها تَلَحِّيها^(٢) ولا الضيفُ فيها إن أَنَاخَ مُحَوِّلُ
فالنَّصْفُ الأولُ مُحْتَمِلٌ ؛ لأنه خالف فيه وَجْهَ الاستعمال^(٣) ؛ ووجهه أن يقول :
فهي لا تلحى الجارة الدنيا ، أى القريبة .

وكذلك قوله :

إذا هتكتَ أطنابَ بَيْتٍ وأهله بَمَعْظَمِها لم يُورِدُوا المَاءَ قَيِّلًا^(٤)
هذا مضطربٌ لتناوله المعنى من بعيد . وَوَجْهُ الكَلَامِ أن يقول : إذا دنت إبلنا
من حَيٍّ ولم ترد إبلهم الماء قيلوا من إبلنا . والقيل : شرب نِصْفِ النِّهَارِ .
وأشدُّ اضطراباً منه قوله :

وما قمعنا فيه الوطابَ وحولنا بِيوتَ علينا كلها فُوهُ مُقْبِلٍ^(٥)
ووجهُ الكَلَامِ : أن يقول : لسنا نحقن اللبن فنجعل الأفاع في الوطاب ، لأنَّ
حولنا بيوت أفواهم مقبلة علينا ، يرجون خيرنا ؛ فاضطربَ نَظْمُ هَذِهِ الأبيات
لمدو لها عن وجه الاستعمال .

(١) في الجمهرة : يود ، ثم قال شارحها : يحمل في آخر البيت مبنى للمعلوم ، وفسره بأنه
يريد أنه يحمل السلاح . وبعض هذه الأبيات سبق في صفحة ٣٨ (٢) تلومها .

(٣) لأنه أدخل النون التي للتوكيد .

(٤) المعطن : مبرك الإبل حول الحوض ، ورواية البيت في الجمهرة :

إذا هتكت أطناب بيت - وأهله بمعظمها - لم يورد الماء أقبل

(٥) في الجمهرة : وأقمنا فيها الوطاب وحولنا * مقفل

والوطب : الزق الذي يكون فيه السمن واللبن .

ومثله :

رَأَتْ أُمَّنَا كَيْصَا يُلْفَفُ وَطَبَهُ إِلَى الْأَنْسِ الْبَادِينَ فَهُوَ مُزْمَلٌ (١)
فَقَالَتْ فُلَانٌ قَدْ أَغَاثَ عِيَالَهُ (٢) وَأَوْدَى عِيَالُهُ آخِرُونَ فَهَزَلُوا
أَلَمْ يَكُ وَلِدَانٌ أَعَانُوا وَمَجْلَسٌ قَرِيبٌ فَيَجْرِي إِذْ يَكْفُ وَيَجْمَلُ (٣)

الكيس : الذى ينزل وحده . والوطب : وعاء اللبن . والأنس البادون : أهله
لأنه يرده إليهم ، فمنهم من يتقدم فيسقى لبنه ومنهم من يرده كَيْصَا مثل فعل الذى
ينزل وحده . مزمل : مبرد (٤) .

فهذه الآيات سَمِجَةُ الرَّصْفِ ؛ لأنَّ الفصيحَ إذا أراد أن يعبرَ عن هذه المعانى ،
ولم يُسَامِحْ نفسه عبرَ عنها بخلاف ذلك .

وكان القومُ لا ينتقد عليهم ، فكانوا يسامحون أنفسهم فى الإساءة .
فأما مثال الحسن الرصف من الرسائل فكما كتب بعضهم : ولولا أن أجودَ
الكلام ما يدلُّ قليله على كثيره ، وتُعنى جملته عن تفصيله ، لو سَعَتْ نِطَاقُ الْقَوْلِ
فَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنْ خُلُوصِ الْمَوَدَّةِ ، وصفاء المحبة ؛ فجاء مجال الطرف فى مبدأه ،
وتصرف تصرف الرِّوْضِ فى افتتنانه ؛ لكن البلاغة بالإيجاز أبلغ من البيان بالإطناب .
ومن تمام حُسْنِ الرَّصْفِ أَنْ يَخْرُجَ الْكَلَامُ مَخْرَجًا يَكُونُ لَهُ فِيهِ طَلَاوَةٌ وَمَاءٌ ،
وربما كان الكلام مستقيم الألفاظ ، صحيح المعانى ؛ ولا يكون له رَوْنَقٌ وَلَا رُوَاءٌ ؛
ولذلك قال الأصمى لشعر ليلى : كأنه طيلسان طبرانى ، أى هو محكم الأصل
ولا رَوْنَقَ لَهُ .

(٦) رواية اللسان فى مادة كيس :

رَأَتْ رَجُلًا كَيْصَا يُلْفَفُ وَطَبَهُ فَيَأْتِي بِهِ الْبَادِينَ وَهُوَ مُزْمَلٌ
وقال فى اللسان بعد أن فسر السكيس بالرجل الأشرف وذكر البيت : يهتمل أن تكون ألف
كَيْصَا لِلْمِطَاقِ ، ويهتمل أن تكون التى هى عوض من التنوين فى النصب .
(٢) فى الجمهرة : قد أغاث عياله . (٣) فى الجمهرة : فنخزى إذا كنا نحل ونحمل .
(٤) المزمل : المغطى . وزمل الشيء : أخفاه .

والكلامُ إذا خرج في غير تكلفٍ وكدٍ وشدّةٍ تفكرٍ وتعمّلٍ كان سلساً سهلاً
وكان له ماءٌ ورؤاءٌ ورقرأقٌ ، وعليه فرندٌ ^(١) لا يكونُ على غيره مما عسر بروزه
واستكره خروجه ؛ وذلك مثل قول الخطيئة ^(٢) :

هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَتْ مِنْ الْأَيَّامِ مُظْلَمَةٌ أَضَاءُوا

وقوله :

لَهُمْ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا
وَقَوْلٍ أَشْجَعِيعُ :

نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
طَارَتْ لَهْنَ عَنِ الْفِرَاحِ الْهَامُ
هَامًا لَهَا ظِلُّ السِّيْفِ غَمَامُ
جُنْدٌ وَرَاءَ الْمَسْلَمِينَ قِيَامُ

وقول النمر :

خَا طِرٌ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً
فَالسَّالُ فِيهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ

وقول الآخر :

نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأَسْقَطَ نَجْمُهُمْ
وَالنَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُدُودُ تَنَامُ

وقول الآخر :

لَعْنُ الْإِلَهِ تَعَلَّةُ بِنِ مَسَافِرٍ
فَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعَ جَوْدِهَا رَوْنُقٌ لَيْسَ فِي غَيْرِهَا مِمَّا يَجْرِي مَجْرَاهَا فِي صِحَّةِ
الْمَعْنَى وَصَوَابِ اللَّفْظِ .

(١) الفرند : وشى السيف . (٢) المختار من ديوان العرب : ١٢٢ .

(٣) القبحوح : مصدر كالقبح : ضد الحسن .

ومن الكلام الصحيح المعنى واللفظ ، القليل الحلاوة المديم الطلاوة قولُ

الشاعر :

أرى رجالاً بأذني الدين قد قنعوا ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدونِ
فاستغنوا بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدينِ

ومن الشعر المستحسن الرونق قولُ دِعْبِل (١) :

وإنَّ امرءاً أُمستْ مَسَاقِطُ رَجْلِهِ بأسوانٍ لم يتركْ له الحرصُ مَعْلَمًا
حَلَلَتْ مَحَلًّا يَقصرُ البرقُ دُونَهُ ويمجز عنه الطيفُ أنْ يتجسَّما

(١) تقدم ذكرهما في صفحة ٥٦ .

الباب الخامس

في ذكر الإيجاز والإطناب (فصلان)

الفصل الأول من الباب الخامس

في ذكر الإيجاز

قال أصحاب الإيجاز: الإيجازُ قصورُ البلاغةِ على الحقيقة ، وما تجاوزَ مقدارَ الحاجةِ الإيجازُ فهو فضَّلٌ داخلٌ في بابِ الهدرِ والخطَلِ ، وهما من أعظمِ أدواءِ الكلامِ ، وفيهما دلالةٌ على بلادِ صاحبِ الصناعة .

وفي تفضيلِ الإيجازِ يقولُ جعفرُ بنُ يحيى لكتابه : إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعاتٍ فافعلوا .

وقال بعضهم : الزيادةُ في الحدِّ نقصانٌ . وقال محمد الأمين : عليكم بالإيجازِ فإنَّ له إفهاماً ، وللإطالةِ استهماماً . وقال شبيب بن شبة : القليلُ السكافي خَيْرٌ من كثيرٍ غيرِ شافي . وقال آخر : إذا طال الكلامُ عرضتْ له أسبابُ التكلفِ ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتي به التكلفُ . وقد قيلَ لبعضهم : ما البلاغةُ ؟ فقال : الإيجازُ . قيل : وما الإيجازُ ؟ قال : حَذْفُ الفُضولِ ، وتقريبُ البعيدِ .

وسمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقولُ لرجلٍ : كفاك اللهُ ما أهلك . فقال : هذه البلاغةُ . وسمع آخرٌ يقولُ : عصمك اللهُ من المسكارِ . فقال : هذه البلاغةُ . وقوله صلى الله عليه وسلم : أو تبتِ جوامعَ الكلمِ .

وقيلَ لبعضهم : لم لا تطيلُ الشعرَ ؟ فقال : حسبتُك من القِلادةِ ما أحاطَ بالعمقِ . وقيلَ ذلكُ لآخرٍ ، فقال : لستُ أبيعُه مذارعةً .

تفضيل
الإيجاز

وقيل للفرزدق : ما صيرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأنى رأيتها
في الصدور أوقع ، وفي المحافل أجول .

وقالت بنت الحطيئة لأبيها : ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ فقال : لأنها
في الآذان أولج ، وبالأفواه أعلق . وقال أبو سفيان لابن الزبيرى : قصرت في شعرك ؟
فقال : حسبتك من الشعر غرة لأمتة ، وسمة واضحة .

وقيل للنابغة الذبياني : ألا تطيل القصائد كما أطال صاحبك ابن حجر ؟ فقال :
من انتحل انتقر (١) .

وقيل لبعض المحدثين : مالك لانزيد على أربعة وائنين ؟ قال : هُنَّ بالقلوب أوقع ،
وإلى الحفظ أسرع ، وبالألسن أعلق ، وللمعاني أجمع ، وصاحبها أبلغ وأوجز .

وقيل لابن حازم : ألا تطيل القصائد ؟ فقال :

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي	إلى المعنى وئلمى بالصواب
وإيجازي بمختصر قريب	حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثن أربعة وستا	مثقة بالفاظ عذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا	وما حسن الصبا بأخي الشباب
وهن إذا سميت بهن قوما	كأطواق الحمام في الرقاب
وكن إذا أقت مسافرات	تهادها الرواة مع الركاب (٢)

وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه : ما رأيت بليغا قط إلا وله
في القول إيجاز ، وفي المعاني إطالة .

وقيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب غير أنك كليل الكلام . قال : أقتسمعون
صوابا أم خطأ ؟ قالوا : بل صوابا . قال : فلزيادة من الخير خير . وليس كما قال ؛
لأن للكلام غاية ؛ ولنشاط السامعين نهاية ؛ وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى

(١) الانتقار : الاختيار . (٢) هذا البيت لم يرد في أ ، ب وفي ط : تهادها .

الاستئصال ، وصار سبباً للملال ؛ فذلك هو الهدر والإسهاب والخطل ، وهو معيب عند كل لبيب .

وقال بعضهم : البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب . وقال : المتكثار كصاحب الليل . وقيل لبعضهم : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال : من حلّى المعنى المُرَبِّبَ باللفظ الوَجِيز ، وطبّق المَفْصِلَ قَبْلَ التَّحْزِينِ .

المُرَبِّبُ : الفاضل ، والمُرَبِّبُ : الفضل . وقوله : « وطبّق المَفْصِلَ قَبْلَ التَّحْزِينِ » : مأخوذ من كلام معاوية رضى الله عنه وهو قوله لعمر بن العاص لما أقبل أبو موسى : يا عمرو ؛ إنه قد ضُمَّمَّ إليك رجلٌ طويل اللسان ، قصيرُ الرأى والعرفان ؛ فأقلل الحزبَ ، وطبّق المَفْصِلَ ، ولا تَلَقَّه بكلِّ رأيك . فقال عمرو : أ كثرَ من الطعام ، وما بطن قومٌ إلا فقدوا بعضَ عقولهم .

نوعا الإيجاز

والإيجاز : القَصْرُ والجَدْفُ .

فالقَصْرُ تَقْلِيلُ الألفاظ ، وتكثِيرُ المعاني ؛ وهو قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ .

ويُتَبَيَّنُ فَضْلُ هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه ، وهو قولهم : « القتلُ أنْفَى للقتلِ » . فصار لفظُ القرآنِ فوقَ هذا القولِ لزيادته عليه في الفائدة ، وهو إبانةُ العدلِ لِدِكْرِ القِصَاصِ وإظهارِ الغرضِ المرغوبِ عنه فيه لذكر الحياة ، واستدعاء الرِّعْبَةِ والرَّهْبَةِ لحكم الله به وإيجازه في العبارة . فإنَّ الذي هو نظيرُ قولهم : « القتلُ أنْفَى للقتلِ » إنما هو : « القِصَاصُ حَيَاةٌ » وهذا أقلُّ حروفاً من ذلك ، ولُبُّعْدِهِ من الكلفة بالتكرير ، وهو قولهم : « القتلُ أنْفَى للقتلِ » . ولفظُ القرآنِ برى من ذلك ، وبِحُسْنِ التَّأْلِيفِ وشِدَّةِ التَّلَاوُمِ المُدْرَكِ بالحسِّ ؛ لأنَّ الخُروجَ من الفاء إلى اللامِ أَعْدَلُ من الخُروجِ من اللامِ إلى الهمزة .

ومن القِصْرِ أيضاً قوله تعالى : ﴿ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ

على بَمِضٍ ﴿ لا يُؤَاذِي هَذَا الْكَلَامَ فِي الْاِخْتِصَارِ شَيْءٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . وَقَوْلُهُ عَزَّ اسْمُهُ : ﴿ وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ وَإِنَّمَا كَانَ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَكْرِ وَالْبَغْيِ رَاجِعًا عَلَيْهِمْ وَحَاقًا بِهِمْ ، فَجَعَلَهُ لِلْبَغْيِ وَالْمَكْرِ الَّذِينَ هُمَا مِنْ فِعْلِهِمْ إِيجَازًا وَاِخْتِصَارًا . وَقَوْلُهُ سَبْحَانَهُ : ﴿ أَفَنْضِرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ تَحْيَرٌ فِي فَصَاحَتِهِ جَمِيعُ الْبَلَاغَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَوْجِدَ مِثْلَهُ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ الْآيَةُ .. تَتَضَمَّنُ مَعَ الْإِيجَازِ وَالْفَصَاحَةِ دَلَائِلَ الْقُدْرَةِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ كَلِمَتَانِ اسْتَوْعَبَتَا جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ عَلَى غَايَةِ الْاسْتِقْصَاءِ . وَرَوَى أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَرَأَهَا ، فَقَالَ : مَنْ بَقِيَ لَهُ شَيْءٌ فَلْيَطْلِبْهُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاِخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ اِخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَالْمَنَاطِرِ وَالْهَيْئَاتِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ حَمْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : ﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفُونَ ﴾ اِنْتِظَمَ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ (وَلَا يُنْفُونَ) عَدَمَ الْعَقْلِ وَذَهَابَ الْمَالِ وَنَفَادِ الشَّرَابِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾ دَخَلَ تَحْتَ الْأَمْنِ جَمِيعُ الْمَحْبُوبَاتِ ؛ لِأَنَّهُ نَقِيَ بِهِ أَنْ يَخَافُوا شَيْئًا أَصْلًا مِنَ الْفَقْرِ وَالْمَوْتِ وَزَوَالِ النِّعْمَةِ وَالْجَوْرِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَكَارِهِ ؛ فَلَا تَرَى كَلِمَةً أَجْمَعَ مِنْ هَذِهِ .

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ جَمْعُ أَنْوَاعِ التِّجَارَاتِ ، وَصِنُوفِ الْمَرَاْفِقِ الَّتِي لَا يَبْلُغُنَّهَا الْعَدُّ وَالْإِحْصَاءُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ جَمْعُ مَنَافِعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ تَشْتَمِلُ عَلَى أَمْرِ الرِّسَالَةِ وَشَرَائِعِهَا وَأَحْكَامِهَا عَلَى الْاسْتِقْصَاءِ ؛ لِمَا فِي قَوْلِهِ « فَاصْدَعْ » مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّأْثِيرِ ، كَتَأْثِيرِ الصَّدْعِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُلَّ أَمْرٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ اشْتَمَلَتْ عَلَى عَوَاقِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وقوله تعالى : ﴿ وَله ما سَكَنَ في اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ﴾ وإنما ذكر السناكن ولم يذكر المتحرك ؛ لأنَّ سكونَ الأَجسامِ الثَّقيلةِ مثل الأرض والسماء في الهواء من غيرِ علاقةٍ ودعامةٍ أَعْجَبَ وأدَلَّ على قدرةِ مسكنها .

وقوله عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فجمع جميع مكارم الأخلاقِ بِأَسْسِها ؛ لأنَّ في العفو صلةَ القاطمين ، والصمغ عن الظالمين ، وإعطاء المانعين ، وفي الأمرِ بالعرف تقوى اللهِ وصلة الرَّحِمِ ، وصون اللسان عن الكذب ، وغضَّ الطرفِ عن الحرمات ، والتبرُّؤُ من كل قبائح ؛ لأنه لا يجوز أن يأمر بالمعروف وهو يلبس شيئاً من المنكر ؛ وفي الإعراضِ عن الجاهلين الصَّبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفیه بما يوتغ^(١) الدين ويُسقط القدرة .

وقوله تعالى : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءًها وَمَرَعاًها ﴾ ؛ فدلَّ بِشَيْئَيْنِ على جميع ما أخرجَهُ من الأرضِ قوتاً ومَتاعاً للناس ، من العُشبِ والشجرِ والحطبِ واللِّباسِ والنَّارِ والملحِ والماءِ ؛ لأنَّ النارَ من الميدانِ ، والملحُ من الماءِ ، والشاهدُ على أنَّه أراد ذلك كلَّهُ قوله تعالى : ﴿ مَتاعاً لَكُمْ ولأنعامكم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ تُسقى بِماءٍ واحدٍ ونُفِضَ بِمَعْضِها على بَعْضِ في الأَكْلِ ﴾ ، فانظُرْ هل يمكنُ أحداً من أصنافِ التَّسكُّمينِ إيرادَ هذه المعاني في مثل هذا القَدَرِ من الألفاظِ .
وقوله عز وجل : ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ جمع الأشياء كلها حتى لا يشدَّ منها شيءٌ على وَجْهِه .

وقوله تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفُسُ وتلذَّذُ الأَعينُ ﴾ جمع فيه من نَمِّ الجنةِ ما لا تحصرُهُ الأَفهامُ ، ولا تبلغُهُ الأوهامُ .

(١) الوتغ ، بالتحرّيك : الهلاك ، والإثم ، وفساد الدين .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِبَائِكُمْ وَخَصْرَاءُ الدَّمَنِ » (١) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « حَبِئْتُ الشَّيْءَ يُعْمَى وَيَصْم » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « مِمَّا يُنْبِتُ الرِّبِيْعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يُيْلِمُ » (٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الصَّحَّةُ وَالْفِرَاعُ نَعْمَتَانِ » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « تَرَكَ الشَّرَّ صَدَقَةً » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الْحَمَى فِي أَصُولِ النَّخْلِ » ..
فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه ، وإذا أردت أن تعرف صحَّة ذلك فغلبا وابنيها بناء آخر ؛ فإنك تجدها تجي في أضعاف هذه الألفاظ .

قوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَلْيَسْبِنْ عَلَيْكَ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعْمَلُ ، وَارْتَضِخْ مِنَ الْفَضْلِ ، وَلَا تَلْمُ عَلَى الْكَفَافِ ، وَلَا تَعْجِزْ عَنِ نَفْسِكَ » .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « فَلْيَسْبِنْ عَلَيْكَ » أى فليظهر أثره عليك بالصدقة والمعروف ، ودل على ذلك بقوله : « وَابْدَأْ بِمَنْ تَعْمَلُ ، وَارْتَضِخْ مِنَ الْفَضْلِ » ، أى اكسر من مالك وأعط ، واسم الشيء الرضيخة . « وَلَا تَعْجِزْ عَنِ نَفْسِكَ » أى لا تجمع لغيرك وتبخل عن نفسك ، فلا تقدم خيراً .
وقول أعرابي : اللهم هب لي حنك ، وأرض عني خلقك .

(١) الدمن : جمع دمنة والأصل فيه ما تدمته الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها ، أى تلبسه في مراضها ، فربما نبت فيها الكلاء يرى له غضارة وهو وبيء الرعي منقذ الأصل ، شبه به المرأة الحسنة في المنبت السوء ؛ لأن تمام الحديث : قيل : وما ذاك ؟ قال : المرأة الحسنة في المنبت السوء ..
(٢) والحبط : أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا تخرج عنها ما فيها . والحديث جاء في اللسان في مادة حبط . وفيه : إن قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرِّبِيْعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا » مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع . وذلك أت الربيع ينبت أحرار العشب التي تحلولها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها ، يهلك في الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب . وارجع إلى مادة حبط في اللسان ففيها بحث حول هذا الحديث مستفيض .

وقال آخر : أولئك قومٌ جملوا أموالهم مناديل لأعراضهم ؛ فالحيرُ بهم زائد ،
والمعروفُ لهم شاهد ؛ أى يَقُونَ أعراضهم بأموالهم .

وقيل لأعرابي يسوقُ مالا كثيرا : لِمَنْ هذا المال ؟ فقال : لله فى يَدِي .

وقال أعرابي لرجلٍ يمدحُه : إنه لِيُعطَى عطاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مادته .

وقول آخر : أما بعدُ فَمِظِ الناسَ بَعَمَلِكَ ، ولا تَعْظُمُهُمْ بِقَوْلِكَ ، واستَحْيِ من الله
بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ ، وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .

وقال آخر : إن شككت فاسألْ قَلْبِكَ عن قَلْبِي .

ومما يدخل فى هذا الباب المساواة ، وهو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ ،
والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض ، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز
والإطناب ؛ وإليه أشار القائل بقوله : كأنَّ ألفاظه قوالبُ لمعانيه ؛ أى لا يزيد بعضها
على بعض .

فما فى القرآن من ذلك قوله عز وجل : ﴿ حورٌ مقصوراتٌ فى الخيام ﴾ (١) .
وقوله تعالى : ﴿ ودوا لو تدهن فئدهنون ﴾ (٢) . ومثله كثير .

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة مغنما
والزكاة مغرما » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إياك والمشاركة فإنها تميم الغرة ونجسي
الغرة » (٣) .

ومن ألفاظ هذه الفصول ما كانت معانيه أكثر من ألفاظه ، وإنما يكره تمييزها
كرامة الإطالة .

ومن نثر الكتاب قول بعضهم : سألت عن خبرى وأنا فى عافية لا عيب فيها
إلا فقدك ، ونعمة لا مزيد فيها إلا بك .

(١) مقصورات : أى محبوسات على أزواجهن . (٢) قال فى اللسان عن الفراء
(ودوا لو تدهن فئدهنون) بمعنى ودوا لو تكفر فيكفرون . وقيل : ودوا لو تصانعهم فى الدين
فيصانعونك . (٣) المشاركة : المقابلة من الشرأى لا تفعل به شرأ فتوجه إلى أن يفعل بك
مثله . والغرة : الحسن والعمل الصالح . والغرة : القدر واستعير للمساوى والمثالب .

وقوله : علمتني نبوتك سأوتك ، وأسلمني بأسي منك إلى الصبر عنك . وقوله :
فحفظ الله النعمة عليك وفيك ، وتولّى إصلاحك والإصلاح لك ، وأجزَلَ من الخير
حظَّك والحظَّ منك ، ومنَّ عليك وعلينا بك .

وقال آخر : يئست من صلاحك بي ، وأخافُ فسادى بك ، وقد أظنُّ في
ذم الحمار من شبَّهك به .

ومن المنظوم قولُ طرفة^(١) :

سُتَبِدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ

وقول الآخر :

شُهْدَى الْأُمُورِ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَأَبَّتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ

وقول الآخر :

فَأَمَّا الَّذِي يُحْصِيهِمْ فَمُكْتَرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِمْ فُمَقَلٌّ

وقول الآخر^(٢) :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلَّةٌ عَيْنٍ حَبِيْبُهَا

وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ أَبُكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ ، وَلَكِنْ قَلٌّ مِنْكَ نَصِيْبُهَا

وقول الآخر :

أَصْدٌ بِأَيْدِي الْعَيْسِ عَنْ قَصْدِ أَهْلِهَا وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمُودَةِ قَاصِدٌ

وقول الآخر :

يَقُولُ أَنْاسٌ لَا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا بَلَى كُلِّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا^(٣)

وقال الآخر :

يَطُولُ الْيَوْمُ لَا أَلْفَاكَ فِيهِ وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرٌ

(١) جمهرة شعراء العرب : ١٤٧ . الشعر والشعراء : ١٤٥ .

(٢) ديوان الحماسة : ٣ - ٣٠٤ . (٣) يضير : يضر .

وقالوا: لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فقلتُ لصاحبي: فمن يَضِيرُ

قوله: « لصاحبي » يكاد يكون فضلاً .

وأما الحذفُ فعلى وُجُوهِه ، منها أن تحذفَ المضافُ وتقيم المضاف إليه مقامه ^{وجوه} الحذف وتجعل الفعل له ، كقول الله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ ، أى أهلها .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ ، أى حُبّه .

وقوله عز وجل : ﴿ الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ ، أى وقت الحج .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، أى مكرّم فيهما .

وقال المتنخل الهذلي (١) :

يَمْشِي بَيْنَنَا حَانُوتٌ تَحْمُرُ مِنَ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ الْقِطَاطِ (٢)

يعنى صاحب حانوت فأقام الحانوت مقامه .

وقال الشاعر (٣) :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهِبَ السَّبَالُ أَذْلَةً سَوَاسِيَةً أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

يعنى أهل المجلس .

ومنها (٤) أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما ويضمّر للآخر فعله ، وهو قوله

تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ معناه : وادعوا شركاءكم ، وكذلك هو فى

مصحف عبد الله بن مسعود .

وقال الشاعر :

تراه كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ نَابَ لَهُ وَفُرُّهُ

أى ويقفاً عينيه .

(١) ديوان الهذليين : ٢ - ٢١ . (٢) الصراصرة : نبط الشام . وقال شارح ديوان

الهذليين : يرمى بالحرس الصراصرة خدم من العجم . والقطاط : الجماد .

(٣) ديوان ذى الرمة : ٢٩ . (٤) من وجوه الحذف .

وقول الآخر :

إِذَا مَا الْغَايَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا
وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْمَيُونَا

الميون لا تزجج ، وإنما أراد وكحلن الميون .

ومنها (١) أن يأتي الكلام على أن له جواباً فيُحذفُ الجوابُ اختصاراً لعلم
المخاطب ؛ كقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ،
أَوْ كَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أراد لكان هذا القرآن ، فحذف .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، أراد
لهدبكم .

وقال الشاعر :

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ
سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

أى لرددناه .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سِوَاكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ ، فذكر أمةً واحدة
ولم يذكر بعدها أخرى ، وسواء يأتي من اثنتين (٢) فما زاد .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَمِنْ هُوَ قَائِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ ، ولم يذكر
خلافه ، لأن في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
دليلاً على ما أراد .

وقال الشاعر :

أَرَادَ فَمَا أَدْرَى أَهْمُهُ هَمُّهُ
وَذَوَاهِمٌ قَدَّمَا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ (٣)

ولم يأت بالآخر .

وربما حذفوا الكامة والكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

(١) من وجوه الحذف . (٢) أى تدل على اثنين . (٣) المتضائل : المنقبض ،

والضئيل : النجيف .

أَكْفَرْتُمْ ﴿ . وقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ،
أى ووصى بالوالدين إحسانا .

وقال النمر :

فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا فَسَوْفَ تَصَادِفُهُ أَيْتَمَانًا

أى أَيْتَمَانًا ذَهَب .

وقال ذو الرمة (١) :

لِعِرْفَانِهَا وَالْعَهْدُ نَاهٍ وَقَدْ بَدَأَ لِنَدَىٰ نُهَيْتِ أَنْ لَا إِلَىٰ أُمَّ سَالِمٍ (٢)

المعنى أن لا سبيل إليها ولا إلى لقاءها ، فاكتفى بالإشارة إلى المعنى ؛ لأنه قد عرف ما أراد ، كما قال النمر بن تولب :

فلا وأبى الناس لا يعلمون لا الخير خير ولا الشر شر

أى ليسا بداعين لأحد . والنهية : العقل ، والجمع نُهَى (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ، أى فى يومٍ ذى عاصف . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا

أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ، أى ولا من فى السماء بمعجز .

ومثل قول الشنفرى (٤) :

لَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ

أى ولكن دعونى للتي يُقَالُ لها : خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ إِذَا صِيدَتْ ، يعنى الضبع .

ومنها (٥) القسَمُ بِالْجَوَابِ ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَدْ وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ بَلْ عَجَبُوا ﴾ ،

(١) ديوانه : ٨٤ . (٢) فى الديوان : * لدى نهية إلا إلى أم سالم *

(٣) هذا التفسير لبيت ذى الرمة .

(٤) الذى فى اللسان - مادة عمر -

لا تدفنونى إن دفننى محرّم عليكم ولكن أبشرى أم عامر

ثم قال : ومن أمثالهم : خامرى أم عامر أبشرى مجرد عظلى وكمر رجال قتلى فننزل له حتى يكعبها

ثم يجرها ويستخرجها ، والعرب تضرب بها المثل فى الحق . (٥) أى وجوه الخذف .

معناه والله أعلم : قَ وَالْقُرْآنَ الْحَمِيدَ اتَّبِعْنَا ، وَالشَّاهِدُ مَا جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَعْثِ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ اُنْذِرْ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾ .

وَمِنَ الْخَذْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ اِلَّا كِبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ ، أَيْ
كِبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ (١) :

إِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَبْضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقَهُ أَنَامِلُهُ (٢)

وَمِنَ الْخَذْفِ إِسْقَاطُ « لَا » مِنَ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ
تَضِلُّوا ﴾ ، أَيْ « لِأَنَّ لَا تَضِلُّوا » . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَنْ تَجْهَلَ أَعْمَالَكُمْ ﴾ ، أَيْ
لَا تَجْهَلَ أَعْمَالَكُمْ .

وَقَالَ اِصْرُؤُ الْقَيْسِ (٣) :

قُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
أَيْ لَا أَبْرَحُ قَاعِدًا .

وَقَالَ آخِرُ :

فَلَا وَأَبِي دُهُمَانَ زَالَتْ عَزِيزَةٌ عَلَى قَوْمِهَا مَا فَتَلَ الزَّئِدُ قَادِحُ

وَمِنَ الْخَذْفِ أَنْ تُضْمَرَ غَيْرَ مَذْكُورٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾
يَعْنِي الشَّمْسُ بَدَأَتْ فِي الْغَيْبِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يَعْنِي
عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْمًا ﴾ ، أَيْ بِالْوَادِي . وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ ، يَعْنِي الدُّنْيَا أَوِ الْأَرْضَ . ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ ، يَعْنِي عُقْبِي
هَذِهِ الْفِعْلَةُ .

(١) اللسان - مادة وسق . وقائله ضابي بن الحارث البرجمي .

(٢) لم تسقه : أى لم تحملها . (٣) ديوانه : ٥٣ ، الطراز : ٢ - ١٠٩ .

وقول لبيد (١) :

وَأَجْنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا (٢)

حتى إِذَا أَلْقَتْ يَدَا فِي كَافِرٍ

يعنى الشمس تَبَدَّأ (٣) فى المغيب .

وضرب منه آخر قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا ﴾ ، أى من

قومه .

وقال العجاج :

* تحت الذى اختار له الله الشجره *

أى من الشجره .

وضرب منه ما قال تعالى فى أول سورة الرحمن : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

وذكر قبل ذلك الإنسان ، ولم يذكر الجان ثم ذكره .

ومثله قول المثقب (٤) :

فما أدري إذا يممّت أرضاً أريد الخير أيهما يلينى

أالخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغينى

فكنى عن الشر قبل ذكره ، ثم ذكره .

ومن الحذف قوله تعالى : ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ ،

أراد يشترون الضلالة بالهدى . وقوله تعالى : ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين ﴾ ، أى أبقينا

(١) الشعر والشعراء : ٢٤٣ ، اللسان : ٦ - ٤٦٣ .

(٢) الكافر : الليل لأنه يستر بظلمته كل شىء . وأجن عليه الليل : إذا أظلم . والثغور ،

واحدته ثغر : وذلك كل فرجة فى جبل أو بطن واد أو طريق مسلوكة . قال فى اللسان - مادة كفر :

إن لبيدا سرق هذا المعنى من قول ثعلبة بن صميرة المازنى يصف الظليم والنعامه ورواحهما إلى يعضهما

عند غروب الشمس وذلك بقوله :

فتذكرها تقلا رثيدا بعد ما ألفت ذكاء يمينها فى كافر

(٤) المفضليات ٢ : ٩٢ .

(٣) فى ط : تدأب ، وهذا عن اللسان .

له ذِكْرًا حَسَنًا فِي الْبَاقِينَ فَحَذَفَ الذِّكْرَ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا
يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أَيْ يَبْحَثُ التُّرَابَ عَلَى غُرَابٍ آخَرَ لِيُؤَارِيَهُ ؛ فَيَرَى هُوَ
كَيْفَ يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ ؛ أَيْ فِي مَرَضَاتِهِمْ .

وَمِنَ الْحَذْفِ قَوْلُ صَعْصَعَةَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَقَالَ : لَمْ يَقُلْ فِيهِ مَسْتَرِيدٌ ؛ لَوْ أَنَّهُ ، وَلَا مُسْتَقْصِرٌ ؛ لِأَنَّهُ ؛ جَمَعَ الْحَلْمَ ، وَالْعَلِمَ ،
وَالسَّلْمَ ، وَالقَرَابَةَ الْقَرِيْبَةَ ، وَالهِجْرَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَالْبَصَرَ بِالْأَحْكَامِ ، وَالْبَلَاءَ الْعَظِيمَ فِي
الْإِسْلَامِ .

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَلَّى ^(١) أَبُو بَكْرٍ ،
وَنَثَلْتُ عَمْرًا ، وَخَبَطْنَا فِتْنَةً ثُمَّ شَاءَ اللَّهُ .

وَقَالَ الْقَيْسِيُّ : مَا زِلْتُ أَمْتَطِي النَّهَارَ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَدِلُّ بِفَضْلِكَ عَلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا
جَنَى اللَّيْلُ ، فَقَبِضَ الْبَصَرَ ، وَمَا الْأَثْرُ ، أَقَامَ بَدَنِي ، وَسَافِرَ أَمَلِي ، وَالْإِجْتِهَادُ
عَازِرٌ ؛ وَإِذَا بَلَقْتِكَ فَقَط .

فَقَوْلُهُ : « فَقَط » مِنْ أَحْسَنِ حَذْفٍ وَأَجْوَدِ إِشَارَةٍ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الزُّعَلِّ الْعَبْسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُبَرَّدُ
أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ أَتَى أَخَاهُ خَالِدًا ، فَقَالَ : يَا أَخِي ؛ لَقَدْ هَمَمْتُ الْيَوْمَ
أَنْ أَفْتِكَ بِالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَقَالَ خَالِدٌ : بئس والله ما هَمَمْتَ بِهِ فِي ابْنِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ! فَقَالَ : إِنَّ خِيْلِي مَرَّتْ بِهِ فَبَعَثْتُ بِهَا وَأَصْغَرْتُ فِيهَا .
فَقَالَ : أَنَا أَكْفِيكَ ؛ فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ الْوَلِيدَ

(١) وَأَصْلُ هَذَا فِي الْحَيْلِ ، فَالسَّابِقُ الْأَوَّلُ ، وَالْمُصَلَّى الثَّانِي .

ابن أمير المؤمنين مرّت به خيلُ ابنِ عمّه عبد الله بن يزيد؛ فعبث بها وأصغره (١) فيها.
وعبد الملك مُطرقٌ ، ثم رفع رأسه وقال : ﴿ إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَمَعُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا أَذَلَّةٌ ﴾ . فقال خالد : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُنْهَكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْزِفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ . فقال عبد الملك : أفي عبد الله
تكلمتني ؛ لقد دخل عليّ فأقام لسانه لحناً ؟ فقال خالد : أفعلى الوليدِ تُعول ؟ فقال
عبد الملك : إن كان الوليدُ يَلْحَنُ فإن أخاه سليمانُ . فقال خالد : إن كان عبدُ الله
يلحن فإن أخاه خالد (٢) . فقال له الوليدُ : اسكت ، فوالله ما تُعدّ في العيرِ ولا
في النفير (٣) . فقال : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل عليه ، فقال : وَيَحْكُ فَن
للعيرِ والنفيرِ غيري ؟ جدّي أبو سفيان صاحب العير ، وجدّي عُثْبَةُ بن ربيعة
صاحب النفير (٤) ؛ ولكن لو قلت : غُنَيْمَاتٌ وَحُبَيْلَاتٌ وَالطَّائِفُ وَرَحِمَ اللهُ عُمَانَ
قُلْنَا صَدَقْتَ .

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم طرد الحكيم بن أبي العاص (٥) فصار إلى
الطائف برعى غنيمه ويأوى إلى حُبَلَة - وهي السكْرمة - ورحم الله عثمان ، أَى
لرذّه إياه (٦) . فهذا جذفٌ بديع .

وكذلك قول عبد الملك : إن كان الوليدُ يلحن فإن أخاه سليمان ؛ وقول خالد :
إن كان عبدُ الله يلحن فإن أخاه خالد ، حذفٌ حسنٌ أيضاً ، ومثله هذا كثيرٌ في
كلامهم ، ولا وَجْهَ لاسْتِيعَابِهِ .

(١) أصغره : جعله صغيراً . (٢) في ط : خالد . (٣) أصل العير : القافلة ،

والنفير : القوم الذين يتقدمون في القتال ، ويقولون لمن لا يستلحقونه : فلان لا فى العير ولا
فى النفير . (٤) يشير بذلك إلى عير قريش التي كانت مع أبي سفيان ، وعتبة كان قائداً للمشركين

يوم بدر . (٥) جد عبد الملك . (٦) وقد أبقى أبو بكر وعمر أن يرداه .

ومن الحذف الرديء قول الحارث بن حلزة (١) :

وَالعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ لِ النُّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا (٢)

وإنما أراد : والمعيشُ الناعمُ خيرٌ في ظلال النوك من العيشِ الشاقِّ في ظلال العقل ، وليس يدلُّ لحنُ كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقصر .

ومن الحذف الرديء أيضاً قول الآخر (٣) :

أَعَاذِلْ عَاجِلُ مَا أَشْتَهَى أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ (٤)

يعنى عاجل ما أشتهى مع القلة أحبُّ إلى من رائثه مع الكثرة .

ومثله قول عروة بن الورد (٥) :

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ وَمَقْتُلُهُمْ عِنْدَ الوَفَى كَانَ أَعْدَرًا

يعنى إذ يقتلون نفوسهم في السلم .

ومثله من نثر الكتاب ما كتبت بعضهم : فإنَّ المعروف إذا زجاً (٦) كان

أفضل منه إذا توافر وأبطأ . وتأمَّ المعنى أن يقول : « إذا قل وزجاً » . فترك ما به يتمُّ المعنى ؛ وهو ذِكرُ القِلة .

وكتب بعضهم : فما زال حتى أتلف ماله ، وأهلك رجاله ؛ وقد كان ذلك

في الجهاد والإبلاء أحقُّ بأهل الحزم وأولى . والوجه أن يقول : فإنَّ إهلاك المال

والرجال في الجهاد والإبلاء أفضل من فعل ذلك في المودعة .

ومثل هذا مقصر غيرُ بالغ مَبْلَغ ما تقدم في هذا الباب من الحذف الجيد .

(١) تقد الشعر : ١٤٧

(٢) النوك ، بالضم : الحق ويفتح أيضاً . (٣) تقد الشعر : ١٢٧ .

(٤) الرث : الإطاء ، والرائث : المبطل . (٥) تقد الشعر : ١٢٧ ، ديوانه : ١٨ .

(٦) زجا الأمر : تيسر .

وأقبحُ من هذا كله قولُ الآخر^(١) :
لا يرمضون إذا جرت مشافيرهم ولا ترى مثلهم في الطعن مبالاً
ويفشلون إذا نادى ربهم ألا اركبن فقد آنت أبطالاً
أراد : « ولا يفشلون » فتركه ؛ فصار المعنى كأنه ذم .

وقول المخبل في الزبرقان :
وأبوك بدر كان يفتيس الحصى وأبي الجواد ربيعة بن قبال^(٢)
فقال الزبرقان : لا بأس ؛ شيخان اشتركا في صنعة .

(١) قد الشعر : ١٢٧ . (٢) نهس اللحم : أخذه بمقدم الأسنان ، وانتهسه كذلك .

الفصل الثاني

من الباب الخامس ، في ذكر الإطناب

قال أصحاب الإطناب : المنطق إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع ،
والشفاء لا يقع إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبينه ، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني ،
ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء ؛ والإيجاز للخوَص ، والإطناب
مشارك فيه الخاصة والعامة ، والنبي والفطن ، والريض والمرتاح ؛ ولمعنى ما أُطيلت
الكتب السلطانية في إفهام الرعايا .

فصل
الإطناب

والقول القصد أن الإيجاز والإطناب يُحتاجُ إليهما في جميع الكلام وكل نوع
منه ؛ ولكل واحدٍ منهما موضع ؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى
الإطناب في مكانه ؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في
موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ .

الحاجة إلى
الإيجاز
والإطناب

كما روى عن جعفر بن يحيى أنه قال مع عجبهِ بالإيجاز : متى كان الإيجاز أبلغ
كان الإكثار عيباً . ومتى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً .
وأمر يحيى بن خالد بن برمك اثنين أن يكتبَا كتاباً في معنى واحد ، فأطال
أحدهما ، واختصر الآخر ؛ فقال للمختصر - وقد نظر في كتابه : ما أرى موضع
مزيد . وقال للمطيل : ما أرى موضع نقصان .

وقال غيره : البلاغة الإيجازُ في غير عجز ، والإطنابُ في غير خطل . ولا شك
في أن الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة ، والفتوح الجليلة ،
وتفخيم النعم الحادثة ، والترغيب في الطاعة ، والنهي عن المعصية ، سبيلها أن تكون
مُشبعة مستقصاة ، تملأ الصدور ، وتأخذ بمجامع القلوب ؛ ألا ترى أن كتاب
المهلب إلى الحجاج في فتح الأزارقة :

الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلاً بنعمته ، وقضى
الآن ينقطع المزيد من فضله ، حتى ينقطع الشكر من خلقه ، ثم إننا كنا وعدونا على
حالتين مختلفتين ، نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوينا ، ويرون فينا ما يسوءهم أكثر
مما يسرهم . فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم ؛ ينصرنا الله ويخذلهم ، ويمحصنا ويمحقهم ،
حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله ؛ فقطع دابر القوم الذي ظلموا والحمد لله
رب العالمين .

وإنما حسن في موضعه ومع الغرض الذي كان لكتابه فيه ؛ فأما إن كتب مثله
في فتح يوازي ذلك الفتح في جلالة القدر وعلو الخطر ، وقد تطلعت أنفس الخاصة
والعامة إليه وتصرفت فيه ظنونهم ، فيورد عليهم مثل هذا القدر من الكلام في أقبح
صورة وأسمجها وأشوهها وأهجنها كان حقيقاً أن يتمجّب منه .

وكذلك لو كتب عن السلطان في العدل والتوبيخ وما تجب القلوب منه
من التغيير والتنكير بمثل ما روى أن الوليد بن يزيد كتب إلى والي العراق حين
عتب عليه : إنى أراك تقدم في الطاعة رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيهما شئت ،
والسلام .

وبمثل ما كتب جعفر بن يحيى إلى عامل سُكِّي : قد كثر شاكوك ، وقل
شاكروك ؛ فأما عدلت ، وإما اعتزكت .

ومثل هذا ما كتب به بعض الكتاب إلى عامله على الخراج ، وقد وقع عليه
تحامل على الرعية^(١) : إن الخراج عمود الملك ، وما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر
بمثل الجور .

فهذا الكلام في غاية الجودة والوجازة ، ولكن لا يصلح من مثل صاحبه
وبالإضافة إلى حاله ؛ فالإطناب بلاغة ؛ والتطويل عيب ؛ لأن التطويل بمنزلة سلوك ما
يمعد جهلاً بما يقرب . والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة .

(١) هكنا بالأصول .

وقال الخليل : يختصر الكتاب ليُحفظ ، ويُسَطَّ لِيُفهم . وقيل لأبي عمرو
ابن العلاء : هل كانت العرب تُطيل ؟ قال : نعم ؛ كانت تُطيل لِيُسمع منها ، وتُوجز
ليُحفظَ عنها .

والإطناب إذا لم يكن منه بُدُّ إيجاز ؛ وهو في المواعظ - خاصة - محمود ؛ كما أن
الإيجاز في الإفهام محمود ممدوح .

والموعظة كقول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ
نَاعِمُونَ . أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ . أَفَأَمِنُوا مَكْرَ
اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ . فتكرير ما كرر من الألفاظ
هأهنا في غاية حُسنِ الموقع .

وقيل لبعضهم : متى يُحتاج إلى الإكثار ؟ قال : إذا عظم الخطب . وأنشد :
صَمَوْتُ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلَهُ
وَفَتَّاقَ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْحَبْرِ

وقال آخر :

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً
وَحَى الْمَلَا حِظِ خَشِيَةَ الرَّقْبَاءِ

وقال بعضهم :

إِذَا مَا ابْتَدَى خَاطِبًا لَمْ يُقَلِّ
طَبِيبٌ بَدَاءَ فَنُونَ الْكَلَامِ
لَهُ أَطْلَلَ الْقَوْلَ أَوْ قَصَّرَ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ
مِ لَمْ يَعْنِ يَوْمًا وَلَمْ يَهْدِرِ
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ
قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُقْصِرِ
قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْبِرِ

ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصلح بين العشائر أطالوا ؛ وإذا أنشدوا الشعر
بين السامطين^(١) في مديح الملوك أطنبوا ؛ والإطالة والإطناب في هذه المواضع إيجاز .

وقيل لقيس بن خزيمة : ما عندك في سمالات^(٢) داحس ؟ قال : عندي قرا

(١) سماء القوم : صفهم . (٢) السمالات : الذببة يجعلها قوم عن قوم .

كلُّ نازلٍ ، ورضا كلِّ سَاطِطٍ ، وخطبة من لَدُنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إلى أن تغرب ، أمرٌ فيها بالتواصلِ وأنهى عن التقاطع . فقيل لأبي يعقوب الخَرَمِيُّ : هَلَّا اِكْتَفَى بقوله : « أمرٌ فيها بالتواصل » عن قوله : « وأنهى عن التقاطع »؟ فقال : أو ما علمتَ أن الكناية والتعريض لا تَعْمَلُ عمَلَ الإطنابِ والتكشيفِ .

وقد رأينا الله تعالى إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ أخرج الكلامَ مخرجَ الإشارةِ والوَحْيِ ؛ وإذا خاطبَ بنى إسرائيلَ أو حَكَى عنهم جعل الكلامَ مَبْسُوطًا .

فما خاطبَ به أهلَ مَكَّةَ قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَأِيسْتَنْقِذُوه مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أَوِ اتَّقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ؛ في أشباهِ لهذا كثيرة .
وقل ما تجدُ قصةَ لبنى إسرائيلَ في القرآنَ إلا مُطَوَّلَةً مشروحةً ومكررةً في مواضعٍ مُعَادَةٍ ؛ لبعْدِ فَهْمِهِمْ كان ، وتأخُرِ مَعْرِفَتِهِمْ .

وكلامُ الفصحاءِ إنما هو شَوَّبُ الإيجازِ بالإطنابِ والفصيحِ العالى بما دون ذلك من القصدِ المتوسِّطِ ؛ ليستدلَّ بالقصدِ على العالى ، وليخرجَ السامعُ من شىءٍ إلى شىءٍ فيزدادَ نشاطه وتوفُّرَ رغبته ، فيصرفوه في وُجوه الكلامِ إيجازه وإطنابه ، حتى استعملوا التكرارَ ليتوكَّدَ القولُ للسامعِ .

وقد جاء في القرآنَ وفصيح الشعر منه شىءٌ كثيرٌ ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ . فيكون للتوكيد كما يقول الفائل : ارم ارم ، واعمجل اعمجل .
وقد قال الشاعر :

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ كَانَتْ وَكَمْ

وقال آخر (١) :

هَلَّا سَأَلْتَ مُجْمَعِ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا

وإنما جاءوا بالصفة وأرادوا توكيدها فكروها إعادتها ثانية ؛ فمفروا منها
حرافاً ، ثم أتبعوها الأولى ؛ كقولهم : «عطشان نطشان» كرهوا أن يقولوا : عطشان
عطشان ؛ فأبدلوا من العين نونا . وكذلك قالوا : حسن بسن . وشيطان ليطان ، في
أشباه له كثيرة .

الاتباع

وقد كرر الله عز وجل في سورة الرحمن قوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ؛
وذلك أنه عدد فيها نعماءه وأذكر عباده آلاءه ، ونبهم على قدرها ، وقدرته عليها ،
ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها .

وقد جاء مثل ذلك عن أهل الجاهلية ؛ قال مهلهل (٢) :

* على أن ليس عدلاً من كليب *

فكررها في أكثر من عشرين بيتاً .

وهكذا قول الحارث بن عباد :

* قرّباً مرّ بط النعامه منى *

كررها أكثر من ذلك ؛ هذا لما كانت الحاجة إلى تكريرها ماسة ، والضرورة
إليه داعية ، لعظم الخطب ، وشدة موقع الفجعة ؛ فهذا يدلّك على أن الإطناب
في موضعه عندهم مستحسن ، كما أن الإيجاز في مكانه مستحب .

ولابدّ للكاتب في أكثر أنواع مكاتباته من شعبة من الإطناب يستعملها إذا
أراد المزوجة بين الفصلين ، ولا يُعاب ذلك منه . وذلك مثل أن يكتب : عظمت
نعمنا عليه ، وتظاهر إحساننا لديه . فيكون الفصل الأخير داخلًا في معناه في الفصل
الأول ؛ وهو مستحسن لا يعيبه أحد .

(١) البيت لعبيد بن الأبرص ، انظر شرح ديوان امرئ القيس ص ٤ (طبعة هندية)

سنة ١٣٢٤ . (٢) مهذب الأغاني : ١ - ١٩٠ .

ولما أحيط بمروان قال خادمه باسل : من أغفل القليل حتى يكبر ، والصغير حتى يكبر ، والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا .
وهذا كلامٌ في غاية الحُسْنِ ، وإن كان معنى الفصلين الأخيرين داخلا في الفصل الأول .

وهكذا قول الشاعر^(١) :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْدَ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
فالشعر الأسود داخل في شَرَّخِ الشَّبَابِ .

وكذلك قول أبي تمام^(٢) :

رُبُّ خَفِيفٍ^(٣) تَحْتَ السَّرِيِّ وَعِنَاءٌ مِنْ عِنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ
العناء داخل في الخفيف ، والعناء داخل في السري فاعلم .

ومما هو أجلُّ من هذا كله قولُ الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ ؛ فالإحسانُ داخل في العَدْلِ ، وإيتاء ذِي الْقُرْبَى داخل في الإحسان ؛ والفحشاء داخل في المنكر ، والبغى داخل في الفحش .

وهذا يدلُّ على أن أعظم مدارِ البلاغةِ على تحسين اللفظ ؛ لأنَّ المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول ، وكانت الألفاظ مختارة حَسَنَ الكلام ؛ وإذا كانت مرتبة حسنةً والمعارض سيئةً كان الكلامُ مردوداً . فاعتمد على ما مثلته لك ، وقس عليه إن شاء الله .

(١) حسان بن ثابت، ديوانه: ٤١٣ (٢) ديوانه: ٣٦ (٣) خفض: سعة وراحة .

البَابُ السَّادِسُ

في حسن الأخذ وحل المنظوم (فصلان)

الفصل الأول من الباب السادس

في حسن الأخذ

تداول المعاني ليس لأحدٍ من أصناف القائلين غيبي عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوال من سبقهم ؛ ولكن عليهم - إذا أخذوها - أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ، ويرزوها في معارض من تأليفهم ، ويوردوها في غير حليتها الأولى ، ويريدوها في حُسن تأليفها وجودة تركيبها وكل حليتها ومعرضها ؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقُّ بها ممن سبق إليها ؛ ولولا أن القائل يؤدّي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول ؛ وإنما يتنطق الطفل بعد استماعه من البالغين .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لولا أن الكلام يماد لنفد . وقال بعضهم : كلُّ شيء ثنيتُه قصر إلا الكلام فإنك إذا ثنيتَه طال . على أن المعاني مشتركة بين العقلاء ، وربما وقع المعنى الجيد للسوق والنبطي والزنجي ، وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصيفها وتأليفها ونظمها . وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يلمَّ به ، ولكن كما وقع للأول وقع للآخر . وهذا أمر عرفتُه من نفسي ، فلست أمترى^(١) فيه ، وذلك أتى عملت شيئاً في صفة النساء :

* سقرن بدورا وانتفنن أهلة *

وظننتُ أني سبقتُ إلى جمع هذين التشبيهين في نصف بيت ، إلى أن وجدته

بَعَيْنِهِ لِبَعْضِ الْبِعْدَادِيِّينَ ؛ فَكَثُرَ تَعَجُّبِي ، وَعَزَمْتُ عَلَى الْآأَحْكَمِ عَلَى الْمُنَاخِرِ
بِالسَّرْقِ (١) مِنَ الْمُتَقَدِّمِ حُكْمًا حَتْمًا .

وَسَمِعْتُ مَا قِيلَ : إِنْ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى بَلْفِظِهِ كَانَ لَهُ سَارِقًا ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِبَعْضِ
لَفْظِهِ كَانَ لَهُ سَالِحًا ، وَمَنْ أَخَذَهُ فَكَسَاهُ لَفْظًا مِنْ عِنْدِهِ أَجُودَ مِنْ لَفْظِهِ كَانَ هُوَ
أَوَّلَى بِهِ مِنْ تَقَدُّمِهِ .

وَقَالُوا : إِنْ أبا عُدْرَةَ الْكَلَامِ (٢) مَنْ سَبَكَ لَفْظَهُ عَلَى مَعْنَاهُ ؛ وَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى
بَلْفِظِهِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ .

عَلَى أَنْ ابْتِكَارَ الْمَعْنَى وَالسَّبَقَ إِلَيْهِ لَيْسَ هُوَ فَضِيلَةٌ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى ؛ وَإِنَّمَا هُوَ
فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي ابْتِكَرَهُ وَسَبَقَ إِلَيْهِ ؛ فَالْمَعْنَى الْجَيِّدُ جَيِّدٌ وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ ؛
وَالْوَسَطُ وَسَطٌ ، وَالرَدِيُّ رَدِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنَا مَسْبُوقًا إِلَيْهِمَا .

وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُنَاخِرُونَ عَلَى تَدَاوُلِ الْمَعَانِي بَيْنَهُمْ ؛ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ
عَيْبٌ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ بَلْفِظِهِ كُلَّهُ ، أَوْ أَخَذَهُ فَافْسَدَهُ ، وَقَصَّرَ فِيهِ عَنْ تَقَدُّمِهِ ، وَرَبَّمَا
أَخَذَ الشَّاعِرُ الْقَوْلَ الشُّهُورَ وَلَمْ يُبَالِ ؛ كَمَا فَعَلَ النَّابِغَةُ فَإِنَّهُ أَخَذَ قَوْلَ وَهْبِ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ زَهْرَةَ :

تَبْدُو كَوَاكِبَهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ تَجْرِي عَلَى الْكَاسِ مِنْهُ الصَّابُ وَالْمَقْرُ (٣)
وَقَالَ النَّابِغَةُ (٤) :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورَ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامَ إِظْلَامٌ
وَأَخَذَ قَوْلَ رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ فِي عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ :

هُوَ الشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمَلُوكِ كَوَاكِبُ

(١) السرقة . (٢) يريد مثنىه ومبتدعه . (٣) الصاب : شبيه بالصبر .

(٤) ديوانه : ٧٠ .

فقال (١) :

بَأْدَكَ (٢) شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ

وَسُنْشِيمِ الْقَوْلِ فِي هَذَا الْبَابِ .

وَالْحَازِقُ يُخْفَى دَيْبِيهِ إِلَى الْمَعْنَى يَأْخُذُهُ فِي سُرَّةٍ فَيَجْحَمُ لَهُ بِالسَّبْقِ إِلَيْهِ أَكْثَرُ

مَنْ يَمُرُّ بِهِ .

وَأَحَدُ أَسْبَابِ إِخْفَاءِ السَّرْقِ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى مَنْ نَظَّمَهُ فَيُورِدُهُ فِي نَثْرِ ، أَوْ مِنْ

نَثْرِ فَيُورِدُهُ فِي نَظْمِهِ ، أَوْ يَنْقَلِ الْمَعْنَى الْمُسْتَعْمَلِ فِي صِفَةِ خَمْرٍ فَيَجْعَلُهُ فِي مَدِيحٍ ، أَوْ فِي

مَدِيحٍ فَيَنْقَلُهُ إِلَى وَصْفٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكْمَلُ لِهَذَا إِلَّا الْمُبْرَزُ ، وَالكَامِلُ الْمَقْدَمُ ؛ فَهَنْ

أَخْفَى دَيْبِيهِ إِلَى الْمَعْنَى وَسَرَّهُ غَايَةَ السَّرِّ أَبُو نُوَاسٍ فِي قَوْلِهِ (٣) :

أَعْطَيْتَكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلِكَ أَنْسِفَارُ

إِنْ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَعْمَى ، عَلَى مَا حَكَوْا ، فَقَدْ أَخْفَاهُ غَايَةَ الْإِخْفَاءِ ؛

وَقَوْلِ الْأَعْمَى (٤) :

وَسَبِيئَةَ مِمَّا تَعْتَقُ بِأَبِلِ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبَتْهَا جَرِيالَهَا (٥)

سُئِلَ الْأَعْمَى عَنْ « سَلَبَتْهَا جَرِيالَهَا » . فَقَالَ : شَرِبَتْهَا حَمْرَاءَ ، وَبَلَّغَتْهَا بَيْضَاءَ .

فَبَقِيَ حُسْنُ لَوْحِهَا فِي بَدَنِ . وَمَعْنَى : « أَعْطَيْتَكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ » ؛ أَي شَرِبَتْهَا فَانْتَقَلَ

طَبِيعُهَا إِلَيْكَ .

وَهَكَذَا قَوْلُهُ (٦) :

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَاتُّ فَدَهْرُ شَرَابِهَا نَهَارُ

مِنْ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

قَضَى اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا أَلْ خَالِقُ أَلَّا تَكْنَهَا السُّدْفُ (٧)

(١) ديوانه : ١٧ . (٢) في الديوان : فإنك . (٣) ديوانه : ٢٧٤ .

(٤) اللسان - مادة جزل ، الشعر والشعراء : ٢١٦ ، العرب : ١٠٣ .

(٥) السبيئة : الحجر . وجريالها : لونها . (٦) ديوانه : ٢٧٤ . (٧) السدف : الظلمة .

وهذا المعنى منقول من المزل إلى صفة الخمر فهو خفي .

ومن هذا ما نقله من قول أوس بن حجر في صفة الفرس ، فجعله في صفة امرأة :

فجَرَّدها صَفْرَاءَ لَا الطَّوْلَ عَابَهَا وَلَا قِصْرَهُ أَزْرَى بِهَا فَتَمَطَّلَا

وقول أبي نواس^(١) :

فَوْقَ القَصِيرَةِ والطَّوِيلَةِ فَوْقَهَا دُونَ السَّمِينِ وَدُونَهَا المَهْزُولُ

وإن كان أخذه من قول ابن الأحرر :

تَفَوَّتُ القِصَارُ والطَّوَالُ تَفْتَنَهَا فَنَ يَرَهَا لَمْ يَنْسَهَا مَا تَكَلَّمَا

أو من قول ابن عجلان النهدي :

وَمَخْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونَ ثَوْبِهَا تَطُولُ القِصَارَ والطَّوَالِ تَطُولُهَا

قد أخذ بلفظه ، وأحد هذين أخذه من قول أوس ، والإحسان فيه له .

ومما أخذه ونقله من معنى إلى معنى قوله :

كَمَيْتٌ جِسْمُهَا مَعَنَا وَرَبَّاهَا عَلَى سَفَرٍ

ومن أخفى الأخذ أبو تمام^(٢) في قوله :

جَمَعَتْ عَرَى أَعْمَالِهَا^(٣) بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الأُنَابِيْبَ عَامِلٍ^(٤)

قالوا : هو من قول الخليل الربمي :

أَوْلَيْكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِيهِمْ فَمَا الكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعٌ

وهكذا قوله - وقد نقله من معنى إلى آخر^(٥) :

مَكَارِمٌ لَجَّتْ فِي عُلُوِّ كَانَمَا^(٦) تَحَاوَلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الكَوَاكِبِ

(١) ديوانه : ٣٨٨ . (٢) ديوانه : ٢٥٧ . (٣) في الديوان : جمعت عرى آماله .

(٤) العامل : الرمح . (٥) ديوانه : ٤٢ . (٦) في الديوان :

* معال تبادت في العلو كأنما *

قالوا هو من قول الأخطل :

عَرُوفٌ لِحَقِّ السَّائِلِينَ كَأَنَّهُ
بِعَمْرِ الْمَتَالِي (١) طَالِبٌ بِذُنُوبٍ *
وهكذا قول بشار (٢) :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رَيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ
إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
من قول سليك :

وَتَبَسِّمُ عَنْ أَلْيِ اللَّيْمَاتِ مُفْلِحٍ
خَلِيقَ الشَّنَائِيَا بِالْمَذُوبَةِ وَالْبَرْدِ
ومن قول الآخر :

وَمَا ذُفَّتُهُ إِلَّا بَعِيْنِي تَفَرُّسًا
كَاشِمٍ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
ومما أخذه وزاد فيه عن الأول قوله (٣) :

* أَنفَاهُمُ الصَّبْرُ إِذْ أَبَقَاكُمْ الْجَزَعُ (٤) *

من قول السموءل (٥) :

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا
وَتَسْكُرُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
أورده أبو تمام في نصف بيت واستوفى التطبيق .

ومن هذا الضرب قوله :

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمْحَ فَمَا
أَبْقَيْتَ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ
من قول ابن الجياط :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَعِيَ النَّسِي
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُوو النَّسِي
أَوَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَنْلَفْتُ مَا عِنْدِي

ومن نقل الممنى من صفة إلى أخرى البحتري فإنه قال في التوكل (٦) :

(١) المتالي : الإبل التي قد نتج بعضها وبعضها لم ينتج . (٢) الوساطة : ٢٣١ .

(٣) ديوانه : ٣٧٢ . (٤) صدره : * فيم الشئمة إعلانا بأسد وغى *

(٥) شعراء اليهود : ٢٤ . (٦) ديوانه : ٢١٢ .

ولو أنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَمِيَ إِلَيْكَ الْمَتَبِرُ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَجِيِّ فِي صِفَةِ نِسَاءٍ :
لو كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَانُنَا حَيًّا الْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَزَمُ
إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَمِنْ أَخَذَ الْمَعْنَى فَزَادَ عَلَى السَّابِقِ إِلَيْهِ زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ أَبُو نُوَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (١) :
يَبْسُكِي فَيُذِرِّي الدَّرَّ مِنْ نَرَجِسٍ وَيَنْطُمُ الْوَرْدَ بَعْنَابٍ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ :
يَسْمَى بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ كَأَنَّمَا قَنَاتٌ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفَرِصَادِ (٢)
وَأَخَذَ بَعْضُ الْمَتَأَخِّرِينَ بَيْتَ أَبِي نُوَّاسٍ ، فَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً عَجِيبَةً ، فَقَالَ :
وَأَسْبَلَتْ لَوْلَوْأُ مِنْ نَرَجِسٍ فَسَقَّتْ - وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
فَجَاءَ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ - وَقَدْ زَادَ فِيهِ عَلَى الْأَوَّلِ (٣) :

فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاطِلِهِمْ كَتَمَشَّى الْبُرِّ فِي السَّمِّ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمٍ :

تَجْرِي مَحَبَّتُهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا مَجْرَى الْمَعَافَاةِ فِي أَعْضَاءِ مُنْتَكِسِ
وَجَمِيعُ ذَلِكَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ مَلُوكِ الْبَلْبَلِ :

مَنْعَ الْبَقَاءِ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ وَطَلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَمْسِي
يَجْرِي عَلَى كَبِدِ السَّمَاءِ كَمَا يَجْرِي فِي النَّفْسِ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

أَحَبُّ الرِّيحِ مَا هَبَّتْ شِمَالًا وَأَحْسَدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا

(١) الوساطة : ٣٢٢ ، ٣٢٧ . (٢) التومتان : مثني تومة ، وهي الحبة من الدر .
(٣) الوساطة : ٥٦ .

فقسم تقسيماً حسناً ؛ ومعناه أن الشمال تجيء من ناحية حبيبه إليه فأحبها ،
والجنوب تهبّ إلى الحبيب ، فحسدها لمباشرتها جسمه ؛ وهو مأخوذ من قول
جران العود :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَيْدِي بَرْدًا
وزاد مسلم في قوله أيضاً :

* وَيُعْمَدُ السِّيفَ بَيْنَ النَّحْرِ وَالْجِيدِ *

على أن السابق إلى هذا المعنى هو بعض الفرسان إذ يقول :

جَعَلْتُ السِّيفَ بَيْنَ اللَّيْتِ^(١) مِنْهُ وَبَيْنَ سَوَادِ لَحْيَيْهِ عِذَارًا
لأن الإغماد فيه أشدّ تأثيراً من وُضْعِ العِذَارِ عَلَيْهِ .
وقد زاد أبو نواس على جرير في قوله^(٢) :

وَقَدْ أَطْوَلُ نِجَادَ السِّيفِ مُحْتَبِيًّا مِثْلَ الرُّدْيِيِّ هَزَّتُهُ الْأَنَابِيُّ
فقال أبو نواس^(٣) :

سَبَطَ الْبَتَانَ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ غَمْرُ الْجَاحِمِ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ^(٤)
قوله : « غمر الجاحم » أحسن من قول جرير : « مثل الرُدْيِي » .
وهكذا قوله^(٥) :

أَشْمَ طُوَالَ^(٦) السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَلَاثُ^(٧) نِجَادًا سَيْفُهُ يَأْوَاءُ

(١) أدنى صفحتي العنق . (٢) ديوانه : ٢٤ . (٣) ديوانه : ٦٤ .

(٤) في الديوان : فرع الجاحم ، ورجل سبط البنان : سخي .

(٥) ديوانه : ٦٣ . (٦) طوَال : ماويل .

(٧) لآث الشيء لوآث : أداره مرتين كما تدار العمامة . وفي الديوان : يناط ، وهو قريب

أَحْسَنَ لَفْظًا وَسَبَّكَ مِنْ قَوْلِ عَنَّتْرَةٍ (١) :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْدِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ (٢)

وهو أيضاً أنغم لفظاً من قول الآخر :

فَجَاءَتْ بِهِ عَجَلِ الْعِظَامِ كَأَمَّا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّجَالِ لَوَاهُ

ومما أخذه فجاء به أحسن لفظاً وسبباً قوله في ذنب الناقة :

أَمَّا إِذَا رَفَعْتَهُ شَامِدَةً فَمَقُولُ رَنْقٍ فَوْقَهَا نَسْرٌ (٣)

أخذه من أبي دواد :

تَلْوِي بَدِي خُصَلٍ ضَافٍ تُشْبِهُهُ قَوَادِمًا مِنْ نُسُورٍ مُضْرَحِيَّاتٍ (٤)

ومما أخذه فجاء به أحسن رصفاً ، وزاد في المعنى زيادة بينة قوله (٥) :

وَمَا خُبْرُهُ (٦) إِلَّا كَلَيْبُ بْنُ وَائِلٍ لِيَالِي يَحْمِي عِزَّهُ مَنِّيَتِ الْبَقْلِ

وَإِذْ هُرَّ لَا يَسْتَبُّ خَصْمَانِ عِنْدَهُ وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِجِدٍّ وَلَا هَزَلٌ

أخذه من قول مهامل :

أَوْدَى الْخِيَارُ مِنَ الْعَاشِرِ كَلِّهِمْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ - الْمَجْلِسُ

وهكذا قوله - هو محمد بن عطية المطوي :

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي جَنْوُنِ الصَّبَا فَإِنْ تَوَلَّى جَنْوُنَ الْمَدَامِ

(١) ديوانه : ١٢٣ ، اللسان - مادة سبت .

(٢) السرحة : من عظام الشجر . ونعال السبت : هي النعال المعمولة من الجلود المدبوغة .

التوأم : الذي يولد معه آخر . وقال في اللسان - مادة سبت : مدحه في هذا البيت بأربع خصال

كرام : جماله بطلا شجاعا ، وجماله طويلا لتشبيهه بالسرحة ، وجماله شريفاً للبسه نعال السبت (لأن

الملوك كانت تلبسها) ، وجماله تام الخلق تامياً ، لأن التوأم يكون ناقص خلقاً وقوة وعقلاً .

(٣) شامدة : رافعة ذنبها . (٤) المضحى من الصقور : ما طال جناحه .

(٥) ديوانه : ١٧١ ، يهجو . (٦) في ط : خبره - بالراء .

رَاحَ إِذَا مَا الشَّيْخُ وَالْيَ بَهَا تَخَسُّا تَرَدَّى بِرِدَاءِ الْعَلَامِ
أَحْسَنُ رَصْفًا مِنْ قَوْلِ حَسَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) :

إِنَّ شَرِيحَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسَدِ وَدَمَامَ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
وقول أبي تمام (٢) :

نَقَلْ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَبِينُ وَأَدْخَلَ فِي الْأَمْثَالِ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ :

إِذَا مَا أَرَادَتْ خَلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا أَيْبِنَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ (٣)
وقد زاد أبو تمام أيضاً في قوله (٤) :

وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِيَّاهُمْ دَارِكُمْ فَيَادِمُعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ (٥)
على الأعرابي في قوله :

وَمُسْتَنْجِدٍ لِلْحُزْنِ دَمْعًا كَأَنَّهُ عَلَى الْخَدِّ مِمَّا لَيْسَ يَرْقًا حَائِرُ
بقوله : « أنجدني على ساكني نجد » ؛ وقد زاد أيضاً في قوله (٦) :

وَإِنْ بَيْنَ حَيْطَانًا عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَوْلَيْكَ عُقْلَانُهُ لَا مَعَاقِلُهُ (٧)

على زهير في قوله : « والسيوفُ مَعَاقِلُهُ » (٨) لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّجَنُّبِ فِي قَوْلِهِ :

« عُقْلَانُهُ ، وَمَعَاقِلُهُ » . عَلَى أَنَّ قَوْلَ زَهِيرٍ فِي مَعْنَاهُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ ، وَإِنَّمَا زَادَ عَلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فِي اللَّفْظِ .

وَأَخَذَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : وَأَصْبَحَ مَا كَانَ يُحْرِزُهُمْ

يُحْرِزُهُمْ ؛ وَمَا كَانَ يَنْقَلِبُهُمْ يَقْتَلِبُهُمْ . وَنَقَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَقَالَ : وَاسْتَنْزَلُوهُ مِنْ

(١) ديوانه : ٤١٣ . (٢) ديوانه : ٤٥٧ . (٣) ديوانه : ١٢٧ .

(٤) الشعر والشعراء : ٤٨٨ (٥) أنجدتم : ارتفعتم . إيهام : إيفاض .

(٦) ديوانه : ٢٣١ . (٧) المقالات : القيود . والمعاقل : الملاجئ . (٨) من بيته :

أبي الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فأفضى والسيوف معاقله

ديوانه : ١٤٣ .

مَعْقِلٍ إِلَى عِمْقَالٍ ، وَبَدَّلُوهُ آجَالًا مِنْ آمَالٍ . وَقَوْلُهُ : « آجَالًا مِنْ آمَالٍ » مأخوذ من قول مسلم (١) :

مُوفٍ عَلَى مُهْجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهْجٍ
يَنَالُ بِالرَّفْقِ مَا يَعْيا الرَّجُلُ بِهِ
وَقَدْ أَخَذَ أَيْضًا قَوْلَ أَبِي دَهْبَلٍ (٢) :

مَا زِلْتَ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْرَ
حَتَّى تَمْنَى الْبِرَاءَةَ أَنَّهُمْ
عِنْدَكَ أَسْرَى (٤) فِي التَّقْدِّ وَالْحَلْقِ (٣)
بِجَاءِ بِهِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ وَهُوَ قَوْلُهُ (٥) :

وَتَكْفَلُ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ
حَتَّى وَدَدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامٌ

وَسَبِقَ أَيْضًا مَنْ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ حَتَّى صَارَ لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ أَحَدٌ بَعْدَهُ (٦) :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا (٧)
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ صُودُورُهُ
عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابَهُ (٨)
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَافِيَهُ
سَبَقًا يَتَنَا بِهِذِهِ الْمَعَانِي ؛ وَإِنَّمَا أَخَذَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَوْلِ الْبِعِيثِ (٩) :

أَطَافَتْ بِرَكْبٍ كَالْأَسِنَّةِ هُجِدَ
بِخَاشِعَةِ الْأَصْوَاءِ عُبْرٍ صُحُونِهَا (١٠)

(١) الشعر والشعراء : ٨٨٠ ، الموازنة : ٣٣ . (٢) شرح الحماسة : ٤ - ١٦٦ .

(٣) المعاني : الأسير . العاقب : الأسير الذي لم يفد . (٤) في الحماسة : عندك أمتي .

(٥) ديوانه : ٢٨٠ . (٦) ديوانه : ٤٤ ، الحماسة : ١ - ٥ ، الموازنة : ٢٥ .

(٧) عرسوا : نزلوا ليلا . (٨) غيابه : ظلماته .

(٩) التي في الموازنة صفحة ٢٥ : لأنه أخذ صدر البيت الأول من قول كثير :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا فلائس في أصلاهن نحول

ثم قال : ويشبه قول البيهت ، وأنشد البيت وصدده :

* أطاف بشعت كالأسنة هجد *

(١٠) كل ساكن : خاشع . والأصواء : الأعلام . الصحن : ساحة وسط الغلاة .

والبيت الثاني من بمض الأعراب^(١) :

غُلَامٌ وَعَيٌّ تَقَحَّمَهَا فَابِلَى فَحَانَ بِلَاءُهُ الرَّمَنُ الخَوُونُ^(٢)

وكان على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جنت النون

وبين القولين بونٌ بعيد .

وزاد أيضاً في قوله^(٣) :

إِذَا شَبَّ نَارًا أَقَعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ وَقَامَ لَهَا مِنْ خَوْفِهِ كُلُّ قَاعِدٍ

على الآخر في قوله :

أَنَا فِي وَأَهْلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَمَّةٍ لَالٍ تَمِيمٍ أَقَعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ

فقول أبي تمام : « وقام لها من خوفه كلُّ قاعد » زيادةٌ حسنةٌ .

وكذلك قوله في ابني عبد الله بن طاهر^(٤) :

نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ إِلَّا يَطْلُمَا أَرْنِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفَلَا^(٥)

إِنَّ الفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لِأَجَلٍ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَا بِلَا

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ المَظَالِ^(٦) فِيهِمَا لَوْ أُمُهَلَتْ حَتَّى تَسْكُونَ شَمَائِلًا

لَوْ يُنْسَانِ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا^(٧)

إِنَّ الهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ مُنْمُوهُ أَيَقِنْتَ أَنَّ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا

أحسنُ وأجودُ مما أخذ منه هذه المعاني وهو قول الفرزدق^(٨) :

وَجَفْنُ سَلَاحٍ قَدْ رُزِيتَ فَلَمْ أَنْحُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَنْعِبْ^(٩) عَلَيْهِ البَوَاكِيَا

(١) الموازنة ٢٥ . (٢) في الموازنة : الدهر . (٣) ديوانه : ٣٦٦ ، من قصيدة

يرثي بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . (٤) ديوانه : ٣٨٠ . (٥) يَأْفَلَا : يغيث .

(٦) في الديوان : الشواهد ، وهما بمعنى واحد . (٧) ينشآن : يؤخران . الغارب :

ما بين العنق والسنام . السكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق . (٨) الموازنة : ٣٧ .

(٩) في الموازنة : أبث .

وفي جوفه^(١) من دارم ذو حفيظة لو ان النايبا أنسانته^(٢) لياليا
لايقع بيت الفرزدق مع أبي تمام موقعا .
وقد أجاد أيضا في قوله^(٣) :

وقد علم القرن المساميك أنه سينغرق في البحر الذي أنت حائض^(٤)
وزاد فيه على من أخذه منه وهو لقيط بن يعمر :

* إني أخاف عليها الأزلم الجذعا^(٥) *

بيت أبي تمام أ كثر ماء وأبين معنى .
وأخذ قول الفرزدق^(٦) :

وما أمرتني^(٧) النفس في رحلة لها
فشرحه فقال^(٨) :

وما طوّفت^(٩) في الآفاق إلا
مقيم الظن عندك والاماني
وإلى بيت الفرزدق يشير القائل :

مدحتك جهدي بالذي أنت أهله
فما كل ما فيه من الخير قلته
وكننت إذا هيأت مدحا لما جدي
فقصر عما فيك من صالح جهدي
ولا كل ما فيه يقول الذي بمدى
أتاني الذي فيه بأدنى الذي عندي

-
- (١) في الموازنة : بطنه . (٢) في الموازنة : أميلته . (٣) ديوانه : ١٨٥ .
(٤) القرن : الظنير ، ورواية الديوان القرن المناوي . (٥) الأزلم الجذع : الدهر ،
وقيل : الدهر الشديد ، وقيل : كل يوم وليلة . (٦) الوساطة : ٢٤٤
(٧) في الوساطة : وما وامرتني . (٨) في الوساطة : في رحلة إلى جدنا أحد .
(٩) ديوانه : ٧٩ ، الوساطة : ٢٤٥ ، التبيان : ١ - ٣٦٥ .
(١٠) في الديوان : وما سافرت . جدواك : عطاؤك .

ومن هاهنا أخذ أبو نواس قوله (١) :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَاحِبٍ
وَإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ
وَيَشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْخُنَسَاءِ (٢) :

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مَدْحَةً
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ (٣) :

فَمِنْ لَوْلُوٍ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا
أَحْسَنَ لَفْظًا وَسَبْكَاً مِنْ قَوْلِ أَبِي حِيَةَ :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ
وَبَيْتُ الْبَحْتَرِيِّ أَيْضًا أَمَّ مَعْنَى ؛ لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ مَا لَمْ يَتَضَمَّنْهُ بَيْتُ أَبِي حِيَةَ مِنْ
تَشْبِيهِ الْفَرِّ بِالْدَّرِّ .

وَقَدْ زَادَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ (٤) :

وَفُرْسَانٍ هَيَجَاءُ تَجِيئُ صُدُورِهَا
تُقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا قَفَاظَتْ نَفْسُهَا (٥)
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقَطُّعُ بَيْنَهَا
عَلَى مِنْ قَالَ :

وَنَبِيٍّ حِينَ تَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ

وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ مَهْلَهْلٍ :

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ
حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ

(١) الوساطة : ٣١٨ . (٢) الوساطة : ٣١٨ ، الديوان : ٢٤ .

(٣) ديوانه : ٣٣١ . (٤) ديوانه : ٣١٧ . (٥) في الديوان : دروعها .

(٦) في الديوان : فغاضت دماؤها .

وَبَيْتَا الْبُحْتَرَى أَجُودٌ مِنْ بَيْتِهِمَا بغيرِ خِلافٍ ؛ وَمِنْ قَوْلِ فُلَيْحِ بْنِ زَيْدِ الْفَهْرِيِّ

أَيْضاً :

أَتَبْكِينَ مِنْ قَتْلِي وَأَنْتِ قَتَلْتَنِي بِحُبِّكَ قَتَلْنَا بَيْنَنَا لَيْسَ يُشْكِلُ
فَأَنْتِ كَذَبَاحُ الْمَصَافِيرِ دَائِباً وَعَيْنَاهُ مِنْ وَجَدٍ عَلَيْهِنَّ تَهْمَلُ
وَبَيْتُهُ (١) :

كَلَّ عَانٍ يُتَرَجَّى فَكَّهُ وَلِذَاتِ الْخَالِ عَانٍ مَا يُفَكُّ
أَحْسَنَ رِصْفاً مِنْ قَوْلِ زَهِيرٍ وَهُوَ الْأَصْلُ (٢) :

وَكَلُّ حُبِّ أَحَدَثِ النَّأْيِ عِنْدَهُ سَأَوْ فُؤَادٍ غَيْرِ حُبِّكَ مَا يَسْأُو
وَهَكَذَا قَوْلُهُ (٣) :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرُوعَ لِمَوْقِفٍ لِبَسْتَهُمُ الْأَحْسَابُ فِيهِ دُرُوعاً (٤)
أَتَمُّ وَأَجُودٌ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

لَبَسُوا الدَّرُوعَ عَلَى الْقَاوِ بِ مَظَاهِرِنَ لَدَفَعِ ذَلِكَ

وَقَالَ أَعْرَابِي :

* إِنَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطَ (٥) *

فَأَخَذَهُ بَشَّارٌ وَشَرَحَهُ وَبَيَّنَّهُ ، فَقَالَ :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَلْتَمِسُ أَلْ حَبُّ وَتُعْشَى مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

يَزِدُّهُمْ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرَّحَامِ

(١) ديوانه : ١٥١ . (٢) ديوانه : ٩٧ . (٣) ديوانه : ٨٥ .

(٤) فِي الدِّيَّانِ : * لِبَسْتَهُمُ الْأَعْرَاضَ فِيهِ دُرُوعاً *

(٥) الضَّغَاطُ : الرَّحَامُ .

وأخبرني أبو أحمد قال: أخبرني الصولي ، قال: سمعت من ينشد المبرد لسلم الخامس:

سَقَتْنِي بَعِينَيْهَا الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا
فَدَبَّ دَيْبَ الْخَمْرِ فِي كُلِّ مَفْصِلِ

فقال له المبرد: قد حسنه أبو نواس حيث يقول:

وَيَدْخُلُ حُبِّهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ مَدَاخِلَ لَا يُغْلَغِلُهَا الْمَدَامُ

وقول البحتري (١):

* وَغَارَ بِرِ حُبِّ غَارِ بِي نُمِّ أَنْجَدَا *

أجود من قول من تقدمه ، وهو الأصل :

* أَعَارَ الْهَوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدَا *

وأخذ أيضا أبو تمام خبر الشماخ مع أحيحة بن الجلاح لما أنشده الشماخ (٢):

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي
عَرَابَةَ فَاشْرِقِي بَدَمِ الْوَتِينِ (٣)

فقال له أحيحة: بنيت المجازاة جازيتها فنقل أبو تمام هذا الخبر ، فقال (٤):

لَسْتُ كَشَمَاخِ الْمَدَمِّ فِي
سَوْءِ مُكَافَاتِهِ وَمُجْتَرَمِهِ

أَشْرَقَهَا مِنْ دَمِ الْوَتِينِ لَقَدْ
ضَلَّ كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ عَنْ شِيَمِهِ

ذَلِكَ حُكْمُهُ قَضَى بِقَيْصَلِهِ
أَحْيِحَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ فِي أُطْمِهِ (٥)

وأخبرنا أبو أحمد قال ، قال أبو العيناء : سمعتُ أبا نواس يقول : والله ما أحسن

الشماخ حيث يقول (٦):

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي
عَرَابَةَ فَاشْرِقِي بَدَمِ الْوَتِينِ

(١) ديوانه : ١٧٤ ، صدره : * أجزني من الواشي الذي جار واعتدى *

(٢) ديوانه : ٩٢ ، الموشح : ٦٧ . (٣) عرابة - بالفتح : اسم رجل من أوس

الأنصار مشهور بالكرم : والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٤) الموشح : ٦٩ . قال : ورويت لغيره . (٥) الأطم : حصن مبني بحجارة . وقيل :

هو كل بيت صرابم مسطح . (٦) ديوانه : ٩٢ .

هلا قال كما قال الفرزدق (١) :

عَلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي
مَتَى تَرِدِي الرَّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهَجِيرِ وَالدَّبْرِ (٢) الدَّوَامِي

وكان قول الشماخ عيباً عندي، فلما سمعت قول الفرزدق تبعته، فقلت (٣) :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامُ
فَرَبَّنَا مَنْ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَزِمَامُ

وقلت (٤) :

أَقُولُ لِنَاقِي إِذْ بَلَّغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ عِنْدِي بِالثَّمِينِ
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغُرَبَانِ نُحْلًا (٥) وَلَا قُلْتُ أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَاتِينِ

حَرُمْتُ عَلَى الْأَزِمَّةِ وَالْوَلَايَا وَأَعْلَاقِ الرَّحَالَةِ وَالْوَضِينِ (٦)
وتبع الشماخ ذو الرمة فقال (٧) :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَّغْتَهُ فِقَامُ بَقَاسٍ بَيْنَ وَصَلَيْكَ جَازِرُ

وسمع أبو تمام قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت جرى عليك قضاء الله وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك أمر الله وأنت موزور ؛ فإنك إن لم تسأل احتساباً سلوت كما تسألو البهائم ؛ فحكاية حكاية حسنة في قوله (٨) :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثٍ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضَ تَلْكَ الْمَأْتِمِ (٩)

(١) الموشح : ٦٨ . (٢) الدبرة - بالفتح : قرحة الدابة ، وجمعها دبر وأدبار .

(٣) الموشح : ٦٩ ، ديوانه : ٦٤ . (٤) الموشح : ٦٩ ، ديوانه : ٦٥ .

(٥) النحل : النوى المعطى . (٦) الولايا : البراذع : التي تكون تحت الرجل .

والوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر يشد به الرجل على البعير .

(٧) ديوانه : ٣٩ ، الموشح : ٦٩ . (٨) ديوانه : ٣١٩ .

(٩) المآثم : الذنوب .

أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى رَجَاءً (١) وَحِسْبَةً
فَتُوَجَّرَ أَمْ تَسْلُو سُؤْلَ الْبَهَائِمِ
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ (٢) وَالْأَسَى
وَتَلَكَّ الْعَوَانِي لِلْبُكَ وَالْمَاتَمِ

والبيت الأخير من قول عبد الله بن الزبير لما قُتل مصعب : وإنما التسليمُ والسَّوأةُ
لحزَماء الرِّجال ؛ وإنَّ الهَلَمَّعَ والجَزَعَ لربَّاتِ الحِجَالِ .

وسمعَ قول زياد لأبي الأسود : لوَلا أنكَ ضعيفٌ لاسْتَمَمْتِكَ . فقال أبو الأسود :
إن كنتَ تريدُني للصِّراعِ فإني لا أصلحُ له ، وإلا فغيرُ شديدٍ أن آمُرَ وأُنهى ؛
فقال أبو تمام (٣) :

تَعْجَبُ (٤) أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفًا (٥)
كَأَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالصِّرَاعِ
وزاد أبو تمام أيضاً بقوله (٦) :

أَطَالَ يَدِي عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى
جَزَيْتُ صُرُوفَهَا (٧) صَاعًا بِصَاعٍ
على أبي طالب في قوله :

فَإِنْ يُقْتَلَا أَوْ يُمَكِّنُ اللَّهُ مِنْهُمَا
بَيْتَ أَبِي تَمَامِ أَصْفَى وَأَنْصَعِ .
وكذلك قوله (٨) :

مِنَ النَّكَبَاتِ النَّاكِبَاتِ (٩) عَنِ الْهَوَى
فَمَحْبُوبُهَا يَمْشِي وَمَكْرُوهُهَا يَعْدُو
أَحْسَنُ رِصْفًا مِمَّا أَخَذَهُ مِنْهُ . وهو النوى أنشدنيه أبو أحمد ، قال : أنشدنا ابن دريد
قال : أنشدنا الرياشي عن العمري - حفص بن عمر لبعض المسجونين :

وَمُحِبُّنَا الرَّؤْيَا فَجَلُّ حَدِيثِنَا ،
إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا ، الْحَدِيثُ عَنِ الرَّؤْيَا
فَإِنْ حَسَلَتْ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ
وَإِنْ قَبِحَتْ لَمْ تَحْتَبَسْ وَأَنْتَ عَجَلَى

(١) في الديوان : عزاء . (٢) في الديوان : للتصبر . (٣) ديوانه : ١٩٣ .

(٤) في الديوان : توجع . (٥) في الديوان : تحيلا . (٦) ديوانه : ١٩٣ .

(٧) في الديوان : فروضها . (٨) ديوانه : ١٢١ . (٩) الناكبات : المثلات .

وأخبرني أبو أحمد ، قال أخبرني الصولي ، قال حدثني أبو بكر هرون بن عبد الله المهلبى ، قال : كنا في حلقةٍ دعبل ، فجرى ذكرُ أبي تمام ، فقال دعبل : كان يتبعُ معانيَّ فيما أخذها ، فقال له رجل في مجلسه : ما من ذلك أعزك الله ؟ فقال : قلت (١) :
وإنَّ امرأً أسدى إلى بشافِعٍ إليه ويرجو الشكرَ منى لأحمق
شفيِعك فاشكرُ في الحوائجِ إنّه يصونك عن مكرٍ وهما وهو يخلق
وقال هو ، يمدح يعقوب بن أبي ربي (٢) :

إنَّ الأميرَ بلاكٍ في أحواله فراك أهزعه غداة نضاله (٣)
فتى أقوم (٤) بحقِّ شكرِكَ إذ جنتُ بالنَّيبِ كفك لي نمار نواله
فلقيتُ بين يديك حلوَ عطائه ولقيت بين يدي مرَّ سؤاله
وإذا امرؤُ أسدى إليك صديعه من جاهه فكأنها من ماله
فقال الرجلُ : أحسنَ والله ! فقال دعبل : كذبت قبحك الله ! قال : لئن كان سبق بهذا المعنى فتبعتته لما أحسنت ، وإن كان أخذه منك لقد أجاد ، فصار أولى به منك ! فغضب دعبل وقام .

وسمعَ بشارٌ قولَ المجنون (٥) :
ألا إنما ليلى عصا خيزرانةٍ إذا غمزوها بالأ كف تليل
فقال : والله لو جعلها عصاً من زبدٍ أو مَخٍّ لما أحسن ؛ ألا قال كما قلت (٦) :
وحوراءُ المدامع (٧) من معدٍ كأنَّ حدَّيها قطعُ الجمان (٨)
إذا قامتُ لسبْحِها (٩) تثنتُ كأنَّ عظامها من خيزرانٍ

(١) الموازنة : ٢٩ . (٢) ديوانه : ٢٤٠ ، الموازنة : ٢٩ ، وفي الديوان : وقال لإسحاق بن أبي ربي . (٣) الأهرع : السهم الأخير يخبأ للشائد .
(٤) في الديوان : فتى النهوض . (٥) الموشح : ١٥٦ ، المختار من شعر بشار : ٣٤ .
(٦) الموشح : ١٦٥ ، المختار من شعر بشار : ٣٤ . (٧) في الموشح : ويضاء المحاجر .
(٨) في الموشح : ثم الجنان . (٩) في الموشح : لصحبها ، وفي المختار : لمشيئها .

ولما قال بشار^(١) :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهِجُ

تبعه سلم الخراسي ، فقال^(٢) :

مَنْ رَأَى النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

فلما سمع بشار هذا البيت قال : ذهب ابن الفاعلة بييتي .

ومن حسن الاتباع أيضاً قول إبراهيم بن العباس حيث كتب : إذا كان للمحسن من الثواب ما يُقِنُّه ، وللمسيء من العقاب ما يَقْمَعُه ، ازداد المحسن في الإحسان رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة . أخذته من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه - أخبرنا به أبو أحمد ، قال أخبرنا أبو بكر الجوهري ، قال : أخبرنا أبو يعلى المنقري ، قال : أخبرنا الملاء بن الفضل بن جرير قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يجبُ على الوالي أن يتعهد أموره ، ويتفقد أعوانه ، حتى لا يخفى عليه إحسانُ محسن ، ولا إساءةُ مسيء . ثم لا يترك واحداً منهما بغير جزاء ؛ فإن ترك ذلك تهاون المحسن ، واجترأ السيء ، وفسد الأمر ، وضاع العمل .

وسمع بعضُ الكتاب قول نصيب^(٣) :

فَمَا جُؤُوا فَأَتَمُّوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أُنْتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبُ

فكتب : ولو أمسك لساني عن سُكْرِكَ لَنُطِقَ عَلَى أَثْرِكَ .

وفي فصل آخر :

لَوْ جَحَدْتُكَ إِحْسَانُكَ لَا كُذِّبْتُ آثَارُهُ ، وَتَمَّتْ عَلَى شِوَاهِدِهِ .

وقريبٌ منه قولهم : شهاداتُ الأحوالِ أعدلُ من شهاداتِ الرجالِ ، أخذته

ابن الرومي فشرحه في قوله^(٤) :

(١) المختار من شعر بشار : ٤٧ .

(٢) عيون الأخبار : ١ - ٢٩٩ .

(٣) المختار من شعر بشار : ٤٧ .

(٤) ليست في ديوانه المطبوع بين أيدينا .

حَالٌ اَنْسِدَادٌ فَمِي عَمَّا يَرْبِكُمْ
لَكِنْ فَمُ الْحَالِ مَنِي غَيْرُ مَسْدُودِ
حَالٌ تَصِيحٌ بِمَا اَوْلَيْتَ مُعَلِنَةً
وَكُلُّ مَا تَدَّعِيهِ غَيْرُ مَرْدُودِ
كَلِي هِجَاءٌ وَقَتْلِي لَا يَجِلُّ لَكُمْ
فَمَا يُدَارِيكُمْ مَنِي سِوَى الْجُودِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ اَيْضًا قَوْلُ الشَّاعِرِ (١) :

اَأَقَاتِلُ الْحِجَابَ عَنْ سُلْطَانِهِ
بِيَدِي تَمَرُّ بِأَمَّهَا ذَوُ لَانِهِ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ
فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ (٢) :

أَأَلْبَسُ (٣) هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ
إِذَا لَهَجَانِي عَدَّهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
وَمَنْ أَحْسَنَ الْإِتْبَاعَ اَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ بُوْسَفٍ - وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
لَا تَكُونَنَّ كَمَنْ يَعْجَزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ . فَكُتِبَ : أَحَقُّ
مَنْ أَثْبَتَ لَكَ الْعُدْرَةَ فِي حَالِ شُغْلِكَ مَنْ لَمْ يَخْلُ سَاعَةً مِنْ بَرِّكَ فِي وَقْتِ فَرَاغِكَ .
وَأَخَذَهُ أَخْذًا ظَاهِرًا أَحْمَدُ بْنُ صَبِيحٍ فَقَالَ : فِي شُكْرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِ الْأَمِيرِ
شَاغِلٌ عَنِ اسْتِبْطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ .

وَأَخَذَهُ سَمِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : لَسْتُ مُسْتَقْبِلًا لِشُكْرِ مَا مَضَى مِنْ بَلَائِكَ ،
فَأَسْتَبْطِي دَرَكَ مَا أُوْمَلُّ مِنْ مَزِيدِكَ .
وَمِنْ هَذَا اَيْضًا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ (٤) :

لَا تُسَدِّبَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ
حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَاسَلِفَا

وَأَخْبَرَنِي أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ ، قَالَ ، قَالَ أَبُو تَمَامٍ
لِابْنِ أَبِي دَوَادٍ لَمَّا غَضِبَ عَلَيْهِ : أَنْتَ النَّاسُ كُلَّهُمْ ، وَلَا طَاقَةَ لِي بِغَضَبِ جَمِيعِ

(١) الموزانة : ٣١ . (٢) الموزانة : ٣١ ، ديوانه : ١٣٩ .

(٣) في الديوان والموزانة : أسربل . (٤) ديوانه : ٧١ .

الناس . فقال ابنُ أبي دُوادٍ : ما أحسن هذا ! مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَهُ ؟ قال : من قول
أبي نُوَاسٍ (١) :

وليس لله (٢) بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

وَمِنْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ يَظُنُّهُ مَسْرُوقًا مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ (٣) :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَى بَنُو تَمِيمٍ حَسَبْتُ النَّاسَ كَالَهُمْ غَضَابًا

وأخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا الأَخْفَشُ ، قال : أخبرنا البرد عن الجاحظ قال ،

سمع قلب المعتزلي أبيتاً للعتبي ، وهي :

أَفَلْتَ بِطَالَتُهُ وَرَاجَعَهُ حِلْمٌ وَأَعَقَبَهُ الْهَوَى نَدَمًا

الْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلَّكَلِهِ وَأَعَارَةُ الْإِفْتَارِ وَالْمَدْمَا

فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ غَضَّ الْجُفُونَ وَجَمَّجَ (٤) الْكَلِمَا

فقال لبعض الملوك يستعطفه على رجل من أهله : جملني الله فداءك ، ليس هو

اليوم كما كان ، إنه وحياتك أفلت بطالته ، أي والله ، وراجعه حلمه ، وأعقبه - وحقك -

الهُوى نَدَمًا ؛ أنحى الدهرُ - والله - عليه بكلكله ؛ فهو اليوم إذا رأى أخا ثِقَةٍ غَضَّ

بَصْرَهُ ، وَجَمَّجَ كَلَامَهُ .

وبهذا يعرف أن حلَّ المنظوم ، ونَظْمَ المحلول أسهل من ابتدئهما ؛ لأنَّ المعاني

إِذَا حَلَّتْ مَنْظُومًا أَوْ نَظْمَتْ مَنْثُورًا حَاضِرَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ تَرِيدُ فِيهَا شَيْئًا فَيَنْحَلُّ ،

أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا فَيَنْتَظِمُ ، وَإِذَا أَرَدْتَ ابْتِدَاءَ الْكَلَامِ وَجَدْتَ الْمَعَانِيَ غَائِبَةً عَنْكَ

فَتَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ يَحْضُرُ كَهَا .

والمحلل من الشعر على أربعة أضرب ؛ فضرب منها يكون بإدخال لفظية بين

ألفاظه . وضرب يتحلل بتأخير لفظية منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم .

(١) الوساطة : ٢٥٠ . (٢) في الوساطة : وليس على الله . (٣) ديوانه : ٧٨ .

(٤) من جمجج الكتاب : لم يبين حروفه .

وضرب منه ينحلّ على هذا الوجه ولا يحسُن ولا يستقيم . وضربٌ تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك وهذا أرْفَعُ دَرَجَاتِكَ .

فأما الضربُ الأولُ فمثاله ما تقدّم من صدرِ كلامِ قليبِ المعتزلي (١) .

وأما الضربُ الثاني فمثاله ما ذكره بعضُ الكتاب من قولِ البحترى (٢) :

نَطَلِبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ نَبُلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقَلِّ

ثم قال : فإذا نَثَرْتَ ذَلِكَ وَلَمْ تَزِدْ فِي أَلْفَاظِهِ شَيْئاً قُلْتَ : نَطَلِبُ فِي الدُّنْيَا الْأَكْثَرَ ، وَقَدْ نَبُلُغُ مِنْهَا الْحَاجَةَ بِالْأَقَلِّ .

وقوله (٣) :

أَطِلُّ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينِ شَأْنِهَا

وِدُونِ الَّذِي يَبْتَغُونَ (٥) عَوَّلُ الْعَوَائِلِ

مِنَ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ

فإذا ما نَثَرْتَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَزِيدَ فِي أَلْفَاظِهِ شَيْئاً قُلْتَ : أَطِلُّ تَهْوِينِ شَأْنِ

الدُّنْيَا وَجَفْوَتِهَا ؛ فَمَا الْمَغْرُورُ الْغَافِلُ فِيهَا بِعَاقِلٍ ؛ وَيَرْجُو مَعَشَرَ ضَلَّ رَأْيُهُمُ الْخُلُودَ ، وَعَوَّلُ الْعَوَائِلِ دُونَ مَا يَرْجُونَ ؛ وَإِذَا بَاتَ حَرِيزُ الْقَوْمِ مَالَهُ وَاقٍ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ .

وهذا المعنى مأخوذٌ من قولِ التُّغَلْبِي :

لَمَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا

وأما الضربُ الثالثُ فهو أن توضعَ ألفاظُ البيتِ في مواضع ، ولا يحسنُ وَضْعُهَا فِي غَيْرِهَا ، فيختلُّ إذا نُثِرَ بِتَأْخِيرِ لَفْظٍ وَتَقْدِيمِ آخَرَ ، فتحتاجُ في نَثَرِهِ إِلَى التَّقْصَانِ

(١) صفحة ٢١٦ من هذا الكتاب . (٢) ديوانه ٢ : ١٨١ .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٧ . (٤) في الديوان : رأيهم .

(٥) في الديوان : يرجون .

منه والزيادة فيه ، كقول البحترى (١) :

يُسْرُ بِعُمْرَانَ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ وَعُمْرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْضَ الدُّنْيَا أَوْانَ حَبِيبِهَا فَكَيْفَ أَرْضَانِيهَا أَوْانَ ذَهَابِهَا
فَإِذَا نَبَرَ عَلَى الْوَجْهِ قِيلَ : يُسْرُ مُضَلَّلٌ بِعُمْرَانَ الدُّنْيَا ، وَمِنْ خَرَابِهَا عُمْرَانُهَا
مُسْتَأْنَفٌ ، وَلَمْ أَرْضَ أَوْانَ حَبِيبِهَا الدُّنْيَا ؛ فَكَيْفَ أَوْانَ ذَهَابِهَا أَرْضَانِيهَا .
فَهَذَا نَثْرٌ فَاسِدٌ ؛ فَإِذَا غَيَّرْتَ بَعْضَ الْفَاطِئِ حَسُنَ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : يُسْرُ الْمُضَلَّلُ بِعُمْرَانَ
الدِّيَارِ ، وَإِنَّمَا تَسْتَأْنَفُ عُمْرَانَهَا مِنْ خَرَابِهَا ، وَمَا أَرْضَيْتُ الدُّنْيَا أَوْانَ حَبِيبِهَا ؛ فَكَيْفَ
أَرْضَيْتُهَا أَوْانَ ذَهَابِهَا ؟

ونحن نقول : إنَّ من النظم ما لا يمكن حلُّه أصلاً بتأخير لفظه وتقديم أخرى منه
حتى يلحق به التخييرُ والزيادة والنقصان مثل قول الشاعر :

لِسَانَ أُنْفَتِي نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ يُمْكِنُ أَنْ تَوَخَّرَ الْفَاطِئُ (٢) وَتَقَدَّمَ ؛ فَيَصِيرُ نَثْرًا مُسْتَقِيمًا ؛ وَهُوَ أَنْ
تَقُولَ : فَوَادُ الْفَتَى نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ . وَلَا يُمْكِنُ فِي الْمِصْرَاعِ الثَّانِي ذَلِكَ حَتَّى
تَزِيدَ فِيهِ أَوْ تَقْصُرَ مِنْهُ ؛ فَتَقُولُ : لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَفَوَادُهُ نِصْفٌ ، وَصُورَتُهُ مِنْ
اللَّحْمِ وَالْدَّمِ فَضَّلْ لَا غِنَاءَ بِهَا دُونَهُمَا وَلَا مَعْوَلٌ عَلَيْهَا إِلَّا مَعَهُمَا .

وزيادة الألفاظ التي تحصل فيه ليست بضائرة ؛ لِأَنَّ بَسْطَ الْأَلْفَاطِ فِي أَنْوَاعِ الْمَشُورِ
سَائِغٌ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ (٣) تَحْتَاجُ إِلَى الْأَزْدِوَاجِ ، وَمِنْ الْأَزْدِوَاجِ مَا يَكُونُ بِتَكَرُّرِ
كَلِمَتَيْنِ لَهَا مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَبِيحٍ إِلَّا إِذَا اتَّفَقَ لَفْظَاهُمَا .

وَيَسُوغُ هَذَا فِي الشَّعْرِ أَيْضًا كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ (٤) :

بُودِي لَوْ يَهْوَى الْعِدُولُ وَيَعْشَقُ فَيَعْلَمُ أَسْبَابَ الْهَوَى كَيْفَ تَعَلَّقُ

(١) ديوانه : ١ - ٤٧ . (٢) في ط : لفظه . (٣) أى أنواع المشور .

(٤) ديوانه : ٢ - ١٢٤ .

فيهوى ، ويمشق سَوَاءً في المعنى وهو حَسَنٌ ؛ إِلَّا أَنْ أَكْبَرَ مَا يَحْسُنُ فِيهِ
إِرَادُ الْمَعْنَى عَلَى غَايَةِ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْإِيْجَازِ .

ومعنى قوله : « فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ » . دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : « لِسَانُ
الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادِهِ » . وَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي إِنَّمَا هُوَ تَذْيِيلٌ لِلْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ ؛
فَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَحْلَهُ حَلًّا مُقْتَصِرًا بِغَيْرِ لَفْظِهِ قُلْتَ : الْإِنْسَانُ شَطْرَانُ : لِسَانٌ وَجَنَانٌ .
وَمَا لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ بِتَقْدِيمِ لَفْظِهِ مِنْهُ وَتَأْخِيرِ أُخْرَى أَيْضًا قَوْلَ أَبِي نَوَاسٍ :

أَلَا يَا بَنَ الْذِينَ فَنُؤَا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لَتَبَقَى

فتحل المصراع الأول فتقول : أَلَا يَا بَنَ الْذِينَ مَا تَوَا وَمَضُوا ؛ فَيَحْسَنُ . وَتَقُولُ
فِي الْمِصْرَاعِ الثَّانِي : لَتَبَقَى أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا . أَوْ لَتَبَقَى مَا مَاتُوا وَمَضُوا ، أَمَا وَاللَّهِ ؛
فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ شَيْئًا ؛ فَتَحْتَاجُ فِي نَثْرِهِ إِلَى تَغْيِيرِهِ وَإِبْدَالِ أَلْفَاظِهِ ؛ فَتَقُولُ : أَلَا يَا بَنَ
الذِينَ مَا تَوَا وَمَضُوا وَظَعَنُوا فَنَاءً ؛ أَمَا وَاللَّهِ مَا ظَعَنُوا لَتَقِيمَ ، وَلَا رَامُوا إِلَّا لِتَرِيمَ ،
وَلَا مَا تَوَا لَتَحْيَا ، وَلَا فَنُوا لَتَبَقَى .

وَفِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ طَوْلٌ ، وَلَيْسَ بِضَائِرٍ عَلَى مَا خَبَّرْتَنِي ؛ فَإِنْ أُرِدْتَ اخْتِصَارَهُ
قُلْتَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ الْمَوْتَ لَمْ يُصِبْكَ فِي أَبِيكَ إِلَّا لِيُصِيبَكَ فِيكَ .

وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ أَنْ تَكْسُوَ مَا تَحْلَهُ مِنَ الْمَنْظُومِ أَلْفَاظًا مِنْ عِنْدِكَ ؛ وَهَذَا أَرْفَعُ
دَرَجَاتِكَ .

رجوع إلى
السراقات

ثم نرجع إلى السراقات : قَالَ بَعْضُهُمْ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْمٍ ، وَقَدْ رَأَى اجْتِهَادَهُ فِي
الْعِبَادَةِ : أَتَعْبَتَ نَفْسَكَ ، قَتَلْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ . فَقَالَ الشَّاعِرُ (١) :
سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عِنْدَكُمْ ، لَتَقْرُبُوا وَتَسْكَبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لَتَجْمُدَا

(١) الوساطة : ٢٢٩ ، معاهد التنصيص : ١ - ٢٠ . والقائل : العباس بن الأحنف .

وقال غيره (١) :

تقولُ سُلَيْمَى لو أَقْتِ بِأَرْضِنَا ولم تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أَطُوفُ

ومثل ذلك أن بعضهم رأى أعرابياً مُقْبِلاً إلى مكة ليصومَ فيها شهرَ رمضان والحِرُّ شديدٌ ؛ فقال له : أَتَجْمَعُ على نفسك الصومَ وحرَّ تِهَامَةَ ؟ فقال : مِن الحرِّ أَفْرٌ ! وقيل لروح بن قبيصة بن المهلب ، وهو واقفٌ في الشمس على باب الخليفة : لقد طال وقوفُك في الشمسِ ! فقال : الظلُّ أريدُ ؛ فقال أبو تمام (٢) :

أَأَلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقِ أَظْلٍ فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعِ
وَلَيْسَتْ فَرِحَةَ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْفُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الوَدَاعِ

وقال امرؤ القيس (٣) :

فبَعْضَ اللّوْمِ عَادَلْتِي فَأِنِّي سَتَكْفِيَنِي التَّجَارِبُ وَأَنْتِ سَابِي
يقول : لا أَنْتَسِبُ إِلَّا إِلَى مِيت .

وقال لبيد (٤) :

فإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونَ عَدْنَانَ وَالِدًا وَدُونَ مَعَدٍّ فَلْتَرَعَاكَ الْعَوَازِلُ

فأخذه الحسن البصرى ، فقال نثراً : إن امرءاً لم يُعَدِّ بينه وبين آدم عليه السلام إلا أبا ميثم المَعْرُوقَ له في الموت ؛ فأخذه أبو نواس ، فقال (٥) :

وما النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيْقٌ (٦)

وقال الله عز وجل : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو ﴾ ، فأخذه الشاعر فقال - وقصّر عنه :

(١) الوساطة : ٢٢٩ ، التبيان : ٢ - ٣٨٨ . والقائل : عروة بن الورد .

(٢) الوساطة : ٢٢٩ ، ديوانه : ١٩٣ . (٣) ديوانه : ١٢١ .

(٤) شرح ديوان امرئ القيس : ١٢١ . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

(٦) رواية البيت في الديوان :

أرى كل حي هالكاً وابن هالكٍ وذا نسب في العالمين عريق

ما زالت تحسب كل شئ بعدهم
وكذا قصرت الخنساء في قولها :

ولولا كثرة الباكين حولي
وما يبكون مثل أخي ولكن
على إخوانهم لقتلت نفسي
أعزى النفس عنه بالتأسي

عن قول الله تعالى : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب
مشتركون ﴾ .

من خفي
السرق

ومن خفي السرق أن أبا مسلم قال جلسائه : أي الأعراض الأم ؟ فقالوا
وأكثرُوا . فقال : الأمها عرض لم يرتع فيه حمد ولا ذم ؛ فأخذ المرائي ، فقال :
هَجَوْتُ زُهَيْرًا ثم إنى مدحتُه وما زالت الأشراف تُهَجِي وتُمدحُ
وأخذ علي بن الجهم قول الفرزدق (١) :

ما الباهلي بصادق لك وعده
فقال (٢) :

الرخجبيون لا يوفون ما وعدوا
والرخجبيات لا يخلفن ميعادا
وسمع بعضهم قول العرب : إذا فارق القمر الثريا فقد ولي الشتاء . فنظمه فقال :

إذا ما فارق القمر الثريا
لثالثة فقد ذهب الشتاء

وسمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يسعي بدمتهم أذنهم وهم يد على من

سواهم حينما كانوا » ؛ فقلت :

يسعى بدمتهم أذنهم وهم
وهذا يدل على صحة ما تقدم .
يد على من سواهم حينما كانوا

(١) ديوانه : ٩٢ .

(٢) ديوانه : ١٢٤ ، وفيه الرخجبيون والرخجيات - بالخاء .

وسمع بعض الكتاب قول أبي تمام (١) :

فإنَّ يَجِدُ عَلَةً نَعْمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِهِ (٢)

فكتب : من نزل منزلي من طاعتك ومشاركتك كان حقيقاً أن يهنأ
بالنعمة تَحَدَّثُ عِنْدَكَ ، ويعزّي على النائبة تُلِمُّ بِكَ . فنقل العيادة إلى المصيبة
والتعزية .

وقال بعضهم : الكتابة نقض الشعر .

وقيل للمتابي : بم قدرت على البلاغة ؟ فقال : بحل معقود الكلام .

وأحسن أبو تمام في قوله (٣) :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّمَا قَدْ اكْتَحَلْتُمْ مِنَ الْبِلَادِ يَا أُمَيْدٍ (٤)

وزاد فيه على أبي نواس ، ومنه أخذ ، وهو قوله :

أَبْنُ لِي كَيْفَ صِرْتَ إِلَى حَرِيمِي وَجُنْحَ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارٍ

لأنَّ الاكْتَحَالَ يَكُونُ بِالْإِئْتِمَادِ ، وَلَا يَكُونُ بِالْقَارِ .

ومن أخفى الأخذ ابنُ أبي عبيدة في قوله :

مَا كُنْتُ إِلَّا كَأَحْمَرِ مَيْتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ

أخذه من قول الأول :

وَإِنَّ بَقْرَمِ سَوْدُوكَ لَفَاقَةٌ إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

ذكر ذلك عن المأمون .

ومما زاد فيه التأخرُ على المتقدمِ فَحَسُنَ مَعْرُضُهُ ، وسهل مطلعُه قولُ ابن المعتز :

وَلَاخَ ضَوْءِ هَلَالٍ كَأَدَّ بَفْضِخُنَا مِثْلَ الْقَلَامَةِ إِذْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفْرِ

(١) ديوانه : ١٨٩ . (٢) في الديوان : * حتى كأننا نعاد من مرضه *

(٣) ديوانه : ١٠٣ . (٤) الإئتمد : حجر الكحل .

وقال الأول^(١) :

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَتِهِ جَانِحًا فَسَيْطُ لَدَى الْأَفْقِ مِنْ خَنْصِرٍ^(٢)
الْفَسَيْطُ : قِلَامةُ الظَّفَرِ .

وما يُعرَفُ للمتقدِّمِ معنَى شَرِيفٍ إِلَّا نازَعَهُ فِيهِ المتأخِّرُ وطلبَ الشَّرَكَةَ فِيهِ مَعَهُ

إلا بيت عنتره^(٣) :

وتَرَى الدُّبَابَ بِهَا يُفَنِّي وَحَدَهُ هَزَجًا كِفْعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرِّمِ
غَرْدًا يَحُكُّ^(٤) ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحِ^(٥) الْمِكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
فإنه ما نُوزِعَ في هَذَا المعنى على جُودَتِهِ . وقد رَامَهُ بعضُ المُجِيدِينَ
فافتضح .

وأخذ البحتري قول الشماخ^(٦) :

وقَرَّبْتُ مِبْرَاةً كَأَنَّ ضُلُوعَهَا مِنَ المَاسِخِيَّاتِ القِسِيِّ المُوْتَرِ^(٧)

مِبْرَاةٌ - من البرة ، وهى الحَلْقَةُ تُجْعَلُ في أنْفِ النَاقَةِ فزادَ عَلَيْهِ ؛ فقال^(٨) :

كالقِسِيِّ المِعْطَفَاتِ بِلِـ الِ أسْهُمِ مِبْرِيَّةٍ بِلِـ الأوتارِ

وهذا ترتيب مصيب من أجل أنه بدأ بالأغْلَظِ ، ثم انحطَّ إلى الأَدَقِّ ؛ وقد عيب

(١) اللسان - مادة فسط . (٢) نسبة في اللسان لعمر بن قيس ، وصدره فيه :

* وكأل ابن مزقها جانحاً *

وقال في اللسان : ويروي كأن ابن ليلتها الخ ، ويروي بدل فسيط قصيص وهو ما قص

من الظفر .

(٣) ديوانه : ١٢٣ . (٤) في الديوان : يسن . (٥) في الديوان : فعل .

(٦) ديوانه : ٢٧ . (٧) البيت أوردته في اللسان في مادة برى ، ونسبه للنايفة الجمدى

هكذا : فقربت مبراة تخال ضلوعها ... الخ ؛ ثم أوردته ثانية في مادة مسخ منسوباً للشماخ وقال :

الماسخيات : القسي منسوبة إلى ماسخة . ومانسخة رجل من أزد السراة كان قواسا . قال ابن الكلبي :

هو أول من عمل القسي من العرب . والمبراة : الناقة التي جعلت البرة في مارتها .

(٨) ديوانه : ٢٤ .

ترتيب أبي تمام في قوله :

* أو كالخلوق أو كالمالاب (١) *

فبدأ بالأنف ثم انحط إلى الأخرى ؛ كما تقول : هو مثل النجم ، بل القمر ،
بل الشمس ؛ فترفع من الشيء إلى ما هو أعلى منه ؛ وإذا قلت : هو مثل الشمس ،
بل القمر ، بل النجم ، لم يحسن .

وقال عروة بن الورد (٢) :

تقول سلمية لو أقمت بأرضنا ولم تدري أني للمقام أطوف
أخذه أبو تمام وزاد عليه فقال (٣) :

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل (٤) :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ
فَبَسَطَهَا لِلْفَيْسَى وَسَطَوْتَهَا لِلْأَجَلِ
وَبَاطِنَهَا لِلنَّدى وَظَاهِرُهَا لِلْقَيْسَلِ

فاتبه ابن الرومي فأحسن الاتباع ؛ فقال :

أصبحتُ بين خصاصةٍ وتجمُل والحرُّ بينهما يموتُ هزينا
فأمُدُّ إلى يدِها تمودَ بطنها بَدَلِ النِّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّقْمِيلِ

وقال بشار :

الدَّهْرُ طَلَّاعٌ بِأَحْدَانِهِ وَرُسُلُهُ فِيهَا الْمَقَادِيرُ
مَحْجُوبَةٌ تَنْفِذُ أَحْكَامِهَا لَيْسَ لَنَا عَنْ ذَلِكَ تَأْخِيرُ

(١) المالاب ... بالفتح : نوع من العطر ، والبيت في ديوانه صفحة ٣٥٤ :

خلق كالمدام أو كرضاب المسك أو كالعبير أو كالمالاب

(٢) الوساطة ٢٢٩ ، ديوانه ١٦٥ (٣) ديوانه ٣٦ (٤) ديوانه ١٢٦

فاتبه ابن الرومي وأحسن الاتباع أيضاً ، فقال :

يظلُّ عن الحربِ العوانِ بمَعزِلِ وأثارُهُ فيها وإنْ غابَ شَهْدُ
كما احتجَبَ القُدَّارُ والحكمُ حُكْمُهُ على الخلقِ طُرّاً ليسَ عنهُ مَعْرَدُ (١)

إلا أن قولَ إِبشارِ أكثرِ ماءٍ وطلاوة .

ومما لم يُسِّ الاتباعَ فيه قوله أيضاً :

سَكَنْتُ سُكُونًا كانَ رَهْنًا بوَثْبَةٍ وعمَّاسٍ ، كذاكَ اللَّيْثُ للوْثِ يَلِيدُ (٢)
وإنما أخذهُ من قولِ النابغة (٣) :

وَقُلْتُ يا قَوْمَ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ على بَرائِنِهِ للوْثِبةِ الضَّارِي
وكذلك قوله :

كانَ أباه حينَ سَمَّاهُ صاعِدًا رأى كيفَ يَرِقُّ في المَعالي وَيَصْعَدُ
أخذهُ من قولِ البُخترى (٤) :

سماه أَسْرَتَهُ (٥) العَلَاءُ ، وإنما

وزاد أبو تمام أيضاً على الأفوه ، والنابغة ، وأبي نواس ، ومسلم ، في معنى تداولوه ؛

وهو قول الأفوه (٦) :

وترى الطيرَ على آثارِنا رأى عَيْنِ قِعةٍ أنْ سَمَّارُ (٧)
وقول النابغة (٨) :

إذا ما غَزَوْا بالجيِّشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ (٩)
جَوَائِحِ قَدْ أَيْقَنَ أنْ قَبِيلُهُ إذا ما التَقَى الجَمْعانِ أَوَّلَ غَالِبِ

(١) عرد : هرب . - (٢) عمَّاس : شديدة . يلبد : يلزق بالأرض .

(٣) ديوانه : ٥٧ . - (٤) ديوانه : ٣٢٣ . (٥) في الديوان : سمته أسرته .

(٦) الوساطة : ٢٧٠ ، التبيان : ٢ - ١٣٨ ، ديوان الأفوه : ١٣ .

(٧) تمار : تغطي الميرة بما تجمد من لحوم القتلى . (٨) ديوانه : ١٠ .

(٩) العصائب : الجماعات .

وقول أبي نواس (١) :

تَتَأْتِي (٢) الطَّيْرُ غُدُوتهُ
ثِقَةً بالشَّبَعِ مِنْ جَزَرِهِ

وقول مسلم (٣) :

قد عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَنَ بِهَا
فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

فقال أبو تمام (٤) :

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا
مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ
فقوله : « أقامت مع الرايات » زيادة .

وزاد عليه بعضُ المحدثين ، فقال :

يُظَمَّعُ الطَّيْرُ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْلِهِمْ
حَتَّى تَتَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ

وقال أبو تمام (٥) :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدُّ
أَلْفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضٌ

أخذه البحترى فحسَّنه وهو قوله (٦) :

مُتَّحِرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٌ
فِي كُلِّ نَائِيَةٍ وَجَدٍ قَاعِدٌ

ومما أخذه أيضاً من أبي تمام فقسَّمه تقسيماً حسناً قوله (٧) :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٌ
إِقْدَامٌ عَزِيزٌ وَاعْتِرَافٌ مُجَرَّبٌ

هو من قول أبي تمام (٨) :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ
فَإِذَا لَقُوا فَكَانَهُمْ أَعْمَارٌ (٩)

وقال أبو العتاهية (١٠) :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا
لِلَّهِ فِي طَيِّبِ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ

(١) الوساطة : ٢٧١ ، ديوانه : ٦٨ ، رغبة الأمل : ٤-١٢١ . (٢) تتأى : تتعمد .

(٣) الشعر والشعراء : ٨١١ . (٤) الوساطة : ٢٧١ ، التبيان : ٣-٣٣٩ ، ديوانه : ٢٤٨ .

(٥) ديوانه : ١٨١ . (٦) ديوانه : ١٦٩ . (٧) ديوانه : ٢٠ .

(٨) ديوانه : ١٤٨ . (٩) أعمار : غير مجربين . (١٠) عيون الأخبار : ٣-٥٢ .

أخذه أبو تمام ، فقال (١) :

قد يُنمِّمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعْمِ
فزاد عليه لأنه أتى بضد المعنى .

وقال أبو تمام (٢) :

رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحَدِّكَ هِمَّةً
وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ
فأخذه البحترى فاخصره ، فقال (٣) :

كُنْتُ أَمَلِي فَاحْتَارَهُ عَنْ مَعَاشِرِ
يَبْتُونُ وَالْأَمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ
وأخذه ابن الرومي ، فقال :

بِهِ صَدَقَ اللهُ الْأَمَانِي حَدِيثُهَا
وَقَدْ مَرَّ دَهْرُهُ وَالْأَمَانِي وَسَاوِسُ
وقال أبو تمام (٤) :

رَافِعٌ (٥) كَفَّهُ لِسْبَرِي فَأَاحُ
سَبِيهُ جَاءَنِي لَغَيْرِ اللَّطَامِ (٦)

أخذه البحترى فزاد عليه في حُسن اللفظ والسبك ؛ فقال (٧) :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ
بَأَوْجُهُمْ أَوْعَدُ أُمٌّ وَعَيْدُ
وقال الحنيف بن السجف :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هُنَيْمٍ بَطْمَنَةٍ
لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيْبَ إِزَارَهَا

يعنى بالمائد : الدم ؛ فأخذه البحترى فزاد عليه في اللفظ ، وقال (٨) :

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ
مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا

على أن « محمرة » حشو .

وقال أبو تمام (٩) :

(١) ديوانه : ٣١٦ . (٢) ديوانه : ١٩٢ . (٣) ديوانه : ٧٦ .

(٤) ديوانه : ٢٨٣ . (٥) في الديوان : رافعا ، الموازنة : ١٣٩ .

(٦) السبر : الاختيار ، والاطام : الضرب على الحد . (٧) ديوانه ١٧٢ ، الموازنة ١٣٩ .

(٨) ديوانه : ٦٣ . (٩) ديوانه : ١٧٩ .

كَانَمَا خَامَرَهُ أَوْلَقَ أَوْخَالَطَتْ^(١) هَامَتَهُ الْخَنْدَرِيسَ^(٢)
وقال البحترى^(٣) :

وَتَمَّخَلَ رِيْمَانَ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ مِنْ حِدَّةٍ^(٤) أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلٍ^(٥)
فزاد عليه .

وقال أبو تمام^(٦) :

أَنْصَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى عَادَ غُصْنِي سَاقًا وَكَانَ قَضِييَا^(٧)
فقال البحترى - وزاد^(٨) :

حَتَّى يَعُودَ الدُّوَيْبُ لَيْثًا ضَيْغَمًا وَالْفُصْنَ سَاقًا وَالْقَرَارَةَ نَيْقًا^(٩)
ومثل هذا كثير وفيما أوردتُ كفايةً إن شاء الله .

(١) في الديوان : أو غازلت . (٢) الألقى : الجنون . والخندريس : الحجر .
(٣) الموازنة : ١٤٢ . (٤) في الموازنة : من جنة . (٥) الأفكل : الرعدة .
(٦) ديوانه : ٢٨١ . (٧) رواية الديوان : * صار ساقا عودي وكان قضيبا *
(٨) ديوانه : ١٤٧ . (٩) نيقا : مرتفعا .

الفصل الثاني

من الباب السادس ، في قبح الأخذ

وقُبِّحُ الأَخْذُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى الْمَعْنَى فَنَتَنَاوَلَهُ بِلَفْظِهِ كَلَّةً أَوْ أَكْثَرَهُ ، أَوْ تُخْرِجَهُ فِي مَعْرُضٍ مَسْتَهْجِنٍ ؛ وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يَمْحُسُنُ بِالْكُسُوءَةِ : أَخْبَرْنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ : قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا الْحَدِيثَ مِنْكَ نَسَمُّهُ بِخِلَافِ مَا نَسَمُّهُ مِنْ غَيْرِكَ ! فَقَالَ : إِنِّي أَحَدُهُ عَارِيًّا فَأَكْسُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرْفًا ؛ أَيُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي مَعْنَاهُ شَيْئًا .

فَمَا أَخَذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَادَّعَى أَخِذَهُ — أَوْ ادَّعَى لَهُ — أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُ ، وَلَكِنْ وَقَعَ لَهُ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ ؛ كَمَا سَأَلَ ابْنَ عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ عَنِ الشَّاعِرِينَ يَتَفَقَّانَ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى . فَقَالَ : عَقُولُ رِجَالٍ تَوَافَتَ عَلَى أَلْسِنَتِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةِ (١) :

وَقُوفًا بِهَا صَحْحِي عَلَى مَطِيئِهِمْ
يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكُ أُمِّي وَتَجَلِّدِ
وهو قول امرئ القيس (٢) :

وَقُوفًا بِهَا صَحْحِي عَلَى مَطِيئِهِمْ
يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكُ أُمِّي وَتَجَمَّلِ
فمير طرفة القافية .

وقال الحرث بن ويلة (٣) :

الآن لما أبيض مسرأتي (٤)
وعَضِضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جَنْمِ (٥)

وقال غسان السليطي :

الآن لما أبيض مسرأتي
وعَضِضْتُ مِنْ نَابِي أَجْدَامِي

(١) جهرة أشعار العرب : ١٣٠ (٢) جهرة أشعار العرب : ٥٠ .

(٣) اللسان — مادة سرب ، وجنم . (٤) المسربة : شعر الصدر .

(٥) الجنم : أصل الشيء ، وجنم الأسنان : منابتها .

وقال البعيث :

أَتَرْجُو كَلِيبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُعْيَا كَلِيبًا قَدِيمُهَا

وقال الفرزدق :

أَتَرْجُو رَبِيعٌ أَنْ تَجِيءَ صِفَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُعْيَا رَبِيعًا كِبَارُهَا

ومثل هذا كثيرٌ في أشعارهم جداً .

والأخذُ إذا كان كذلك كان مَعِيًّا وَإِنْ ادَّعَى أَنْ الْآخِرَ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ ،
بَلِ وَقَعَ لِهَذَا كَمَا وَقَعَ لَذَلِكَ ؛ فَإِنَّ صِحَّةَ ذَلِكَ لَا يَلْمُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْمِيبُ
لَا زِمٌ لِلْآخِرِ .

رُوي لنا أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضي الله عنه :

* تَشَطَّ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا (١) *

فقال ابن عباس :

* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَعْدُ *

فقال عمر : والله ما قلتُ إلا كذلك .

وإذا كان القومُ في قبيلةٍ واحدةٍ ، وفي أرضٍ واحدةٍ ، فإنَّ خَوَاطِرَهُمْ تَقَعُ
مُتَقَارِبَةً ، كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة ؛ وأنشدت الصحابِ إسماعيل
ابن عباد :

* كَانَتْ سِرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظْلَةٍ (٢) *

فسبقني وقال :

* فَفَدَتْ سِرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سِرَاتِهِ (٣) *

وكذلك كنتُ قلتُ .

(١) ديوانه : ٧٢ . (٢) الأظل : بطن الإصبع ، مما يلي صدر القدم إلى الخنصر .

(٣) السراة : أعلى كل شيء .

فعلی هذا جاز ما يُدعى لهم ؛ والظاهر ما قلناه ؛ فهذا ضرب .
والضرب الآخر من الأخذ المستهجن أن يأخذ المعنى فيفسده أو يعوصه ،
أو يخرجَه في معرض قبيح وكسوة مسترذلة ، وذلك مثل قول أبي كريمة :
قفاه وجهه ، ثم وجهه الذي قفاه وجهه يشبه البدر
وإنما أخذ هذا من قول أبي نواس (١) :
بأبي أنت من مليح بديع
بد حسن الوجوه حسن قفاكا
وأحسن ابن الرومي فيه فقال :

ما ساءني إعراضه عني ولكن سرني
سألتاه عوض من كل شيء حسن

وإليه أشار عبد الصمد بن المعدل في قوله :

لما رأيت البدر في أفق السماء وقد تعلّى
ورأيت قرن الشمس في أفق الغروب وقد تدلى
شبهت ذاك وهذه وأرى شبيهما أجلا
وجه الحبيب إذا بدا وقفاً الحبيب إذا تولى

وأخذته أبو نواس من قول النابغة (٢) للنعمان بن النذر : أياخرك ابن جفنة !
واللات ، لأمسك خير من يومه ، ولقدالك أحسن من وجهه ، وليسارك أسمع
من يمينه ، ولبيدك أكثر من قومه ، ولنفسك أكبر من جنده ، وليومك أشرف
من دهره ، ولوعدك أنجز من رفيه ، ولهزلك أصوب من جدّه ، ولسكر سيك
أرفع من نسيره ، ولتترك أبسط من شيره ، ولأمك خير من أبيه .

(١) هذا البيت ليس في ديوان أبي نواس المطبوع بأيدنا وفي ديوان أبي تمام :

يا أبا جعفر خلقت بديعا فإن حسن الوجوه حسن قفاكا

(٢) في ظ : من قول النابغة بقوله . . .

والنابذة أحذق الجماعة ؛ لأنه ذكر القذال ، وهؤلاء قالوا : القفا ، ولا يُستحسن
أن يخاطب الرجلُ فيقال له : قفاك حاله كذا وكذا .

ومن ذلك قول الحسن بن وهب ، وقد سمع قولَ أعرابي اجتمع مع عَشيق له
في بعض الليالي : اجتمعت معها في ظلمة الليل ، وكان البدر يُرينها ، فلما غاب أرْتنيه ،
فقال :

أراني البدرُ سُنَّتْهَا عِشَاءً فلما أزمعَ البدرُ الأُفُولَا
أرْتنيه بِسُنَّتِهَا (١) فَسَكَتَ من البدرِ المنورِ لي بَدِيلَا

فأطال الكلام ، وجمل المعنى في بيتين ، وكرر السنة والبدر .

وقال البحترى فأرْبَى على الأعرابي وزاد عليه (٢) :

أضرتْ بَصْوَةَ البدرِ والبدرُ طَالِعٌ وقامتْ مَقَامَ البدرِ لما تَغَيَّبَا
وسمع بعضهم قول محمود الوراق :

إذا كان شُكْرِي نعمةَ الله نِعْمَةً علىَّ له في مثلها يَجِبُ الشُّكْرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلَّا بفضله وإن طالتِ الأيامُ واتَّصلَ العُمُرُ
إذا مسَّ بالسَّراءِ عَمَّ سرورها وإن مسَّ بالضرِّاءِ أعقبها الأجرُ
وما منهما إلَّا لهُ فيه نِعْمَةٌ تضيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبحرُ

فقال وأساء :

الحمدُ لله إنَّ الله ذونِعمٍ لم يُخصِّها عددًا بالشُّكرِ من حَمْدَا
شُكْرِي لهُ عَمَلٌ فيه علىَّ لهُ شُكْرٌ يكونُ لشُكرِ قبله مَدَدَا
فهذا مثالُ قبْحِ الأخذِ ، فأعلمه .

وأخذ ابن طباطبا قول علي رضي الله عنه : قيمةُ كل امرئٍ ما يحسنه ؛ فقال :

فِيالْأَمَى دَعْنِي أَغَالِ بَقِيمَتِي قَفِيمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ
فَأَخَذَهُ بَلْفَظِهِ ، وَأَخْرَجَهُ بَتِيضًا مُتَكَفِّفًا .
وَالجَيْدُ قَوْلُ الْآخِرِ :

* قَفِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ عِلْمُهُ *

فهذا وإن كان أخذه ببعض لفظه فإن « كلا » في بيته أحسن مَوْقِعًا مِنْهُ
فِي بَيْتِ ابْنِ طَباطِبا .

وقال قِرْوَانُ بْنُ حَوْطٍ :

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مُشْرِفٍ كَمَا يَدْنُو الْمَصَافِحُ لِلْعِنَاقِ

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَصَرَ عَنْهُ (١) ؛ وَقَالَ :

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إِلَى وَطَنِ

وَأَحْسَنَ تَقْسِيمَهُ الْبَحْتَرِيُّ ، فَقَالَ (٢) :

تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَعَى لِقَاءِ أَعَادٍ أُمَّ لِقَاءِ حَبَائِبِ

وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ (٣) :

وَلَيْلٍ كَجَلْبَابِ الْمَرُوسِ إِدْرَعَتُهُ بِأَرْبَمَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

أَحْمٌ عِلَافِيٌّ وَأَبْيَضٌ صَارِمٌ وَأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ وَأَرْوَعُ مَا جِدُّ (٤)

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَصَرَ وَقَالَ (٥) :

الْبَيْدُ وَالْعَيْسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا (٦) ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقَرَّنَنَّ فِي قَرْنِ (٧)

(١) ديوانه : ٣٨٨ . (٢) ديوانه : ١ - ٧٣ . (٣) اللسان - مادة علف .

(٤) البيت الثاني أنشده في اللسان : بكسر العين من علافى ، وقال : العلافى : أعظم الرجال .

والأحم : الأسود وقيل الأبيض . (٥) ديوانه : ٣٣٤ .

(٦) صدر البيت في ديوانه : * العيس والهلم والليل التمام معا * .

(٧) القرن : الحبل .

وبيت البحترى في معناه أجود من هذا ، إلا أنه لا يلحق بيت ذى الرمة :
اطلباً ثالثاً سِوَاىَ فإِنِّى رَابِعُ العِيسِ والدُّجَى والبِيدِ
ومما قصر فيه البحترى (١) :

قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى مشفوفة بمواطن الكتمان
أخذه من قول عمرو بن معديكرب (٢) :

والضاريين بكل أبيض مرهف والطاعنين مجامع الأضغان

قوله : « مجامع الأضغان » أجود من قوله : « مواطن الكتمان » ؛ لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن في موضع الضغن فذلك غاية المراد .

ومما قصر فيه قوله (٣) :

من غادة منعت وتمنع نيلها فلو أنها بدلت لنا لم تبدل
أخذه من قول عبد الصمد بن المعدل (٤) :

ظبي كأن يحصره من دقة ظمأ وجوعاً
ومن البليّة أنسى علقت ممنوعاً ممنوعاً (٥)

بيت عبد الصمد أبين مع شدة الاختصار . وبيت البحترى كالموبص لا يقام إعرابه إلا بعد نظر طويل .

وقال جابر بن السليك الهمداني (٦) :

أرعى بها الليل قدأى فيغشم بي (٧) إذ الكواكب مثل الأعين الحول

(١) معاهد التنصيص : ٢ - ١٧٢ . (٢) الموازنة : ١٣٤ . (٣) الموازنة : ١٣٦ .

(٤) الموازنة : ١٣٦ . (٥) في الموازنة : ممنوعاً ممنوعاً . (٦) الموازنة : ١٣٦ .

(٧) في الموازنة : فيهم .

أخذه البحترى فقصر في النظم عنه فقال (١) :

وَحِدَانِ الْقَلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ
الأول أسلس .

وقال أبو تمام (٢) :

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالذَّرَاهِمُ
وقال البحترى فقصر (٣) :

لِيَقِرَّ وَفُرُكِ الْمَوْفِي (٤) وَإِنْ أء وَرَّ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهُ
وأخذ أبو تمام قول الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْدُونِي وَانظُرُوا إِلَى النَّازِعِ الْمُقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ
فقال وقصر (٥) :

هَرِمْتَ بَعْدِي وَالرَّبْعُ الَّذِي أَفَلَّتْ مِنْهُ بُدُورُكَ مَعْدُورٌ عَلَى الْهَرَمِ
متكلف ردى الاستعارة .

وقد يتفق المبتدئ للمعنى والآخذ منه في الإساءة ؛ قال ابن أذينة :

كَأَنَّمَا عَابَهَا دَائِبًا زَيْنَهَا عِنْدِي بَتْرَيْنِ

فأتى بعبارة غير مرضية ونسج غير حسن ، وأخذه أبو نواس فقال :

كَأَنَّمَا أَتْنُوا وَلَمْ يَمْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

فأتى أيضاً برصفٍ مردودٍ ونظمٍ مردود .

وقد يستوى الآخذ والمأخوذ منه في الإجابة ؛ في التعبير عن المعنى الواحد .

قال أعرابي :

* قَمَّ عَلَيْهَا الْمِسْكُ وَاللَّيْلُ عَاكِفٌ *

(١) ديوانه : ٢ - ٢٤ ، الموازنة : ١٣٦ . (٢) ديوانه : ٢٨٦ .

(٣) ديوانه : ٢ - ٣١ . (٤) في الديوان : الملقى . (٥) ديوانه : ٢٦٧ .

وقال البحرى^(١) :

وحاولنَ كَيْمَانَ التَّرْحُلِ فِي الدُّجَى فَنَمَّ بَيْنَ الْمِسْكِ حَتَّى تَضَوَّعَا
وقال أيضاً^(٢) :

فَسَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِيَاً وَجَرَسُ الْحَلِي عَليهَا رَقِيَاً
وقال النابغة^(٣) :

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عِنْدَكَ وَاسِعُ
وقال أبو نواس^(٤) :

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شَرَابِهَا نَهَارُ
فأحسننا جميعاً في العبارة ؛ وللنابغة قصبة السبق ،
ومثل ذلك قول لبيد^(٥) :

* وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ *

وقال بشار :

* وَرَدَّ عَلَيَّ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا *

وقال الفرزدق^(٦) :

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعٌ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومُ
وقال أبو نواس :

كَأَنَّ بَقَايَا مَا عَفَا مِنْ حَبَابِهَا تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي سَوَادِ عِدَارِ

البيتان متساويان في حُسن الرصف ، وإن كان أبو نواس أساء في أخذه

(١) ديوانه : ٩٧ .

(٢) ديوانه : ٥١ .

(٣) ديوانه : ٧١ .

(٤) ديوانه : ٢٧٤ ، والشعر والشعراء : ٧٨٣ .

(٥) الشعر والشعراء : ٢٣٦ ، اللسان : ١٩ - ٣٥٢ .

(٦) الشعر والشعراء : ٤٦٧ .

لفظ الفرزدق ؛ وفي قول الفرزدق أيضا زيادة ، وهي : « وما حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومٌ » .

وأُشْدَ أَبُو أَحْمَدُ ؛ قَالَ : أُنْشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ :

حِرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَمْنٌ مُدِيرٌ وَتَنْدَقُ فِدْمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا

مَسْلَمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى وَمَكَاوِمَةٌ لِبَابِهَا وَنُحُورُهَا

أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ ؛ قَال (١) :

أُنَاسٌ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرَّوْعُ كَسَرُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَابِ (٢)

فَأَحْسَنًا جَمِيعًا .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

يَلْقَى السَّيْفَ بِوَجْهِهِ وَيَنْجِرُهُ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفِرِ

وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ (٣) اضْطَبِرْ لِشِبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقِرْ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :

يَتَلَقَى النَّدَى بِوَجْهِ حَيِّ وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاحِ

وَهَذَا كُلُّهُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ (٤) :

لَا يَقَعُ الطَّمْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ (٥)

وَهُوَ دُونَ جَمِيعٍ مَا تَقَدَّمَ .

وَقَدْ أُثْبِتُ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ صَنَفٍ فِي سَرَقِ الشَّعْرِ

فَثَلَّ بَيْنَ قَوْلِ الْمُبْتَدِيِّ وَقَوْلِ التَّالِيِّ ؛ وَبَيْنَ فَضْلِ الْأَوَّلِ عَلَى الْآخَرِ ، وَالْآخِرِ عَلَى

الْأَوَّلِ ، غَيْرِي ؛ وَإِنَّمَا كَانَتِ الْعُلَمَاءُ قَبْلِي يَنْهَوْنَ عَلَى مَوَاضِعِ السَّرَقِ فَقَطْ ؛ فَتَسَّ بِمَا

(١) ديوانه : ٤٢ . (٢) صدره في الديوان :

* إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسَطِلَ الْحَرْبِ صَدَعُوا *

(٣) السَّكْرِمِ مِنَ الْخَيْلِ . (٤) ديوانه : ٢٥ . (٥) التَّهْلِيلُ : النُّكُوصُ وَالتَّأَخُّرُ .

أوردته على ما تركته ؛ فإني لو استقصيته لخروج الكتاب عن المراد ، وزاغ عن الإيثار ؛ وبالله التوفيق .

تم الجزء الأول من كتاب الصناعتين ، ويتلوه في الجزء الثاني
الباب السابع في التشبيه . والحمد لله وحده ،
وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلامه .
وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب السابع

في التشبيه (فصلان)

الفصل الأول من الباب السابع

في حدّ التشبيه وما يُستحسن من منشور الكلام ومنظومه

التشبيه : الوصف بأن أحد الموصوفين يتوبّ متاب الآخر بإداة التشبيه ، ناب التشبيه منابه أو لم ينب ، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه . وذلك قولك : زيدٌ شديد كالأسد ؛ فهذا القولُ الصوابُ في العرفِ وداخلٌ في محمود المبالغة ، وإن لم يكن زيد في شدّته كالأسد على الحقيقة ؛ على أنه قد روى أن إنسانا قال لبعض الشعراء : زعمت أنك لا تكذب في شعرك ، وقد قلت :

* ولأنت أجرأ من أسامة *

أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ أَشْجَعَ مِنْ أَسَدٍ ! فَقَالَ : قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا بَجْرَةَ بَنِ ثَوْرٍ فَتَحَ مَدِينَةً وَلَمْ تَرَ الْأَسَدَ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَهَذَا قَوْلٌ .

ويصحُّ تشبيه الشيء بالشيء مُجْمَلَةً ، وإن شابهه من وَجْهٍ واحدٍ ؛ مثل قولك : وجهك مثل الشمس ، ومثلُ البدر ؛ وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما وعلوّهما ولا عِظَمِهما ؛ وإنما شبه بهما لمعنى يجمعُهما وإياه وهو الحُسن . وعلى هذا قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهُوَ الْجَوَارِ الْمُنشِآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ؛ إنما شبه المراكب بالجبال من جهة عِظَمِهَا لا من جهة صلابتها ورُسُوخِهَا ورزائنتِهَا ، ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو .

أوجه
التشبيه

والتشبيه على ثلاثة أوجه : فواحد منها تشبيه (١) شيئين متفقين من جهة اللون ؛
مثل تشبيه الليلة باليلة ، والماء بالماء ، والغراب بالغراب ، والحرة بالحرة . والآخر
تشبيه شيئين متفقين يُعرف اتفاهما بدليل ؛ كتشبيه الجوهر بالجوهر ، والسواد
بالسواد . والثالث تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما ؛ كتشبيه النيران بالسحر ؛
والمعنى الذي يجمعهما لطافة التدبير ودقة المسلك . وتشبيه الشدة بالموت ، والمعنى
الذي يجمعهما كراهية الحال وصعوبة الأمر .

أجود
التشبيه

وأجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه :

أحدها : إخراج مالا تقع عليه الحاسة [إلى ما يقع عليه] (٢) ؛ وهو قول الله
عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَاقِيَةٍ يُحْسِبُ الظَّمَانُ مَاءً ﴾ .
فأخرج مالا يحس إلى ما يحس ؛ والمعنى الذي يجمعهما بطلان التوهم مع شدة الحاجة
وعظم الفاقة ، ولو قال : يحسبه الرأي ماء لم يقع موقع قوله : « الظمان » ؛ لأن
الظمان أشد فاقة إليه ، وأعظم حرصاً عليه .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَرِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ
الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ . والمعنى الجامع بينهما بمد التلاقي ، وعدم الاتفاح .
وكذلك قوله عز وجل : ﴿ فَثَلَّهِ كَثَلٌ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَرَكَهُ يَلْهَثْ ﴾ ؛ أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه من لهث الكلب .
والمعنى أن الكلب لا يطيعك في ترك اللهث على حال ، وكذلك الكافر لا يجيبك
إلى الإيمان في رفق ولا عنف .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ
إِلَّا كِبَاسٌ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ . والمعنى الذي يجمع بينهما
الحاجة إلى المنفعة ، والحسرة لما يفوت من درك الحاجة .

(١) في ط : تشبيه . (٢) زيادة من .

والوجه الآخر لإخراج ما لم تجر به المادة إلى ما جرت به العادة ؛ كقوله تعالى :
﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾ ؛ والمعنى الجامع بين المشبة والمشبه به
الانتفاع بالصورة .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ... إِلَى
قَوْلِهِ : كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأُمْسِ ﴾ ؛ هو بيان ما جرت به المادة إلى ما لم تجر به . والمعنى
الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة ، ثم الهلاك ، وفيه العبرة لمن اعتبر ، والموعظة
لمن تذكّر .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ،
تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ، فاجتمع الأمران في قلع الريح لها
وإهلاكهما والتخوف من تعجيل العقوبة .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فَسَكَنتِ رَدَّةٌ كَالدَّهَانِ ﴾ . والجامع للمعنيين الحُمْرَةُ
ولين الجوهر ، وفيه الدلالة على عظم الشأن ؛ ونفوذ السلطان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ... إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :
ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ ؛ والجامع بين الأمرين الإعجاب ، ثم سرعة الانقلاب ؛ وفيه
الاحتقار للدنيا والتحذير من الاعتزاز بها .

والوجه الثالث : إخراج ما لا يعرف بالبدئية إلى ما يعرف بها ؛ فن هذا قوله
عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ، قد أخرج ما لا يُعَلَّمُ بالبدئية
إلى ما يُعَلَّمُ بها ؛ والجامع بين الأمرين العظم ؛ والفائدة فيه التشويق إلى الجنة
بِحُسْنِ الصِّفَةِ .

ومثله قوله سبحانه : ﴿ كَمَثَلِ الْجَمْرِ يَخْمَلُ أَسْفَارًا ﴾ ، والجامع بين الأمرين
الجهل بالمحمول ؛ والفائدة فيه الترغيب في تحفظ العلوم ، وترك الاتكال على الرواية
دون الدراية .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ﴾ ؛ والجامعُ بين الأمرين خُلُوُّ
الأجساد من الأرواح ؛ والفائدةُ الحثُّ على احتقارِ ما يُؤوَلُّ به الحالُ .

وهكذا قوله سبحانه : ﴿ كَشَلِّ الْعَسْكَبُوتِ انْتَضَتْ بَيْنَنَا ﴾ ؛ فالجامعُ بين
الأمرين ضَعْفُ المَعْتَمَدِ ؛ والفائدةُ التحذيرُ من حَمَلِ النفسِ على التفريرِ بالعملِ على
غيرِ أس .

والوجهُ الرابعُ : إخراجُ مالا قوَّةَ له في الصفةِ على ماله قوَّةً فيها ؛ كقوله عزَّ
وجلَّ : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ؛ والجامعُ بين الأمرين العِظَمُ ،
والفائدةُ البيانُ عن القدرةِ في تَسْخِيرِ الأجسامِ العِظَامِ في أعظمِ ما يكونُ من المساءِ .
وعلى هذا الوجهِ يجرى أكثرُ تشبيهاتِ القرآنِ ، وهي الغايةُ في الجودَةِ ، والنهائيةُ
في الحسنِ .

وقد جاء في أشعارِ المحدثين تشبيهُ ما يرى العيانُ بما يُنالُ بالفكرِ ، وهو
رَدِيءٌ ، وإن كان بعضُ الناسِ يستحسنُه لما فيه من اللطافةِ والدقَّةِ ، وهو مثل قول
الشاعر^(١) :

وكنتُ أعزَّ عزًّا من قنوعٍ يعوضُه صفوحٌ من مألٍ^(٢)
فصرتُ أدلَّ من معنَى دقيقٍ به فقرٌ إلى فهمٍ^(٣) جليلٍ

وكقول الآخر :

وندمانٍ سقيتُ الرِّاحَ صرفاً وأفقُ الليلِ مرتفعُ الشُّجوفِ
صفتُ وصفتُ زجاجها عليها كمعنى دقِّ في ذهنٍ لطيفٍ

فأخرج ما تقعُ عليه الحاسةُ إلى مالا تقعُ عليه ، وما يُعرَفُ بالعيانِ إلى ما يُعرَفُ
بالفكرِ ، ومثله كثيرٌ في أشعارهم .

(١) ديوان أبي تمام : ٥٠٣ .

(٢) في الديوان : صفوح عن جهول .

(٣) في الديوان : إلى معنى .

وأما الطريقةُ المسلوكةُ في التشبيهِ ، والنهجُ القاصدُ في التمثيلِ عند القدماءِ الطريقة
المسلوكة في
التشبيه والمحدثينِ فنشبيهُ الجَواذِ بالبحرِ والمطرِ ، والشجاعِ بالأسدِ ، والحسنِ بالشمسِ التشبيه والقمرِ ، والسهمِ الماضي بالسيفِ ، والعالى الرتبة بالنجمِ ، والحليم الرزين بالجبلِ ، والحسي بالبكرِ ، والفائت بالحلمِ ؛ ثم تشبيه اللئيم بالكلبِ ، والجبان بالصفرد^(١) ، والطائش بالفراشِ ، والدليل بالنقد^(٢) والنمّل والفقع^(٣) والوتدِ ؛ والقاسى بالحديدِ والصخرِ ، والبليد بالجمادِ ؛ وشهر قومٍ بمخصالٍ محمودةٍ ؛ فصاروا فيها أعلاماً فجروا بحرَ ما قدمناه ؛ كالسموعِ في الوفاءِ ، وحاتمِ في السخاءِ ، والأحنفِ في الحلمِ ، وسحبانِ في البلاغةِ ، وقسّ في الخطابةِ ، ولقمانِ في الحكمةِ . وشهر آخرون بأضدادِ هذه الخصالِ ؛ فشبّه بهم في حالِ الذمِّ كيقال في العي^(٤) ، وهينقة في الحُمقِ ، والسكسعي في الندامةِ ، والمترؤف ضرطاً في الجبنِ ، ومادر في البخلِ .

والتشبيهُ يزيدُ المعنى وضوحاً ويُكسبه تأكيداً ؛ ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والمعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه .

وقد جاء عن القدماءِ وأهل الجاهلية من كلِّ جيل ما يستدلُّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلِّ لسان . فن ذلك ما قال صاحب كيلة ودمنة : الدنيا كالماء الملح كلما ازدادت منه شرباً ازدادت عطشا . وقال : صحبة الأشرار تورث الشرَّ كالريح إذا مرّت على المُنْتِنِ حملت تننا ، وإذا مرّت على الطيب حملت طيبا . وقال : من لا يشكر له كان كمن نثر بذره في السِّبَاخِ ، ومن أشار على مُعْجَبٍ كان كمن سارَّ الأصم . وقد نظمت هذا المعنى . فقلت :

ألا إنّما النعمى تُجَارَى بِمِثْلِهَا إِذَا كَانَ مَسْدَاهَا إِلَى مَا جِدَّ حُرٌّ

(١) الصفرد : طائر جبان . (٢) جنس من الغنم قيمح الشكل .

(٣) الفقع ، يفتح الفاء وتكسر : البيضاء الرخوة من السكّاة . قال في اللسان : يقال للدليل :

هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتنأه أو لأنه يوطأ بالأرجل .

(٤) باقل : اسم رجل يضرب به المثل في العي .

فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ إِلَى غَيْرِ مَا جِدَّ فَقَدْ ذَهَبَتْ فِي غَيْرِ أَجْرٍ وَلَا شُكْرٍ
إِذَا الْمَرْءُ أَلْقَى فِي السَّبَاخِ بُدُورَهُ أَضَاعَ فَلَمْ تَرْجِعْ بَرْزَعٌ وَلَا بَدْرٌ

وقال : لا يخفى فضلُ ذى العلم وإن أخفاه كالمِسْكِ يُحْبَبُ وَيُسْتَرَّ ، ثم لا يمنع ذلك
وأحسنته أن تفوح . أخذه الصاحب فسكتب : فأنت - أدام الله عزك - وإن طويبت
عنا خبرك ، وجملتَ وطنك وطرك ، فأنبأوك تأمينا ، كما وثى بالمسك رِيَاءَهُ ، ونمَّ
على الصباحُ حَيَّاهُ .

وقال أيضاً : الرجلُ ذو المروءة يُكْرَمُ على غير مال كالأسد يُهَابُ وإن كان
رأبضاً ، والرجلُ الذى لا مروءة له يُهَانَ وإن كان غنيا كالكلب يهُونُ على الناس
وإن مسَّ وطوف .

وقال : المودَّةُ بين الصالحين سَرِيعٌ اتِّصَالُهَا بِطَيِّبٍ انْقِطَاعُهَا كَأَنِّيَّةِ الذَّهَبِ الَّتِي
هِيَ بِطَيِّبَةٍ الْإِنْكَسَارُ هَيِّنَةٌ الْإِعَادَةُ ؛ وَالمودَّةُ بَيْنَ الْأَشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطَاعُهَا بِطَيِّبٍ
اتِّصَالُهَا كَأَنِّيَّةِ الْفَخَّارِ يَكْسِرُهَا أَدْنَى شَيْءٍ ، وَلَا وَصَلَ لَهَا .

وقال : لَا يَرِدُ بَأْسُ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ بِمِثْلِ التَّنْذُلِ لَهُ ، كَمَا أَنَّ الْعُشْبَ إِذَا يَسَلَّمَ مِنَ
الرِّيحِ الْعَاصِفِ بَلِيْنَهُ لَهَا وَأَنْثَنَانَهُ مَعَهَا .

وقال : لَا يُحِبُّ الْمَذْنِبُ أَنْ يَفْحَصَ عَنْ أَمْرِهِ لِقُبْحِهِ ، يَنْكَشِفُ عَنْهُ ، كَالشَّيْءِ
الْمُنْتَنِ كَلَّمَ أُخْبِرَ أَزْدَادُهُ تَتَنَا .

وقال أيضاً : مَنْ صَنَعَ مَعْرُوفًا لِمَا جَلَّ الْجَزَاءُ فَهُوَ كَمُنْتَنِ الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لَا لِيَنْفَعَهَا
بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ .

وقال أيضاً : الْمَالُ إِذَا كَانَ لَهُ مَدَدٌ يَجْتَمِعُ مِنْهُ وَلَمْ يُصْرَفْ فِي الْحَقُوقِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ
الْهَلَاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، كَالْمَاءِ إِذَا اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى النُّفُودِ تَفَجَّرَ
مِنْ جِوَانِبِهِ فَضَاعَ .

وقال أيضاً : الْأَدَبُ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ السُّكْرَ وَيَزِيدُ الْأَهْمَقَ سُكْرًا ، كَالنَّهَارِ يَزِيدُ
الْبَصِيرَ بَصْرًا وَيَزِيدُ الْخَفَّاشَ سُوءَ بَصَرٍ .

وقد أَحْسَنَ في هذا المعنى جعفر بن محمد رضي الله عنهما ، فقال : الأَدْبُ عند
الأحمق كالماء العَذْبُ في أصول الحنظل كلما ازدَادَ رِيًّا ازدادَ مَرَارَةً .
وقال صاحب كليله ودمنة : الدنيا كدودة القز لا تزدادُ بالإبريسم^(١) على نَفْسِهَا
لَفًّا إِلَّا ازدادتُ من الخروج بُعْدًا .

وقال : إذا عثر الكريم لم ينتعش إلا بكريم ، كالفيل إذا توحل لم يقلمه إلا الفيلة .
وقال الشاعر في هذا المعنى :

وإذا الكريمُ كَبَّتْ به أَيامُهُ لم ينتعش إلا بعطفِ كريم

وقال صاحب كليله أيضا : يبقى الصالح من الرجال صالحا حتى يُصَاحِبَ فاسدا ؛
فإذا صاحبه فسد ، مثل مياه الأنهار تكون عَذْبَةً حتى تُخَالِطَ ماءَ البحر ، فإذا
خالطته ملحت .

وقال بعضُ الحكماء : الدنيا كالمَنَجِلِ استواؤها في اعوجاجِها .

وجوه
التشبيه

والتشبيه بمد ذلك في جميع الكلام يَجْرِي على وجوه :

منها تشبيه الشيء بالشيء صورة ؛ مثل قول الله عز وجل : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا ه
منازلَ حتى عاد كالعُرْجُونِ^(٢) القديم ﴾ . أخذه ابن الرومي ، فقال في ذم الدهر^(٣) :

تَأْتِي على القَمَرِ السَّارِي نَوَائِبُهُ حتى يُرَى نَاحِلًا في شَخِصِ عُرْجُونِ
وَأين يقع هذا من لَفْظِ القرآن .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس^(٤) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا لدى وَكْرِهَا العُنَابُ والحَشَفُ البَالِي^(٥)

(١) الحرير . (٢) العرجون : العذق عامة ، وقيل : لا يكون عرجونا إلا إذا بلس واعوج .

(٣) ديوانه : ٢٥ . (٤) ديوانه : ٦٤ . (٥) الحشف : أردأ التمر أو الضعيف

لا نوى له أو اليابس الفاسد .

وقوله أيضاً^(١) :

كَأَنَّ عِيُونََ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحَلْنَا الْجِرْعُ^(٢) الَّذِي لَمْ يُتَقَبَّ

وقول عدى بن الرقاع^(٣) :

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا^(٤)

ومنها تشبيه الشيء بالشيء لونا وحسناً ؛ كقول الله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ . وكقول حميد ابن ثور :

والليل قد ظَهَرَتْ نَحِيرَتُهُ^(٥) وَالشَّمْسُ فِي صَفْرَاءِ كَالْوَرْسِ

وكقول الآخر :

قَوْمٌ رِبَاطِ الْخَيْلِ وَسَطَ بِيوتِهِمْ وَأَسِنَّةُ زُرْقٍ يُخْلَنُ نَجُومًا

ومنها تشبيهه به لونا وسبوغاً ، كقول امرئ القيس^(٦) :

وَمَشْدُودَةَ السَّكِّ مَوْضُونَةً تَضَائِلُ فِي الطَّيِّ كَالْمِبْرَدِ^(٧)

يَفِيضُ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْآتِيِّ عَلَى الْجَدِّجِدِ^(٨)

شبه الدرع بالآتي في بياضها وسبوغها ؛ لأنها تم الجسد كما يمم الآتي الجددجد إذا تفجّر فيه ؛ والآتي : السيل .

ومنها تشبيهه به لونا وصورة ، كقول النابغة^(٩) :

تَجَلُّوْا بِقَادِمِي حَمَامَةَ أَيْكَةِ بَرَدًا أَسْفَ لِنَاتِهِ بِالْإِثْمِدِ

(١) ديوانه : ٨٠ . (٢) الجزع : الحرز اليماني فيه سواد وبياض .

(٣) اللسان — مادة زجا ، الأغاني : ٩٠ — ٣١٣ ، الشعر والشعراء : ٦٠١ .

(٤) الروق : القرن . (٥) النخيزة : نسيجة شبه الحزام تكون على القساطيط والبيوت .

(٦) البيت الأول في اللسان مادة سكك منسوباً إلى امرئ القيس . وفي مقاييس اللغة ١-٤٠٨ .

البيت الثاني ليس منسوباً ، وليس في ديوانه . (٧) السك : الدرع الضيقة الخلق ، والموضونة :

الدرع المسوجة أو المقاربة للنسج . (٨) الجددجد : الأرض المستوية . (٩) ديوانه : ٣٧ .

كَالْأُقْحُونِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلَهُ نَدَى
شَبَّهَ النَّغْرَ بِالْأُقْحُونِ لَوْنًا وَصُورَةً ؛ لِأَنَّ وَرَقَ الْإُقْحُونِ صُورَتُهُ كَصُورَةِ
النَّغْرِ سِوَاءً ، وَإِذَا كَانَ النَّغْرُ نَقِيًّا كَانَ فِي لَوْنِهِ سِوَاءً .

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

جَمَعْتُ رُدِّي نَيْبًا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِدُخَانِ

وَمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى اللَّوْنِ وَحَدَهُ قَوْلُ الْأَعَشَى (١) :

وَسَبَيْسَةَ مِمَّا تُعْتَقُ بِأَبْلِ كَدَمِ الذِّبْحِ سَلَبَتَهَا جِرْيَا لَهَا (٢)

وَقَوْلِ الشَّمَاخِ (٣) :

إِذَا مَا اللَّيْلِ كَانَ الصَّبْحُ فِيهِ (٤) أَشَقُّ كَمَفْرَقِ الرَّأْسِ الدَّهَيْنِ

وَقَوْلِ زَهِيرِ (٥) :

* وَقَدْ صَارَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ (٦) *

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ (٧) :

وَأَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرَخِّ سُدُودِهِ عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي

وَفِي هَذَا مَعْنَى الْمَوْلِ أَيْضًا .

وَقَوْلِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرِ (٨) :

وَأَيْلُهُ مُسْتَأَقٍ كَانَ نَجُومَهَا تَفَرَّقْنَ مِنْهَا فِي طَيَّالِسَةٍ خُضِرِ

وَقَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ :

وَلَيْلٍ كِجْلَبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

(١) اللسان - مادة جزل ، مقاييس اللغة : ١ - ٤٤٥ . (٢) جريالها : لونها .

(٣) ديوانه : ٩٦ . (٤) في الديوان : * إذا الصبح شق الليل عنه * .

(٥) ديوانه : ٣٢٣ . (٦) البيت في الديوان :

زجرت عليه حرة أرحبية وقد كان لون الليل مثل اليرندج

الأرندج واليرندج : جلد أسود . أو السواد يسود به الخف .

(٧) ديوانه : ٣٣ . (٨) ديوانه : ٢٥٩ .

وقوله أيضاً^(١) :

وقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي الَّذِي كَمَلَ السَّرَى عَلَى أُخْرِيَّاتِ اللَّيْلِ فَتَقَّ مَشَهَرٌ
كَوْنِ الحِصَانِ الأَبْطِ^(٢) البَطْنِ قَائِمًا تَمَائِلَ عَنهُ الجُلُّ واللَّوْنُ أَشْقَرُ

ومنها تشبيهه به حركة ؛ وهو قول عنتره^(٣) :

غَرَدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ المِكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الأَجْدَمِ

وقول الأعشى :

غَرَاءَ فَرَعَاءِ^(٤) مَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا تَمَشَّى الهَوَيْنَا كَمَا يَمَشَّى الوَجِي الوَجِلُ

وقول الآخر :

كَانَ مِشْيَتِهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا وَرُ السَّحَابَةِ لَارَيْتُ وَلَا عَجَلُ

وقول الآخر :

كَانَ أُنُوفَ الطَّيْرِ فِي عَرَصَاتِهَا خَرَاطِيمُ أَقْلَامٍ تَخُطُّ وَتُعْجِمُ

ومنها تشبيهه به معنى ، كقول النابغة^(٥) :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبٌ

وقوله^(٦) :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعٌ

وكقول الآخر :

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهَ لِأَنَّ مَتْنَهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنَتْهُ خَشِينَانِ

وقول مسلم بن الوليد :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ ودَاعِهِ لَكَالْعَمْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ

(١) اللسان - مادة نبط وهما لدى الرمة . وقال في اللسان : شبه بياض الصبح طالعا في اجرام الأفق بفرس أشقر قد مال عنه جله فبان بياض إبطنه . (٢) الأبط : الأبيض البطن والصدر . (٣) الشعر والشعراء : ٢٠٧ ، ديوانه : ١٢٣ . (٤) فرعاء : طويلا الشعر . (٥) ديوانه : ١٧ . (٦) ديوانه : ٧١ .

وقوله :

فإن أغشَ قوماً بعدَهُ أو أزرَهُمُ
فكألو حشيشٍ يُدِنِها من الأَنسِ المحلُّ

وقول الآخر :

والدَّهرُ يفرَعُني طَوْرًا وأقرَعُه
كَأنه جَبَلٌ يَهْوِي إلى جَبَلٍ

وقول الآخر :

كَمِ مِنْ فُوَادٍ كَأَنَّهُ جَبَلٌ
أَزَالَه عَن مَقَرِّهِ النَّظْرُ

وقد يكون التشبيهُ بغير أداة التشبيه ؛ وهو كقول امرئ القيس (١) :

له أَيُّطَلَا ظَبِيٍّ وَسَاقًا نَعَامَةٍ
وَإِرْحَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٌ تَتَفُلُّ (٢)

هذا إذا لم يُحمَل على التشبيه فسد الكلام ؛ لأنَّ الفرس لا يكون له أَيُّطَلَا ظَبِيٍّ ولا ساقًا نعامًا ولا غيره مما ذكره ، وإنما المعنى له أَيُّطَلَانٌ كَأَيُّطَلَى ظَبِيٍّ وَسَاقَانٌ كَسَاقِي نَعَامَةٍ . وهذا من بديع التشبيه ؛ لأنه شبه أربعة أشياء بأربعة أشياء في بيت واحد ، وكذلك قولُ المرقش (٣) :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا
نِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكْفِ عَنَمٌ

فهذا تشبيهٌ ثلاثة أشياء في بيتٍ واحد .

وضربٌ منه آخر ، ومنه قول امرئ القيس (٤) :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سُمُو حَبَابِ المَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ

فحذف حرف التشبيه .

ثم نورد هاهنا شيئاً من غرائب التشبيهات وبدائعها ، ليكون مادة لمن يريد العمل برسمنا في هذا الكتاب ؛ فمن بديع التشبيه قولُ امرئ القيس (٥) :

(١) ديوانه ٣٦ . (٢) أَيُّطَلَا ظَبِيٍّ : خاصرتاه . والسرحان : الذئب . وإرْحَاؤُه : مده عنقه

مسترسلا . والتفعل : ولد الثعلب . وتقريبه : جمع يديه ووثبه . (٣) الشعر والشعراء : ١٦٥ .

(٤) ديوانه : ٥٢ . (٥) ديوانه : ٦٤ ، معاهد النصيب : ٢ - ٣٠ .

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي
فَشَبَهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ مَفْصَلًا : الرطب بالعناب ، واليابس بالحشف ؛ فجاء في غاية
الجودة .

ومثله قول بشار^(١) :

كَانَ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رءِ وَسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
فَشَبَهَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ بِمُثَارِ النَّقْعِ ، وَالسِّيُوفِ بِالْكَوَاكِبِ .
وَيَتُّ امْرَأَ الْقَيْسِ أَجْوَدُ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا أَشْبَهُ بِالْعُنَابِ
وَالْحَشْفِ مِنَ السِّيُوفِ بِالْكَوَاكِبِ .

ومثل قول النمرى^(٢) :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ^(٣)
وقول العتابي^(٤) :

مَدَّتْ سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ لَيْلًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَايِرُ^(٥)
وَمِنْ بَدِيعِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ الْآخِرِ :
نَشَرَتْ إِلَى عَدَائِرًا مِنْ شَعْرِهَا حَدَرَ الْكَوَاشِحِ وَالْمَدْوُ الْمُوْبِقِ
فَسَكَانَتِي وَكَانَهَا صُبْحَانَ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

شَبَهَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ مَفْصَلَةً .

وقال البحتري^(٦) :

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى كَالغَيْثِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ

(١) معاهد التنصيص : ٢ - ٢٨ . (٢) معاهد التنصيص : ٢ - ٣١ ، المختار من

شعر بشار : ١ (٣) المذروبة : المحدودة . والشعر : جمع شرع بالكسر كل ما يشرع :

أى ينصب ويرفع . (٤) المختار من شعر بشار : ١ (٥) سناكبها : أطرافها . والمباير :

السيوف القاطعة . (٦) ديوانه : ١٥٢ .

وَأْتَمُّ مَا فِي هَذَا قَوْلِ الْوَأْوَاءِ :
وَأَسْبَلْتُ لَوْلَا مِنْ نَرَجِسٍ فَسَقْتُ وَرَدًّا وَعَصَبْتُ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
فَشَبَّهُهُ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ : الدَّمْعُ بِاللُّوْلُو ، وَالْمَيْنُ بِالرَّجْسِ ،
وَالْحَدُّ بِالْوَرْدِ ، وَالْأَنَامِلُ بِالْعُنَابِ ؛ لَمَا فِيهِمْ مِنَ الْخَضَابِ ، وَالثَّنْفَرُ بِالْبَرْدِ . وَلَا أَعْرِفُ
لِهَذَا الْبَيْتِ ثَانِيًا فِي أَشْعَارِهِمْ .

وقول البحتري (١) :
كَالسَّيْفِ فِي إِخْدَامِهِ وَالنَّيْثِ فِي إِرْهَامِهِ وَاللَّيْثِ فِي إِقْدَامِهِ (٢)
فَشَبَّهُهُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ .

وقلت في مثله :
كَالسَّيْفِ فِي غَمْرَانِهِ وَالْبَدْرِ فِي ظُلْمَانِهِ وَالنَّيْثِ فِي أَرْزَامِهِ
وقال البحتري (٣) :

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ
فَشَبَّهُهُ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ .

ومثله قول أبي نواس (٤) :
يَا قَرَأَ أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمِّ (٥) يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَرْبَابِ
يَبْكِي فَيَلْقِي الدَّرَّ مِنْ نَرَجِسٍ وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بِمُنَابِ

أَخَذَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فَقَلَبَهُ هِجَاءً فَقَالَ :

يَا قَرْدَةَ أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمِّ تَنْسَدِبُ شَجْوًا بِتَخَالِيطِ
تَبْكِي فَتَلْقَى الْبَعْرَ مِنْ كَوْوَةٍ وَتَلْطَمُ الشُّوكَ بِيَلُوطِ

(١) ديوانه : ٢٥١ . (٢) الخدم : سرعة القطع . أرهمت السماء : أنزلت المطر
الضعيف الدائم . (٣) ديوانه : ١ - ١٣٦ . (٤) ديوانه : ٣٦١ .
(٥) في الديوان : * يا قرأ أبرزه مأتم *

وَسَبَّهْتُ الْهَيْلَالَ تَشْبِيهًا يَتَضَمَّنُ صِفَتَهُ مِنْ لَدُنْ هُوَ هَالِكٌ إِلَى أَنْ يَكْمُلَ ، فَقُلْتُ :
وَكَوْسٌ إِذَا دَجَا لَيْلٌ دَارَتْ تَحْتَ سَقْفِ مَرَصَعٍ بِاللَّجِينِ
وَكَانَ الْهَيْلَالَ مَرَاةً زِيَّةً يَنْجَلِي كُلَّ لَيْلَةٍ إِصْبَعَيْنِ
ومن بديع التشبيه قولُ سلمة بن عباس :

كَانَ بَنِي ذَالَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيحٌ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ
هَذَا لِدَقَّةِ أَسْوَاتِهِمْ وَعَجَلَةِ كَلَامِهِمْ ، وَقَوْلُهُ :
حَدِيثُ بَنِي قَرْطٍ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ كَنَزُوا الدَّبَا فِي الْعَرَفِجِ الْمُتَقَارِبِ
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ وَهُوَ ابْنُ نَبَاتَةَ فِي فَرَسٍ أَبْلَقَ أَعْرَبُ :
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ نَفَاضَ فِي أَحْشَاءِهِ
وقال آخر :

* لَيْلٌ يَجْرُ مِنْ الصَّبَاحِ ذَلَاذِلًا ^(١) *

ومن مليح التشبيه وبديعه قولُ ابن المعتز ^(٢) :

وَالصَّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرَى فَكَانَهُ عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَى بِسِرَاجِ
وقوله في صفة فرس ^(٣) :

وَمُحَجَّلٌ غَيْرُ الْهَيْمِ كَانَهُ مُتَبَخَّرٌ يَمْشِي بِكَمِّ مُسْبَلِ
وقال أعرابي :

بَغَزُو كَوْنِغِ الذَّنْبِ غَادٍ وَرَاحِ وَسَيْرِ كَصَدْرِ السَّيْفِ لَا يَتَعَرَّجِ
وقول ابن الرقاع ^(٤) :

تَزُجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

(١) الذلاذل : أسافل القميص الطويل . (٢) ديوانه : ٢ - ٧٤ .

(٣) ديوانه : ١٢٦ . (٤) الشعر والشعر : ٦٠١ .

وقول الطَّرِّمَاح :

يسدو وتُضْمِرُهُ البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يُسَلُّ ويفمَدُ

وقول ذى الرمة فى الحرباء (١) :

ودَوِيَّة جَرْدَاء جَدَاء حَيْمَتُ
كَانَ يَدَى حِسْرَابِهَا مَتَمَلِّمًا
بها هبواتُ الصيفِ من كل جانب (٢)
يبدأ مُذْنِبٌ يَسْتَغْفِرُ الله تَائِبٌ

وقوله فيها (٣) :

وقد جعلَ الحِرْبَاءُ يَصْفِرُ لَوْنُهُ
وَيَسْبَحُ بِالكَفَّيْنِ حَتَّى كَأَنَّهُ
أخو فَجْرَةٍ عَالِي بِهِ الْجُدْعَ صَالِبُهُ
أخذه البَحْتَرَى ، فقال (٤) :

فترأه مطرِدًا على أَعْوَادِهِ
مستشرفًا للشمس منتصبًا لها
مثلَ أَطْرَادِ كَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ
فى أَخْرِيَاتِ الْجُدْعِ كَالْحِرْبَاءِ

وقال ذو الرُّمَّة (٥) :

يصلى بها الحرباء للشمس ما ئلًا
إذا حوّل الظلّ العشى رأيتَه
على الجَدَلِ (٦) إلا أنه لا يُكَبِّرُ
حَنِيفًا وفى قرْنِ الضُّحَى يَنْصَرُّ

الحِرْبَاءُ : دَوِيَّة كالمظاية تأتى شجرة تعرف بالتنضبة (٧) فتمسك بيديها
غصنين منها ، وتقابل بوجهها الشمس ، فكيفها دارت الشمس دارت معها ، فإذا
غربت الشمس نزلت فرعت .. والحرباء ، فارسية معربة ؛ وإنما هى خُرْبَاء ؛ أى حافظ
الشمس ، والشمس تسمى بالفارسية خُرْ ؛ وقد ملّح ابن الرومى فى ذكرها حيث يقول
فى قِيئَةِ :

(١) ديوانه : ٥٨ ، ٥٩ . (٢) الدوية : الفلاة الواسعة . والجرداء : التى لا نبات فيها .
والهبوات : جمع هبوة بالفتح : الغبرة . والجداء : التى لا نبات فيها . (٣) اللسان (غيب) ،
وديوانه : ٤٧ . (٤) ديوانه : ١ - ٥ . (٥) ديوانه : ٢٢٨ .
(٦) الجدل : أصل العىء الباقي من الشجرة . (٧) التنضبة : واحدة التنضب ، شجر
له شوكة قصار وليس من شجر الشواهيق تألفه الحرابي .

ما بالها قد حسنت ورقبها
أبدأ قبيحاً ، قُبِّحَ الرقباءُ
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى
أبدأ يكون رقبها الحبراءُ
وقال ابن الرومي أيضاً في مصلوب :

كم بأرض الشام غادرت منهم
يلعبُ الدَّسْتَبِنْدُ فَرْدًا وَإِنْ
وقال ابن المعتز (٢) :

وقد علا فوق الهلالِ كرته
كهامةِ الأسودِ شابتُ لحيتهُ
وقال (٣) :

ورأسه كمثل فرقٍ قد مُطِرُ
وصدغه كالصَّوْلَجَانِ الْمُنْكَسِرِ (٤)

ومن بديع التشبيه قول الآخر :
بيضاء تَسْحَبُ من قيامِ فرعها
فكانها فيه نهار ساطع
ومن بديعه قول مُسَلِّم :

أجسدك ما تَدْرِينِ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ
وَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ (٦) :

والشيبُ ينهضُ في الشَّبَابِ كأنه
وَقَلْتُ :

شمس هَوَتْ وهلالُ الشهرِ يَتَّبِعُهَا
كأنها سافرةٌ قدامَ منتقبِ

(١) الدسْتَبِنْدُ: لعبة للمجوس يدورون وقد أمسك بعضهم يد بعض كالرقص، العرب ص ٢٣٧

(٢) ديوانه : ٢ - ١١٠ . (٣) ديوانه : ٢ - ١٠٣ .

(٤) الفرق - بالسكون : الطائر . والصَّوْلَجَانُ : المحجن . (٥) الجتل : الكثير اللثف .

من فرعها أى شعرها : والأسحَم : الأسود . (٦) ديوانه : ٦٧ .

تبدو الثريا وأمر الليل مُجْتَمِعٌ كأنها عقربٌ مقطوعةُ الذنبِ

وقلت :

تألوح الثريا والظلامُ مقطَّبٌ فيضحك منها عن أغرِّ مفلجٍ
تسير وراءَ والهلالُ أمامها كما أومات كَفٌّ إلى نصفِ دُمُجٍ

وقال عبد الله بن المعتز :

أهلاً وسهلاً بالناي والعودِ وكأسِ ساقِ كالنصنِ مَقْدُودِ
قد انقضتْ دولة الصيامِ وقد بَشَّرَ سَقَمُ الهلالِ بالعيدِ

وقال آخر :

تبدو الثريا كفاغِرٍ شرِّه يفتحُ فاهُ لأكلِ عُنُقُودِ (١)
قال أبو الحرث : جيز فلان كالشجِب (٢) من حيث لقيته « لا » ، فقال

أبو العبر :

لو كنت من شيءٍ خلافاً لم تكن لتكونَ إلا يشجباً في مشجِبِ
ياليت لي من جلد وجهك رُقْمَةٌ فأقدَّ منها حافراً للأشهبِ

وقال بمض الحكاء : العقل كالسيف والنظر كالمنن . ونظر عبادة إلى سوداء

تبكي ، فقال : كأنها تنورُ شنان يكف ؛ فنظمته وقلت :

سوداء تَدْرِفُ دَمْعُها مثل الأتونِ إذا وكف

وقال ابن المعتز :

وكانَّ عقربَ صدغِه وقفتُ لما دنتُ من نارِ وجنتِه

وقلت :

كانَّ نهوضِ النجمِ والأفقِ أخضرٌ تبلجُ ثمرِ تحتِ خضرةِ شاربِ

(١) الفاجر : من ففر شه إذا فتحه . والتمره : الشديد الحرس على الطعام .

(٢) الشجب : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر .

وقال أوس بن حجر (١) :

حتى تلف بدوركم وقصوركم
جمع كناية الحصان الأشقر
وقلت :

بكرنا إليه والظلام كأنه
غراب على عرف الصباح يرتق (٢)

إذا التوى الصدغ فوق وجنته
رأيت تفاحة بها عضة
وقلت :

والغيم يأخذه ريح فننفسه
كالقطن يندف في زرق الباييج (٣)

وقهوة من يد المغنوج صافية
كأنها عصرت من خد مغنوج
وقلت :

قم بنا ندعر الهموم بكأس
وقد انجرت المجرّة فيه
والثربا لمفرق الليل تاج
كسبيب (٤) يمدّه نساج
وقلت :

وكانّ النجوم والليل داج
نقش عاج يلوح في سفّ ساج
وقلت :

كان السميريات فيه عقارب
تجىء على زرق الزجاج وتذهب
وقلت :

فأدرت دما بالدماء مصبغا
وقد باشر الليل الصباح كأنه
كما يتواهى عقد عقد منسق
بقية كحل في حاليق أزرق
وهذا الجنس كثير ، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله .

(١) ديوانه ١٠ ، والرواية فيه :

حتى تلف نخيلهم وزروعهم
(٢) التريق : رفرقة جناح الطائر .
كعب كناية الحصان الأشقر
(٣) في الأصول : « الدوايج » تصحيف ، والدوايج
(٤) السبيب : شقة كتان رقيقة .
جمع دياج ، وهو الثوب المتخذ من الإبريسم .

الفصل الثاني

في البيان عن قبْح التشبيه وعيوبه

والتشبيه يقبَح إذا كان على خلاف ما وصفناه في أول الباب ، من إخراج الظاهر فيه إلى الخافي ، والكشوف إلى المستور ، والكبير إلى الصغير ، كما قال النابغة (١) :

تَحْدِي بِهِمْ أَدَمَ كَأَنَّ رِحَالَهَا
عَلَّقَ أَرِيْقَ عَلَى مَتُونِ صَوَارِ (٢)

وقال لبيد (٣) :

نَحْمَةٌ ذَفْرَاءُ تُرْتَى بِالْعُرَى
قُرْدُمَانِيًّا وَتَرَكَآ كَالْبَصْلِ (٤)

وقال خُفَّافُ بْنُ نُدْبَةَ :

أَبَقَ لَهَا التَّعْدَاءُ مِنْ عَتْدَاتِهَا
وَمَتُونِهَا تَكْيُوطَةُ السِّكْتَانِ

العتدات : القوائم ، والمتون : الظهور ؛ يقول : دقت حتى صارت متونها وقوائمها كالطيوط ، وهذا بعيد جدا . ومثل هذا محمود غير معيب عند أصحاب الغلو ومن يقول بفضله .

وإذا شبه أيضاً صغيراً بكبير وليس بينهما مقارنة فهو معيب أيضاً ، كقول ساعدة

ابن جُوَيْبَةَ :

كَمَا هَا رَطِيبَ الرِّيشِ فَاعْتَدَلْتُ لَهَا
قِدَاحُ كَأَعْنَاقِ الطَّبَاءِ الْفَوَارِقِ

شبه السهام بأعناق الطباء وليس بينهما شبه . ولو وصّفها بالدقة لكان أولى .

(١) ديوانه : ٤٤ . (٢) تحدى : من الحدى ، وذلك سرعة السير من البعير وغيره معزج قوائمه . والأدم : الإبل التي في لونها أدمة . والعلق : الدلو . والمتن : الظهر ، والصوار : بالكسر والضم : القطيع من البقر . (٣) اللسان (قردم ، رتي ، ترك) . (٤) الرتو : الشد ، والقردمانية : الدروع الغليظة ، والترك : جمع تريك ، وهي بيضة الحديد للرأس .

ومن معيب التشبيه قول بشر :
وجرّ الرامساتُ بها ذيولاً
رمد بين أطّار ثلاثٍ
فشبه الشمال والذبور بالرماد .
ومن خطأ التشبيه قول الجعدى :

* كان حجاج مقلتها قلباً *

والحجاج : العظم الذى نبت عليه شعر الحاجب . وليس هذا مما يفور ؛ وإنما تغور العين .
ومن التشبيه الكريه المتكلف قول زهير (٣) :
فزل عنها ووَاقى رأس مرقبة كمنصب العتر دمي رأسه النسك (٤)
ومن التشبيه الردىء اللفظ قول أوس بن حجر (٥) :
كان هراً جنياً تحت غرضها (٦) والتف ديك برجلها وخزير
وأعجب من هذا قول بشار :

* وبمض الجود خزير *

ومن بعيد التشبيه قول أعرابي :
وما زلت ترجو نيل سلمى وودها
ملاً حاجبيك الشيب حتى كأنه
فشبه شعرات بيضاً فى حاجبيه بظباء سوانح وبارح . وقال أبو تمام (٨) :
كأننى حين جرّدت الرجا له
عضب صببت به ماءً على الزمن

(١) الرامسات : الرياح الدوافن للآثار ، ومثله الروامس .
(٢) الأطّار : جمع واحده ظأر - بالفتح ، وهو المثل . والنؤور : دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .
(٣) ديوانه : ١٧٨ .
(٤) زل : سقط . والمنصب : الحجر . والعتر : الذى يذبح فى رجب ، والنسك : جمع نسكة ، وهو ما يذبح عليه . ورأسه : رأس الحجر .
(٥) الشعر والشعراء : ١٥٩ .
(٦) الغرصة : حزام الرجل .
(٧) المسايح : جوانب الرأس .
(٨) ديوانه ١ : ٣٣٤ .

ولا يكاد يرى تشبيه أبرد من هذا .
وكتب آخر إلى أخ له يمتدّر من ترك زيارته : قد طلعت في إحدى أشي برة ،
فعظمت حتى كأنها الرمانة الصغيرة .
وقال على الأسوارى : فلما رأيتّه اصفرّ وجهي حتى صار كأنه لون الكشوث (١) .
وقال له محمد بن الجهم : كم آخذ من الدواء الذي جئت به ؟ قال : مقدار بعرة .
فجاء بلفظ قدر ، ولم يُبين عن المراد ؛ لأن البعر يختلف في الكبر والصغر ، ولا يعرف
أبعرة ظبي أراد أم بعرة شاة أم بعرة جمل .
ومن التشبيه المتنافر قول الجمانى يصف ليلاً :
كأنما الطرف يرى في جوانبه عن العمى وكأن النجم قنديل
اجتماع العمى والقنديل في غاية التنافر .
ومن ردىء التشبيه قول ابن المعتز :
أرى ليلاً من الشعر على شمس من الناس
الجمع بين الليل والناس ردىء . وقد وقع هاهنا بارداً .

(١) الكشوث : نبات تجثت مقطوع الأصل ، وقيل : لا أصل له وهو أصفر يتعلق بأطراف

البَابُ الثَّامِنُ

في ذكر السجع والازدواج

لا يحسنُ منشور الكلام ولا يحلُّ حتى يكون مزدوجاً ، ولا تكاد تجدُ لبليغاً
كلاماً يخلو من الازدواج ، ولو استغنى كلام عن الازدواج لسكان القرآن ؛ لأنه في نظمه
خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً
عما تراوج في الفواصل منه ^(١) . كقول الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
الْأَرْضَ وَجَمَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ أَنْ لَوْ نَشَاءُ أُصْبِنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَنُطْبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَسْتُ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ . إلى غير
ذلك من الآيات .

وأما ما زووج بينه بالفواصل فهو كثير . مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا
فَرَغْتَ فَاَنْصَبْ ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ . وقوله
جل ذكره : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمْيَاتٌ وَأَحْيَا ﴾ ؛ وهذا من المطابقة التي
لا تجد في كلام الخلق مثلها حسناً ولا شدة اختصار ؛ على كثرة المطابقة في الكلام .
وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين
المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق . ألا ترى
قوله عز اسمه : ﴿ وَالْمَادِيَاتِ ضَبِحًا فَأَلْمُورِيَّاتِ قَدْحًا فَالْمَغِيرَاتِ صَبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا الجرى ، من مثل قول

(١) في « الفواصل منه » .

الكاهن : والسما والارض ، والقرض والفرض ، والغمر والبرص^(١) . ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتمسف . ولهذا ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ، قال له : أُنْدَى^(٢) من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ، فاستهل ، فمثل ذلك يُطَل^(٣) : أسجماً كسجع الكهان ! لأن التكلف في سجعهم فاش ، ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجماً فقال : أسجماً ؛ ثم شكيت ، وكيف يذمه ويكرهه ، وإذا سلم من التكلف ، وبرئ من التمسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه .

وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه السلام ؛ فمن ذلك ما حدثنا به يوسف الإمام بواسط ، قال حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله أبو شهاب عن عوف عن زرارة ابن أوفى عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أنجفل الناس قبله ؛ فقيل : قدِم رسول الله ، فجت في الناس لأنظر إليه . فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء تكلم به أن قال : « أيها الناس ؛ أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل ، والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

وكان صلى الله عليه وسلم ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « أعيذُ من الهامة ، والسامة ، وكل عين لامة » . وإنما أراد « مُلَمَّة » . وقوله عليه السلام : « أرَجَعْنَ مأزورات ، غير مأجورات » . وإنما أراد « موزورات » ، من الوزر . فقال : مأزورات ، لمكان مأجورات ، قصداً للتوازن وصحة التسجيع .

فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التمسف .

(١) البرص : القليل وماء برص قليل وهو خلاف الغمر . (٢) أُنْدَى ، من الندية وذلك حق القليل . (٣) يطال ؛ من طال دمه ؛ إذا أهده . (والعبارة في نقد النثر ١٠٧)

وقد اعتمد في موضع تجنب السجع وهو معروض له ، وكلامه كان يطالبه . فقال :
«وما يُدْرِيكَ أنه شهيد ، لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويمخل بما لا ينفعه» . ولو قال :
بما لا يعنيه ، لكان سجعا . والحكيم المليم بالسكلام يتكلم على قدر المقامات ، ولعل
قوله : « ينفعه » كان أليق بالمقام فمدل إليه .

والسجع على وجوه : فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين ، لا يزيد أحدهما
على الآخر ، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه . وهو كقول الأعرابي : سنة جردت ،
وحال جهدت ، وأيد سجدت ، فرحم الله من رحم ، فأقرض من لا يظلم . فهذه
الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان ، والفواصل على حرف واحد . ومثله قول
آخر من الأعراب ، وقد قيل له : من بقي من إخوانك ؟ فقال : كلب نابج ، وجمار
رامح ، وأخ فاضح . وقال أعرابي لرجل سأل أئمة : نزلت بواد غير ممطور ، وفناء
غير معمور ، ورجل غير مسرور ؛ فأقم بئدم ، أو ارتحل بئدم . ودعا أعرابي ، فقال :
اللهم هب لي حَقِّكَ ، وأرض عني خَلْقَكَ . وقال آخر : شهادات الأحوال ، أعدل
من شهادات الرجال . ودعا أعرابي ، فقال : أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن
الذلِّ إلا لك . وقال أعرابي ذهب بابنه السيل : اللهم إن كنت قد أبليت ، فإنك
طالسا عافيت . وقيل لأعرابي : ما خير العنب ؟ قال : ما اخضرَّ عودُه ، وطال
عمودُه ، وعظم عتقودُه . وقال أعرابي : باكرنا وسَمِيَّ ، ثم خلفه ولي^(١) . فالأرض
كأنها وشي منشور ، عليه لؤلؤ منشور ، ثم أتتْنَا غيومُ جراد ، بمناجل حصاد ،
فاحترمت البلاد ، وأهلكت العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأَكول ، بالضعيف
المأكول .

فهذه الفصول متوازية لا زيادة في بعض أجزائها على بعض ، بل في القليل منها ،

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر بعد المطر .

وجوه
السجع

وقليل ذلك مغتفر لا يمتدّ به . فن ذلك قوله : « فسبحان مَنْ يهلك القوى الأَكول »
فيه زيادة على ما بعده وهو حسن .

ومنها أن يكون ألفاظُ الجزأين المزدوجين مسجوعة ، فيكون الكلام سَجْعاً
في سجع ، وهو مثل قول البصير : حتى عاد تعريضُك تصرّيحاً ، وتمريضُك تصحيحاً .
فالتعريض والتريض سجع ، والتصريح والتصحيح سجع آخر ، فهو سجع في سجع ؛
وهذا الجنس إذا سلّم من الاستكراه فهو أحسنُ وجوه السجع . ومثله قول الصاحب :
لكنه عمّد للشوق فأجرى جياده غراً وقرحاً^(١) ، وأورى زناده قدحا فقدحا . وقوله :
هل من حق الفضل تهضمه شغفا ببلدتك ، وتظلمه كلفاً بأهل جلدتك . وقوله :
وقد كتبتُ إلى فلان ما يوجز الطريق إلى تخليّة نفسه ، ويُنجز وعد الثقة في فك
حبسه ؛ فهذان الوجهان من أعلى مراتب الازدواج والسجع .

والذي هو دونهما : أن تكون الأجزاء متعادلة ، وتكون الفواصل على أحرف
متقاربة الخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد ، كقول بعض الكتّاب :
إذا كنت لا تؤتني من نقص كرم ، وكنت لا أوتني من ضعف سبب ؛ فكيف
أخاف منك خيبة أمل ، أو عدوّلا عن اغتفار زلل ، أو فتوراً عن لمّ شعث ،
أو قصوراً عن إصلاح خلل . فهذا الكلام جيّد التوازن ولو كان بدل « ضعف سبب »
كلمة آخرها ميم ليكون مضاهياً لقوله : « نقص كرم » لكان أجود ؛ وكذلك القول
فيما بعده .

والذي ينبغي أن يستعمل في هذا الباب ولا بدّ منه هو الازدواج ، فإن أمكن
أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد ، أو ثلاث ، أو أربع لا يتجاوز ذلك كان
أحسن ؛ فإن جاوز ذلك نسب إلى التكلف . وإن أمكن أيضاً أن تكون الأجزاء
متوازنة كان أجمل ، وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول ، على أنه

(١) الغر : جمع أغر ، وهو الحصان يكون في وجهه بياض . الفرح : جمع أفرح ، وهو
ما كان في وجهه بياض دون الغرة .

قد جاء في كثير من ازدواج الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر ، حتى جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء كثير . كقوله للأَنْصار يُفَضِّلُهُمْ عَلَيَّ مِنْ سِوَاهُمْ : « إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ عِنْدَ الْفَرَجِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ خَيْرًا فَفَعِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ » . وكقول أعرابي : فلان صحيح النسب ، مستحکم السبب ، من أي أقطاره أتيته أتى إليك بحسن مقال ، وكرم فعال . وقال آخر من الأعراب : اللهم اجعل خير عملي ما وليَ أجلي .

وينبغي أيضاً أن تكون الفواصل على زنة واحدة ، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد ، فيقع التبادل والتوازن ، كقول بعضهم : اصبرْ على حرِّ اللقاء ، ومَضُّ النزال ، وشدة المصاع^(١) ، ومداومة المراس . فلو قال : على حرِّ الحرب ، ومَضُّ المنازلة ، لبطل رونق التوازن ، وذهب حسن التبادل .

ومن عيوب الازدواج التجميع ؛ وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني ؛ مثل ما ذكر قدامة : أن كاتباً كتب : وصل كتابك فوصل به ما يستميد الحرّ ، وإن كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر ، وإن كان سالفٌ ودك لم يبق منه شيئاً ؛ فالعبودية بعيدة عن مشاكلة منه .

ومن عيوبه التطويل ؛ وهو أن تبيء بالجزء الأول طويلاً ، فتحْتَاج إلى إطالة الثاني ضرورة ، مثل ما ذكر قدامة : أن كاتباً كتب في تمزية : إذا كان للمحزون في لقاء مثله أكبر الراحة في العاجل... فأطال هذا الجزء وعلم أن الجزء الثاني ينبغي أن يكون طويلاً مثل الأول وأطول ، فقال : وكان الحزن راتباً إذا رجع إلى الحقائق وغير زائل . فأتى باستكراه ، وتكلفٍ عجيب .

وقد أعجب العرب السجع حتى استعملوه في منظوم كلامهم ، وصار ذلك الجنس

(١) المصاع : القتال والمجادة .

من الكلام منظوما في منظوم ، وسجماً في سجع . وهذا مثل قول امرئ القيس (١) :

* سَلِيمُ الشَّظَى عَيْلُ الشُّوَى شَنِجُ النَّسَا (٢) *

وقوله (٣) :

وأوتاده ماذية وعماده ردينية فيها أسنة قمضب (٤)

وقوله (٥) :

فتورُ القيامِ قطيعُ الكلامِ يفتر عن ذى غروبِ خِصِر (٦)

. وسمى أهل الصنعة هذا النوع من الشعر المرصع ، وستراه في موضعه مشروحاً

مستقصى إن شاء الله تعالى .

(١) ديوانه : ٦٥ ، وبقيته :

* له حجبات مشرفات على العالى *

(٢) الشظى : عظم لاصق بالذراع فإذا زال قيل شظيت الذابة . والشوى : اليدان والرجلان .

والشنج : التقبض . والنسا : عرق في الفخذ . (٣) ديوانه : ٧٩ (٤) المناذبة :

الدروع البيض . والردينية : الرماح . وقمضب : رجل كان في الجاهلية يصنع الرماح .

(٥) ديوانه : ٨ . (٦) الغروب : حدة الأسنان وماؤها : والحاصر : البارد .

الباب التاسع

في شرح البديع ، وهو خمسة وثلاثون فصلا

الفصل الأول في الاستمارة والمجاز ، الفصل الثاني في التطبيق ، الفصل الثالث في التجنيس ، الفصل الرابع في المقابلة ، الفصل الخامس في صحة التقسيم ، الفصل السادس في صحة التفسير ، الفصل السابع في الإشارة ، الفصل الثامن في الأرداف والتوابع ، الفصل التاسع في المائة ، الفصل العاشر في الغلو ، الفصل الحادي عشر في المبالغة ، الفصل الثاني عشر في الكناية والتعريض ، الفصل الثالث عشر في العكس والتبديل ، الفصل الرابع عشر في التذييل ، الفصل الخامس عشر في الترصيع ، الفصل السادس عشر في الإيغال ، الفصل السابع عشر في الترشيح ، الفصل الثامن عشر في رد الأعجاز على الصدور ، الفصل التاسع عشر في التكميل والتميم ، الفصل العشرون في الالتفات ، الفصل الحادي والعشرون في الاعتراض ، الفصل الثاني والعشرون في الرجوع ، الفصل الثالث والعشرون في تجاهل العارف ، الفصل الرابع والعشرون في الاستطراد ، الفصل الخامس والعشرون في جمع المؤلفات والمختلف ، الفصل السادس والعشرون في السلب والإيجاب ، الفصل السابع والعشرون في الاستثناء ، الفصل الثامن والعشرون في المذهب الكلامي ، الفصل التاسع والعشرون في التشطير ، الفصل الثلاثون في المحاوراة ، الفصل الحادي والثلاثون في الاستشهاد والاحتجاج ، الفصل الثاني والثلاثون في التطف ، الفصل الثالث والثلاثون في المضاعف ، الفصل الرابع والثلاثون في التطريز ، الفصل الخامس والثلاثون في التلطف .

فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا رواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها وأن القدماء لم يعرفوها ؛ وذلك لما أراد أن يفخّم أمر المحدثين ؛ لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف ، وبرئ من العيوب ، كان في غاية الحسن ، ونهاية الجودة .

وقد شرحت في هذا الكتاب فنونه ، وأوضحت طرقه ، وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع : التشطير ، والمحاورة ، والتطريز ، والمضاعف ، والاستشهاد ، والتلطف . وشدت على ذلك فضل تشديب ، وهذبت به زيادة تهذيب ، وبالله أستعين على ما يزيل فيه ، ويستدعي الإحسان من عنده . وهو تعالى وليه وموليه إن شاء الله .

الفصل الأول

في الاستعارة والمجاز

الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغسة إلى غيره لغرض ،
وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيد كيدته والمبالغة فيه ،
أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المرص الذي يبرز فيه ؛ وهذه الأوصاف
موجودة في الاستعارة المصيبة ؛ ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه
الحقيقة ؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً .

والشاهد على أن للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة أن قول الله تعالى :
﴿ يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ أبلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال : يوم
يكشف عن شدة الأمر ، وإن كان المعنيان واحداً ؛ ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج
إلى الجدة في أمره : شمر عن ساقك فيه ، واشدّد حيازيمك له ؛ فيكون هذا القول
منك أو كد في نفسه من قولك : جدّ في أمرك ، وقول دريد بن الصمة (١) :

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نَصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الْعِزَاءِ طَلَّاعٌ أَنْجِدِ (٢)
وقال الهذلي (٣) :

وكنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمُرُ حَتَّى يَنْصِفَ السَّاقَ مَزْرِي

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ ، ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ؛ وهذا
أبلغ من قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ ؛ وإن كان في قوله : وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا
أنفي لقليل الظلم وكثيره في الظاهر . وكذا قوله تعالى : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾

(١) ديوان الحماسة : ٢ - ٣٠٨ (شرح التبريزي) .

(٢) كمش الإزار : قصيره . وطلاع أنجد : ضابط للأمر غالب لها .

(٣) ديوان الهذليين : ٣ - ٩٢ . لمضوفة ، أي أمر ضافه ، أي نزل به وشق عليه .

أبلغ من قوله تعالى : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴾ ، وإن كان هذا أنفى لجميع ما يملك في الظاهر . وتقول العرب : ما رزأته زبالا . والزبال : ما تحمله النحلة بغيبها ؛ يريدون ما نقصته شيئا . وقال النابغة (١) :

يجمع الجيش ذَا الألوفِ وَيَعْدُو مُنَّمٌ لَا يِرْزَأُ العَدُوَّ فَنِيلاً (٢)

ولو قلت أيضاً : ما يملك شيئاً البتة ، وما يظلمون شيئاً لما عمل عمل قولك : ما يملكون قِطْمِيراً . ولا يظلمون نَقِيرًا (٣) ؛ وإن كان في الأول ما يؤكد من قولك : البتة ، وأصلاً . كذا حكاه لي أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان . وليس يقتضى هذا أنهم يظلمون دون النَّقِيرِ ، أو يملكون دون القِطْمِيرِ ؛ بل هو نفي لجميع الملك والظلم ، لا يشك في ذلك من يسمعه .

وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع مالا تفعل الحقيقة ؛ ومن غير هذا النوع قوله تعالى : ﴿ سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ معناه ستفقد ؛ لأنَّ القصد لا يكون إلا مع الفراغ ، ثم في الفراغ هاهنا معنى ليس في القصد وهو التوعد والتهديد : ألا ترى قولك : سأفرغ لك ، يتضمن من الإبعاد مالا يتضمنه قولك : سأقصدك . وهكذا قوله تعالى : ﴿ وَأَفْنِدُ لَهُمْ هَوَاءً ﴾ ؛ أي لا نعي شيئاً ، لأن المكان إذا كان خالياً فهو هواء حتى يشغله شيء . وقولك : هذا أوجز من قولك : لا نعي شيئاً ، فلا يجازه فضل الحقيقة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَعْرَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ ، معناه أطلعنا عليهم . والاستعارة أبلغ ؛ لأنها تتضمن غفلة القوم عنهم حتى اطلعوا عليهم ، وأصله أن من عثر بشيء وهو غافل نظر إليه حتى يعرفه ، فاستمير الإعثار مكان التبيين والإظهار . ومنه قول الناس : ما عثرت من فلان على سوء قط ؛ أي ما ظهرت على ذلك منه .

(٢) الفتل : ما كان في شق النواة .

(١) ديوانه : ٩٠ .

(٣) القِطْمِير : القشرة الرقيقة على النواة . والنقير : النكتة في النواة .

ومنه قوله عز اسمه : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ؛ فاستعمل النور مكان الهدى ، لأنه أبين ، والظلمة مكان الكفر لأنها أظلم . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ ، وأصل الوِزْر ما حمّله الإنسان على ظهره . ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَلَكِنَّا مُمْتَلِنًا أُوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا ﴾ أى أحمالاً من حلّيمهم ، فذكر الحمل وأراد الإنم لما في وضع الحمل عن الظهر من فضل الاستراحة ، وحسن ذكر إقراض الظهر وهو صوته لذكر الحمل ؛ لأن حامل الحمل الثقيل جدير بإقراض الظهر ، والأوزار أيضاً : السلاح . ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أُوْزَارَهَا ﴾ . وقال الشاعر :

وأعددت للحرب أوزارها رِمَاحاً طَوَالاً وَخِيَلًا ذُكُورًا (١)
وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَمْتُمْ بِأَخْذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ ؛ أى ترخصوا . والاستمارة أبلغ ؛ لأن قولك : أغمض عن الشيء أدعى إلى ترك الاستقصاء فيه من قولك : رخص فيه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ ﴾ معناه فإنه يماس المرأة وزوجها يماسها . والاستمارة أبلغ ؛ لأنها أدل على اللصوق وشدة المماس . ويحتمل أن يقال : إنهما يتجردان ويحتممان في ثوب واحد ويتضامان فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس ؛ فيجعل ذلك تشبيهاً بغير أداة التشبيه .
ولا بد لسكل استمارة ومجاز من حقيقة ، وهى أصل الدلالة على المعنى فى اللغة ، كقول امرئ القيس (٢) :

وقد أعتدى والطيرُ فى وكنائِها بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هَيْكَلٍ (٣)

(١) البيت للأعشى : قال فى اللسان قال ابن برى : وصواب لإنشاده بفتح التاء من أعددت ، لأنه يخاطب هودة بن على الحنفى . (٢) ديوانه : ٣٤
(٣) الوكنات : المواضع التى تأوى إليها الطير فى رؤوس الجبال . والمنجرد : الفرس القصير الشعر ، وذلك من صفة الخيل العتاق . والأوابد : واحده أبدة الوحش . والهيكَل : الفرس الفخم المشرف .

والحقيقة مانع الأوابد من الذهاب والإفلات، والاستعارة أبلغ؛ لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف، لأنك تشاهد ما في القيد من المنع، فلست تشك فيه. وكذلك قولهم: هذا ميزان القياس؛ حقيقته تعديل القياس، والاستعارة أبلغ؛ لأن الميزان يصور لك التعديل حتى تماينه، وللميان فضل على ما سواه. وكذلك: العروض ميزان الشعر، حقيقته تقويمه.

ولا بد أيضاً من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه؛ والمعنى المشترك بين قيد الأوابد ومانع الأوابد هو الحبس وعدم الإفلات، وبين ميزان القياس وتعديله حصول الاستقامة وارتفاع الحيف والميل إلى أحد الجانبين؛ وهكذا جميع الاستعارات والمجازات.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَلَجَلْنَاهُ حَبَآءً مَّنشُورًا ﴾ حقيقته حمدنا، وقدّمنا أبلغ؛ لأنه دلّ فيه على ما كان من إمهاله لهم، حتى كأنه كان غائباً عنهم، ثم قدم فاطلع منهم على غير ما ينبغي فجازاهم بحسبه؛ والمعنى الجامع بينهما العدل في شدة التنكير؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل. وأما قوله: ﴿ حَبَآءً مَّنشُورًا ﴾ فحقيقته إبطالنا حتى لم يحصل منه شيء، والاستعارة أبلغ؛ لأنه إخراج ما لا يرى إلى ما يرى. والشاهد أيضاً على أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَىٰ الْمَاءُ حَمَلْنَا كُفْرًا فِي الْجَارِيَةِ ﴾ حقيقته علا وطها، والاستعارة أبلغ؛ لأن فيها دلالة القهر، وذلك أن الطغيان علو فيه غلبة وقهر. وكذلك قوله تعالى: ﴿ بَرِيحٍ صَّـرَّصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ حقيقته شديدة، والاستعارة أبلغ؛ لأن العتو شدة فيها تمرد. وقوله تعالى: ﴿ بَسَمِعُوا لَهَا شَهِيْقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴾ تكاد تميّز من الغيظ؛ حقيقة الشهيق هاهنا الصوت الفظيخ؛ وهما لفظتان، والشهيق لفظة واحدة فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان. وتميّز: حقيقته تنشق من غير تبيان، والاستعارة أبلغ؛ لأن التميز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه مبايناً لغيره وصاراً على حدته، وهو أبلغ من الانشقاق؛ لأن الانشقاق قد يحصل في الشيء من غير تبيان، والغیظُ

حقيقته شدة الغليان ، وإنما ذكر الغيظ ؛ لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس ،
ولأن الانتقام منافع على قدره ؛ ففيه بيان عجيب وزجرٌ شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة .
وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ معناه ذهب ، وسكت
أبلغ ؛ لأن فيه دليلاً على موقع العودة في الغضب إذا توّمل الحال ، ونظر فيما يمود به
عبادة العجل من الضرر في الدين ، كما أن الساكت يتوقعُ كلامه .

وقوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ . وحقيقته ذرٌ بأسى وعذابى ؛ إلا أن
الأول أبلغ في التهديد ؛ كما تقول إذا أردت المبالغة والإيماذ : ذرني وإياه ، ولو قال : ذر
ضربي له وإنكارى عليه لم يسد ذلك المسد ، ولعله لم يكن حسناً مقبولاً . وقوله عز وجل :
﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ معناه كشفنا الظلمة ، والأول أبلغ ؛ لأنك إذا قلت : محوت
الشيء فقد بينت أنك لم تبق له أثراً ؛ وإذا قلت : كشفت الشيء مثل الستر وغيره
لم تُبين أنك أذهبتَه حتى لم تبق له أثراً . وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾
حقيقته مضيئة ، والاستعارة أبلغ ؛ لأنها تكشف عن وجه المنفعة ، وتظهر موقع
النعمة في الإبصار .

وقوله تعالى : ﴿ وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ حقيقته كثر الشيب في الرأس
وظهر ، والاستعارة أبلغ ؛ لفضل ضياء النار على ضياء الشيب ، فهو إخراج
الظاهر إلى ما هو أظهر منه ، ولأنه لا يتلاقى انتشاره في الرأس ، كما لا يتلاقى اشتعال
النار . وقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ، حقيقته بل نورد
شدة الوقع بيان القهر ، وفي القهر هاهنا بيان إزالة الباطل على جهة الحججة ، لا على
جهة الشك والارتياب ، والدمغ أشد من الإذهاب ، لأن في الدمغ من شدة التأثير
وقوة النكابة ما ليس في الإذهاب . وقوله تعالى : ﴿ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ وقوله عز
اسمه : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ فالعقيم التي لا تبيء بولد ؛ والولد من أعظم
النعم ، وأجسم الخيرات ؛ ولهذا قالت العرب : شوهاء ولودٌ ، خير من حسناء عقيم .

فلما كان ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جاء ، ولم يُبق خيراً حين مرّ سمي عقيماً .
ويمكن أن يقال : إنما سمي عقيماً لأنه لم يبق أحداً من القوم ، كما أن العقيم لا يُخلف
نسلاً ، وسمي الريح ، عقيماً لأنها لم تأت بمطر ينفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره ؛ كما
أن العقيم من النساء لا تأتي بولد يُرجى .

وفضل الاستمارة على الحقيقة في هذا أن حال العقيم في هذا أظهر قبحاً من حال
الريح التي لا تأتي بمطر ؛ لأن العقيم كانت عند العرب أكره وأشنع من ريح لا تأتي بمطر ؛
لأن العادة في أكثر الرياح ألا تأتي بمطر ، وليست العادة في النساء أن يكون أكثرهن عقيماً .
وقوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ ، وهذا الوصف إنما هو على ما
يتلوح ^(١) للعين لا على حقيقة المعنى ؛ لأن الليل والنهار امتنان يقمان على هذا الجو عند
إظلامه لغروب الشمس وإضاءته لطلوعها ، وليس على الحقيقة شيئاً يُسْلَخُ أحدهما من
الآخر ، إلا أنهما في رأى العين كأنهما ذلك ، والسْلَخُ يكون في الشيء الملتصم ببعضه ببعض ،
فلما كانت هَوادى الصبح عند طلوعه كاللصحة بأعجاز الليل أُجْرِي عليها اسم السْلَخِ ؛
فكان أفصح من قوله : يخرج ؛ لأن السْلَخُ أدل على الالتصام المتوهم فيهما من الإخراج .
وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْشِرْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا ﴾ : من قولهم : أنشر الله الموتى فنشروا ، وحقيقته
أظهر نابه النبات ؛ إلا أن إحياء الميت أعجب ، فعبّر عن إظهار النبات به فصار أحسن من
الحقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ ﴾ ، يعنى
الحرب ، فنبت على ماله تخاف الحرب ؛ وهو شوكة السلاح وهى حده ، فصار أحسن
من الحقيقة لإنبائه عن نفس المذودر . ألا ترى أن قولك لصاحبك : لأوردنك على
حدّ السيف ، أشدّ موقفاً من قولك له : لأحاربنك .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ ، أى كثير . والاستمارة
أبلغ ، لأن معنى العَرْضُ فى مثل هذا الموضع التمام . قال كثير :

أنت ابن فرعى قرئش لو تقايستها
فى المجد صار إليك العَرْضُ والطولُ

(١) تلوح : بان ووضح .

أى صار إليك المجدُ بتمامه ؛ وقد يكون كثيراً غير تام .
وقوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ، حقيقته إذا انتشر ، وتنفس أبلغ لما فيه من بيان
الروح عن النفس عند إضاءة الصبح ؛ لأن الليل كرباً وللصبح تفرجاً . قال الطرماح :
على أن اللعينين في الصبح راحة بطرحهما طرفيهما كل مطرح

والراحة التي يجدها الإنسان عند التنفس محسوسة .
وقوله تعالى : ﴿ مَسْتَهْمِرُمُ البُأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُوفًا ﴾ ، حقيقته أزعجوا ، والزلزلة
أبلغ ، لأنها أشد من الإزعاج ومن كل لفظة يعبر بها عنه أيضاً .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَرِحْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ ، حقيقته صبرنا ، والاستمارة أبلغ ؛ لأن
الإفراغ يدل على العموم ، معناه أزرقنا صبراً يمم جميعنا كما فراغك الماء على الشيء فيعمه .
وقوله سبحانه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ ﴾ ، حقيقته حصلت ، إلا أن للضرب تينياً
ليس للحصول ، وقالوا : ضرب على فلان البعث ، أى أوجب وأثبت عليه ، والشيء
يثبت بالضرب ولا يثبت بالحصول ، والضرب أيضاً ينبيء عن الإذلال والنقص ، وفي
ذلك الزجر وشدة النكير عن حالهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَنبِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، حقيقته غفلوا عنه ، والاستمارة أبلغ ؛
لأن فيه إخراج مالا يرى إلى ما يرى ، ولأن ما حصل وراء ظهر الإنسان فهو أخرى
بالغفلة عنه مما حصل قدامه .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ ،
حقيقته ذات سرور ، والاستمارة أبلغ ؛ لأن المائدة جرت في الأعياد بتوفير السرور
عند الصَّغِيرِ والكبير ، فتضمن من معنى السرور مالا تتضمنه الحقيقة .

وكذلك قوله عز اسمه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ . وقوله تعالى :
﴿ فَذَلَّلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ ، أخرج مالا يرى من تنقصهم آيات القرآن إلى الخوض الذي
يرى . وعبر عن فعل إبليس الذي لا يشاهد بالتدلى من العلو إلى سُفْل وهو مشاهد .
ولما كانوا يتكلمون في آيات القرآن ، ويتنقصونها بغير بصيرة شبه ذلك بالخوض ؛
لأن الخائض يطاء على غير بصيرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ، حقيقته خطأ ؛ لأن الاعوجاج

مُشَاهِدٍ وَالْخَطَأُ غَيْرُ مُشَاهِدٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ : ﴿ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ، أَيْ إِلَى مُعِينٍ ؛ وَالِاسْتِمَارَةُ أُبْلَغُ ؛ لِأَنَّ الرُّكْنَ مُشَاهِدٌ ، وَالْمُعِينُ لَا يُشَاهِدُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُعِينٌ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ ، حَقِيقَتُهُ لَا تَكُونَنَّ مُمْسِكًا ، وَالِاسْتِمَارَةُ أُبْلَغُ ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ مُشَاهِدٌ وَالِإِمْسَاكَ غَيْرُ مُشَاهِدٍ ، فَصُورُهُ قَبْحُ صُورَةِ الْمَغْلُولِ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى قَبْحِ الْإِمْسَاكِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ ، حَقِيقَتُهُ لِنَزِيهِهِمْ ، وَالِاسْتِمَارَةُ أُبْلَغُ ؛ لِأَنَّ حَسَّ النَّائِقِ لِإِدْرَاكِ مَا يَذُوقُهُ قَوِيٌّ ، وَلِلذُّوقِ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْحَوَاسِّ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى شَيْئًا وَلَمْ يَمْرُقْهُ شَيْءٌ فَإِنَّ عَرْفَهُ وَإِلَّا ذَاقَهُ ، لِمَا يَعْلَمُ أَنَّ لِلذُّوقِ فَضْلًا فِي تَبْيِينِ الْأَشْيَاءِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ، حَقِيقَتُهُ مَنَعْنَاهُمْ ^(١) بِآذَانِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ صَمِّ يَبْطُلُ آلَةُ السَّمْعِ ، كَالضَّرْبِ عَلَى الْكِتَابِ يَمْنَعُ مِنْ قِرَائَتِهِ وَلَا يَبْطُلُهُ ، وَالِاسْتِمَارَةُ أُبْلَغُ ؛ لِإِبْجَازِهِ وَإِخْرَاجِ مَا لَا يُرَى إِلَى مَا يُرَى .

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ لَيْسَ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ أُبْلَغُ وَلَا أَفْصَحُ مِنْ هَذَا ، وَحَقِيقَةُ الْقُرْضِ هَاهُنَا أَنَّ الشَّمْسَ تَمْسُهُمْ وَقَتًا يَسِيرًا ثُمَّ تَغِيبُ عَنْهُمْ ، وَالِاسْتِمَارَةُ أُبْلَغُ ؛ لِأَنَّ الْقُرْضَ أَقْلُ فِي اللَّفْظِ مِنْ كُلِّ مَا يُسْتَعْمَلُ بَدَلَهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَهُوَ دَالٌ عَلَى سُرْعَةِ الْارْتِجَاعِ ، وَالْفَائِدَةُ أَنَّ الشَّمْسَ لَوْ طَاوَلَتْهُمْ بِحَرِّهَا لَصَهَرَتْهُمْ ^(٢) ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَمْسُهُمْ قَلِيلًا بِقَدْرِ مَا يَصِلُحُ الْهَوَاءُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا لَمْ تَقْعُ فِي مَكَانٍ أَصْلًا فَسَدَ .

فَهَذِهِ جَمَلَةٌ مِمَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْاسْتِمَارَةِ ، وَلَا وَجْهَ لِاسْتِقْصَاءِ جَمِيعِهَا ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ يُخْرِجُ عَنْ حُدُودِهِ .

الاستمارة
في كلام
العرب

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْهُ ، فَثَلَاثَةٌ قَوْلُهُمْ : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ وَوَجْهُهُ ، وَهَذَا الْأَمْرُ فِي جَنْبِ غَيْرِهِ يَسِيرٌ ، وَيَقُولُونَ : هَذَا جَنَاحُ الْحَرْبِ وَقَلْبُهَا . وَهَؤُلَاءِ رِئُوسُ

(١) فِي ط « مَعْنَى الْإِحْسَاسِ » ، وَصَوَابُهُ فِي ب .

(٢) الصَّهْرُ : هُنَا مَعْنَى الْإِذَابَةِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : صَهَرَ الشَّجَمَ وَنَحْوَهُ يَصْهَرُهُ صَهْرًا : أَذَابَهُ .

القوم وجماعهم وعيونهم . وفلان ظهر فلان ، ولسان قومه وناهم وعَضُدُهم .
وهذا كلام له ظهر وبطن . وفي العرب الجمجم ، والقبايل ، والأفخاذ ، والبطنون ،
وخرج علينا عُنُقٌ ^(١) من الناس . وله عندى يد بيضاء ، وهذه سُرَّةُ الوادى ، وبابل
عَيْنُ الأقاليم ، وهذا أَنْفُ الجَبَلِ ، وبَطْنُ الوادى ، ويسمون النبات نَوْءًا . قال ^(٢) :

* وجف أنواء السحاب المرترق *
*

أى جف البقل ، ويقولون للمطر : سماء . قال الشاعر ^(٣) :

إذا سقطت السماء بأرض قومٍ رعيناهُ وإن كانوا غضابا

ويقولون : ضحكت الأرض ، إذا أنبتت ؛ لأنها تُبْدِي عن حسن النبات
كما يفتر الضاحك عن الثغر ، ويقال : ضحكت الطلعة . والنور يضاحك الشمس .
قال الأعشى ^(٤) :

يضاحك الشمس منها كوكب شرقٍ مؤزرٍ بعميمِ النباتِ مُكتهلٍ ^(٥)

ويقولون : ضحك السحاب بالبرق ، وحن بالرعد ، وبكى بالقطر . ويقولون :
لقيت من فلان عَرَقَ القربة ، أى شدة ومشقة . وأصل هذا أن حامل القربة يتعب
من نَقْلِها حتى يعرق . ويقولون أيضاً : لقيت منه عَرَقَ الجبين ، والعرب تقول :
بأرض فلان شجر قد صَاح ؛ وذلك إذا أطال فتبين للناظر بطوله ، ودل على نفسه ؛
لأن الصَّاح يدل على نفسه . ويقولون : هذا شجر واعد ، إذا أقبل بماء ونضرة ؛
كأنه يعد بالثمر ؛ قال سويد بن أبي كاهل ^(٦) :

* لعاعٌ مهادهُ الدكادك واعدٍ ^(٧) *
*

(١) العنق بالضم : الجماعة الكثيرة من الناس ، مذكر ، والجمع أعتاق . (٢) أراجيز العرب
٢٧ ، والقائل رؤبة . وفيه : أنواء الربيع . (٣) معاهد التنصيص : ١ - ٢٦١ ،
وهو لمعاوية بن مالك . (٤) المعاني : ٢٧٦ . (٥) يضاحك الشمس : يدور معها .
والفرق : الريات . والعميم : التام . والمستهل : الذى انتهى فى التمام .

(٦) اللسان (لع) ، يصف ثوراً وكلاباً ، وصدرة : * رعى غير مذعور بهن وراقه *
(٧) اللعاع : نبات لين من أحرار البقول فيه ماء كثير لزج . والدكادك : واحده دكدك ،
والدكدك من الرمل : ما التبذ بعضه على بعض بالأرض ولم يرتفع كثيراً .

ومثله قول الشاعر :

يزيد الرمحُ صدرَ أبي براءٍ ويرغبُ عن دماءِ بني عَقِيلِ

ومثله قوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ .

وأنشد الفراء :

إِنَّ دَهْرًا يُلْفَ شَمْلِي بِسَمِي لزمانٍ يَمُّمٌ بِالإِحْسَانِ

الاستعارة
في كلام
النبي
والصحابه
والأعراب

ومما في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضی الله عنهم ، ونثر الأعراب ،
وفصول الكتاب من الاستعارة قوله صلى الله عليه وسلم : « الخليلُ معقودٌ بنواصيها

الخيرُ إلى يومِ القيامةِ » .

وقال طُفَيْلٌ :

وللخيلِ أيامٌ فمن يصطبرُ لها ويعرفُ لها أيامها الخيرَ تُعَبِّبِ

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً ^(١) طَارَ إِلَيْهَا » . وقوله صلى

الله عليه وسلم : « أ كَثُرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ الذَّنَاتِ » . وقال عليه الصلاة والسلام :

« البلاءُ موَكَّلٌ بالنطقِ » . ورأى عليًّا مع فاطمة رضی الله عنهما في بيتٍ فردَّ عليهما

الباب وقال : « جَدَعَ الحلالُ أنْفَ الغيرةِ » .

وقال عليٌّ رضی الله عنه : السفرُ ميزانُ القومِ . وقوله : فأما وقد اتسع نطاقُ

الإسلام فسكلُ امرئٍ وما يختارُ . وقوله لابن عباس رضی الله عنه : ارغبِ راعبهم ،

واحلُلْ عقدةَ الخوفِ عنهم . وقوله : الملمُ قُفْلٌ ومفتاحه المسألة . وقوله : الحلمُ والأناةُ

توأمين ، تبيحُهما عاوَّ الهمة . وقوله لبعض الخوارج : والله ما عرفته حتى فغَرَ

الباطلُ فمه ، فنجمت نجومُ قرنِ الماعزة . وقال في بعض خطبه يصف الدنيا : إن امرأً

لم يكن منها في فرحة ، إلا أعقبته بعدها ترحة ؛ ولم يلقَ من سرَّائها بطنًا ، إلا منحتته

من ضرَّائها ظهراً ؛ ولم تظله فيها غيابة رخاء ، إلا هبَّت عليه مُزنةُ بلاء ، ولم يمِسْ منها

في جناحِ أمن ، إلا أصبحَ منها على قوادِمِ خوف .

وقال أبو بكر رضی الله عنه : إن الملكَ إذا ملكَ زهدته الله في ماله ، ورغبه فيما

(١) الهيمة : الصوت الذي يفزع منه ويخاف .

في يدي غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق فهو يحسد على القليل ، ويسخط الكثير ،
جدل الظاهر ، حزين الباطن . فإذا وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحا ظله ،
حاسبه الله عز وجل فأشد حسابه ، وأقل عفوه .

وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى مرزبة فارس : الحمد لله الذى فاض
خدمتكم (١) ، وفرق كلمتكم .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة (٢) .
وقال الحجاج : دلوني على رجل سمين الأمانة ، أعجف الحيانة . وقال عبد الله بن وهب
الراسبي لأصحابه : لا خير في الرأي الفطير ، والكلام المضيب (٣) ؛ فلما بايعوه ، قال : دعوا
الرأى يغب فإن غبوه يكشف لكم عن محضه . وقيل لأعرابي : إنك لحسن الكدنة (٤) ؛
قال : ذاك عنوان نعمة الله عندي . وقال أكرم بن صيفي : الحلم دِعامَة العقل . وسئل
عن البلاغة فقال : دنو المأخذ ، وقرع الحججة ، وقليل من كثير . وقال خالد بن
صفوان لرجل : رحم الله أبك ، فإنه كان يُقرى العين جمالا ، والأذن بيانا . وقيل
لأعرابية : أين بلغت قدرك ، قالت : حين قام خطيبها . وقيل لأعرابية : كم أهلك ؟
قالت : أب وأم وثلاثة أولاد ، أنا سبيل عيشهم . وقيل لرؤبة : كيف تركت
ما وراك ؟ قال : التراب يابس ، والمال عابس . وقال المنصور لبعضهم : بلغني أنك
بخيل ، فقال : ما أجد في حق ، ولا أذوب في باطل . وقال إبراهيم الموصلي : قلت
للمعبس بن الحسن : إني لأحبك قال : رائد ذلك عندي . وقال بعضهم : الاستطالة
لسان الجهالة . وقال يحيى بن خالد : الشكر كفاء النعمة . وقال أعرابي : خرجت
في ليلة حنّس ، ألتقت على الأرض أكارعها ، فحقت صورة الأبدان ؛ فما كنا نتعارف

(١) الخدمة : الحلقة المستديرة . (٢) الديمة : المطر الدائم في سكون ، شبهت عمله
صلى الله عليه وسلم في دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر الدائم ، وأصل الحديث : وسئلت رضى الله
عنها عن عمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادته فقالت : كان عمله ديمة .
(٣) قوله المضيب : من العضب وذلك بمعنى القطع . (٤) رجل ذو كدنة : إذا كان غليظا سمينا .

إلا بالأذان . وقال أعرابي لآخر : يسار النفس خير من يسار المال ، ورب شعبان من النعم ، غرثان^(١) من الكرم . وغزت نيمراً حنيقةً فاتبعتهم نيمر ، فأثوا عليهم ، فقيل لرجل : كيف كان القوم ؟ فقال : اتبعوهم والله رفداً حقبوا كل جمالية خيفانة ، فما زالوا يخلصون آثار المطى بحوافر الخيل ؛ فلما لقوهم جعلوا المران أرشية الموت ، فاستقوا بها أرواحهم^(٢) . وقال آخر : فلان أملس ، ليس فيه مستقر لخير ، ولا لشر . وقال أحمد بن يوسف وقد شتمه^(٣) رجل بين يدي المأمون : رأيتَه يستملي ما يلقاني به من عينيك . وقيل لأعرابي : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أبصر . ومدح أعرابي رجلاً فقال : كان يفتح من الرأى أبواباً منسدة ، وينسل من المار وجوها مسودة . ومدح أعرابي رجلاً فقال : كان والله إذا عرضت له زينة الدنيا هجنتها زينة الحمد عنده ؛ وإن للصنائع لغارة على أمواله كغارة سيوفه على أعدائه . ومدح أعرابي قوماً فقال : أولئك غرر تضىء من ظلم الأمور المشكلة ، قد صغت آذان المجد إليهم . وقال أعرابي بمدح رجلاً : إنه ليعطى عطاء من يعلم أن الله مادته . ومدح أعرابي رجلاً ، فقال : لسانه أحلى من الشهد ، وقلبه سجن للعقد . ومدح أعرابي رجلاً فقال : إن أسأت إليه أحسن ، وكأنه المسىء ، وإن أحرمت إليه غفر ، وكأنه المجرم ، اشترى بالمعروف عرضه من الأذى ؛ فهو وإن كانت له الدنيا بأسرها فوهبها ، رأى بعد ذلك عليه حقوقاً ؛ لا يستعذب الخنا ، ولا يستحسن غير الوفا^(٤) .

وذم أعرابي رجلاً فقال : يقطع نهاره بالمنى ، ويتوسد ذراع المم إذا أمسى .
وذم أعرابي رجلاً فقال : إن فلانا ليقتدم على الذنوب إقدام رجل قدم فيها نذراً ،
أو يرى أن في إتيانها عذرا . وقال أعرابي لرجل : لا تدنس شعرك بمرض فلان ؛

(١) الغرث : أسير الجوع . (٢) الحقب ، بالتحريك : الحزام الذى يلى حقو البعير .
وناقة جمالية : وثيقة الخلق . والحيفانة : الفرس . حصفته : أقصىته . والمران : الرماح الصلبة .
(٣) فى ط : «شبه» ، وصوابه من ب . (٤) العبارة مضطربة فى ط ، وصوابها من ب .

فإنه سمين المال ، مهزول المعروف ، قصير عمر المنى ، طويل حيات الفقر . وسأل
أعرابي فقيل له : عليك بالصيارف ، فقال : هناك قرارة اللؤم . وذكر أعرابي قوما
فقال : أولئك قوم قد سلخت أبقاؤهم بالهجاء ، ودبغت جلودهم باللؤم ؛ فلباسهم في
الدنيا الملامة ، وزادهم في الآخرة الندامة . وذم أعرابي قوما فقال : هم أقل دنواً إلى
أعدائهم ، وأكثر تجرماً على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ويفطرون على
الفحشاء . وذم أعرابي رجلاً فقال : ذلك رجل تعدو إليه مواكب الضلالة ، ويرجع
من عنده بيد الأثام ، معدم مما يحب ، مثر مما يكره .

وقال أعرابي : ما أشدَّ جولة الهوى ! وفطام النفس عن الصبّا ، ولقد تصدعت
نفسى للماشقين ؛ لوم العاذلين قرطة في آذانهم ، ولوعات الحب نيران في أبدانهم .
وقال أعرابي : ما رأيت دمة تفرق في عين ، وتجرى على خد ، أحسن من عبرة
أمطرها عينها ، فأعشب لها قلبى . وقال أعرابي - وذكر قوما زهاداً - فاز قوم
أدبهم الحكمة ، وأجكتهم التجارب ، ولم تفرهم السلامة المنطوية على الهلكة ،
ورحل عنهم التسويف الذى قطع به الناس مسافة آجالهم ، فأحسنوا القتال ، وشفموه
بالفعال ، تركوا التعميم ليتنعموا ؛ لهم عبرات متدافعة ؛ لا تراهم إلا فى وجه عند الله
وجيها . ووصف أعرابي والياً فقال : كان إذا ولّى طابق من جفونه ، وأرسل العيون
على عيونته ، فهو شاهد معهم ، غائب عنهم ، فالمحسن آمن ، والسىء خالف . ووصف أعرابي
داراً فقال : هى والله معتصرة الدموع ، جرّت بها الرياح أذيالها ، وحلت بها السحاب
أثقالها . وذكر أعرابي رجلاً فقال : كان الفهم منه ذا أذنين ، والجواب منه ذا لسانين ؛
لم أر أحداً كان أرتق لخلل رأى منه ، كان والله بعيد مسافة الرأى ، يرمى بطرفه
حيث أشار الكرم ، يتحصى مرارة الإخوان ، ويُسيفهم العذب . ووصف أعرابي
قومه فقال : كانوا والله إذا اصطفوا تحت القَتام سقرت بينهم السهام ، بوقوف الحمام ،
وإذا تصاخوا بالسيوف فقرت المنايا أفواهاها ، فكهم من يوم عارم قد أحسنوا أدبه ،

وحرب عبوس قد ضاحكتها أسننهم ، وخطب شين^(١) ، قد ذلوا منا كبه ؛ إنما كانوا كالبحر الذي لا يُنكش^(٢) غماره ؛ ولا ينهه تياره . وقيل لأعرابي : يزعم فلان أنه كساك ثوبا ، فقال : إن المعروف إذ أمر كُدّر ، وإذا محض أمر ؛ ومن ضاق قلبه اتسع لسانه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : كلامه منقوض آثار القطا ؛ وهو مع ذارث عقال المودة ، مسودّ وجه الصداقة ؛ ولئن كان لبني الآدميين سباح إنه لمن سباح بني آدم . وقيل لأعرابي : لم لا تشرب التبيد ؟ فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقال معاوية : العيال أرخصة المال . وقال خالد بن صفوان : إياكم ومجانيق الضمفاء^(٣) . وقال : لا تضع معروفك عند فاجر ، ولا أحق ، ولا لثيم ، فإن الفاجر يرى ذلك ضعفا ، والأحق لا يعرف ما أوتى إليه فيشكره على مقدار عقله ، واللثيم سبخة لا ينبت شيئا ولا يثمر ؛ ولكن إذا رأيت الثرى فازرع المعروف تحصد الشكر ، وأنا الضامن . وأهدت امرأة من المعجم إلى هومي لها في يوم نوروز وردا وكتبت إليه : هذا اليوم أحد^(٤) فتيان الدهر وشاب^(٥) أقسامه ، والقصف فيه عروس ، والورد في البرد كالدر في النحر ؛ وقد بعثت إليك منه مهرا ليومك ، فزوج السرور من النفس ، والطرب من القلب ، ولا تستقل برا ، فإننا لا نستكثر على قبوله شكرا .

وقال آخر في رجل : ماذا تثير الخبرة من دفان كرمه . وقال أعرابي لخصمه : أما والله لئن همّ لمتحت إلى الباطل ، إنك عن الحق لقطوف ، ولئن أبطأت عنه لتسرعن إليه ؛ فاعلم أنه إن لم يمدلك الحق عبدك الباطل ، والآخرة من ورائك . وقال آخر : الخط مركب البيان . وقال آخر : القلم لسان اليد . وسمعت بمض الأطباء يقول : الماء مطية الطعام . وقال الحسن بن وهب لكتابه : لا ترق ماء معروفى بالني ؛ فإن اعتدادك بالعرف

(١) كذا في ب ، وفي ط « شتر » . (٢) لا ينكش غماره : لا يترف ماؤه .

(٣) المجانيق : جمع ، واحده منجنيق يفتح الميم وكسرهما : القذف التي ترمى بها الحجارة ،

(٤) في ب « واحد » . (٥) في ط « وشباب » ، وما أثبتناه عن ب .

يمقل لسان الشكر .

وأمثال هذا كثير في منشور الكلام وفيما أوردته كفاية إن شاء الله .
فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين فمثل قول امرئ القيس (١) :

الاستعارة
في أشعار
المتقدمين

وليل كعوج البحر مرخ سدوله على بأنواع الموم لبيتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
وقال زهير (٢) :

صحا القلبُ عن ليلي وأقصر باطله وعُرِّي أفراسُ الصبَا ورواحله
وقول امرئ القيس (٣) :

فبات عليه سرجه وجامه وبات بعيني قائماً غير مُرسل
أى كنت أراه وأحفظه ؛ وعلى هذا مجاز قوله عز وجل : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ .
وقال زهير (٤) :

إذا سددت به لهوات تُغمرُ يُشار إليه جانبه سقيم (٥)
وقال النابغة (٦) :

وصدري أراح الليلُ عازبَ همهِ تضاعف فيه الحزنُ من كلِّ جانبٍ (٧)
وفي هذا البيت ماء وطلاوة ليس مثله في بيت زهير . وقال عنتره (٨) :

جادت عليه كلُّ بكرٍ حرّةٍ فتركن كلَّ قرارةٍ كالدّرهم (٩)
وقال مهلهل :

تلقي فوارس تغلب ابنة وائلٍ يستطعمون الموت كلُّ همّام

- (١) ديوانه : ٣٣ . (٢) ديوانه : ١٢٤ . (٣) ديوانه : ٤٠ .
(٤) ديوانه : ٢١٠ . (٥) اللهوات : جمع لهاة ، ويريد أفواه الثغور .
(٦) ديوانه : ٣ . (٧) أراح : رد . والعازب : البعيد . (٨) العلقات : ١٨٠ .
(٩) البكر : السحابة في أول الربيع . والحرّة : البيضاء . والقرارة : الموضع المظلم
من الأرض .

وقال زهير (١) :

إِذَا لَقِيتَ حَرْبَ عَوَانَ مُضْرَّةً ضَرُوسٌ شَهْرُ النَّاسِ أَنْيَابُهَا عُصَلٌ (٢)

أخذه من قول أوس بن حجر (٣) :

وَإِنِّي أَمْرٌ أَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ بِمَدَمَا رَأَيْتُ لَهَا نَابًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلَا

وقال المسيب بن علس (٤) :

وَإِنَّهُمْ قَدْ دَعَا دَعْوَةً سَيُتْبِعُهَا ذَنْبُ أَهْلِ (٥)

أراد جيشا كثيفا .

وقال الأسود بن يعفر :

فَادُّ حَقُوقَ قَوْمِكَ وَاجْتَنِبْهُمْ وَلَا يَطْمَحُ (٦) بِكَ الْعَزَّ الْفَطِيرُ

أراد عزا ليس بالمحكّم كفطير المجين ، والفطير من الجلد : مالم يُدْبِغ .

وقال طفيل الغنوي (٧) :

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ (٨) شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

وقال الحرث بن حلزة (٩) :

حَتَّى إِذَا التَّفْعُ الطُّبَاءُ بِأَطْرَا فِي الظَّلَالِ وَقِلْنِ فِي السُّكْسِ (١٠)

الالتفاع : لبس اللفّاع وهو اللّحاف . ومثله قول الشّامخ (١١) :

إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أِبْرَدِيَهُ خَدُوْدُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ (١٢)

(١) ديوانه : ١٠٣ . (٢) لقيت : اشتدت . عوان : قوتل فيها مرة بعد مرة ،

ضروس : سيئة . شهر الناس : تصيرهم يهرونها أى يكرهونها . وعصل : كالحفة .

(٣) اللسان (عصل) . (٤) اللسان (هلب) . (٥) أهلب ؛ قال في اللسان

بعد أن أورد البيت : « أى منقطع عنكم » . (٦) كذا في ١ ، وفي ط : « يطنج » .

(٧) اللسان (قوت) . (٨) قاله ابن الأعرابي : « معناه يذهب شيئا بعد شيء » .

(٩) شعراء النصرانية : ٤٢٠ . (١٠) قلن : قضين وقت القبولة . والسكس :

جمع كناس ، وهو مأوى الطباء . (١١) ديوانه : ٩٤ . (١٢) الأرتى ؛ واحده أرتاة :

شجر ينبت بالرمل يشبهه بالنضا يطول قدر فامة وله نور مثل نور الخلاف ورائحته طيبة .

والجوازي : الطباء . وعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين ، وأراد بذلك بقر الوحش .

أبرده: ظلّ الغداة والعشيّ . توسدته : جعلته بمنزلة الرسادة .
وقال آخر :

ومهمه فيه السرابُ يسبجُ يدأب فيه القومُ حتى يطلّحوا^(١)
ثم يبيتون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا
وقال عمرو بن كلثوم^(٢) :

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فجدك حوني ولو لمك قارح^(٣)
وقال الخطيب^(٤) :

* ألا يالقلب عارم^(٥) النظرات *

وقال الجمدي :

* فإن يطفأ أحبابه يرسب *

وقال أبو ذؤيب^(٦) :

* وإذا المنية أنشبت أظفارها *

وقال أبو خراش الهذلي^(٧) :

أردّ شجاع البطن لو تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطعم^(٨)
وقال لمبيد^(٩) :

فببتلك إذ رقص اللوامع بالضحى واجتأب أردية السراب إكامها^(١٠)

(١) الطلح : السلال والإعياء . (٢) شعراء النصرانية : ٢٠٢ .

(٣) حولي : أني عليه حول ، والقارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من البعير ولا يبزل البعير إلا إذا طمن في التاسعة . (٤) ديوانه : ٥٦ ، وبقيته :

* يقطع طول الليل بالزفرات *

(٥) في ط « عادم » صوابه من الديوان (٦) ديوان الهذليين : ١ - ٣ ، وبقيته :

* ألفت كل تيمة لا تنفع *

(٧) ديوان الهذليين : ٢ - ١٢٨ ، واللسان (شجع) يخاطب امرأته .

(٨) شجاع البطن : شدة الجوع . (٩) المملقات : ١٥٩ . (١٠) رقص : اضطرب .

واللوامع : الأرضون التي تلمع بالسراب . واجتأب : لبس . والإكام : الجبال الصغار .

وقال أيضاً^(١) :

وغداة ریحٍ قد كُشفتُ وِقْرَةٌ إذ أصبحتُ بيد الشمالِ زمامها

وقال أوس بن مغراء :

يَشِيبُ على لُومِ الفِعالِ كَبيرُها ويُغذى بشدى اللومِ منها وليدُها

وقال الأخطل :

وأهجر هجرانا جيلاً ويُنَجِي لنا من ليالينا العوازمِ أولُ

وقال آخر^(٢) :

قوم إذا الشر أبدي ناجد به لهم طاروا إليه زرافات^(٣) ووحداناً

وقال :

هم ساعدُ الدهرِ الَّذي يُتَقى به وما خيرُ كفٍّ لا تنوءُ بِساعِدِ

وقال آخر :

سأبكيكَ للدينِ وللدينِ إنني رأيتُ يدَ المعروفِ بعدك شلتِ

وقال المقنع^(٤) :

أَسُدُّ به ماقدَ أخلوا وضيعوا نغورَ حقوقِ ما أطافوا لها سداً

وقال آخر :

* وذابَ للشمسِ لعابَ فنزلُ *

أخذه من قول النابغة^(٥) :

* إذا الشمسُ بَحَّتْ ريقَها بالكلا كل *

(١) العلقات : ١٥٨ . (٢) ديوان الحماسة : ١ - ٣ ، وهو لقرط بن أنيف .

(٣) الزرافات : الجماعات . (٤) هو المقنع السكندى . ديوان الحماسة : ٢ - ٣٧ .

(٥) ديوانه : ٩٠ ، وصدرة :

* يثرن الحصى حتى يباشرن برده *

وقال آخر (١) :

جاء الشتاء واجتال القبر وطلعت شمس عليها مفقر
جعل قطعة السحاب إلى جانب الشمس مفقراً لها ، واجتال : انتفش (٢)
وقال الحطيطي :

وما خلت سلمى قبلها ذات رحلة
إذا قسورى الليل جيت سرا بله
وقال أيضاً :

ولوا وأعطونا الذي سئلوا
إنا لنكسومهم (٣) وإن كرموا
من بعد موت ساقط أزره
ضرباً يطير خلاله شره
وقال أبو دؤاد :

وقد اغتدى في بياض الصباح
وأعجاز ليل مولى الذنب
وقال الأفوه (٤) :

عافوا الإتاوة واستقت أسلافهم
حتى ارتووا عللاً بأذنب الردى (٥)
وقال ابن منذر :

* بأرشية أطرافها في الكواكب *

وقال الأخطل :

حتى إذا افتض ماء المزن عند ربها
راح الزجاج وفي ألوانه صهب
وقال غيره (٦) :

وجيش يظل البلق في حجراته
تري الأكم فيه سجداً للحوافر (٧)

(١) اللسان (جتل) ونسبه لجندل بن المثنى .

(٢) اجتال : انتفش قزعتة .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط « لنشكرهم » .

(٤) ديوانه : ٦ .

(٥) الإتاوة : الرشوة . والأذنبه : جمع ذنوب ، وهي اللؤلؤ ، تذكر وتؤنث .

(٦) اللسان (سجد) .

(٧) حجراته : نواحيه . والأكم : جمع أكمة . وسجد : خضع .

وقال ذى الرُّمة :

سقاها الكرى كأس النعاسِ فرأسه لدين الكرى من آخر الليل ساجد

قوله : «سقاها الكرى» جيد . وقوله : «لدين الكرى» بعيد عندى .

وقال مضر بن ربيعة :

أدود سوامَ الطرفِ عنك وماله على أحدٍ إلا عليك طريق

وقال تابطُ شراً^(١) :

ويسبقُ وفدَ الرِّيحِ من حيثُ نَنَّتِجى بمنخرقٍ من شدِّهِ المُتدارِكِ^(٢)

إذا حَصَّ عينيه كرى النومِ لم يزلْ له كالىءٍ من قلبِ شَيْحانَ فَاتِكِ^(٣)

ويجملُ عينيه ربيثةَ قلبه إلى سَلَّةٍ من صارمِ الغربِ باتِكِ^(٤)

إذا هزَّه في عَظْمِ قرنٍ تهللتُ نواجذُ أفواهِ المنايا الضواحكِ

في كل بيت من هذه الأبيات استعارة بديعة ، وقد أخذ رؤبة قوله : « ويسبق

وفد الرِّيح » فقال^(٥) :

* يسبقُ وفدَ الرِّيحِ^(٦) من حيثُ انخرقُ *

وقال الراعى :

يدعو أميرَ المؤمنين ودونه خرق^(٧) تجرُّ به الرياحُ ذُبولا

وقال أوس :

ليسَ الحديثُ يُنْهَى بِهِنَّ ولا سرُّهُ يُحَدِّثُنْه في الحىِّ مَشورُ

(١) ديوان الحماسة : ١ - ٩٢ . (٢) وفد الرِّيح : أولها . وينتجى : يقصد . والمنخرق :

السريع . والمتدارك : المتلاحق . (٣) حاص : خاط . والشيجان : الخازم .

(٤) الربيثة : الرقيب . والسلة : المرة ، من سل السيف . والباتك : الفاطم .

(٥) أراجيز العرب : ٢٣ . (٦) فى ب : « بكل وفد الرِّيح » .

(٧) الخرق : القلاة الواسعة .

الاستعارة
في كلام
المحدثين

ومما جاء في كلام المحدثين قول أبي تمام (١) :

ليالي نحن في غفلات عيش كأن الدهر عنها في وثاق (٢)
وأيام لنسا ولهم لدان عرينا من حواشيهما الرقاق (٣)

وقال العباس بن الأحنف، أو الخليص :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قدرى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا
وقال مسلم (٤) :

شججتها بلماب المزن فاعتزلت (٥)
ونسجين من بين محلول وممقود
وقوله (٦) :

* كأنه أجل يسعى إلى أمل *

وقوله (٧) :

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذابل
وقوله (٨) :

إذا ما نسكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذلك طلاقها
وقوله (٩) :

والدهر أخذ ما أعطى مكدر ما أصفى ومفسد ما أهوى له بيد
فلا يفرئك من دهر عطيتيه فليس يترك ما أعطى على أحد

(١) ديوانه : ٢١٥ . (٢) وثاق : رباط . (٣) اللدان : اللينة .

(٤) الشعر والشعراء : ٨١٠ . (٥) اعتزلت : اختلطت .

(٦) الشعر والشعراء : ٨١٠ ، صدره :

* موف على مهج في يوم ذى رهبج *

(٧) الشعر والشعراء : ٨١١ . (٨) الشعر والشعراء : ٨١٠ .

(٩) الشعر والشعراء : ٨١٠ .

وقوله (١) :

* ولم ينطق بأسرارها الحجل *

وقوله (٢) :

ولما تلافينا قضى الليل نَجْبَهُ
وماء كمين الشمس لا تقبلُ القَدَى
من الضَّحَكِ الفَرِّ اللَّوَاتِي إِذَا التَّقَتْ
صدعنا به حَدَّ الشَّمُولِ وَقَدْ طَغَتْ
تُسَاقِطُ مِمْنَاهُ النَّدى وَشِمَالِهِ الرِّ
حْبِي لَا يَطِيرُ الجُهْلُ مِنْ عَذَابِهَا (١)
بَكَفِّ أَبِي العَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ النَّغِي
مَتَى شَتَّتَ رَفَعَتَ السُّتُورَ عَنِ النَّغِي

وقال أيضاً :

كأنها ولسانُ الماءِ يَقلِبُهَا
دارتُ عَلَيْهِ فزادتُ فِي شِمَالِهِ

وقال أيضاً (٥) :

فَأَقْسَمْتُ أَنسى الدَّاعِيَاتِ إِلَى الصَّبَا
فَنَطَّتْ بِأَيْدِيهَا ثَمَارَ نُجُورِهَا
وقد فاجأها العينُ والسُّرُوقُ واقِعُ
كأيدى الأَسَارَى ثَقَلَتْهَا الجِوَامِعُ

(١) الشعر والشعراء : ٨١٢ ، وفيه بهامه :

خفين على غيب الظنوف وغصت ال برين فلم ينطق بأسرارها حجل

(٢) المصدر نفسه . (٣) الضحك ، عني بها السحب الراكدة . والسبل : المطر .

والهطل : المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) عذبة كل شيء : طرفه ، يقول : إذا حلت هذه الحبي

فلا بد أن يدرك أوجعها أو تارهم . (٥) الشعر والشعراء : ٨١٦ .

وقال أيضاً (١) :

نَفَضْتُ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ واسترجمتُ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ (٢)
 أَجَلٌ يَنَافِسُهُ الْجِيَامُ وَخُفْرَةٌ نَفَسَتْ عَلَيْهَا وَجْهَكَ الْأَحْفَارُ (٣)
 فَذَهَبَ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مِرْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

أخذ « نفست عليها وجهك الأحفار » بعضهم ، فقال :

لو علم القبر ما يُؤارى تاه على كلِّ ما يبايه

وقال (٤) :

ويخطى عُذْرِي وَجَهَ جُرْمِي عِنْدَهَا فأجنى إليها الذَّنْبَ من حيث لا أدري
 إِذَا أَذْنِبْتُ أَعْدَدْتُ عَذْرًا لَذَنْبِهَا وإن سَخِطْتُ كان اعتذارى من العذري
 وقال :

يذُكْرُ نَيْكَ الْيَأْسِ فِي خَطَرَةِ الْمُئِنِّي وإن كنتُ لم أذُكْرُكُ إِلَّا على ذُكْرِي
 وقال (٥) :

تَجْرِي الرِّيحُ بِهَا حَسْرَى مُوَلَّهَةٌ حين تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
 وقال أبو الشيص :

* خلع الصِّبَا عن منكبَيْهِ مَشِيبٌ *

وقال أبو العتاهية (٦) :

أنته الخِلافةُ مُنْقَادَةٌ إليه تَجْرِرُ أَذْيَالُهَا
 وقال أبو نواس (٧) :

فاسقني البِكْرَ التي اختمرتُ بخمار الشَّيبِ في الرَّحِمِ

(١) الشعر والشعراء : ٨١٧ . (٢) الحلس : كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرجل .
 (٣) الأحفار : جمع حفر ، بفتحتين ، وهو التراب المستخرج من الشيء المحفور .
 (٤) الشعر والشعراء : ٨١٨ . (٥) مهذب الأغاني : ٨ - ١٢ .
 (٦) عصر المأمون : ٢ - ٣٦٥ . (٧) ديوانه : ٣٢٤ .

ثُمَّ انصَتَ الشَّبَابُ لَهَا بعدَ أَنْ جازَتْ مَدَى الهَرَمِ
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي نَزَلَتْ وهِيَ تَلُو الدَّهْرَ فِي القَدَمِ
ومنها قوله :

فتمشت في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم
صنعت في البيت إذ مزجت كصنيع الصبح في الظلم

قوله : انصت الشباب لها : كأنها صوتت به ، فانصت لها أي أجابها .
وقوله (١) :

أَعْطَتْكَ رِيحَانَهَا المُقَار وحنان من ليك أنسِفَارُ
أي شربتها فتحول طيبها إليك .
وقوله :

لنا روميش يُنْتَخِنَ لَنَا تَظَلَّ آذَانُنَا مَطَايَاها
الرامشة : ورقة آس لها رأسان .
وقال (٢) :

حتى تخيرت بنت دسكرة قد عاجمها السنون والحقب (٣)
وقوله (٤) :

حتى إذا ما علا ماء الشباب بها وأفعمت في تمام الجسم والقصب
وجمشت بخفي اللحظ فانجشمت وجرت الوعد بين الصدق والكذب
وقوله في السحاب :

* وجرّت على الرُّبَا ذَنبًا *

وقال :

فراح لا عطّته عافية وبات طرفي من طرفه جنبيا

(١) ديوانه : ٢٧٤ . (٢) ديوانه : ٢٤٢ .

(٣) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(٤) ديوانه : ٢٤٣ .

وقال (١) :

دَعِ الألبانَ يشربها رجالٌ رقيقُ العيشِ بينهم غريبٌ
وقوله :

ولا عَجيبٌ إن جفَتِ دِمْنَةٌ عن مستهامٍ نومه قوتٌ
وقوله (٢) :

قفمتُ والليلُ يجاوهُ الصبّاحَ كما جلا التبسُّمُ عن غُرِّ الثنِياتِ
وقوله (٣) :

من قهْوَةٍ جاءَتْكَ قبلَ مزاجِها عَطَلًا فالبسُّمُ المزاجُ وشأحا
وقوله منها :

شكَّ البُزَالُ فؤادَها فكأنما صفراءُ تفترسُ النفوسَ فلا ترى
عَمِرَتْ يُكاتبكُ الزمانُ حديثُها
وقوله (٤) :

جريتُ مع الصبِّاءِ طَلَقَ الجَموحِ وهانَ عليَّ ماثورُ القبيحِ
وجدتُ الذَّ عاريةً الليالي قرانَ النغمِ بالوترِ الفصيحِ
وقوله منها :

تمتَّعُ من شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى وَصِلْ بِعُرىِ الفَبوقِ عُرىِ الصَّبوحِ
وخذُها من مُشعِمةٍ كَمَيَّتِ (٥) تُنزلُ دِرَّةَ الرِّجْلِ الشَّجِيحِ
فإني عالمٌ أن سَوِّفَ يَنأى مسافةً بينَ جُفائي وروحي
وقوله :

فاستنطقِ المودَ قد طالَ الشُّكوتُ به إن ينطقَ اللهُ حتى ينطقَ المود

(١) ديوانه : ٢٤٤ . (٢) ديوانه : ٢٥٠ . (٣) ديوانه : ٢٥٦ .

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . (٥) مشعِمة : مختلطة : وكيت : حمراء .

وقوله (١) :

* صفراء تَعْنِقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالزَّبَدِ (٢) *

وقوله :

* وقد لاحت الجوزاء وانغمس النَّسْرُ *

وقوله :

* تجرر أذيال الفُجُور ولا فُجْرُ *

وقوله (٣) :

لا ينزل الليل حيث حلت فدهرُ شرابها نهارُ

وقوله (٤) :

ورِيَان من ماء الشباب كأنما يُظْمَأُ من صَمِّ الحَشَا ويَجَاعُ

وقوله (٥) :

* وتنح عن طَرَبٍ وعن قَصْفِ *

وقوله :

عين الخليفةِ بِي موكِّلةٌ عَقَدَ الحَذَارُ بطرفها طَرْفِي

صَيَّتْ عَلَانِيَتِي له وأرى دينَ الضَّمِيرِ له على حَرْفِي

وقوله :

سَلَبُوا قِنَاعَ الطَّيْنِ عَنْ رَمَقِ حَيِّ الحَيَاةِ مُشَارِفِ الحَتْفِ

فَتَنَفَسْتُ فِي البَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ كَتَنَفَسُ الرِّيحَانِ فِي الأَنْفِ

وقوله (٦) :

تَسِيحَةُ مُزْنَةٍ مِنْ عُوْدِ كَرَمِ تَضَى اللَيْلِ مَضْرُوبِ الرِّوَاقِ

(١) ديوانه : ٢٦٧ ، صدره : * دع ذا عدمتك واشربها معتقة *

(٢) تعنق ، من قولهم : عنقت السحابة إذا خرجت من معظم الغيم ، تراها بيضاء لإشراق

الشمس عليها . ورواية الديوان : * صفراء تفرق بين الروح والجسد *

(٣) ديوانه : ٢٧٤ . (٤) ديوانه : ٣٠٢ .

(٥) ديوانه : ٣٠٣ ، وقوله : * أطم الخليفة واعص ذا عزف * (٦) ديوانه : ٣٠٦ .

وقوله (١) :

حلبت لأصحابي بها درّة الصبّا بصفراء من ماء الكُروم شمول
وقوله (٢) :

* دَعَا هَمُّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ *
وقوله (٣) :

* وَلَا تُوْفَى اللَّيْلُ جُنْحًا مِنَ الدَّجَى *
وقوله (٤) :

* وَقَامَ وَزْنَ الزَّمَانِ فَاعْتَدَلَا *
وقوله (٥) :

* فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَ الزَّمَانِ مَقْتَبِلَا *
وقوله (٦) :

* كَانِ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ *
وهو من قول النابغة (٧) :

* فَإِنْ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ *
وقوله (٨) :

* وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي *
وقوله (٩) :

ومتصلٌ بأسبابِ المَعَالِي له في كلِّ مَكْرَمَةٍ جَمِيمِ

-
- (١) ديوانه : ٣١١ - (٢) صدره : * إِذَا مَا أُنْتُ دُونَ الْإِهَامَةِ مِنَ الْفَنَى *
(٣) بقيته : * تَصَائِبْتُ وَاسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلِ *
(٤) ديوانه : ٣١٣ ، و صدره : * أَمَا تَرَى الشَّمْسَ حَلَّتِ الْخَمَلَا *
(٥) صدره : * فَاشْرَبْ عَلَى جِدَّةِ الزَّمَانِ فَقَدْ *
(٦) ديوانه : ٣١١ ، وبعده : * وَحَسَنَ الضَّحِكَاتِ وَالْمَهْزَلِ *
(٧) ديوانه : ٧٥ ، و صدره : * فَإِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلَا *
(٨) صدره : * فَالآنَ صَرْتُ إِلَى مَقَارِبَةٍ *
(٩) ديوانه : ٣٢٦ .

رَفَعْتُ لَهُ النَّدَاءَ «بِقَمِّ» فَخُذْهَا فَقَدْ أَخَذَتْ مَطَالِمَهَا النُّجُومُ

وقوله (١) :

أَلَا لَاتَرَى مِثْلِي أَمَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمِ نَفْسٍ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهَمِي

وقوله : « تنص به »؛ أي تمتلي بالدموع ، « ويلفظه وهمي » أي ينكره .

وقوله :

وَكَأَنَّمَا يَتَلَوُّ طَرَائِدَهَا نَجْمٌ تَوَاتَرَ فِي قَفَا نَجْمٍ

وقوله (٢) :

شَمُولًا تَحْطِطُهُ الْمَنُونُ وَقَدِ آتَتْ سُنُونُهَا فِي دَنِّهَا وَسُنُونُ

وقوله (٣) :

فَتَقَرَّبْتُ بِصِرْفِ عُقَارِ نَشَاتٍ فِي حِجْرِ أُمَّ الزَّمَانِ

وقوله :

تَرَى الْعَيْنَ تَسْتَمْفِيكَ مِنْ لَمَاعِيهَا وَتَحْسِرُ حَتَّى مَا تَقَلَّ جَفُونَهَا

وقوله (٤) :

فِي مَجْلِسِ ضَحِكِ السَّرُورِ بِهِ عَنِ نَاجِدِيهِ وَحَلَّتِ الْحُمْرُ

وقول أبي تمام (٥) :

وَحَسَنٌ مُنْقَلَبٌ تَبَدُّو عَوَاقِبَهُ جَاءَتْ بِشَاشَتِهِ فِي سُوءِ مُنْقَلَبِ

وقوله (٦) :

* رَخِصَتْ لَهَا الْمَهْجَاتُ وَهِيَ غَوَالٍ *

وقوله (٧) :

وَتَنْظَرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُهَا (٨) مُحْيِي الْقَرِيضِ إِلَى مِمْتِ الْمَالِ

(١) ديوانه : ٣٢٤ ، وامترى : شك . (٢) ديوانه : ٣٣٨ . (٣) ديوانه : ٣٣٨ .

(٤) ديوانه : ١٠٢ . (٥) ديوانه : ٩ .

(٦) ديوانه : ٢٥٩ ، وصدرة : * غضب الخليفة للخلافة غضبة *

(٧) ديوانه : ٢٤٦ . (٨) ينصها : يستخرج أقصى ما عندها من الجرى .

وقوله (١) :

تطلُّ الطلولُ الذمَعُ في كلِّ منزلٍ وتمثلُ بالصَّبْرِ الديارُ الموائِلُ (٢)
دوارسٍ لم يَجْفُ الرِّيبُ ربوعَها ولا مَرَّ في أغفالها وهو غافلُ
فقد سحبتُ فيها السحابُ ذيولَها وقد أُخِمَّتْ بالنورِ فيها الخمائلُ
ليالِي أضلَّت العزاءَ وخزَلتْ بمقلِّك أرامُ الخدورِ العقائلُ (٣)

وقوله (٤) :

بسقيم الجفون غير سقيم ومُريب الأَلاظ غير مريب
وقوله (٥) :

غليلي على خالد خالدٌ وضيف همومي طوبيلُ الثواءِ
ألا أيَّها الموتُ فجمتنا بماء الحياةِ وماء الحياةِ
أصبنا بكنز الغنى والإيما م أمسى مصاباً بكنز الفناءِ

وقوله :

ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويَغمرُ صرفَ الدهرِ نائلُه الغمرُ
وقوله (٦) :

* سَعِدَتْ غَرِبَةُ النوى بِسُمادِ *

وقوله (٧) :

إذا سيفُهُ أضحى على الهام حاكماً غدا المقوُّ منه وهو في السيفِ حاكمُ
وقوله (٨) :

لئن أصبحت ميسدان السَّوافي لقد أصبحت ميسدان الهُمومِ

- (١) ديوانه : ٣٥٥ . (٢) تطل : تسكب . الموائل : الدوارس .
(٣) أضلت : أضعت . وخزلت : قطعت . العقائل : المصونات . (٤) ديوانه : ٣٦ .
(٥) ديوانه : ٣٣٧ . (٦) ديوانه : ٧٥ ، وبقيته : * في طوع الإتهام والإنجاد *
(٧) ديوانه : ٢٨٧ . (٨) ديوانه : ٢٨٧ .

أُظِنَ الدَّمْعَ فِي خَدِي سَيْبِقِ رَسُومًا مِنْ بَكَأَى فِي الرُّسُومِ
وَلَيْسَ بَتْ أَكْلُوهُ كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ سَهِدْتُ عَلَى سَلِيمِ
أَرَاعِي مِنْ كَوَاكِبِهِ هِجَانًا سَوَامًا لَا تَزِيغُ إِلَى الْمُسِيمِ (١)
يَكَادُ نَدَاهُ يَتْرِكُهُ عَدِيمًا إِذَا هَطَلَتْ يَدَاهُ عَلَى عَدِيمِ
سَفِيهِ الرَّمْحِ جَاهِلُهُ إِذَا مَا بَدَا فَضْلُ السَّفِيهِ عَلَى الْحَلِيمِ
وقوله (٢) :

عَهْدِي بِهِمْ تَسْتَنْبِرُ الْأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا فِيهَا وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا
وَيُضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَازِفَةٍ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أُنْسِهَا جُمِعَ
وقوله (٣) :

وَضَلَّ بِكَ الْمِرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضُرْتُ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وقوله :

تَرُدُّ الظُّنُونُ بِهِ عَلَى تَصَدِيقِهَا وَتُحَكِّمُ الْأَمَالَ فِي الْأَمْوَالِ
وقوله (٤) :

إِذَا أَحْسَنَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا بِلَا مَنَّةٍ أَحْسَنْتَ أَنْ تَتَطَوَّلَا
تَعَظَّمْتَ عَنْ ذَاكَ التَّعَظُّمِ مِنْهُمْ وَأَوْصَاكَ نُبْلُ الْقَدْرِ أَنْ تَتَنَبَّلَا
وقوله (٥) :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا فِي التَّقَلُّبِ وَاسْتَبِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ الشَّهَادِ هَجُودًا
وقوله (٦) :

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا (٧)

(١) الهجان : الكرام . والسوام : الإبل الراعية . لا تزيغ : لا تميل . المسيم : الراعي .
(٢) ديوانه : ٣٧٢ . (٣) ديوانه : ٣٧٢ . (٤) ديوانه : ٢٥٢ .
(٥) ديوانه : ٨٨ . (٦) ديوانه : ١٤٨ . (٧) في الديوان : « إسرافها » .

وقال البحتري^(١) :

بيضاه يعطيك القضيْبُ قوامها ويربك عينها الغزالُ الأخورُ
وقوله (٢) :

فحاجبُ الشمسِ أحياناً يُضاحِكها وربُّ الغيثِ أحياناً يُباكِها
وقوله (٣) :

* وللقضيبُ نصيبٌ من ثنئِها *

وقوله (٤) :

أصبابهَ برسومِ رامةٍ بمدما عرفتُ مَعارفها الصبا والشمالُ
وقوله (٥) :

صفتُ مثل ما تصفُو الدُمامُ خِلاله ورقتُ كما رقتُ النسيمُ شمائله
وقوله (٦) :

* نثرتُ وردها عليه الحدود *

أخذه آخرُ قتال :

* وحيلاً نثر الوردَ على الخدِّ الأَسيل *

وقوله (٧) :

سحابُ خطاني جوده وهو مُسبلٌ وبِحُرِّ عَداني فيضُه وهو مُفعمٌ
وقوله (٨) :

أرجنُ على اللَّيلِ وهو مُمسكٌ وصَبَحنا بالصُّبحِ وهو مُخاقٌ^(٩)

(١) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . ديوانه : ٢ - ٣١٩ .

(٣) ديوانه : ٢ - ٣٢١ ، وقبله : * في حجرة الورد شكل من تلبها *

(٤) ديوانه : ٢ - ١٥٨ . ديوانه : ٢ - ١٦٣ .

(٦) ديوانه : ١ - ١٣٨ ، وصدرة : * قطرات من السحاب وروض *

(٧) ديوانه : ١ - ٢٢٦ . ديوانه : ٢ - ١٣٩ .

(٩) أرجن ، بالتخفيف أى أرن عليه الليل وأغرنته عليه . وفي رواية الديوان :

أرجن علينا الليل وهو ممسك وصبحنا بالصبح وهو مخلق

وقوله (١) :

فِي مَقَامٍ تَخْتَرُ فِي ضَمْنِكَ الْبَيْتِ ضُ عَلَى الْبَيْضِ رُكْمًا وَسُجُودًا

وقوله (٢) :

جَارِي الْجِيَادِ فَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا سَبَقًا وَكَادَ يَطِيرُ عَنْ أَوْهَامِهِ

وقوله (٣) :

فَطَوَّاهُنَّ طَيِّبُنَ الْفَيَافِي وَكَتَسَيْنَ الْوَجِيفَ (٤) حَتَّى عَرِينَا

وقوله (٥) :

فَأَصَلَّتْ خَلْمِي وَالتَفَتْ إِلَى الصَّبَا سَفَاهًا وَقَدْ جُزْتُ الشَّبَابَ مَرَّاجِلًا

وقوله :

* إِذَا سَرَّايَا عَطَايَاهُ سَرَّتْ أَمْرَتُ *

وقوله (٦) :

* لَيْلُ بَيْتِ اللَّيْلِ فِيهِ غَرِيْبَا *

وقول ابن الرومي :

وَمَا تَعْتَرِيهَا آفَةٌ بِشَرِيَّةٍ مِنْ النَّوْمِ إِلَّا أَنَهَا تَتَخَفَّرُ (٧)

كَذَلِكَ أَنْفَاسُ الرِّيحِ بِسُجْرَةٍ تَطْيِبُ وَأَنْفَاسُ الْأَنْامِ تَغَيَّرُ

وقوله :

يَا رَبِّ رِيْقِ بَاتَ بَدْرُ الدُّجَى يَمُجُّهُ بَيْنَ ثَنَابِيَا كَا

يُرْوَى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ سُؤْبِهِ وَالْخُمْرُ يُرْوِيكَ وَيَنْهَى كَا

(١) ديوانه : ١ - ١٨٤ . (٢) ديوانه : ٢ - ٢٥١ . (٣) ديوانه : ٢ - ٢٨٣ .

(٤) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل . (٥) ديوانه : ٢١٢ .

(٦) ديوانه : ١ - ٧٦ ، صدره : * أفضى إلى ليلام جرد ودونها *

(٧) تخفتر : الخنورة ضد الرقة ، كما يختر الابن .

وقول العتّابي :

وأشعثٌ مُشتاقٍ رَمَى في جُفونِهِ
 أماتَ الليالي شوقَهُ غيرَ زَفْرَةٍ
 سَجَبَتْ لَهُ ذَيْلُ السُّرَى وهو لا يَسُ
 ومن فوقِ أكوارِ الطايا لُبَانَةٌ
 إذا أدرَعَ اللّيسلَ انجَلَى وكأنّه
 يركبُ تَرَى كسرَ الكرى في جُفونِهِم
 غريبَ الكرى بينَ الفِجَاجِ السَّبَاسِبِ (١)
 ثَرَدُ ما بينَ الحَشَى والتَّرَائِبِ
 دُجَى اللّيلِ حتّى مَجَّ ضوءَ الكواكِبِ
 أُجِلَّ لها أكلُ الذُّرَى والغَوَارِبِ (٢)
 بَقِيَةٌ هِنْدِيٌّ حُسامِ المضارِبِ
 وَعَهْدَ الفَيَافِي في وجوهِ شواحِبِ

وقول أبي العتاهية :

* أَسْرَى إِلَيْهِ الرَّدَى فِي حَلْبَةِ الْقَدْرِ *

ومن ردى الاستعارة قول علقمة الفهمل (٣) :

وكلُّ قومٍ وإنْ عَزَوْا وإنْ كَرَمُوا
 أثنافى الدهر ، بميدٌ جدأ .
 عَرِيفُهُمْ بِأَثَافِي الدَّهْرِ مَرْجُومٌ (٤)

وقول ذى الرّمة (٥) :

تَيَمَّمَنَ يافوخَ الدُّجَى فصدَعَتْهُ
 وجوزُ الفلاصدعِ السيوفِ القواطعِ
 وقال تَابِطٌ شِرا (٦) :

نَحَزَ رِقَابَهُمْ حتّى نَزَعْنَا
 وَأَنفُ الموتِ مَنْخَرَهُ رَثِيمٌ (٧)

(١) السبب : المفازة أو الأرض المستوية البعيدة . (٢) الكور : الرجل ، أو بأداته ، وجهه أكوار . الغارب : الكاهل ، أو ما بين السنام والعتق ، وجمعه غوارب .
 (٣) ديوانه : ١٤ . (٤) البيت في ديوانه :
 بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا عريفهم بأثافي الشر مرجوم
 والأثافي : جمع أثافية ، وهي الحجارة التي تنصب وتجهل القدر عليها . والرجم : القتل والغذف .
 (٥) ديوانه ٦٦٨ ، وفيه « الصوادع »
 (٦) الموازنة : ١٧
 (٧) الرثيم : القى أدمته الحجارة

وقول الخطيئة (١) :

سَقَوْا جَارَكَ الْعِيَانِ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنِ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَا فِرَهُ (٢)

وقول الآخر (٣) :

فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقِي وَحَافِرِي

وقول الآخر :

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضْحَى يَعْضُّ عَلَى الْوَضِيفَاءِ (٤)

وإذا أُريدَ بذلك النَّمُّ والهجاءُ كانَ أقربَ إلى الصواب .

وأما التَّبْسِيحُ الَّذِي لَا يُشَكُّ فِي قَبَاحَتِهِ ، فقولُ الآخر :

سَأْمَنُهَا أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقِّقْ

وقول ذِي الرِّمَّةِ (٥) :

يُعِزُّ ضِمَافَ الْقَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ وَيَقْطَعُ أَنْفَ الْكِبْرِيَاءِ مِنَ الْكِبْرِ

وقول خُوَيْلِدِ الْهَذَلِيِّ أَوْ غَيْرِهِ (٦) :

تُخَاصِمُ قَوْمًا لَا تَلْقَى جَوَابَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ الْيَدَ

أى قبضت بيديك على مقدم لحييتك كما يفعلُ النَّادِمُ أَوْ الْمَهْمُومُ ، وَأَنْفُ كُلِّ

شَيْءٍ : مَقْدَمُهُ ، وَأَنْوْفُ الْقَوْمِ : سَادَتُهُمْ ، وَالْأَنْفُ فِي هَذَا الْبَيْتِ هَجِينٌ (٧) الْمَوْقِعُ

كَاتِرِي .

وقد وقع في غيره أَحْسَنَ مَوْقِعٍ ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ (٨) :

(١) ديوانه : ١٢ . (٢) العيمة : شهوة اللبن ، والعطش ، وعام يعيم فهو عيمان .

(٣) البيت لجيها الأسدى كما في اللسان ، ومعنى يمر به : يستخرج ما عنده من الجرى .

(٤) الأزم : شدة العض . والوظيف : مستدق الذراع والساق من الحيل والإبل ونحوها .

(٥) الموازنة : ١١٧ (٦) اللسان - مادة أنف ، ونسب فيه لأبي خراش ، ديوان

الهدليين ٢ : ١٦٧ ، ونسبه إلى معقل بن خويلد الهدلي ، والموازنة : ١١٧ .

(٧) هجين : المراد غير جيد . (٨) الموازنة : ١١٧ .

إذا شمَّ أنفَ الضيفِ ألحقَ بطنه مراسم الأواسى وامتحان الكراميم (١)
ويقولون : أنفَ الریح ، وأنفَ النهار ، ورعينَا أنفَ الربيع ؛ أى أوله .
قال امرؤ القيس (٢) :

قد غداً يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ لَاحِقُ الْإِطْلِينَ مَحْبُوكٌ مُرٌّ (٣)

وروى بعضُ الشيوخ الثقات : فى أنفه - مضموم الألف ، قال : هو من قوله :
كأس أنف . وروضة أنف .

وقال أعرابى يَصِفُ الْبَرَقَ (٤) :

إذا شِيمَ أنفُ الليلِ أوَمَضَ وَسَطَهُ سنًا كابتسامِ العامريةِ شَاغِفُ
أراد أول الليل .

ومن يعيد الاستعارة ، قولُ أعرابى (٥) :

ما زال مجنوناً على استِ الدهرِ ذا جسدٍ ينمى ، وعقلٍ يجرى
أى ينقص .

وسئل مسلم بن الوليد عن قول أبي نوباس :

رُسْمُ الكَرَمَى بَيْنَ الْجَفُونِ مَحِيلٌ عَفَى عَلَيْهِ بُكَاءٌ عَلَيْكَ طَوِيلٌ
قال : إن كان قولُ أبي العذافر :

* باضِ الهوى فى فؤادى وفرخِ التذكار *

حسناً ، كان هذا حسناً .

(١) فى الموازنة ١١٧ : قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : وهذا البيت غير الطائى حتى أتى
بما أتى ، وإنما أراد ذو الرمة بقوله : أنف الضيف كقولهم : أنف النهار أى أوله .

(٢) ديوانه : ١٤٣ ، والموازنة : ١١٧ . (٣) الإطلين ، مثنى لطل مثال لابل ، وذلك
منقطع الأصلاخ من الحجابة . فى أنفه : أى فى أول جريه وشده ، أو فى أول النيت الذى ذكره .
والحبوك : الشديد المدمج الخلق ، وممر : شديد قتل اللحم . (٤) الموازنة : ١١٨ .

(٥) فى الموازنة : وقال آخر : أنشدناه الأخفش عن ثعلب يذم رجلاً :

ما زال مذموماً على استِ الدهرِ ذا جسدٍ ينمى وعقلٍ يجرى

ومن عجيب هذا الباب قول بعض شعراء عبد القيس (١) :

ولما رأيتُ الدهرَ وعراً سبيله وأبدي لنا ظهراً أجب مسلماً (٢)

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة وصغر خديته وأنفاً مجدداً (٣)

ومعرفةً حصاءً غير مُفأضة عليه ولوناً ذا عمائين (٤) أنزاعاً

وما أعرف متى رأى هذا للدهر جبهةً كالشراك مع هذا الذي عدده ؛ فجاء بما

يضحك الشكلي .

وقال الكميت :

ولما رأيتُ الدهرَ يَقْلِبُ بطنه على ظهره فَعَلَ المَمْعَكِ (٥) في الرَّمْلِ

كما ظممتُ عنا قِضَاعَةً ظَعْنَةً هي الجِدِّ مَادُومَ النَّحِيْزَةِ بِالْهَزْلِ (٦)

ومن ذلك قول الأخطل :

إكسير هذا الخلقِ يُلْقَى وَاحِدٌ منه على ألفٍ فيكرم خيمه (٧)

وقول أبي تمام :

* حتى اتقتهُ بكيمياءِ السُّودِدِ *

فلا ترى شيئاً أبعد من إكسير الخلق ، وكيمياء السودد .

وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس اغتراراً بما سبق منه في كلام القدماء مما تقدم ذكره ، فأسرف ، فنعى عليه ذلك ، وعيب به ؛ وتلك عاقبة الإسراف . فمن ذلك قوله (٨) :

يا دهرُ قومٍ من أخذعيك فقدَّ أضججتَ هذا الأنامَ من خُرْفِكُ

وقوله (٩) :

كانوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فسكأنما لبس الرِّمَانُ الصُّوفَا

(١) الموازنة : ١١٨ . (٢) مسلح : مشقق . (٣) هذا البيت لم يرد في ط ، وهو في اللؤلؤة . (٤) الحصاء التي قل شعرها : العثون : اللحية ، أو ما فضل منها ، أو ما نبت على الذقن وتحتة ، وشعيرات طوال تحت حنك البعير وجمعه عثانين . وفي الموازنة : عثانين أجماء . (٥) الممعك : تمكك : تمرغ . (٦) النحيزة : الطبيعة . (٧) الحيم : السجبة والطبيعة . (٨) ديوانه : ٢١٠ ، الوساطة : ٦٨ . (٩) ديوانه : ٢٠٦ ، الوساطة : ٦٩ ، الموشح : ٢٠٦ .

وقوله (١) :

نَزَحْتُ بِهِ رَكِي الْعَيْنِ إِنِّي رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْمَتَادِ (٢)

وقوله (٣) :

* وَلَيْنَ أَخَادِعِ الزَّمَنِ الْأَبِيِّ *

وقوله (٤) :

فَضْرَبْتُ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبًا (٥)

وقوله (٦) :

رَوْحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ

وقوله (٧) :

أَلَا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفَأَ بَسْنِيءٍ إِلَى مَجْتَدِي نَصْرٍ فَتَقَطَعَ لِلزَّنْدِ

وقوله (٨) :

وَالدَّهْرُ الْأُمُّ مَنْ شَرِقَتْ بِلُؤْمِهِ إِلَّا إِذَا أَشْرَقَتْهُ بَكَرِيهِمْ

وقوله (٩) :

تَحْمَلَتْ مَالِ الوُجْهِ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لِفَسْكَرٍ دَهْرًا أَيْ عِبَائِهِ أَنْقَلُ

وقوله يصف قصيدة (١٠) :

تَحْلُ بِقَاعِ المَجْدِ حَتَّى كَانَهَا عَلَى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ المَجْدِ مُغْفَرٍ (١١)

لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ المُلُوكِ مَزَامِرُ مِنَ الذَّكْرِ لَمْ تَنْفَخْ وَلَا هِيَ تَزْمُرُ

وقوله (١٢) :

بِهِ أَسْتَسَلِّمُ المَعْرُوفُ بِالشَّامِ بَعْدَمَا تَوَسَّى مُنْدُ أَوْدَى خَالِدٌ وَهُوَ مُرْتَدٌ

(١) ديوانه : ٧٨ . (٢) نزحت : أخذت ماءها . الركي : الآبار .

(٣) ديوانه : ٣٤٤ ، وصدوره : * سأسكر فرجة الليث الرخى *

(٤) ديوانه : ٢٧ . (٥) الأخدعان : مرغان في موضع الخطامة . والعود : البعير المسن .

(٦) ديوانه : ٢٩٠ . (٧) ديوانه : ١١٥ ، والموازنة : ١١٢ ، وفي ط : يقطع من الزند .

(٨) ديوانه : ٣٠٨ . (٩) ديوانه : ٢٤٥ . (١٠) ديوانه : ١٦٠ .

(١١) المغفر : زرد من الدروع يلبس تحت القلنسوة . (١٢) ديوانه : ١٢٢ .

وقوله (١) :

* كَأَنَّ الْمَجْدَ قَدْ خَرَفَا *

وقوله (٢) :

إلى ملكٍ في أَيْكَةِ الْمَجْدِ لم يَزَلْ على كَيْدِ المَعْرُوفِ من نَيْلِهِ بَرْدٌ

وقوله (٣) :

في غَفْلَةٍ أوقَدتْ على كَيْدِ النَّا ثل نارا أختتْ على كَيْدِهِ

وقوله (٤) :

حتى إذا اسودَّ الزمان توضحوا فيه فَعُوذِرَ وهو منهم أبلقُ

وقوله (٥) :

وكم مَلَكَتْ مِنَّا على قُبْحِ قَدِّهَا صُرُوفُ النَّوَى من مُرْهَفِ حَسَنِ القَدِّ

وقوله (٦) :

إذا الغيثُ غَادَى نَسِجَهُ خِلتْ أَنه مضتْ حِقْبَةُ حَرَسِ (٧) له وهو حائك

وقوله (٨) يرثي غلاماً :

بعد إنباتِ رِجْلِهِ في الرِّكابِ أنزلتُهُ الأيامُ عَن ظَهْرِها مِن

وقوله (٩) :

وكانَ فارِسَهُ يَصْرِفُ إذْ غَدَا في مَتْنِهِ ابناً للصباحِ الأبلقِ

وقوله (١٠) :

لَمَّا مَخَضتْ الأمانى التي اِختَلَبتْ عادتْ هُموماً وكانت قبلها هَمَّما

(١) ديوانه : ٢٠٤ ، والبيت بتمامه :

لو لم تفت من المجد منذ زمن بالجود والبأس كأن المجد قد خرفا

(٢) ديوانه : ١٢١ . (٣) ديوانه : ٩٠ ، وفي الموازنة : في «علة» .

(٤) الموازنة : ١١٣ . (٥) ديوانه : ١١٤ . (٦) ديوانه : ٢٢٤ . (٧) الحرس : الدهر .

(٨) ديوانه : ٣٥٤ . (٩) ديوانه : ٢١٢ . (١٠) ديوانه : ٣٠٣ .

(٢٠ - الصناعتين)

وقوله (١) :

كَلُوا الصَّبْرَ مَرَّةً وَاشْرَبُوهُ فَإِنَّكُمْ
أَثَرْتُمْ بَعِيرَ الظُّلْمِ وَالظُّلْمُ بَارِكُ
وقد جَسَنَى أَبُو تَمَّامٍ عَلَى نَفْسِهِ بِالْإِكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الِاسْتِعَارَاتِ ، وَأَطْلَقَ لِسَانِ عَائِبِهِ ،
وَأَكْدَلَهُ الْحِجَّةَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ وَاخْتِيَارَاتُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ صُورِهِمْ
وَالْوَانِهِمْ .

وَمِنْ رَدَى الِاسْتِعَارَةَ أَيْضًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

* أَنَا نَاقَةٌ وَليْسَ فِي رِكْبَتِي دِمَاقٌ *

وَأَنشَدَ أَبُو المَنْبَسِ :

ضَرَامُ الحَبِّ عَشَّشَ فِي فُوَادِي وَحَضَّنَ فَوْقَهُ طَيْرُ البِمَادِ
وقد نَبَذَ الهَوَى فِي دَنْ قَلْبِي فَعَرَبَدَتِ المَمُومُ عَلَى فُوَادِي

ومثله كثير ولا وجه لاستيعابه ؛ لأن قليله دالٌّ على كثيره ، وجملة مبينة عن
تفسيره إن شاء الله .

الفصل الثاني من الباب التاسع

في المطابقة

قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ؛ مثل الجمع بين البياض والسواد ، والليل والنهار ، والحر والبرد .

وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب ، فقال : المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى ، كقول زياد الأعجم (١) :

وَنَبْشُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلَوَّمٍ فِيهِمْ كَاهِلٌ (٢) وَسَنَامٌ

وسمى الجنس الأول التكاؤ . وأهل الصنعة يسمون النوع الذي سماه المطابقة التعطف . قال : وهو أن يذكر اللفظ ثم يكرره ، والمعنى مختلف ، وستراه في موضعه إن شاء الله .

والطباق في اللغة : الجمع بين الشئيين ؛ يقولون : طابَقَ فلان بين ثوبين ، ثم استعمل في غير ذلك ؛ فقول : طابق البعير في سيره ، إذا وضع رجله موضع يده ، وهو راجع إلى الجمع بين الشئيين . قال الجعدي (٣) :

وخيلٍ تطابق بالدارعين طباق السلاب يطآن الهراساً (٤)

وفي القرآن : ﴿ سَبَعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ، أي بعضهن فوق بعض ؛ كأنه شبهه بالطبق يجعل فوق الإناء ؛ قال امرؤ القيس (٥) :

* طَبِقُ الْأَرْضِ تَحْرَى وَتَدْرُ (٦) *

(١) إيجاز القرآن للباقلاني : ٧٩ ، وفي الإيجاز : « ونبأتهم » .

(٢) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق . (٣) اللسان (هرس) .

(٤) الهراس : شوك كأنه الحسك . (٥) ديوانه : ١٤٣ ، وصدرة :

* ديمة هطلاء فيها وطف *

(٦) طبق الأرض : أي تم الأرض حتى تصير لها كالطبق . تحرى : تقصد . وتدر :

تصب الماء .

وكل ققرة من فقر الظهر والعنق طبّق ، وذلك أن بعضها منصود على بعض .
فما في كتاب الله عز وجل من الطّباق قوله تعالى : ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ، أي من الكفر إلى الإيمان .
وقوله عز وجل : ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ،
وهذا على غاية التساوي والموازنة .

وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .
وقوله جلّ شأنه : ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ .

وقوله عزّ اسمه : ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ .
وقوله جلّ ذكره : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ .
وقد تنازع الناس هذا المعنى ؛ قال ابن مطير :

* تضحك الأرض من بكاء السماء *

وقال آخر :

* ضحك المزن بها ثم بكى *

وقال آخر :

فله ابتسام في لوامع برقه وله بكاء من ودقه المتسرب
وقال آخر (١) :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك الشيب برأسه فبكى

فلم يقرب أحدٌ من لَفْظِ القرآنِ في اختصاره وصفائه ، ورواقفه وبهائه ، وطلاوته ومائه ؛ وكذلك جميع ما في القرآن من الطَّباق .

ومما جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الكلام المطابق قوله للأَنْصار : « إِنَّكُمْ لَتَكْتُمُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقُولُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « بَخِيرُ الْمَسَالِ عَيْنُ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَاعِمَةٍ » ، يعني عَيْنَ الْمَاءِ يَنَامُ صَاحِبُهَا وَهِيَ تَسْقِي أَرْضَهُ . وقوله عليه الصلاة والسلام : « إِيَّاكُمْ وَالْمِشَارَةَ فَإِنَّهَا تُمِيتُ الْغُرَّةَ وَتُحْيِي الْعُرَّةَ » (١) .

ومن سائر الكلام قول الحسن : ما رأيتُ يقيناً لاشكَّ فيه أشبه بشكِّ لا يقين فيه من الموتِ . وقال أيضاً رضى الله عنه : إِنْ مَنَّ خَوْفَكَ حَتَّى تَبْلُغَ الْأَمْنَ خَيْرٌ مِمَّنْ يُؤْمِنُكَ حَتَّى تَنْلُقَ الْخُوفَ . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : معروفُ زماننا مُنْكَرُ زَمَانٍ قَدَفَاتٍ ، وَمُنْكَرُهُ مَعْرُوفُ زَمَانٍ لَمْ يَأْتِ . وقال بعضهم : لَيْتَ حِلْمَنَا عَمَّنْكَ لَا يَدْعُو جَهْلَ غَيْرِنَا إِلَيْكَ . وقال عبد الملك : ما حدثتُ نَفْسِي عَلَى مَحْبُوبٍ ابْتِدَأْتُهُ بِمَعْجَزٍ ، وَلَا لَمْتُهَا عَلَى مَكْرُوهٍ ابْتِدَأْتُهُ بِحَزْمٍ . وقالوا : الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ . وقال أعرابي لرجل : إِنْ فَلَانَا وَإِنْ ضَحَكَ لَكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ . فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَتِكَ . وقال علي رضى الله عنه : أَعْظَمُ الذُّنُوبِ مَا صَغُرَ عِنْدَكَ . وَشَمَّ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي . وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ غَلَامًا ، فَقَالَ : إِنْ الظَّنَّ إِذَا أَخْلَفَ فِيكَ أَخْلَفَ مِنْكَ . ونحوه قول الآخر : لَا تَتَّكِلْ عَلَى عُدُوِّ مَنِي فَقَدْ اتَّكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مَنْكَ . وقال الحسن : أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طَوْلِ مَا لَا تَسْتَحْيُونَ ! وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : فَلَانٌ يُسْتَحْيَى مِنْ أَنْ يُسْتَحْيَى . وقال : مَنْ خَافَ اللَّهُ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(١) المشاركة : تفاعل من الضم . والغرة : الحسن . والعررة في الأصل : الغدر ، واستعير للمتاب . وانظر نهاية ابن الأثير : ٣ - ٨٠ .

وقيل لأبي داود - وابنته تسوسُ دابته - في ذلك ، فقال : كما أكرمتها بهواني ،
معناه إن كانت تصونني عن سياسةِ دابتي وتبذلُ مني ، فهإني أصونها وأتبذلُ
دونها بالقيام في أمرِ معاشيها ، وإصلاحِ حالها ؛ فأخذ اللفظَ بمضمونهم فقال في السلطان :

أُهَيْنُ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرَمِيَا بِهِمْ وَلَنْ تَكْرَمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تَهَيَّبُهَا

وقال بمضمونهم لعليل : إِنْ أَعَلَّكَ اللَّهُ فِي جِسْمِكَ ، فَقَدْ أَصْحَكَكَ مِنْ ذُنُوبِكَ .

وقال بمضمونهم : السكريمُ واسعُ المنفرة ؛ إذا ضاقتِ المنفرة .

وقال كثير بن هراسة يوم لا ابنه : يا بني ، إِنْ مِنَ النَّاسِ نَاسًا يَنْقُصُونَكَ إِذَا زِدْتَهُمْ ،

وتهونُ عليهم إذا أكرمتهم ؛ ليس لرضاهم موضعٌ فتقصده ، ولا لسخطهم موضعٌ

فتحذره ؛ فإذا عرفت أولئك بأعيانهم فأبدلهم وَجْهَ المودة ، وامنعهم موضعَ الخاصة ؛

ليكون ما أبديت لهم من وَجْهِ المودة حاجزاً دون شرهم ، وما منعتهم من مَوْضِعِ

الخاصة قاطعاً بمجرمتهم .

وقال خالد بن صفوان لرجل يصف له رجلاً : ليس له صديقٌ في السر ، ولا عدوٌّ

في العلانية .

وقال آخر : في العمل ما هو تركٌ للعمل ، ومن ترك العمل ما هو أكثر العمل (١) .

وقال آخر : إِنَّا لَا نَكْفِي مِنْ عَصِي اللَّهِ فِينَا بِأَكْثَرِ مَنْ أَنْ نُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ .

وقال الحسن : كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب .

وقال سهل بن هرون : مَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى تُوْفِيَهُ رِزْقَهُ فِيهَا ،

وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يَخْرِجَهُ مِنْهَا .

وكتب رجلٌ إلى محمد بن عبد الله : إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُشْتَبِيِّ عَلَيْكَ أَلَّا يَخَافُ

الإفراط ، وَلَا يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ ، وَلَا يَحْذَرُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِيبَةُ السُّكُوبِ ، وَلَا يَنْتَهِي بِهِ

المدحُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فِي فَضْلِكَ عَوْنًا عَلَى تَجَاوُزِهَا .

(١) في ط « أكبر » ، وهذا عن ا .

وفي الحديث : « مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَهْيَ » . وقال معاوية : ليس بين
أَنْ يَمْلِكَ الْمَلِكُ جَمِيعَ رَعِيَّتِهِ أَوْ يَمْلِكَهُ جَمِيعُهَا إِلَّا حَزَمٌ ، أَوْ تَوَانٍ .
وقال بعضهم : إِذَا شَرِبْتَ النَّبِيذَ فَاشْرَبْهُ مَعَ مَنْ يَفْتَضِحُ بِكَ ، وَلَا تَشْرَبْهُ مَعَ
مَنْ يَفْتَضِحُ بِهِ .

وقال بعضهم : سَوْدَاءٌ وَكُلُودٌ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَاءٍ عَقِيمٍ . وقال ابن السَّمَاكِ لِلرَّشِيدِ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَاضَعْ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ .
وقال ابن المعتز : طَلَّاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الآخِرَةِ . وقالوا : غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ ،
وَوَغْضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ .

وشرب أحدُهم بِحَضْرَةِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ قَدْحًا وَعَبَسَ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتَهَا ،
تَضَحَّكَ فِي وَجْهِكَ ، وَتَعَبَسَ فِي وَجْهِهَا !! وَقَالَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ : التَّبْدِيرُ
فِي الْمَالِ ذِمَّةٌ حَسَبِ التَّقْيِيرِ فِيهِ ، فَاتَّقِ التَّبْدِيرَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّقْيِيرَ . وقال أعرابي : أتيت
بِفَدَادٍ فَإِذَا ثِيَابُ أُخْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدٍ ؛ إِقْبَالُ حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظِّ الْكَرْمِ ؛ شَجَرُهُ
فُرُوعُهُ عِنْدَ أَصُولِهِ ، سَعْلُهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

وقال أعرابي : اللَّهُ مَخْلَفٌ مَا أَنْلَفَ النَّاسَ ، وَالذَّهْرُ مُتْلِفٌ مَا أَخْلَفَ اللَّهُ ؛
فَكَمْ مِنْ مَنِيَّةٍ عَلَّتْهَا طَلْبُ الْحَيَاةِ ، وَحَيَاةٍ سَبَبُهَا التَّمَرُّضُ الْمَوْتِ ؛ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ
الشَّاعِرِ (١) :

تَأخَّرْتُ اسْتَيْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
وقال آخر : كَدَّرُ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ صَفْوِ الْفِرْقَةِ . وقال بعضهم : وَكَانَ اعْتِدَادِي
بِذَلِكَ اعْتِدَادًا مَنْ لَا تَنْضُبُ عَنْهُ نِعْمَةٌ تَعْمُرُكَ ، وَلَا يَمُرُّ عَلَيْهِ عَيْشٌ يَحُلُّوْكَ .
وقال بعضهم : وَكَانَ سُرُورِي بِذَلِكَ سُرُورًا مَنْ لَا تَأْفُلُ عَنْهُ مَسْرَّةٌ طَلَعَتْ عَلَيْكَ ،
وَلَا تَظَلُّمٌ عَلَيْهِ مَحَلَّةٌ أَنْارَتْ لَكَ .

(١) هو الحصين بن الحمام المري ، شعراء النصرانية : ٧٤١ .

وقال المنصور : لا تخرجوا من عزِّ الطاعة إلى ذلِّ المعصية . ووصف أعرابي غلاماً فقال : ساعٍ في الهرب ، قَطُوفٌ^(١) في الحاجة .

وكتب سعيد بن حميد في كتاب فتح : ظناً كاذباً لله فيه حَمٌّ صادق ، وأملاً خائناً لله فيه قضاءً نافذ .

وقال الأفوه الأودي : سهماً تقرُّ به العيونُ وإن كان قليلاً خبيرٌ مما وجلت به القلوبُ وإن كان كثيراً . ونحوه قول الشاعر :

* أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ *

ومن الأشعار في الطَّباق قول زهير^(٢) :

أَيْتُ بَعْرَ يَصْطَادُ الرَّجَالَ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا^(٣)
وقول امرئ القيس^(٤) :

مَكْرٌ مَفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عِلْر

وقول الطفيل الغنوي يصف فرساً :

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تَقْطَعْ أَبْجَلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولُ^(٥)
وقول الآخر^(٦) :

رَمَى الْجِدْنَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْسَدَارٍ سَمْدَنُ^(٧) لَهُ سُمُودًا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُودًا
وقال حسين بن مطير^(٨) :

وَمَبْتَلَةُ الْأَرْدَابِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهَا عُقُودُهَا

(١) دابة قطوف : يضيق مشيها . (٢) ديوانه : ٥٤ .

(٣) عثر : موضع قبل تبالة من أرض اليمن . وكذب : لم يصدق في الحملة .

(٤) ديوانه : ٢٤ . (٥) ساهم الوجه : متغير الوجه . والأبجل : عرق ، وهو من الفرس

والبهر بمنزلة الأكل من الإنسان . (٦) اللسان - مادة (سمد) .

(٧) السمود هنا : الحزن . (٨) الحماسة : ٢ - ٦٥ ، مع اختلاف في الرواية .

بِصْفَرٍ تَرَاقِيهَا وَمُحْمَرٍ أَكْفَهَا
وَسُودٍ نَوَاصِيهَا وَبِيضٍ خُدُودَهَا
وقال في وصف السحاب :

وَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسْرَةٍ
ضَحْكٌ يُرَاوِحُ بَيْنَهُ وَيُبْكَاهُ
وقال آخر (١) :

لَيْنٌ سَاءَ نِيٌّ أَنْ نَلَيْتَنِي بِمَسَاءَةٍ
لَقَدْ سَرَّ نِيٌّ أَنْيَّ خَطَرْتُ بِبَالِكَ
وقال النابغة (٢) :

وَإِنْ هَبَطَا سَهْلًا أثارَا عَجَاجَةً
وَإِنْ عَلَوْا حَزَنًا تَشَطَّتْ جَنَادِلُ (٣)
وقال مسافع (٤) :

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي أَسْرًا بِمُقْبِلٍ
مِنَ الْعَيْشِ أَوْ آسَى عَلَى إِثْرِ مُدِيرٍ
أَوْلَاكَ بَنُو خَسِيرٍ وَشِرِّ كَلِيمَا
وَأَبْنَاءَ مَعْرُوفٍ أَلَمٍ وَهُنْكَرٍ
وقال أوس بن حجر :

أَطَعْنَا رَبَّنَا وَعَصَاهُ قَوْمٌ
فَذُقْنَا طَعْمَ طَاعَتِنَا وَذَاقُوا
وقال الفرزدق (٥) :

لَعَنَ الْإِلَهُ بَنِي كَلَيْبٍ لِنَهُمْ
لَا يَمِذِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِحَارِهِمْ
يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهْيِ حَارِهِمْ
وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ
وقال امرؤ القيس (٦) :

بِمَاءِ سَحَابٍ زَلَّ عَنْ ظَهْرِ صَخْرَةٍ
إِلَى بَطْنِ أُخْرَى طَيِّبَ طَعْمُهُ خَصِرٌ (٧)

(١) ديوان الحماسة : ٢ - ١٠٥ ، بلا عزو . (٢) ديوانه : ٨١ .

(٣) أثارا : حركا . الحزن : ما غلظ من الأرض . تشطت : تكسرت . الجنادل : الحجارة .

(٤) هو مسافع بن حذيفة العبسي . ديوان الحماسة : ٢ - ٤١٠ مع اختلاف في الرواية .

(٥) نهاية الأرب : ٧ - ١٠١ . (٦) ديوانه : ١٣٧ .

(٧) الخصر : البارء ، وراية البيت في ديوانه :

بماء سحاب زل عن متن ظهره إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر

وقال النابغة^(١) :

ولا يَحْسَبُونَ الخَيْرَ لا شرَّ بعده ولا يَحْسَبُونَ الشرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ

وقال بهس بن عبد الحرث ، يصف الشيب :

حتى كَانَ قَدِيمَهُ وحديثه لَيْلٌ تَفَعَّعَ مُدْبِرًا بِنَهَارِ

فطابق بين قديم وحديث ، وليل ونهار ؛ فأخذه الفرزدق ، فقال^(٢) :

والشَيْبُ يَهْضُ في الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِيهِ نَهَارُ

طابق بين الشيب والشباب ، والليل والنهار ؛ وهذا أَحْسَنُ من قول بهس سَدَيْكَا

ورصفاً ، وفيه نوع آخر من البديع ، وهو « يَصِيحُ بِجَانِيهِ نَهَارُهُ » أخذه من قول

الشمخ :

ولاقى بِصَحْرَاءِ الإِهَالَةِ سَاطِعًا من الصبح لما صَاحَ بالليل نَفْرًا

وقال أبو دواد قبله :

تَصِيحُ الرُّدَّ يَنْبِاتُ في حَجَبَاتِهِمْ صِيحَ العوَالِي في التَّقَافِ المَثَقَّبِ

وقال آخر :

تَصِيحُ الرُّدَّ يَنْبِاتُ فِينَا وفيهِمْ صِيحَ بِنَاتِ المَاءِ أَصْبَحَنَ جُوعًا

وقال آخر في صفة قَوْسٍ :

* في كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ^(٣) *

وقال آخر :

* مَرِحَتْ وَصَاحَ المَرُوءُ من أَخْفَافِهَا^(٤) *

وقال آخر في صفة نَافَةِ :

* خَرَقَاءُ إِلا أَنهَا صَنَاعٌ^(٥) *

(١) ديوانه : ٩ . (٢) ديوانه : ٦٧ . (٣) القوس المعطية : التي عطفتم فلم تنكسر .

(٤) المرح : النشاط ، والمرو : الحجارة التي يقذف منها النار .

(٥) الخرقاء : التي لا تمهد مواضع قوائمها . والصناع : الماهرة ، وأصله من وصف المرأة .

وقال آخر:

جَاءَ وَمَحْمُودُ الْقِرَى يَسْتَفْرُهُ إِلَيْهَا وَدَاعِيَ اللَّيْلِ بِالصُّبْحِ يَصْفُرُ

ومما فيه ثلاث تطبيقات قول جرير (١):

وَبِأَسْطُ خَيْرٍ فِيكُمْ بِبَيْمِينِهِ وَقَابِضُ شِرِّ عَنْكُمْ بِشِمَالِيَا

فطابق بياسط وقابض ، وخير وشر ، ويمين وشمال ؛ ومثله قول الآخر (٢):

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ

ومثله قول الآخر:

فَسِرِّي كَأَعْلَانِي وَتَلَكُ سَجِيَّتِي وَظَلَمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا

ومما فيه طباقان ، قول المتلمس :

وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ بَزَيْدٍ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ

وقال أوس بن حجر :

فَتَحَدِّرْ كَمْ عَبَسَ إِلَيْنَا وَعَامِرٌ وَتَرَفَعْنَا بِكَرْبِ إِلَيْكُمْ وَتَعَلِبُ

إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأَمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ

وقول قيس بن الخطيم :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَجَى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

وهذا تطبيق وتكميل ، ومثله قول عدى بن الرعلاء :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيْتُ الْأَحْيَاءِ

فاستوفى المعنى في قوله : ليس من مات فاستراح بميت ، وكامل في قوله : إنما الميت

ميت الأحياء ؛ وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشئ وخلافه على التقريب ، لا على

الحقيقة ، وذلك كقول الخطيئة (٣) :

(١) نهاية الأرب : ٧ : ٩٩ . (٢) مذهب الأغاني : ١ - ٢٠٤ .

(٣) ديوانه : ١٠٩ .

وَأَخَذَتْ أَطْرَارَ^(١) السَّكَّامِ فَلَمْ تَدَعِ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَالهَجَاءُ ضِدُّ الْمَدِيحِ ، فَذَكَرَ الشَّتْمَ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ ؛ وَهَكَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :
يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً . وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
فَجَعَلَ ضِدَّ الظُّلْمِ الْمَغْفِرَةَ .

وَمِنْ الْمَطَابِقَةِ فِي أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ ، قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ^(٣) :
أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَاءً وَأَصْبَحَ مَغْنَمِي الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمًا
وَقَالُوا : هَذَا أَحْسَنُ ابْتِدَاءٍ فِي مِثْرَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ؛ وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ أَيْضًا^(٤) :
وَضَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ
وَقَالَ سَدِيفٌ فِي النِّسَاءِ :

وَأَصْحَابُ مَارَاتِ الْعَيُونِ جَوَارِحًا وَلَهْنُ أَمْرَضُ مَا رَأَيْتَ عُيُونًا
وَقَالَ عِمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ :

وَأَرَى الْوَحْشَ فِي يَمِينِي إِذَا مَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ^(٥) :

فِيمِ الشَّمَاةِ إِعْلَانًا بِأَسَدٍ وَغِيءَ أَفْنََاهُمْ الصَّبْرُ إِذَا بَقَاكُمْ الْجَزَعُ
بِجَاءِ بِنْتَيْهِمَا فِي مِصْرَاعٍ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ^(٦) :

إِنْ يُأَمِّمُهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَا رَأَيْتَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُودًا
وَقَالَ النَّمْرِيُّ :

وَمَنَازِلٌ لَكَ بِالْحِمَى وَبِهَا الْخَلِيطُ نَزُولُ

(١) أطرار السكك : نواحيه . (٢) هو قريظ بن أنيف أحد بني الغنبر ، ديوان الحماسة : ١ - ٤ . (٣) ديوانه : ١ - ٣٧٤ . (٤) ديوانه : ١ : ٣٧٢ - ٣٧٣ . (٥) ديوانه : ١ : ٢٧٢ . (٦) ديوانه : ١ - ١٨٢ .

أَيَّامَهُنَّ قَصِيرَةٌ وَسُرُورَهُنَّ طَوِيلٌ (١)
وَسُمُودَهُنَّ طَوَالِعٌ وَنَجْوُسُهُنَّ أَفْوَالٌ
وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّيْبَا بَ وَقَيْنَةٌ وَشَمُولٌ

وقال آخر :

بِرَازِدِينَ نَامُوا عَنِ الْمَسْكَرَمَا ت فَأَيَّظَهُمْ قَدَرٌ لَمْ يَنْمِ
فِيَا قَبْحَهُمْ فِي الَّذِي حَوَّلُوا وَيَا حَسَنَهُمْ فِي زَوَالِ النَّعْمِ

وقال آخر :

أَفْطِمَ قَدْ زُوِّجَتْ مِنْ غَيْرِ خَيْرَةٍ فَتَى مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِطَائِلِ
فَإِنْ قُلْتِ مِنْ آلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ خُرَّ الْأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ

ونحوه في معناه ، لا في التطبيق ، قول علي بن الجهم في بعض بني هاشم :

* إِنْ تَكُنْ مِنْهُمْ بِلَاشِكِ فَلَعُودُ قُتَارٌ *

ومثله :

* فَاخْبَثْ مِنْ فِضَّةٍ بِمَجِيبِ *

ومثله :

لَثِيمُ أَنَاهِ اللَّؤْمُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ عِنْدِ أُمَّ وَلَا أَبِ

وقول أبي تمام (٢) :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ وَالْدَمْعُ يُحْمَلُ بَعْضَ ثَقَلِ (٣) الْمُغْرَمِ
وَصَلَّتْ نَجِيمًا بِالدَّمْعِ نَفْسُهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرَّدَاءِ الْمَعْلَمِ

أخذه من قول أبي الشَّيْبِصِ :

وَصَلَّتْ دَمًا بِالدَّمْعِ حَتَّى كَأَنَّهَا يُذَابُ بِعَيْنِي لَوْأُوٌّ وَعَقِيمِ

وقول أبي تمام (٤) :

* جَفُوفُ الْبَلْبِ أَسْرَعَتْ فِي الْغُصْنِ الرَّطْبِ *

(١) المختار من شعر بشار : ٣٣١ . (٢) ديوانه : ٣١٢ .

(٣) في الديوان : « بعض شجو » . (٤) ديوانه : ٣٥٦ ، وبقيته :

* وَخَطَبُ الرَّدَى وَالْمَوْتُ أَرْحَتُ مِنْ خَطْبِ *

وقوله :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
وقول الآخر :

عَجَلُ الْفِرَاقِ بِمَا كَرِهَتْ وَطَالَمَا
وَأَرَى النَّبِيَّ هَامَ الْفُؤَادِ بِذِكْرِهَا
وقال بكر بن النطّاح :

وَكُنْ إِظْلَامَ الدَّرْعِ عَلَيْهِمْ
وقول أبي تمام (١) :

أصبحت في روضة الشباب هشيما
شعلة في الفراق استودعتني
غرة مرة (٢) إلا إنما كند
دقة في الحياة تدعى جلالا
وقول آخر :

نخسنت منها قبلة
لما رويت بها عطشت

وقلت :

إذا معشر في المجد كانوا هواديا
رأيت جمال الدهر فيك مجددا

وقلت :

قل لمن أدنيه جهدي
ولمن ترضاه مؤ
أمليح بمليح الش
وهو يقصيني جهده
لاك ولا يرضاك عبده
كُلْ أَنْ يُخْلِفَ وَعَدَهُ

(١) ديوانه : ٢٩١ . هذان البيتان لم يذكرهما في ط .

(٢) في الديوان : « بهمة » .

أَمْ جَمِيلٌ بِجَمِيلِ الْوَجْهِ أَنْ يَنْقُضَ عَهْدَهُ
مَا الَّذِي صَدَّكَ عَنِّي لَيْتَ مَا صَدَّكَ صَدَّةٌ

وقلت :

* فلماذا أبيعته وبنفسى اشتريه *

وقلت :

فِي كُلِّ خَلْقٍ خَلَّةٌ مَذْمُومَةٌ وَوَرَاءَ كُلِّ مُحِبِّبٍ مَكْرُوهٌ

ومن عيوب التطبيق قول الأخطل :

قَلْتُ الْمَقَامُ وَنَاعِبٌ قَالَ النَّوَى فَعَصَيْتُ قَوْلِي وَالْمَطَاعُ غُرَابُ

وهذا من غث الكلام وبارده ، وقال :

كَمْ جَحْفَلٍ طَارَتْ قَدَامِي خَيْلُهُ خَلْفَتُهُ يَوْمَ الْوَعَى مَمْتُوفَا

أَعْلَمْتُ نَابِكَ وَهُوَ رَأْسُ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكَ حَافِرَا وَوِظِيفَا^(١)

وقال آخر في القاسم بن عبيد الله :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ رِقَّةٌ طَبَعِهِ هُوَ مَقْسَمٌ أَنَّ الْمَوَاءَ تُخِينُ

وقال أبو تمام^(٢) :

فِيَا بُنَاجِ الْفَوَادِ كَانَ رَضْفَا^(٣) وَيَاشِبَعِي بِمَقْدَمِهِ^(٤) وَرِي

وقال^(٥) :

وَإِذَا الصَّنْعُ كَانَ وَحْشًا فَمَلِي تَبَرَّغَمِ الزَّمَانِ صَنْعًا رِيْبِيَا

وقال^(٦) :

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تَرِيدُ وَبَعْضُهُ خَشِينٌ وَإِنِّي بِالنَّجَاحِ لَوَائِقُ

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل ومن الإبل وغيرها .

(٢) ديوانه : ٣٤٥ . (٣) ثلج الفؤاد : برده واطمئنانه . والرصف في الأصل :

الحجارة المحماة . (٤) في الديوان : « إذا تمضى » . (٥) ديوانه : ٢٩ .

(٦) ديوانه : ٢٢٣ .

وقوله (١) :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَرَّرْتُ يَوْمَ لَقِيْتُهُ
لو ان القضاء وحده لم يُبْرِدِ

وقوله (٢) :

وإن خفرت أموال قوم أ كفههم
من النيل والجدوى فكفاه مقطع

وقوله (٣) :

يوم أفاض جوى أغاض تعزياً
خاض الهوى بحرى حجاجه المزبد

فجمل «الحجى» فى هذا البيت «مُزبدا»، ولا أعرف عاقلاً يقول: إن العقل يُزبد؛
وليس المزبد هاهنا نعمتاً للبحرين؛ لأنه قال «بحرى حجاجه المزبد»، فلو جعل «المزبد»
نعمتاً للبحرين لقال المزبدين، وخوض الهوى بحر التعزى أيضاً من أبرد الاستمارة.

ونحو منه قوله أيضاً (٤) :

يا يوم شرّد يوم لهوى لهوه
بصباى وأذلّ عزّ تجلدى

وقوله (٥) :

غرض الظلام أو اعترته وحشة
فاستأنست روعاته (٦) بسهادى

بل ذكرة (٧) طرقت فلما لم أبت
باتت تفكر فى ضروب رقادى

أغرّت هموى فاستلبن فصولها
نوى ونمن على فضول وسادى

وهذه الأبيات مع قبسح التطبيق الذى فى أولها، وهجئة الاستمارة لا يعرف معناها

على حقيقته .

(١) ديوانه : ١٠١ . (٢) ديوانه : ١٩١ . (٣) ديوانه : ١١١ .
(٤) ديوانه : ١١١ . (٥) ديوانه : ١٣٣ . (٦) فى الديوان : « لوعاته » .
(٧) فى الديوان : « زفرة » .

الفصل الثالث

في ذكر التجنيس

التجنيس أن يُوردَ التكلمَ كلمتين تُجانس كلُّ واحدةٍ منهما صاحبتهما في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي كتاب الأجناس . فنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى ، كقول الشاعر :

يوماً خلجت على الخليج نفوسهم عصباً . وأنت لملها مُستام
خلجت : أي جذبت ، والخليج : بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير ؛ فهاتان اللفظتان متفقتان في الصيغة واشتقاق المعنى والبناء^(١) ، ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى ، كقول الشاعر^(٢) :

* فأرفق به إن لومَ العاشقِ اللومُ *

وشرط بعض الأدباء من هذا الشرط في التجنيس وخالفه في الأمثلة فقال :
وهمن جنس تجنيسين في بيت زهير ، في قوله^(٣) :

بِزِمَةِ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرٍ مُطَاعٍ فَلَا يُلْفَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلُ
وليس المأمورُ والأمرُ والمطيعُ والمطاعُ من التجنيس ، لأن الاختلاف بين هذه الكلمات لأجل أن بعضها فاعل ، وبعضها مفعول به ؛ وأصلها إنما هو الأمر والطاعة . وكتاب الأجناس الذي جعلوه لهذا الباب مثالا إنما يصف على هذه السبيل ، ويكون المطيع مع المستطيع ، والأمر مع الأمير تجنيسا . وجعل أيضاً من التجنيس قول الآخر :

ذو الحِلْمِ مَنَّا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ وَذو الجَهْلِ مَنَّا عَن أَذَاهُ حَلِيمٌ

(١) في ١ : « في الصنعة والبناء واشتقاق المعنى » . (٢) مسلم بن الوليد ، هامش ، وصدرة :

* يا صاح إن أخاك الصب مهموم *

(٣) ديوانه : ١٠٨ ، يصف قوماً بالحزم .

ليس بتجنيس ، وكذلك قول خدّاش بن زهير :

ولسكن عايش ما عاش حتى إذا ما كادَهُ الأيام كيدا
وقال الشَّنْفَرِيُّ (١) :

وَإِنِّي لَأَحْلُوُّ إِنْ أُرِيدَ حَالَوِي وَمُرُّهُ إِذَا النِّفْسَ العَزُوفَ أَمَرْتُ (٢)

وقال العَجَّيرُ السَّالُوِيُّ (٣) :
يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا
وقول الآخر :

وساعٍ مَعَ السُّلْطَانِ يَسْمَى عَلَيْهِمْ وَمَحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسٌ
وقول تَابِطِ شَرًّا (٤) :

بَرَى الوَحْشَةَ الأُنْسَ الأُنْسَ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكُ (٥)

وقول الآخر :
صَبَّتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ كَثْبٍ إِنْ الشَّقَاءُ عَلَى الأَشْقِيْنَ مَصْبُوبٌ

ليس في هذه الألفاظ تجنيس ؛ وإنما اختلفت هذه الكلم للتصريف .

فمن التجنيس في القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالتَّفَتُّ السَّاقِ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾ ، الرُّوحُ : الراحة ،

والريحان : الرزق .

(١) مهذب الأغاني : ١ - ٥٧ . (٢) رواية المهذب : « استمرت » .

(٣) الأمالي : ١ - ٢٧٥ . (٤) ديوان الحماسة : ١ - ٢٣ .

(٥) أم النجوم : الشمس . والشوابك : النجوم .

وقوله سبحانه : ﴿ تَمَّ كَلِي مِنْ كَلِّ التَّمَرَاتِ ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴾ ، الآزفة : اسم ليوم القيامة .
فهذا كقول امرئ القيس :

* لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَا حُ (١) *

وليس هذا كقولهم : « أمر الأمر » . هذا ليس بتجنيس .

وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم : « عُصِيَّةٌ عصت الله ورسوله ، وغفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » (٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .
أخذه أبو تمام ، فقال (٣) :

جَلَا ظَلَمَاتِ الظُّلْمِ عَنْ وَجْهِ أُمِيَّةٍ أضَاءَ لها مِنْ كَوَكَبِ العَدْلِ آفَلُهُ
وقيل له صلى الله عليه وسلم : مَنْ الْمُسْلِمُ ؟ فقال : « مَنْ سَلِمَ السَّمْعُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدُهُ » .
وقال معاوية لابن عباس رضى الله عنهم : ما بالكُم يا بنى هاشم تُصَابُونَ فِي
أَبْصَارِكُمْ ؟ فقال : كما تُصَابُونَ فِي بَصَائِرِكُمْ يَا بَنِي أُمِيَّةِ ! . وقال صدقة بن عامر - وقد
مات له بنون سبعة فرآهم قد سُجُّوا : اللَّهُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ مُسْلِمٌ . وقال رجل من قُرَيْشٍ
لخالد بن صفوان : ما اسمك ؟ قال : خالد بنُ صَفْوَانَ بنِ الأَهْتَمِ ، فقال الرجل : إِنَّ
اسْمَكَ لَكَاذِبٌ ، ما خُلِدَ أَحَدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكَ لَصَفْوَانَ وَهُوَ حَجَرٌ ، وَإِنَّ جَدَّكَ لِأَهْتَمِ
وَإِنَّ الصَّحِيحَ خَيْرٌ مِنَ الأَهْتَمِ . قال خالد : مِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ ؟ قال : مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ،
قال : فَمَا لَكَ يَشْتَمُ تَمِيمًا فِي عِزِّهَا وَحَسَبِهَا ، وَقَدْ هَشَمْتَكَ هَاشِمٌ ، وَأَمَّنَّكَ أُمِيَّةٌ ،
وَجَمَّحَتْ بِكَ جُمَحٌ ، وَخَزَمَتْكَ خَزُومٌ ، وَأَفْصَتْكَ قُصَى ، فَجَمَلَتْكَ عَبْدَ دَارِهَا
وَمَوَّضِعَ شَنَارِهَا ، فَتَفْتَحُ لَهُمُ الأبْوَابَ إِذَا دَخَلُوا ، وَتَنْقَلِبُهَا إِذَا خَرَجُوا .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَكُونُ ذُو الوَجْهِينِ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً » .

(١) من قوله في ديوانه ١٤٢ :

ليلبسى من دائه ما تلبسا

(٣) ديوانه : ٢٣١ .

لقد طمح الطماح من بعد أرضه

(٢) عصى وغفار وأسلم : قبائل

وكتب بعض الكتاب : العذر مع التمدد واجب . وقيل لبعضهم : ما بقي من نكاحك؟ قال : ما يقطع حُجَّتَها ولا يُبلِّغ حاجَّتَها . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : هاجروا ولا تهجَّروا ، أى لا تشبهوا بالمهاجرين من غير إفضال . وكتب بعض الكتاب : قدر خصت الضرورة فى الإلحاح ، وأرجو أن تحسن النظر ، كما أحسنت الانتظار .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال : حكى لى محمد بن يحيى عن عبد الله بن المعتز ، قال : قدَّم فى بعض المجالس إلى صديق لنا بخورا ، فقال له صاحب المجلس : تبخَّر ، فإنه نَدَّ (١) ، فلما استعمله لم يستطبه ، فقال : هذا نَدَّ عن النَدِّ .

ومثله ما حكى لنا أبو أحمد عن الصُّولى أن إبراهيم بن المهدي زار صديقا له استدعى زيارته ، فوجده سكران ، فكتب فى رقعة جعلها عند رأسه :

* رحنا إليك وقد راحت بك الراح *

وروى بعضهم أن عبد الله بن إدريس سئل عن النبيذ ، فقال : جَلَّ أمرُه عن المسئلة ، أجمع أهل الحرَمين على تحريمه . وذم أعرابي رجلا فقال : إذا سأل ألحَف ، وإذا سئل سَوَّف ، يَحْسُد على الفضل ، ويَزهد فى الإفضال .

وكتب العتابي إلى مالك بن طوق : أما بعد فاكتسب أدبا ، تُحى نسبنا ، واعلم أن قريبتك من قُرْب منك خيره ، وأن ابن عمك من عمك نفعه ، وأن أحب الناس إليك أجداهم بالنفعة عليك . وقال آخر : اللهم افتح اللهم (٢) .

وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم الكاغدى ، قال : أخبرنا أبو بكر العَمَدى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الخراز ، قال : دخل فيروز حصين على الحجاج - وعنده الغضبان بن القُبَعْرَى - فقال له الحجاج : زعم الغضبان أن قومه خير من قومك ، فقال : أ كذاك يا غضبان ؟ ، قال : نعم ، فقال فيروز : أصلح الله الأمير !

(١) الندد : من أنواع الطيب . (٢) اللهم ، بالضم : جمع لهوة ، وهى العظيمة . واللهما ، بالفتح : جمع لهاة ، وهى اللحمة المنسرفة على الخلق .

اعتبر قومي وقومه بأسمائهم ، هذا غضبان ، غضب الله عليه ، والتبعمري اسم قبيل
من بني ثعلبة شر السباع ، ابن بكر شر الإبل ، ابن وائل له الويل ؛ وأنا فيروز
فيروز به ، حصين حصن وحرز ، والعنبر ربح طيبة ، من بني عمرو ، عمارة وخير ،
من تميم تم ، فقوي^(١) خير من قومه وأنا خير منه .

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي ، قال سمعت الحنفي
يتحدثون أن جريرا ، قال : لولا ما شغلني من هذه الكلاب^(٢) لشببت تشيبيا نحن
منه المعجوز إلى شبابها .

ومن أشتار المتقدمين في التجنيس قول امرئ القيس^(٣) :

لقد طمَح الطَّمَاحِ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبَسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا^(٤)
وَأَخَذَهُ السَّكْمِيتُ فَقَالَ^(٥) :

وَنَحْنُ طَمَحْنَا لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ بَعْدَ مَا رَجَا الْمَلِكُ بِالطَّمَاحِ نَكْبًا عَلَى نَكْبِ
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ - وَذَكَرَ وَادِيَا^(٦) :

خُفَّافٌ أَخَفَّ اللَّهُ عَنْهُ سَحَابَةٌ وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبِ
وَقَالَ زَهْرٍ^(٧) :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرَةٌ^(٨) مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أُمَّمُ^(٩)
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ^(١٠) :

قَدْ سَالَ فِي أَسْلَاتِنَا أَوْعَاضُهُ عَضْبٌ بِضَرْبَتِهِ الْمَلُوكُ تَقْتَلُ

(١) في الأصول وأماقومي . (٢) يعني بهم الأخطل ، والفرزدق ، والبيث ؛ ممن كان يهاجمهم .

(٣) ديوانه : ١٤٢ . (٤) طمَح : نظر إليه من بعد . والطامح : رجل من بني أسد

بعثه قيصر إلى امرئ القيس بحلة مسمومة فلبسها ، وتقرح جسمه ثم مات .

(٥) اللسان (طمح) . (٦) نقد الشعر : ٩٧ . (٧) ديوانه : ١٤٨ .

(٨) في الديوان : «وعيرة» . (٩) السليل : واد . والأمم : التقصد بين القريب والبعيد .

(١٠) اللسان (أسل) ، وروايته فيه :

قدمت في أسلاتنا أو عضة عصب بروقه القلوب تقتل
والأسلات : الرماح .

وقال النابغة (١) :

* وأقطع الخرقَ بالخرقاء لاهية (٢) *

وقال غيره (٣) :

على صرّماء فيها أضرمّاها وخربتُ الفلاةَ بها مليل (٤)

وقال قيس بن عاصم (٥) :

ونحن حفرّنا الحوفزانَ بطمئةً ستمته نجيمًا من دم الجوف أشكلا (٦)

وقال (٧) :

وقاظ أسيرا هانيء وكأما مفارق مفروق تغشينَ عندما

وقال أمية بن أبي الصلت :

فما أعتبتُ في النائبات مُمتبً ولكنّها طاشتُ وضمّلتُ حُلومها

وقال أوس بن حجر :

قد قلتُ للركب لو لا أنهم عَجَبوا عوجوا على فحيوها الحى أوسيروا

وفيها :

عرّ عرائرَ أبكارٍ نشانَ معا حُسنُ الخلائقِ عمّا يتقى زورُ

وفيها :

لكن يفرّ تاجَ فالخلصاءُ أبتُ بها فحنبلٍ فعلى سراءٍ مَسرور (٨)

(١) تقد الشعر ٩٨ ، ونسبه إلى مسكين الدارمي .

(٢) الحرق : الفلاة الواسعة . والخرقاء : الناقة ، وقهينة :

* إذا الكواكب كانت في الدجى برجاً *

(٣) اللسان (ملل) ، ونسبه إلى المرار . (٤) الصرّماء : المفازة التي لا ماء فيها ،

والأصرمان : الذئب والغراب ، سميا بذلك لا نصرامهما عن الناس . والحريت : دليل الصجر .

والليل : التي أحرقت الشمس . (٥) اللسان (شكل) . (٦) الحفر : الطعن بالرمح .

والحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيباني ، لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه فأعجمه .

والأشكلا : الأشجر . (٧) تقد الشعر : ٩٧ ، وروايته فيه : « وواض أسيراها به وكأما » .

(٨) فرتاج : موضع في بلاد طى . والخلصاء : ماء في البادية . والحنبل : موضع في بني تميم .

والسراء : اسم هضبة .

وفيها :

حتى أشب لهن الثور من كشبِ فأرسلوهنَّ لم يدرُوا بما يبرُوا
وقال الكمي (١) :

فقل لجذام قد جدمتم وسيلةً إلينا كخنتار الرداف على الرّحلِ
وقال طرفة (٢) :

بجسام سيفك أو لسانك والـ ككلم الأصيل كأرغب الكلمِ
وقال القحيف :

* بخيل من فوارسها اختيال *

وقال النعمان بن بشير لمعاوية (٣) :
ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليلك عمّا ناب قومك نائم
وقال العبسي (٤) :

أبلغ لديك بنى سعدٍ مُغلغلةً أن الذي ينهها قد مات أو دنفاً
وذاكم أن ذلّ الجارِ حالفكم وأن أنفسكم لا يعرف الأنفا
وقال جليح بن سويد :

* أقبلان من مصر يبارين البرا *

وقال ذو الرمة (٥) :
كأن البرى والماج عيجت متونه على عُشرٍ نهى به السيل أبطحُ
وقال حيان بن ربيعة الطائي :

لقد علم القبائل أن قومي لهم حدّ إذا لبس الحديدُ

(١) نقد الشعر : ٩٨ . (٢) ديوانه : ٦١ . (٣) نقد الشعر : ٩٨ .
(٤) نقد الشعر : ٩٨ . (٥) ديوانه : ٨١ . (٦) نقد الشعر : ٩٧ .

وقال القطامي :

فلما ردها في الشولِ شالت

بذيبالٍ يكون لها لفاعا

وقال جرير (١) :

وما زال معقولا عقالاً عن الندى

وما زال محبوسا عن الخير حابس (٢)

وقال امرؤ القيس (٣) :

بلاد عريضة وأرض أريضة

مدافع غيث في فضاء عريض

وقال آخر :

* وطيب ثمار في رياض أريضة *
وقال محمد الأرقط :

* مرتبجز في عارض عريض *
ومن أشعار المحدثين قول الشاعر (٤) :

وسميته يحيي ليحيي ولم يكن

إلى رد أمر الله فيه سبيل

تيممت فيه الفأل حين رزقته

ولم أدر أن الفأل فيه يفيل

وقال البحتري (٥) :

نسيمُ الروض في ربحِ شمال

وصوبُ المزن في رآحِ شمول

وهذا من أحسن ما في هذا الباب ، وقال أبو تمام (٦) :

سعدتُ غربة النوى بسُعادِ

فهي طوع الإتهامِ والإنجادِ

وهذا من الابتداءات المليحة ، وقال فيها :

عائقٌ مُعتقٌ من اللومِ إلا

من مُعاناة مغرمٍ أو نجاد (٧)

(١) ديوانه : ٣٢٦ . (٢) ديوانه : ٩٩ . (٣) ديوانه : ١٠٨ . (٤) معامد

التنصيص : ٣-٢٠٨ ، ونسبهما إلى محمد بن عبدالله بن كنانة الأسدی ، ورواية البيت الثاني هناك :
تفاهت لو يعني التفاؤل باسمه وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

(٥) ديوانه : ٢-١٦٠ . (٦) ديوانه : ٧٥ . (٧) العائق : بين المنكب والعنق .

والنجاد : خائل السيف .

مَلَيْتِكَ الْأَحْسَابَ أَيَّ حَيَاةٍ
لَوْ تَرَاخَتْ يَدَاكَ عَنْهَا فُؤَادًا (١)
كَادَتْ الْمَكْرَمَاتُ تَنْهَدُ لَوْلَا
وَقَالَ الْبَجْتَرِيُّ (٢) :

وَأَصَابَ مَغْنَاكَ الْغَنَامُ الصَّيْبُ
رَاحَتْ لِأَرْزُومِكَ الرِّيحُ مَرِيضَةً
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

نَعِبْتُ بِهَا حَتَّى مَحَتْ آثَارَهَا
رِيحَانٌ رَائِحَتَانِ بَاكِرَتَانِ
وَقَالَ آخَرُ :

لَا يُصْعَقُ لِلْوَمِ إِلَّا اللَّوْمَ تَضْلِيلُ
فَقَدْ مَضَى الْقَمِيْظُ وَاحْتَمَلَتْ رِوَاخِلُهُ
وَأَثَرُ فِي الْأَرْضِ نَبْتٌ يَشْتَكِي مَرَّهَا
وَقَالَ الْبَزِيدِيُّ لِلْأَصْمَعِيِّ :

وَمَا أَنْتَ هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَمْرٌ
إِذَا صَحَّ أَصْلُكَ مِنْ بَاهِلَةٍ
وَلِلْبَاهِلِيِّ عَلَى خُبْرِهِ

وَقَالَ آخَرُ :

قَدْ بَلَغْتَ الْأَشَدَّ لَا شَدَّكَ اللَّهُ
وَأَنْتَ مَلِيْمٌ (٣)

وَقَالَ مُسْلِمٌ :

يُورِي بَرْنَدِكَ أَوْ يُسْمِي بِمَجْدِكَ أَوْ
يُفْرِي بِمَجْدِكَ كُلُّ غَيْرٍ مُحْدودِ

وَقَالَ :

وَلَيْسَ يَبَالِي حِينَ يَحْتَكُّ جَجْرُهَا
صَدُودٌ صُدَاءٌ وَاجْتِنَابُ بَنِي جَنْبِ

(١) الفوائد في الأصل : ما بين الحلبتين .
(٢) ديوانه : ١ - ٦٢ .
(٣) في « وأنت مريب » . (٤) صداء وجنب : قبيلتان . (٥) صداء وجنب : قبيلتان .

وقال البحترى (١) :

لولا على بن مرّ لاستمرّ بنا
برّد الحشا وهجير الروع محتفل
ألوى إذا شابك الأعداء كرههم
جاني المضاجع ما ينفك في لجب
وقال (٢) :

حيا الأرض ألفت فوقه الأرض ثقّلها
ستبكيه عين لا ترى الخير بعمده
وقال الطائي :

ورمى بثغرة الثغور فسدّها
وأنشدني العتي :

دنس القميص غليظهُ
وشعاره من شعره
من غير لجمته سداه
فكأنه من مسك (٤) شاه

وجنس أبو تمام أربع تجنيسات في بيت واحد، ولعله لم يُسبق إليه وهو قوله (٥) :

بجوافرٍ حفرٍ وصلبٍ وصلبٍ
وأشاعرٍ شعرٍ وخلقٍ أخلقٍ (٦)

وقوله أيضاً :

لسلمى سلامان وعمره عامر
ومما جنس فيه تجنيسين ، قوله (٧) :

فَفَصَلَنْ مِنْهُ كُلَّ جَمْعٍ مَفْصَلٍ
وَفَعَلَنْ فَاقِرَّةً بِكُلِّ فِقَارٍ (٨)

(١) ديوانه : ٢ - ٤٣ . (٢) المسعر : الشجاع . (٣) ديوانه : ١٩٤ .

(٤) المسك : الجلد . (٥) ديوانه : ٢١١ . (٦) حفر : مستديرة . صلب :

شديدة . الأشاعر : ماحول الحافر . شعر : كثيرة الشعر . أخلق : أملس .

(٧) ديوانه : ١٥٣ . (٨) الفارقة : الداهية . والفقار : خرزات الظهر .

ومن التجنيس ضرب آخر ، وهو أن تأتي بكلمتين متجانستى الحروف ؛ إلا أن
في حروفها تقدماً وتأخيراً ، كقول أبي تمام (١) :

بيضُ الصفائح لا سودُ الصفائف في متونهنَّ جِلاه الشكُّ والريبُ
وقلت في حية :

منقوشة تحكى صدور صفائف إبان يبدو من صدور صفائح

وقيل لابنة الخُسِّ : كيف زينت مع عقلك ؟ فقالت : طول السواد ، وقربُ الوساد ،
ومن التجنيس نوع آخر يخالف ما تقدم بزيادة حرف أو نقصانه ، وهو مثل
قول الله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَهْوُونَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ كَمَرَّضَ
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ﴾ . وقوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ ، وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ،
وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ .

وكتب عبد الحميد : الناس أخفافٌ مختلفون ، وأطوارٌ مُتباينون ؛ منهم علق
مَضِنَّةٌ لا يُباع ، ومنهم غُلٌّ مظنةٌ لا يُبتاع .

ورفع رجل هاشمي يسمي عبد الصمد صوته في مجلس المأمون عند مناظرة ،

فقال المأمون :

لا ترفعن صوتك يا عبد الصمد إن الصواب في الأسد لا الأشدَّ

وكتب كافي الكفاة رحمه الله : فأنت أدام الله عزك ، وأن طويت عنا خبرك ،

وجعلت وطنك وطرك ، فأبناؤك تاتينا ، كما وشى بالمسك رباه ، ودل على الصبح
حياه .

وقال علي رضي الله عنه : كل شيء يعز حين ينزر ، والعلم يعز حين يغزر .

وقال بعضهم : عايك بالصبر ، فإنه سبب النصر ، ولا تخض الغمر ، حتى تعرف الغور . وقال آخر : راش سهامه بالعقوق ، ولوى ماله عن الحقوق .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .
ودعا علي بن عبد العزيز المافروخي صاعد بن مخلد في يوم مطير ، فتخلف عنه واعتذر إليه . فكتب إليه علي : ما شق طريق هدى إلى صديق . وإنما جُمِلت الماطر ، لليوم الماطر . فركب إليه . ومن المنظوم قول الأعشى (١) :

رب حَيَّ أَشْقَاهُمْ آخِرَ الدَّهْرِ رَوْحِيَّ أَشْقَاهُمْ بِسِجَالِ
وقوله (٢) :

* بَلْبُونِ الْمِعْزَابَةِ الْمِعْزَالِ (٣) *

وقول أوس بن حجر (٤) :

أَقُولُ فَأَمَّا النِّكَرَاتِ فَأَتَقَى وَأَمَّا الشَّدَا عَنِّي الْمَمَّ فَأَشْدِبُ (٥)
وقال امرؤ القيس (٦) :

* بِسَامٍ سَاهِمٍ الْوَجْهَ حُسَانِ *

وقال ابن مقبل :

يَمْسِينُ هَيْلِ (٧) النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينًا

(١) ديوانه ١١ ، والجمهرة : ٩٦ ، والرواية هناك :

رب حَيَّ سَقَيْتَهُمْ صَرَعَ الْمَوْتُ وَحَيَّ سَقَيْتَهُمْ بِسِجَالِ
والسجال : الدلاء .

(٢) اللسان (عزل) ، وصدره : * تَخْرُجُ الشَّيْخُ عَنْ بَيْتِهِ وَتَلْوَى *

(٣) المعزال : الراعي المنفرد . (٤) اللسان (شند) .

(٥) الشدا : الأذى . وأشذب : أذف . (٦) ديوانه : ١٢٨ ، والسامى : الفرس

المشرف المرتفع . والساهم : قليل لحم الوجه . وحسان : حسن ؛ والبيت بتمامه :

وخرق كجوف العير قعر مضلة قطع بسام ساهم الوجه حسان

(٧) الهيل من الرمل : الذى لا يثبت مكانه .

وقال زهير (١) :

هُمُ يَضِرُّونَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ أَحَقُّوا لَا يَنْكُونَ إِذَا مَا اسْتَلْحَمُوا وَحَمُّوا (٢)

وقال :

* في متناه متناه كوكبه *

وقال الحطيئة (٣) :

وَإِنْ كَانَتْ النَّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدَّوْا

وقال آخر :

* مطاعينُ في الهَيْجَا مطاعيمُ في الْقِرَى *

وقال أبو ذؤيب (٤) :

إِذَا مَا اخْتَلَجِمْ الْعَلَاجِيمُ نَسَكَّوْا وَطَالَ عَلَيْهِمْ حَمِيْهَا وَسَمَارُهَا (٥)

وقال آخر :

* عَلَى الْهَامِ مِنْهَا قَيْضُ بَيْضٍ مُفَلَّقِ (٦) *

وقال :

كَفَّاهُ مَخْلَفَةٌ وَمَتَلَفَةٌ وَعَطَاؤُهُ مَتَخْرَقٌ جَزَلٌ

ومن شعر المحدثين قول البحترى (٧) :

مَنْ كُلَّ سَاجِي الطَّرْفِ أَغْيَدَ أَجِيدٍ وَمَهْفَهفِ الْكَشْحَيْنِ أَحْوَى أَحْوَرٍ

وقوله (٨) :

فَقَفْتُ مَسْعِدًا فِيهِمْ إِنْ كُنْتُ عَاذِرًا وَسِرُّ مَبْعَدًا عَنْهُمْ إِنْ كُنْتُ عَاذِلًا

وقوله (٩) :

سِنَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ وَسَيْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ

(١) ديوانه : ١٥٩ . (٢) حبيك البيض : طرائقه . استلحموا : أدرکوا . حموا :

غضبوا . (٣) ديوانه : ٢٠ . (٤) ديوان الهذليين : ١ - ٣٢ .

(٥) الخلاخيم والعلاجيم : الطوال . ونكأوا : جنبوا . وسعارها : حرها .

(٦) القَيْضُ : قشرة البيض العليا اليابسة . (٧) ديوانه : ١ - ٢١٣ .

(٨) ديوانه : ٢ - ٣١٢ . (٩) ديوانه : ٢ - ١٦٢ .

وقوله (١) :

هل لما فات من تلافٍ تلافٍ . أو لشاكٍ من الصبابة شافٍ .

وقول أبي تمام (٢) :

يَمْدُون من أيدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ . تصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ (٣)

إذا الخيلُ جابتُ قسطلُ الحربِ صدَّعُوا . صدورَ العوَالِي في صدورِ الكَتَابِ (٤)

وقوله (٥) :

ولم أرَ كالمعروفِ تدعى حَقْوَه . منارَمَ في الأَقْوَامِ وهي مَنَامُ

وقول الآخر :

لله ما صنعت بنا . تلك المهاجرُ في المعاجرُ

أَمْضَى وَأَنْفَدُ في القَاوِ . ب من الخناجرِ في الخناجرُ

وقلت :

عذيرى من دهرٍ مُوَارٍ مُوَارِبٍ . له حسنات كلهن ذنوبُ

وقلت :

آفة السر من جفوع . ن دوام دوامع

كيف يخفى معَ الدموع . ع الهوامي الهوامع

وقلت أيضاً :

خليفة شهيم كلما اسمحت محت . معالم جذب لم يطق محوها المطرُ

ومما عيب من التجنيس قول أبي تمام (٦) :

أهيسُ أليسُ لجلاءٍ إلى همهم . تفرَّقُ الأَسَدُ في آذِيهَا اللَيْسَا (٧)

ومما عيب من التجنيس الأول قول أبي تمام (٨) :

خان الصفا أخُ خان الزمانِ أخوا . عنه فلم تتخونَ جِسْمَه الكمدُ

(١) ديوانه : ١ - ١٠٨ . (٢) ديوانه : ٤٢ . (٣) عواصم : موانع . قواض : قواض :

قاضيات . قاضيات : قواطع . (٤) جابت : قطعت . القسطل : القبار . صدعوا : شققوا .

العوالي : الرماح . (٥) ديوانه : ٢٨٦ . (٦) ديوانه : ١٧٢ .

(٧) الأهميس والأليس : الشجاع . والآذى : الموج . (٨) ديوانه : ٣٦٦ .

وقوله (١) :

قَرَّتْ بِقُرْآنِ عَيْنِ الدِّينِ وَانْشَرَّتْ بِالْأَشْرَتَيْنِ عَيُونَ الشَّرِّكَ فَاصْطَلَمَا (٢)

فهذا مع غشائة لفظه وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر ، وهو أن انشتار العين لا يوجب الاصطلام ، وقوله (٣) :

إِنْ مِنْ عَقٍّ وَالِدِيهِ لَمَلَمَوْا
نِ وَمِنْ عَقٍّ مَنَزَلًا بِالْمَقِيْقِ
وقوله (٤) :

* خَشَنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي حُشَيْنِ *

وهذا في غاية المهجاة والشناعة .

وقد جاء في أشعار المتقدمين من هذا الجنس نبذ يسير منه قول امرئ القيس (٥) :

وَسَنَّ كَسْنِيْقٍ سِنَاءً وَسَنَّمَا ذَعَرْتُ بِمَدْلَاجِ الْمَجِيْرِ نَهْوَضِ (٦)

ولم يعرف الأصمعي وأبو عمرو معنى هذا البيت ، وقال الأعشى (٧) :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْخَانَوَاتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مَشَلٍّ شَاوُلٍ شَلْشَلٍّ شَاوُلٍ

تبعة مسلم بن الوليد ، فقال (٨) :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ مُمَّ سَلَّ سَلِيْبَهَا فَأَتَى سَلِيْلٌ سَلِيْلِيْبَهَا مَسَاوِلَا

وقال أبو الغمر يصف السحاب :

نَسَجَتْهُ الْجَنُوبُ وَهِيَ صِنَاعٌ فَتَرَقَى كَأَنَّهُ حَبَشِيٌّ

وقرى كل قرية كان يقروها قَرَى لا ييحف منه قَرَى

وهذا مستهجن لا يجوز لمتأخر أن يجعله حجة في إتيان مثله ؛ لأن هذا وأمثاله

شاذ معيب ، والعيب من كل أحد معيب ، وإنما الاقتداء في الصواب لا في الخطأ .

(١) ديوانه : ٢٠٣ . (٢) قران : محل . انشرت : انشت . اصطلم : قطع من أصله .

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) ديوانه : ٣٢١ ، وبقيته : * وأنجح فيك قول الماذلين *

(٥) ديوانه : ١١٣ ، ومعاني الشعر الكبير : ٧٧٢ . (٦) سن : نور . وسنيق : جبل .

سنا : ارتفاع . سنا : برة . مدلاج : من دلج : أي مشى . (٧) اللغات : ٢٨٩ .

(٨) نهاية الأرب : ٧ - ٩٨ .

وقد قال بعض التأخرين ماهو أفتح من جميع مامر في قوله وليس من التجنيس (١):
ولا الضَّعْفُ حَتَّى يَتَّبَعَ الضَّعْفَ ضِعْفُهُ ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضَّعْفِ بِلِ مِثْلِهِ أَلْفُ
وقوله (٢):

فقلقتُ بالهمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الحِشَا قَلَا قَلَّ عَيْسٍ كَأَنَّ قَلَا قَلُّ
وقيل لأبي القمقام: ألا تخرج إلى الفزاة بالمصيصة؟ فقال: أمصني الله إذا بَطَّرَ أمي!
ومن التجنيس المعيب قولُ بعض المحدثين ، أنشده ابن المعتز:
أكابد منكم أليم الألم وقد أنحلَّ الجسمَ بعدَ الجسمِ
وقول الآخر:

كم رأسِ رأسِ بكى من غير مقلته دماً وتحمسبُه بالقاع مُبْتَسِمًا
وقول إبراهيم أبو الفرج البندنجي في عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر:
هي الجَادِرُ إِلَّا أَنَّهَا حُورٌ كأنها صور لكنَّها صور
نور الحِجَالِ ولكن من مهابها إذا طلبت هواها أنها نُورُ
غيداء لو بُلَّ طرفُ الباليِّ بها لارتدَّ وهو بغير السَّحَرِ مسحورُ
إن الرواحَ جَلَا رَوْحَ العِراقِ لنا أصلاً وقد فَصَلَتْ من مَكَّةِ الميرُ
تشكو العقوقَ وقد عَقَّ المقيق لها وأرض عُروَةَ من بطحان فالنيرُ
يحتثُّها كلُّ زَوَلٍ دأبه دأب من طول شوق وهجِّيراه تَهْجِيرُ
مُقَوَّرَةُ الآلِ من خَوْضِ الفلاةِ إذا ما اعمَّ بِالآلِ في أرجائها القورُ
هذا البيت قريب من قول أبي تمام (٣):

أحطتُ بالجزم (٤) حَيْرٌ وَمَا أَخَا هِمَّ
وقال الخزومي (٥) في طاهر بن الحسين:

ولو رأى هَرِيمٌ معشارِ نائِله لقليل في هَرِيمٍ قد جُنَّ أو هَرِمَا

(١) هو التنبي ، والبيت في ديوانه : ٢ - ٢٩٠ . (٢) ديوانه : ٣ - ١٧٦ .
(٣) ديوانه : ٦٩ . (٤) الجزوم: ضلع الفؤاد . (٥) كذا في ط ، وفي «المهزبي» .

الفصل الرابع

في المقابلة

المقابلة في
المعنى

المقابلة: إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة. فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل؛ مثاله قول الله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾؛ نفوا بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم. ونحو قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا وَمَكْرَؤًا مَكْرًا ﴾؛ فالكر من الله تعالى العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لكرهم بأنبيائه وأهل طاعته.

وقوله سبحانه: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ .

ومن ذلك قول تأبط شرا^(١):

أهزُّ به في ندوة الحى عطفه كما هزَّ عطفى بالهيجان الأوارك^(٢)

وقول الآخر:

وَمَنْ لَوْ أَرَاهُ صَادِيًا لَسَقَيْتُهُ وَمَنْ لَوْ رَأَى صَادِيًا لَسَقَانِي

وَمَنْ لَوْ أَرَاهُ عَانِيًا لَفَدَيْتُهُ وَمَنْ لَوْ رَأَى عَانِيًا لَفَدَانِي

فهذا مقابلة باللفظ والمعنى .

وأما ما كان منها بالألغاز، فمثل قول عدى بن الرقاع^(٣):

ولقد نثيتُ يد الفتاةِ وسادةً لى جاعلا إحدى يديَّ وسادها

وقال عمرو بن كلثوم^(٤):

ورثناهنَّ عن آباءِ صدقٍ ونورِها إذا مُتتنا بِنينا

(٢) ندوة الحى: مجتمعه . وعطفه: جانبه .

(١) ديوان الحماسة: ١ - ٢٢ .

والأوارك: التى ترعى شجر الأراك . (٣) الطرائف الأدبية: ٨٩ . (٤) العلقات: ٤ - ٢٣ .

(٢٢ - الصناعتين)

المقابلة
بالألغاز

ومن النثر قول بعضهم : فإنَّ أهلَ الرأى والنصح لا يساويهم ذو الأَفْنِ والغشِّ ،
وليس مَنْ جَمَعَ إلى الكفاية الأمانة ، كمن أضافَ إلى العَجْزِ الخيانة . فجعلَ بإزاء
الرأى الأَفْنَ وبإزاء الأمانة الخيانة ؛ فهذا على وجه المخالفة .

وقيل للرشيد : إنَّ عبدَ الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه ، فأنكر ذلك الرشيد ، وقال :
إذا دَخَلَ فقولوا له : وُلِدَ لأمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ، ففعلوا . فقال :
سركَ اللهُ يا أمير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعلها واحدة بواحدة ،
ثوابَ الشاكر ، وأجرَ الصابر ؛ فعرفوا أنَّ بلاغته طبع .

وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد يَسْتَعْفِيهِ من عمل : سُكْرِي
لك على ما أريد الخروج منه شكرٌ مَنْ نال الدخول فيه .

وكتب بعضُ الكتاب إلى رجل : فلو أنَّ الأقدارَ إذْ رمتْ بك في المراتب إلى
أعلاها بلغتْ بك من أفعالِ السوَدِّ منهاها لوازنت مساعيك مراقيك ، وعادت
النعمةُ عليك النعمةَ فيك ، ولكنك قابلت رفيع المراتب بوضيع الشِّمِّ ؛ فمادعلوك
بالاتفاق إلى حال دونك بالاستحقاق ، وصار جناحُك في الانهياض^(١) إلى مثل ما عليه
قدرُك في الانخفاض ؛ ولا عجب أن القدر أذنب فيك فأنا ، وغلِط بك فماد إلى
الصواب ؛ فأكثر هذه الألفاظ مقابلة . وقال الجهمي^(٢) :

فَتَى كان فيه ما يسرُّ صديقَه على أن فيه ما يسوءُ الأعدايا
وقال آخر^(٣) :

وإذا حديث ساءني لم أكتبُ وإذا حديثٌ سرني لم أُشِرْ^(٤)
وهذا في غاية التقابل .

ومن مقابلة المعاني بعضها لبعض ، وهو من النوع الذي تقدم في أول الفصل قول الآخر :
وذى أخوةٍ قَطَّعت أقرانَ بينهم كما تركوني واحداً لا أخاليا

(١) انهياض الجناح : انكساره (٢) نهاية الأرب : ٧-١٠٢ . (٣) تقد الشعر : ٧٩ .
(٤) الأشر : المرح والبطر .

وقول الآخر (١) :

أسرناهم وأنمنا عليهم وأسقينا دماءهم التراباً

فأصبروا لبأس عند حرب ولا أدوا لحسن يد ثواباً

فجعل بإزاء الحرب أن لم يهسبروا، وإزاء النعمة أن لم يثيبوا؛ فقابل على وجه المخالفة.

وقال آخر (٢) :

جزى الله عنا ذات بعل تصدقتُ على عزبٍ حتى يكون له أهلٌ

فإننا سنجزئها بمثل فمالها إذا ما تزوجنا وليس لها بعلٌ

فجعل حاجته وهو عزبٌ بحاجتها وهي عزب ، ووصاله إياها في حال عزبتها ، كوصالها إياه في حال عزبته ؛ فقابل من جهة الموافقة .

ومن سوء المقابلة قول امرئ القيس (٣) :

فلو أنها نفس تموت سويةً ولكنها نفس تساقط (٤) أنفاساً

ليس « سوية » بموافق « لتساقط » ولا مخالف له ، ولهذا غيره أهل المعرفة فجملوه « جمعة » ؛ لأنه بمقابلة « تساقط » أليق .

فساد المقابلة أن تذكر معنى تقتضى الحال ذكرها بموافقة أو مخالفة ، فيؤتى نساداً للمقابلة بما لا يوافق ولا يخالف ، مثل أن يقال : فلان شديد البأس ، نقي الثغر ، أو جواد الكف ، أبيض الثوب . أو تقول : ما صاحبته خيراً ، ولا فاسقاً ، وما جاءني أحمراً ، ولا أسمر . ووجه الكلام أن تقول : ما جاءني أحمراً ولا أسود ، وما صاحبته خيراً ولا شريراً ، وفلان شديد البأس ، عظيم النكاية ، وجواد الكف ، كثير العرف . وما يجري مع ذلك ؛ لأن السمرة لا تخالف السواد غاية المخالفة ، ونقاء الثغر لا يخالف شدة البأس ولا يوافقها ، فاعلم ذلك وقس عليه .

(١) نقد الشعر : ٨٠ ، ونسبها إلى الطرماح . (٢) نقد الشعر : ٨٠ .

(٣) ديوانه : ١٤٢ . (٤) أى يموت بموتها خلق كثير .

ومما يقرب من هذا قول أبي عدى القرشي (١) :
يا بن خير الأخيـار من عبـد شمس أنت زين الوري وغيث الجنود
فوضع « زين الوري » مع « غيث الجنود » في غاية السماجة .
وقريب منه قول الآخر (٢) :

* خـود تكامل فيها الدل والشنب *

ومثله قول أبي تمام (٣) :

وزيرُ حق ووالي شُرطة ورحى ديوان مُلك وشيعيٌ ومحتسبُ

ومن مختار المقابلة - وكان ينبغي تقديمه فلم يتفق - ما كتب الحسن بن وهب :
لا ترض لي يبسير البر ، فإنني لم أرض لك يبسير الشكر ، ودع عني مؤونة التقاضى
كما وضعت عنك مؤونة الإلحاح ، وأحضر من ذكرى في قلبك ماهو أ كفى من
قمودى بصدرك ؛ فإنني أحق من فعلت به ، كما أنك أحق من فعلت بي ، وحقق الظن ؛
فليس وراءك مذهب ، ولا عنك مقصر .

(١) نهاية الأرب : ٧ - ١٠٢ .

(٢) نهاية الأرب : ٧ : ١٠٢ .

(٣) ديوانه : ٤٨ .

الفصل الخامس

في صحة التقسيم

التقسيم الصحيح : أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه ؛ فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ، وهذا أحسن تقسيم ؛ لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطمع ، ليس فيهم ثالث .

ومن القسمة الصحيحة قول أعرابي لبعضهم : النعم ثلاث ؛ نعمة في حال كونها ، ونعمة ترحى مستقبله ، ونعمة تأتي غير محتسبه ؛ فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجيه ، وتفضل عليك بما لم تحتسبه ، فليس في أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى هذه الأقسام .

ووقف أعرابي على مجلس الحسن ، فقال : رحم الله عبداً أعطى من سعة ، أو آسى من كفاف ، أو آثر من قلة . فقال الحسن : ماترك لأحد عذراً ؛ فانصرف الأعرابي بخير كثير .

وقول إبراهيم بن العباس : وقسم الله تعالى عدوه أقساماً ثلاثة ؛ روحاً معجّلة إلى عذاب الله ، وجثة منصوبة لأولياء الله ، ورأساً منقولاً إلى دار خلافة الله . ليس لهذه الأقسام رابع أيضاً ؛ فهي في نهاية الصحة .

ومن المنظوم قول نصيب^(١) :

فقال فريق القوم . لا ، وفريقهم نعم ، وفريق لا يمن الله ماندى

(١) نقد الشعر : ٧٨ ، واللسان (يمن) وروايته فيه :

فقال فريق القوم لما نشبتهم نعم وفريق لمن الله ماندى

فليس في أقسام الإجابة عن المطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام .
قال الشماخ (١) :

متى ما تقع أرساغه مُطمئنةً على حجرٍ يَرَفُضُّ أو يتدحرج (٢)
والوطء الشديد إذا صادف الموطوء رِخوياً أرفض منه ، أو صلباً تدحرج عنه .
وقول الآخر (٣) :

يا أَسْمَ صَبْرًا على ما كان من حَدَثٍ إنَّ الحوادثَ ملقَى ومُنْتَظَرُ
وليس في الحوادث إلا ما لقي أو أنتظر لقيه .
وقول الآخر (٤) :

* والعيشُ شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ *

وكان عمر رضي الله عنه يتعجب من صحة هذه القسمة . وقول زهير (٥) :
فإنَّ الحقَّ مقطَعُهُ ثلاثٌ يمين أو نِفَارٌ أو جِلاءٌ (٦)
فذلِكُمُ مقاطعُ كلِّ حقِّ ثلاثٌ كلهنَّ لكمُ شِفاءُ
وكان يعجب أيضاً بهذا البيت ويقول : لو أدركت زهيراً لو ليته القضاء لعرفته .
ومن عيوب القسمة قول بعض العرب :

من عيوب
القسمة

سقاء سَقِيَّتَيْنِ اللهُ سَقِيًّا طهوراً والغمام يَرى الغمام
فقال : « سقيتين » ثم قال : « سقياً طهوراً » ، ولم يذكر الأخرى ، وقيل : أراد في
الدنيا وفي الآخرة ، وهذا مردود ؛ لأن الكلام لا يدل عليه . وقول عبيد الله بن سليم (٧) :
فهبطت غيثاً ما يُفزعُ وحشُهُ من بين مسربِ ناوى وكنوس
فقسم قسمة رديئة ؛ لأنه جعل الوحش بين سمين وداخل في كناسه . وكان ينبغي
أن يقول : من بين سمين وهزيل ، أو بين كانس وظاهر ؛ ويجوز أن يكون السمين

(١) ديوانه : ١٥ . (٢) مطمئنة : ساكنة . يرفض : يفرق . والبيت يصف فيه
صلابة سنايك الحمار . (٣) تقد الشعر : ٧٩ ، ونسبه إلى أبي زيد الطائي .
(٤) هو عبدة الطبيب ، المفضليات : ١٤١ ، صدره : * والمرء ساع لأمره ليس يدركه *
(٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) النفار : المنافرة . والجلاء : أن يتكشف الأمر .
(٧) قوله : ناوى ، أى سمين . يقال : نوى إذا سمن . قاله في النقد ، وسمى قائله عبد الله بن
سليم الغامدي ، ورواه سرباً بدل غيثاً وسرب بدل مسرب .

كانساً وراثماً والسكانس سمينا وهزيلا ، وما أعرف لهذا شيها إلا قول كيسان حين
سأل فقال : علقمة بن عبدة ، جاهلي أو من بني تميم ؟

ومثله ما كتب بعضهم : فن بين جريح مضر ج بدماثه ، وهارب يلتفت إلى وراثه ؛
فالجريح قد يكون هاربا ، والهارب قد يكون جريحا ؛ ولو قال : « فن قتيل » لصح المعنى .
ومثله قول قيس بن الخطيم :

وسأوا ضريح الكاهنين ومالكاً كم فيهما من دارع ونجيب

ليس النجيب من الدارع في شيء .

وقريب منه قول الأخطل :

إذا التقت الأبطال أبصرت لونه مضياً وأعناق الكماة خضوع

كان ينبغي أن يقول : وألوان الكماة كاسفة ، و« مضية » مع « خضوع » ردىء جدا .
ومن القسمة الرديئة قول جرير (١) :

صارت حنيفة أثلاثاً فثلتهم من العبيد وثئت من موالينا

فأنشده ورجل من حنيفة حاضر ، فقيل له : من أي قسم أنت . فقال : من الثلث

المنفى ذكره .

ومن هذا الجنس ما ذكره قدامة أن ابن ميادة كتب إلى عامل من عماله هرب
من صارفه : إنك لا تخلو في هربك من صارفك أن تكون قدّمت إليه إساءة خفته
مها ، أو خشيت في عمالك خيانة رهبت بكشفه إياك عنها ؛ فإن كنت أسأت
* فأول راض سنة من يسيرها (٢) *

وإن كنت خفت خيانة فلا بد من مطالبتك بها .

فكتب العامل تحت هذا التوقيع : في الأقسام ما لم يدخل فيما ذكرته ، وهو أني
خفت ظلمه إياي بالبعد عنك ، وتكثيره عليّ الباطل عندك ؛ فوجدت الحرب إلى حيث
يمكنني فيه دفع ما يتخرّصه أنفي للظنة عني ، وبعدي عنّ لا يؤمن ظلمه أولى بالاحتياط لنفسى .

(٢) نقد الشعر ٩٠

(١) نقد الشعر : ١١٨ .

ومن القسمة الرديئة أيضاً قول ابن القرية: الناس ثلاثة؛ عاقل، وأحمق، وفاجر،
فالفاجر يجوز أن يكون أحمق، ويجوز أن يكون عاقلاً، والعاقل يجوز أن يكون
فاجراً، وكذلك الأحمق.

وإذا دخل أحد القسمين في الآخر فسدت القسمة، كقول أمية بن أبي الصلت^(١):

لله نعمتنا تبارك ربنا رب الأنام ورب من يتأبد^(٢)

داخل في الأنام من يتأبد.

وكذلك قول الآخر^(١):

أبدر إهلاك مستهلك للملئ وإن عبث العابث

فعبث العابث داخل في إهلاك المستهلك.

وكذلك قول الآخر^(١):

فأبرحت تومي إليك بطرفها وتومض أحياناً إذا طرفها غفل

فتومي وتومض واحد.

وقول جميل:

لو كان في قلبي كقدر قلامه حبّ وصانك أو أنتك رسائي

فإتيان الرسائل داخل في الوصل.

ومن ذلك أيضاً ما كتب بعضهم: ففكرت مرة في عزك، ومرة في صرفك وتقليد
غيرك.

وفي فصل آخر كتب هذا الرجل إلى عامل: فتارة تسرق الأموال وتختزلها،

وتارة تفتطمها وتحتجبها. فمضى الجزأين واحد.

(٢) يتأبد: يتوحش.

(١) نقد الشعر: ١١٧.

الفصل السادس

في صحة التفسير

التفسير

وهو أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تراد فيها ، كقول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ، فجعل السكون لليل ، وابتغاء الفضل للنهار ؛ فهو في غاية الحسن ، ونهاية التمام .

ومن النثر ما كتب بعضهم : إن لله عز وجل نعماً لو تعاون خلقه على شكر واحدة منها لأفنوا أعمارهم قبل قضاء الحق فيها ، ولي ذنوب لو فرقت بين خلقه جميعاً لكان كل واحد منهم عظيم الثقل منها ؛ ولكنه يسر بكرمه ، ويعود بفضله ، ويؤخر العقوبة انتظاراً للمراجعة من عبده ، ولا يخلى المطيع والمعاصي من إحسانه وبره . فذكر جملتين ؛ وهانم الله تعالى وذنوب عبده ، ثم فسر كل واحدة منهما مرتين تفسيراً صحيحاً . قوله : « يسر بكرمه » راجع إلى الذنوب ، وقوله : « يعود بفضله » راجع إلى النعم ، فاستوفى . ثم قال : « ويؤخر العقوبة » فهذا أيضاً راجع إلى الذنوب ، وقوله : « ولا يخلى المطيع والمعاصي من إحسانه وبره » راجع إلى النعم ، فهو تفسير صحيح في تفسير صحيح .

ومن ذلك قول بعض أهل الزمان وقد كتب إليه بعض الأشراف كتاباً وسأله أن يصلح ما يجد فيه من سقم ؛ فكتب إليه : فأما ما رسمه من سد ثلمه ، وجبر كسره ، ولم شعثه ؛ فأى ثلم يوجد في أديم السماء ؛ وأى كسر يلبى في حاجب ذكاء ؛ وأى شعث يرى في الزهرة الزهراء ؛ ففسر الثلاثة ، ولم يفاد منها واحداً . ومثاله من المنظوم قول الفرزدق (١) :

(١) نقد الشعر : ٨١ ، نهاية الأرب : ٧ - ١٢٩ .

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم طريد دمٍ أو حاملاً ثقل مفرم
لأنيت فيهم مُعطياً أو مُطاعنا وراءك شزراً بالوشيح المقوم
ففسر قوله : « حاملاً ثقل مفرم » ، بقوله : « تلقى فيهم من يعطيك » وقوله :
« طريد دم » بقوله : « تلقى فيهم من يطعن دونك » .
وقال ابن مطير في السحاب (١) :

وَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسْرَةٍ ضَحِكٌ يَرَاوِحُ بَيْنَهُ وَبِكَاءُ
وقول المتنم :

لَا تَضْجُرُنَّ وَلَا يَدْخُلُكَ مَعْجَزَةٌ فَالْتَّجِجُ يَهْلِكُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجْرِ
وضرب منه قول صالح بن جناح اللخمي (٢) :

لَنْ كُنْتُ مَحْتَاجاً إِلَى الْجِلْمِ إِنِّي إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَحْوَجُ
وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مَلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجُ
فَمَنْ رَامَ تَقْوِيَّ فَإِنِّي مَقْوَمٌ وَمَنْ رَامَ تَعْوِيَّ فَإِنِّي مُعَوَّجُ
وقول سهل بن هرون (٣) :

فَوَاحَسَرْنَا حَتَّى مَتَى الْقَلْبُ مَوْجِعٌ بِفَقْدِ حَبِيبٍ أَوْ تَعَذُّرِ إِفْضَالٍ
فِرَاقُ حَبِيبٍ مِثْلُهُ يُورِثُ الْأَسَى وَخَلَّةُ حَرٍّ لَا يَقُومُ لَهَا (٤) مَالِي
وقال آخر :

شَبَهُ الْغَيْثِ فِيهِ وَاللَيْثِ وَالْبَدْرُ فَمَسْحٌ وَحَرْبٌ (٥) وَجَمِيلٌ
وقلت :

كَيْفَ أَسَأُوْ وَأَنْتَ حِقْفٌ (٦) وَغُصْنٌ وَغَزَالٌ لِحِطًّا وَرِدْفًا وَقَدًّا
وقال آخر :

فَأَلْقَتْ قَنَاةَا دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفَّ وَمِعْصَمٌ

(١) نقد الشعر : ٨١ . (٢) نقد الشعر : ٨١ .

(٣) نقد الشعر : ٨٢ ، وفيه : « سهل بن مروان » وأنشدتها . (٤) في النقد : « بها » .

(٥) محرب : شجاع . (٦) الحقف : الرمل المستدير .

من فساد
التفسير

ومن عيوب هذا الباب ما أنشده قدامة^(١) :

فيايها الحيران في ظلمة الدجى ومنّ خاف أن يلقاه بُغى من العدا
تعال إليه تلق من نور وجهه ضياءً ومن كفيه بجرّاً من الندى

وكان يجب أن يأتي بإزاء بُغى العدا بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو ما يجانس ذلك مما يحتّمى به الإنسان ، كما وضع بإزاء الظلمة الضياء . فأما إذا وضع بإزاء ما يتخوّف من بُغى العدا بجرّاً من الندى فليس ذلك تفسيراً لذلك .

ومن فساد التفسير ما كتب بعضهم : مَنْ كان لأمير المؤمنين كما أنت له من الذبّ عن ثغوره والمسارة إلى ما يهيب به إليه من صغير أمره وكبيره كان جديراً بنصح أمير المؤمنين في أعماله ، والاجتهاد في تميم أمواله ؛ فليس الذي قدّم من الحال التي عليها هذا العامل من الذبّ عن الثغور والمسارة في الخطوب ماسبيبه أن يفسّر بالنصح في الأعمال وتتمير الأموال . ولعله لو أضاف إلى ذكر الذبّ عن الثغور ذكر الحيطة في الأمور لكان بهذا المضاف يجوز أن يفسّر بالنصح في الأعمال والتمير للأموال .

الفصل السابع

في الإشارة

الإشارة

الإشارة أن يكون اللفظ القليل مُشاراً به إلى معان كثيرة ، بإيماء إليها ولمحة تدل عليها ؛ وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ . وقول الناس : لو رأيت علياً بين الصفيين ؛ فيه حذف وإشارة إلى معان كثيرة .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال أخبرنا أبو بكر الصولي ، قال أخبرنا الحزَنبَل ، قال : لما وكى المهدي بالله وزارته سليمان بن وهب قام إليه رجل من ذى حُرمته ، فقال : أعز الله الوزيراً خادمك المؤمِّل لدولتك ، السعيد بأيامك ، النطوى القلب على مودتك ، المبسوط اللسان بمدحتك ، المرتهن الشكر بنعمتك ، وإنما أنا كما قال القيسي : ما زلت أمتطي النهار إليك ، وأستدلّ بفضلك عليك ؛ حتى إذا أجنسى الليل ، فقبض البصر ، ومح الأثر ، قام بدني ، وسافر أملى ، والاجتهاد عُذْر ، وإذا بلغتك فقط . فقال سليمان : لا بأس عليك فإني عارف بوسيلتك ، محتاج إلى كفايتك ، ولست أؤخر عن يومي هذا توليتك بما يحسنُ عليك أثره ، ويطيبُ لك خيره إن شاء الله . فقوله : « وإذا بلغتك فقط » إشارة إلى معان كثيرة يطول شرحها .

وكتب آخر إلى آخر : أتميرني وأنا أنا ! والله لأزرن عليك الفضاء ، ولأبفضنك لذيذ الحياة ، ولأحبينَّ إليك كرية المات ، ما أظنك ترَبَعُ على ظلمك ، وتقيس شيرك بقرِك ؛ حتى تذوق وبال أمرك ، فتمتدح حين لا تقبل المذرة ، وتستقبل حين لا تقال العثرة . فقوله : « وأنا أنا » إشارة إلى معان كثيرة ، وتهديد شديد ، وإيماد كثير .

ومن المنظوم قول امرئ القيس (١) :

فإن تهلكُ شنوءة أو تبدلُ
فسيرى إن في غسان خالاً (٢)

(١) لقد الشعر : ٩٠ ، ونهاية الأرب : ٧ - ١٤٠ .

(٢) في ط : « حالا » ، وصوابه من ا ، والنقد والنهية .

بِعِزَّتِهِمْ عِزَّتْ وَإِنْ يَدْلُوا فَذَلِمَ أَنْالِكِ مَا أَنْالَا
فقوله: « إَنَّ فِي غِسانِ خِلا » و « أَنْالِكِ مَا أَنْالَا » إِشارةً إِلى مَعانٍ كَثيرة.
وَضَرَبَ مِنْهُ قَوْلُهُ (١):

عَلَى سَابِجٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سِوَالِهِ أَفانينَ جَرِيٍّ وَلا وَانٍ
فقوله: « أَفانينَ جَرِيٍّ » مِشاراً بِهِ إِلى مَعانٍ لَوْ عَدتْ لَكَثرتْ؛ وَضَمَّ إِلى ذَلِكَ
جَميعَ أوصافِ الجُودَةِ في قَوْلِهِ: « يَمْطِيكَ قَبْلَ سِوَالِهِ ». وَأَنشَدنا أَبُو أَحْمَدَ لِبَعْضِهِم:

لَمْ آتِ مُطَلِّباً إِلا لِمَطْلَبِ وَهَمَّةٌ بَلَغتُ بِي أَفْضَلَ الرِّتبِ
أَعْمَلتُ عِيسَى إِلى البَيْتِ العَميقِ عَلى ما كانَ مِنْ دَأْبِ فيها وَمَنْ نَصَبِ
حَتى إِذا ما انْقَضى حَجَبِي ثَنيتُ لها فَضَلَ الزَّمامِ فَأَمَّتْ سَيِّدَ العَرَبِ
هَذَا رِجائِي وَهَذى مِصرَ مِعْرَضَةٍ وَأَنْتِ أَنْتِ وَقَدْ نادَيْتُ مِنْ كِثْبِ

فقوله: « أَنْتِ أَنْتِ » مِشاراً بِهِ إِلى نَعوتِ مِنَ المِدحِ كَثيرة .
وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي نِواسٍ (٢):

* أَنْتِ الخِصيبُ وَهَذِهِ مِصرُ *

الفصل الثامن

في الأرداف والتوابع

الأرداف
والتوابع

الأرداف والتوابع: أن يُريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدالّ عليه ،
الخاص به ، ويأتي بلفظ هو رِدْفُه وتابعُه ، فيجمله عبارة عن المعنى الذي أراده ،
وذلك مثل قول الله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ ، وقُصور الطرف في الأصل
موضوعة للعفاف على جهة التوابع والأرداف ؛ وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها
على زوجها ، فكان قُصور الطرف رِدْفًا للعفاف ، والعفاف رِدْفٌ وتابع لقصور الطرف .
وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ، وذلك أن الناس يتكافؤن
عن الحرب من أجل القصاص فيحيون فسكان حياتهم ردف للقصاص الذي يتكافؤن
عن القتل من أجله ؛ ونحوه قول الشاعر :

* وفي العتاب حياة بين أقوام *

ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الفرع ، فقال :
« حق ، وإن تتركه حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون خير من أن تكفيء إناءك ،
وتولّه ناقتك ؛ وتدعه يَلْصِقُ لِحْمَهُ بِوَبْرِهِ » (١) .

الفرع : أول شيء تنتجّه الناقة ، وكانوا يذبّجونه لله عز وجل . فقال : هو حق ،
إلا أنه ينبغي أن يترك حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون فيصير للحمّه طعم ، وقال
« هو خير من أن تكفيء إناءك » فهذه من الإرداف أراد أنك إذا ذبجتّه حين تضعه
أمّه بقيت الأم بلا ولد ترضعه فانقطع لبنها ؛ فردف ذلك أن يخلو إناؤك من اللبن ،
فكانت قد كفّاته . ومثله قول امرئ القيس (٢) :

(١) الحديث في نهاية ابن الأثير ، وروايته هناك : « أنه سئل عن الفرع فقال: حق ، وإن
تتركه حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون خير من أن تذبحه يَلْصِقُ لِحْمَهُ بِوَبْرِهِ » .

(٢) ديوانه : ١٦٠

وأفلتهنَّ علباءَ جَرِيضاً ولو أدرَ كنههُ صَفِرَ الوطابُ (١)
أى لو أدرَ كنههُ - يعنى الخليل - قتلته ، واستَقَمَّ إبْلَهُ فصَفِرَتْ وطابُهُ ؛ ومن ذلك
قَوْلُ الأَعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتُهُ ذاكَ اليَوْمِ مَ وأَسْرَى من مَعشَرِ أقيالِ
الرَّفْدِ : القَدْحُ العَظِيمُ الضَّخْمُ ، يَقولُ : استَقَمَّتْ الإِبِلُ نَحْلاً الرَّفْدَ ، فَكَأَنَّكَ
قَدْ هَرَقْتَهُ .

ومن الأرداف قول المرأة لمن سألته : أشكو إليك قلة الجرذان ، وذلك أن قلة
جرذان البيت ردف لعدم خيره ؛ ويقولون : فلان عظيم الرماد ، يريدون أنه كثير
الإطعام للأضياف ؛ لأن كثرة الإطعام يردف كثرة الطبخ ؛ ومن المنظوم قول
التغلبى (٢) :

وكل أناسٍ قارَ بوا قيداَ فخلهمُ ونحنُ خلَعنا قيداَ فهو سارِبُ
أراد أن يذكر عزَّ قومه ، فذكر تسريح الفحل في المرعى ، والتوسيع له فيه ؛
لأن هذه الحال تابعة للعزة رادفة للمنة ، وذلك أن الأعداء لعزهم لا يقدمون عليهم ؛
فيحتاجون إلى تقييد فخلهم ، مخافة أن يساق فينبهه السرح ؛ ومن ذلك قول الآخر :
ومهما في من عيبٍ فإني جَبَّانُ الكَلْبِ مهزولُ الفصيلِ
يعنى أن كلبه يضرب إذا نبح على الأضياف ، فيردف ذلك جبينه عن نبحهم ؛
وأن اللبن الذى يسمن به الفصيل يجعل للأضياف فيردف ذلك هزال الفصيل .
وقول الآخر :

وكلَّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهمُ دُويَبةٌ تصفرُّ منها الأناملُ
يعنى الموت ، فعبر عنه باصفرار الأنامل ، لأنها تصفر من الميت ، فكان اصفرارها
ردف ؛ وقول امرئ القيس (٣) :

(١) علباء : قاتل والد امرئ القيس ، وهو علباء بن حارث الكاهلي ، والجريش : الذى
يكاد يقضى . (٢) هو الأخنس بن شهاب ، والبيت فى اللسان (سرب) . (٣) دوانه : ٣٢٢ .

وَأَضْحَى فَتَيْتِ الْمِسْكَ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَبْؤُومِ الضَّحَا لَمْ تَنْتَبِطِقْ عَنْ تَفْضَلِ
أَرَادَ أَنَّهَا مَكْفِيَّةٌ ؛ وَنَشُومَةُ الضَّحَا وَتَرَكَ الْإِتِّطَاقَ لِلْخِدْمَةِ يَرُدُّفَانِ الْكِفَايَةَ ؛ فَعَبَّرَ
بِهِمَا عَنْهَا وَأَرَادَ أَنَّهَا مِنْ أَهْلِ التَّرَفِّ وَالنِّعْمَةِ فَتَسْتَعْمَلُ الْمِسْكَ الْكَثِيرَ فَيَنْتَبِطِقُ فِي فِرَاشِهَا ،
وَهَذِهِ الْحَالُ تُرَدِّفُ التَّرَفَ وَالنِّعْمَةَ ؛ وَقَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ (١) :

بِعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ أَمَا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَأَمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ
فَأَرَادَ أَنْ يَصِفَ طَوْلَ عُنُقِهَا فَآتَى بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ طَوْلِ مَهْوَى الْقُرْطِ ، وَبُعْدُ
مَهْوَى الْقُرْطِ رَدْفٌ لَطُولِ الْعُنُقِ . وَقَوْلُ الْخُنَسَاءِ (٢) :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً
أَرَادَتْ وَصْفَهُ بِالْجُودِ فَجَعَلَتْهُ مُخَرَّقَ الْقَمِيصِ ، لِأَنَّ الْعَفَاةَ يَجْذِبُونَهُ ؛ فَتَمْرِيقُ
قَمِيصِهِ رَدْفٌ لْجُودِهِ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ (٣) :

طَوِيلٌ نِجَادِ السِّيفِ لَا مِتْضَائِلُ وَلَا رَهْلٌ لِبَاتِهِ وَبَادِلُهُ (٤)
أَرَادَ وَصْفَهُ بِطَوْلِ الْقَامَةِ ، فَذَكَرَ طَوْلَ نِجَادِهِ ، لِأَنَّ طَوْلَهُ رَدْفٌ لَطَوْلِ الْقَامَةِ .
وَقَدْ أَدْخَلَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا أَمْثَلَةَ بَابِ الْأُرْدَافِ فِي بَابِ الْمَاهِلَةِ ، وَأَمْثَلَةَ بَابِ
الْمَاهِلَةِ فِي بَابِ الْأُرْدَافِ ، فَأَفْسَدَ الْبَابَيْنِ جَمِيعاً ، فَلْخَصَّتْ ذَلِكَ وَمِيزَتْهُ وَجَعَلَتْ كَلًّا
فِي مَوْضِعِهِ ، وَفِيهِ دِقَّةٌ وَإِشْكَالٌ .

(١) ديوانه : ٤٣ (٢) البيت في ديوان الحماصة ٢ : ٢٧٧ ، ضمن سبعة أبيات
منسوبة ليلي الأخيلية . (٣) اللسان (بدل) ، وروايته فيه :
فتى قد قد السيف لا متآزف ولا رهل لباته وبآدله
(٤) في ط : «أبادله» ، وهذه رواية ١ ، والبآدل : جمع بأدلة ، وهى ما بين العنق والترقوة .

الفصل التاسع

في المائة

المائة : أن يريد المتكلم العبارة عن معنى ، فيأني بلفظة تكون موضوعاً لعنى آخر ، إلا أنه ينبغي إذا أوردته عن المعنى الذى أراده ، كقولهم : « فلان نقي الثوب » ، يريدون به أنه لا عيب فيه . وليس موضوع نقاء الثوب البراء من العيوب ، وإنما استعمل فيه تمثيلاً . وقول امرئ القيس (١) :

ثيابُ بنى عوف طهارى نقيّةٌ وأوجههم عند المشاهد غُرَّانُ (٢)

وكذلك قولهم : « فلان طاهر الجيب » ، يريدون أنه ليس بجائن ولا غادر . وقولهم : فلان طيب الحُجْزَة ، أى عفيف . قال النابغة (٣) :

وقائقُ النعال طيِّبٌ حُجْزَاتِهِمْ يُحْيِيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ (٤)

وقال الأصمى : إذا قالت العرب : الثوب والإزار ، فإنهم يريدون البدن ، وأنشد (٥) :

ألا أبلغُ أبا حفصٍ رَسولاً فِدَى لكَ مِنْ أَخِي ثَمَّةَ إِزَارِي
وقالوا فى قول لبيلى (٦) :

رَمَوْهَا بِأَثْوَابِ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شِبْهًا إِلَّا النِّعَامَ الْمُنْفَرَا

أى رموها بأجسامهم وهى خفاف عليها . ووُضِعَ الثوب موضعاً آخر فى قول

الشاعر :

فتلكَ ثيابُ إبراهيمَ فينا بواقٍ ما دُنِسْنَ ولا بَلِينَا

(١) ديوانه : ١١٥ . (٢) غران : جمع أغر ، وهو الأبيض .

(٣) ديوانه : ٩ . (٤) يوم السباسب : يوم عيد عند النصارى .

(٥) اللسان - مادة أزن . (٦) اللسان - مادة (ثوب) ، والضمير للركاب .

ويقولون : فلان أوسع بني أبيه ثوبا ، أي أكثرهم معروفاً ، وفلان غمر الرداء ،
إذا كان كثير المعروف ؛ قال كثير :

غَمَرُ الرداء إذا تبسمَ ضاحكا عَلِمَتْ لضحكته رقابُ المسال
وكذلك قولهم : فلان رَحِبُ الذراع ، وفلان دَنِس الثوب ؛ إذا كان غادِراً فاجراً ،
قال الشاعر :

ولكنني أنفَى عن الذمِّ والدي وبمضهم للذم في ثوبٍ به دَسَمُ
ويقولون : دم فلان في ثوب فلان ، أي هو صاحبه . قال أبو ذؤيب (١) :

تبراً من دمِّ القتيلِ وبزِّهِ وقد عَلِمَتْ دمَّ القتيلِ إِزارُها
هُدَيْلُ توثُث الإزار ، أي علقت دم القتيل هي ، ورواه أبو عمرو الشيباني وبزّه ،
بالرفع ، أي وبزه إزارها وقد علقت دمه ؛ ويقولون للفرس : إنه لطرب الغنان ؛
وللمير : قد سفّه جدّيله ، والجديّل : الزمام . وقال ذو الرمة (٢) :

وأشقر موشِيّ القميصِ نَصَبُهُ على خُضِرِ مقلاتِ سفِيهِ جَدِيلِها (٣)
وفي القرآن : ﴿ كَأَنِّي نَقَّضْتُ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ ، فمثل العمل ثم
إحباطه بالنقض بعد الفتل .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمانِكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ . فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ
ثُبُوتِها ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ .
وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ ﴾
فمثل البخيل الممتنع من البذلِّ بالمغلول ، لعني يجمعهما ، وهو أن البخيل لا يمدُّ يده
بالمطية فشبهه بالمغلول . ويقولون : عرَّكتُ هذه الكلمة بجنبِي ، إذا أغضيت عنها ،

(١) ديوان الهذليين . (٢) اللسان (سفه) ، يصف سيفاً .

(٣) قال في اللسان : سفية جديليها ، يعني خفيف زمامها ، يريد أن جديليها يضطرب لاضطراب
رأسها .

وقلان قد طَوَى كَشْحَهُ عن فلان ، إذا ترك مودَّته وصحبته . ويقولون : كَبَا زَنْدُ
المدوِّ ، وصَلَفَ زَنْدُهُ ، وأَقْلَ نَجْمُهُ ، وذَهَبَتْ رِيحُهُ ، وأَطْفَيْتْ جِزْمَتَهُ ، وأَخْلَفَ نَوْءَهُ ،
وأَخْلَقَتْ جِدَّتَهُ ، وانكسرت شوكته ، وكَلَّ حِدَّهُ ، وانقطع بطنه ، وتضعف
رُكْنُهُ ، وضعف عقده ، وذلت عَضُدُهُ ، وفُتَّ في عَضُدِهِ ، ورق جانبه ، ولانت
عريكته ، يقال ذلك فيه إذا ولى أمره ؛ تمثيلاً وتشبيهاً .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدَّمَنِ » ، أراد المرأة الحسناء
في منبِتِ السَّوءِ ، فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلاً . وقال بعضهم : كُنَّا فِي رُفْقَةٍ
فَضَلَلْنَا الطَّرِيقَ ، فاسترشدنا عجوزاً فقالت : استبطن الوادي ، وكن سيلاً حتى تبلغ .

وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر عن المأمون بعزله عن ديار مصر ،
وتسليم العمل إلى إسحاق بن إبراهيم : أما بعد ! فإن أمير المؤمنين قد رأى تولية
إسحاق بن إبراهيم ما تتولاه من أعمال المعاون بديار مصر ، وإنما هو عمك نقل منك
إليك . فسلمه من يدك إلى يدك والسلام . واغتاب رجل رجلاً عند سلم بن قتيبة ،
فقال له سلم : اسكت ، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ مُضْعَةً طالما لفظها الكرام .

ومن المنظوم قول طرفة :

أَيْبِنِي ، أَيْ يَمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحَ أُمُّ صَيْرَتَنِي فِي شِمَالِكَ

أى أيبني منزلتى عندك أَوْضِيعَةً هِيَ أُمُّ رَفِيعَةٍ ؛ فَذَكَرَ الْيَمِينَ وَجَعَلَهَا بَدَلًا مِنَ
الرَّفْعَةِ ، وَالشِّمَالَ وَجَعَلَهَا عَوْضًا مِنَ الضَّمَّةِ . وَأَخَذَهُ الرَّمَّاحُ بْنُ مَيَّادَةَ ، فَقَالَ (١) :

أَلَمْ تَكُنْ فِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بِمَدَّهَا فِي شِمَالِكَ

وَلَوْ أَنَّ نِيَّ أَدْبَنْتُ مَا كُنْتُ هَالِكًا عَلَى خِصْلَةٍ مِنْ صَالِحَاتِ خِصَالِكَ

وقال آخر (٢) :

رَكَتُ الرُّكَّابَ لِأَرْبَابِهَا وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّمْعَقِ

(٢) نقد الشعر : ٩٦ .

(١) نقد الشعر : ٩٥ .

جملت يدي وشاحاً له وبعض الفوارس لا تعتنق

فقوله : جملت يدي وشاحاً تمثيل . وقول زهير^(١) :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي رُكبت كل لَهْدَمِ^(٢)

أراد أن يقول : مَنْ أَبِي الصلح رَضِيَ بالحرب ، فعدَلَ عن لفظه ، وأتى بالتمثيل ؛
فجعل الزُّج للصلح ؛ لأنه مستقبَل^(٣) في الصلح ، والسنان للحرب لأن الحرب به يكون ؛
وهذا مثل قولهم : من عصى الصوت أطاع السيف ، ومنه قول امرئ القيس^(٤) :

وما ذرقت عينك إلا لتضربني بسهميك في أعشار^(٥) قلب مُقْتَل

فقال : بسهميك ، وأراد العينين . وقال العباس بن مرداس^(٦) :

كانوا أمام المؤمنين دريةً والشمس يومئذ عليهم أشمسُ

أراد تلاؤ البيض في الشمس ، فكأن على كل رأس شمساً ، وقال قدامة : من

أمثلة هذا الباب قول الشاعر^(٧) :

أوردتهم وصدور العيس مُسْتَفَّة^(٨) والصبح بالكوكب الدرّي منحور

وقال : قد أشار إلى الفجر إشارة إلى طريقه بغير لفظه . وليس في هذا البيت

إشارة إلى الفجر ، بل قد صرّح بذكر الصبح ، وقال : هو منحور بالكوكب الدرّي ،
أى صار في نجره ، ووضع هذا البيت في باب الاستمارة أوّل منه في باب المائة .

ومما عيب من هذا الباب قول أبي تمام :

أنت دلوّ وذو السّماح أبو موسى قليبٌ وأنت دلوّ القليب

أيها الدلو لا عدمتك دلوّاً من جياذ الدلاء صلب الصليب

مما عيب
في المائة

(١) ديوانه : ٣١ . (٢) الهمدم : الماضي .

(٣) في ط : مقبل ، وفي اللسان : كانوا يستقبلون أعداءهم إذا أرادوا الصلح بأزجة الرماح .

(٤) ديوانه : ٢٦ . (٥) الأعشار : الكسور . (٦) نقد الشعر : ٩٦ .

(٧) نقد الشعر : ٩٦ ، ونسبه إلى عبد الرحمن بن علي بن علقمة .

(٨) السناف للبعير بمنزلة اللب للدابة ، ويقال أسنقه ، أى شده بالسنانف .

الفصل العاشر

في الغلو

الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ؛ كقول الله تعالى : الغلو ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ . وقال تَابُطْ شِرَا (١) :

ويومٌ كيومِ العيكتين (٢) وعطفة عطفت وقد مسّ القلوب الحناجر
وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَرُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، بمعنى لتكاد
تزول منه . ويقال إنها في مصحف ابن مسعود مشبته ؛ وقد جاءت في القرآن مشبته
وغير مشبته . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ .
وقال الشاعر (٣) :

يتقارضون إذا التقوا في موطنٍ نظراً يزيل مواطئ الأقدام (٤)
وكاد إنما هي للمقاربة ، وهي أيضاً مع إثباتها توسع ؛ لأن القلوب لا تقارب
البلوغ إلى الحناجر وأصحابها أحياء .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَلُّ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، وهذا
إنما هو على البميد ؛ ومعناه لا يدخل الجمل في سمّ الخياط ولا يدخل هؤلاء الجنة .
ومثله قول الشاعر (٥) :

إذا زال عنكم أسود العين (٦) كسئتم كراماً وأنتم ما أقام الأئم
وقول الآخر (٧) :

فرجى الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العزري أبى

(١) مهذب الأغانى : ١ - ٢٢٤ .

(٢) العيكتان : اسم موضع ، وأورد ياقوت ، اللسان - مادة عيك ، لتأبط شرا قوله :

ليلة صاحوا وأغروا بنى سراعهم بالعيكتين لدى معدى ابن براك

(٣) اللسان (قرض) . (٤) أراد نظر بعضهم إلى بعض بالعداوة والبغضاء .

(٥) اللسان (لأم) . (٦) أسود العين : جبل (٧) اللسان (قرظ) ، وهو بشر بن أبي خازم .

وقال النابغة^(١) :

فإنك سوف تحلم أو تنهى إذا ما شئت أو شاب الفراج

مثال الغلو
من النثر

ومثال الغلو من النثر قول امرأة من المعجم كانت لا تظهر إذا طلعت الشمس فقيل لها في ذلك ، فقالت : أخاف أن تكسفنني . وقال أعرابي : لنا تمر فطساء جرداء ؛ تضع التمرة في فيك ، فتجد حلاوتها في كعبك . وقيل لأعرابي : ما خضر^(٢) فرسك؟ قال : يخضر ما وجد أرضا . ووصف أعرابي فرسه ، فقال : إن الوايل ليصيب عجزه ؛ فلا يبلغ إلى معرفته حتى أبلغ حاجتي . وذم أعرابي رجلا ، فقال : يكاد يمدى لؤمه من نسمي باسمه .

وكتب بعضهم يصف رجلا ، فقال : أما بعد ، فإنك قد كتبت تسأل عن فلان ، كأنك قد هممت بالقدوم عليه ، أو حدثت نفسك بالوفود إليه ، فلا تفعل ، فإن حسن الظن به لا يقع إلا بخذلان الله تعالى ، وإن الطمع فيما عنده لا يحظر على القلب إلا بسوء التوكل على الله تعالى ، والرجاء لما في يديه لا ينبغي إلا بعد اليأس من رحمة الله تعالى ؛ لا يرى إلا أن الإقتار الذي نهى الله عنه هو التبذير الذي يعاقب عليه ، والاقتصاد الذي أمر به هو الإسراف الذي يفضب منه ، وأن الصنيفة مرفوعة ، والصلة موضوعة ، والهمة مكروهة ، والثقة منسوخة ، والتوسع ضلالة ، والجود فسوق ، والسخاء من كهزات الشياطين ، وأن مواساة الرجل أخاه من الذنوب الموبقة ، وإفضاله عليه إحدى الكبائر المرهقة ، وأن الله تعالى لا يغفر أن يؤثر المرء على نفسه ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا ، وخسر خسرانا مبينا ؛ كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله دابرهم ، ومحا معالمهم ، ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم ، وحظر عليهم أن يختاروا مثل اختيارهم ، يظن أن الرجفة لم تأخذ أهل مدين إلا لسخاء كان فيهم ، ولم تهلك عادا بالريح العقيم

(١) ديوانه : ١٤ . (٢) حضر الفرس : ارتفاعه في عدوه .

إلا لتوسّع كان فيهم ، فهو يخشى المقاب على الإنفاق ، ويرجو الثواب على الإمساك ،
ويعذر نفسه في المقوق ، ويلوى ماله عن الحقوق ؛ خيفة أن ينزل به قوارع العالمين .
ويأمرها بالبخل خشية أن يصيبه ما أصاب القرون الأولين ، فأقم - رحمك الله -
على مكانك ، واصطر على عسرتك ، عسى الله أن يبدّلنا وإياك خيراً منه زكاةً
وأقرب رُحماً .

وقالت سُكَيْنَةُ بنت الحسين رضي الله عنهما وقد أتممت ابنتها بالدر : ما أُنْبَسَتْهَا
إياه إلا لتفضّحه ؛ ونحوه قول الشاعر :

جارية أطيبُ من طيبها والطيب فيه المسك والمنبر
ووجهها أحسن من حلّيتها والحلى فيه الدرُّ والجوهر

وقال ابن مطير (١) :

مُحَصَّرَةُ الأوساطِ زانت عقودَهَا بأحسنَ مما زينتها عقودَهَا

وقيل لأعرابي : فلان يدعى الفضل على فلان ، فقال : والله لأن كان أطول من
مسيره ما بلغ فضله ، ولو وقع في ضحضاح معروفه غرق . وقال أعرابي : الناس
يأكلون أماناتهم لثما ، وفلان يحسوها حسواً ، ولو نازعت فيه الخنازير لثضى به لها
لقرب شبهه منها ، وما ميراثه عن آدم إلا أنه سمي آدميا . وذكر أعرابي رجلاً ،
فقال : كيف يدرك بثاره وفي صدره حشو مرفقة من البلغم ، وهو المرء لو دق بوجهه
الحجارة لرضها ، ولو خلا بالكعبة أسرقها .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرنا الصولي ، قال : حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي
قال : حدثنا ابن أبي السرى ، عن رزين المروزي ، قال : لقيت أبا الحرث جيناً (٢)
ومعه غلام لحمد بن يحيى البرمكي متعلق به ، فقلت له : ما لهذا متعلق بك ؟ فقال :
لأنى دخلت أمس على مولاة وبين يديه خوان من نصف خشخاشة ، فتنفست فطار

(١) ديوان الحماسة : ٢ - ٦٥ . (٢) في « حمسا » .

الخِوان في أنقٍ فهذا يستمدى على ، فقلت له : أما تستحي مما تقول ؟ فقال : الطلاق له لازم لو أن عصفوراً نَقَرَ حَبَّةً من طعام بَيَدَرَه ما رَضِيَ حتى يُوْتَى بالمصفور مشوياً بين رغيفين ، والرغيقان من عند المصفور ! قلت : قبحك الله ! ما أعظم تمددك ! فقال : على المشى إلى بيت الله الحرام إن لم يكن صعود السماء على سلم من زبد حتى يأخذ بنات نغم أيسر عليه من أن يطعمك رغيفا في اليوم .

من المظوم

ومن المظوم قول امرئ القيس (١) :

من القاصرات الطرف لو دَبَّ مُحُولٌ
من الذرِّ فوق الإتبِ منها لأثراً (٢)

وقول الأعشى (٣) :

فتى لو ينادى الشمس ألت قناعها
أو القمرَ البسارى لأتقِ المقالدا
ينادى : أى يجالس ؛ وقول أبي الطمجان (٤) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
دُجى الليل حتى نظمَ الجزعَ ثاقبه
ومثله (٥) :

وجوهٌ لو ان المدلينَ اعتشوا بها
صدعن الدجى حتى ترى الليلَ ينجلي
وقول الآخر :

من البيض الوجوه بنى سنان
لو انك تستضيء بهم أضاءوا
وقول النابغة الجمدى (٦) :

بلغنا السماءَ مجدنا وسناؤنا
وإننا لترجو فوق ذلك مظهراً
وقول النمر (٧) :

تظلل تحفرُ عنه إن ضربت به
بمدّ الذراعين والساقين والهادى

(١) ديوانه : ١٠٣ . (٢) القاصرات الطرف : النساء اللاتى قصرن أعينهن عن الرجال .
والحول : الذى أتى عليه حول . والإتب : قيص غير مخيط . (٣) اللسان (ندى) .
(٤) عيون الأخبار : ٤ - ٢٤ ، ونسبه إلى لقيط ، وهو فى الكامل : ١ - ١٦٨ .
(٥) عيون الأخبار : ٤ - ٢٥ ، واللسان (عشا) ونسبه إلى مزاحم العقيلي .
(٦) مهذب الأغاني : ٢ - ٧٥ . (٧) مهذب الأغاني : ٢ - ١٠٤ ، وروايته :

* تظلل تحفر عنه الأرض مندفا *

وقول الطرمّاح (٣):

تيمم بطرق اللؤم أهدى من القطأ
ولو أن برغوثاً على ظهر قملة
ولو أن أم المنكبوت بنت لها
ولو جمعت يوماً تيمم جموعها
ولو أن يربوعاً يزرق مسكه
يزرق: أى يجعل منه زقاقا .

وقال الآخر:

وتبكي السموات إذا ما دعا
لما انتهى يوماً لحوم القطأ
ومثله في الإفراط قول الخنمى:
يُدلى يديه إلى القلب فيسقى

وكا أفرطوا في صفة الطول كذلك أفرطوا في صفة القصر: قال بعضهم:
فأقسم لو خررت من استك بيضة
لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
وقال آخر في صفة كثير عزة وكان قصيراً:

قصير القميص فاحش عند بيته
يعض القراد باسته وهو قائم
وقال بعض المحدثين:

وقصير لا تعمل الش
يعثر الناس في الطرد:
شمس ظلًا لقامتة
ق به من دمامته

وقال أبو عثمان الناجم:

ألا يا بيدق الشطران
يج في القيمة والقامة

(١) ديوانه ١٣٣ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات، والشعر والشعراء ٥٦٨
(٢) في ١: « المكرب ». والمحصد من الجبل: ما كان محكم القتل .

وقال أبو نواس يصف قدرا :

ينصّ بحيزوم الجراة صدرها
وتغلي بذكر النار من غير حرّها
هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل

وقال آخر في خلاف ذلك :

بقدر كأن الليل شحمة قعرها
ومن الإفراط قول المؤمل :

من رأى مثل حبيتي
تدخل اليوم ثم تد

ومثله قول الآخر :

أنت في البيت وعير
ينك في الدار يطوف

ومثله :

لقد مرّ عبد الله في السوق راكبا
وعنت له في جانب السوق مخطّة
فأقدر به أنفا وأقدر بربه
على وجهه منه كنيف معلق

ومثله في الإفراط قول آخر في إمام بطيء القراءة :

إن قرأ « الماديات » في رجب
بل هو لا يستطيع في سنة
لم تفن آياتها إلى رجب
بختم « تبت يدا أبي لهب »

وقال ابن مقبل :

يقلقل من ضمّم اللجام لهاته
وقال إبراهيم بن العباس (١) :

يا أخا لم أر في الدهر خلا
مثله أسرع هجر ووصلا

(١) الطرائف الأدبية : ١٦٤ .

كنت لي في صدر يومي صديقا فعلى عهدك أمسيت أم لا

وقال ابن الرومي :

يا ثقيلاً على القلوب خفيفاً في الموازين دون وزن النقيير

طرُ خفيفاً أو وقع مقيناً فطو رأ كسفاة وتارةً كثير (١)

وقبول النفوس إياك عندي آية فيك للطيف الخبير

إن قوماً أصبحت تنفق فيهم لعلى غاية من التسخير

ومن الناس من يكره الإفراط الشديد ويعيبه ؛ وإذا تجرّز المبالغ واستظهر فأورد
شرطاً، أو جاء - بكاد - وما يجري مجراها يسلم من العيب ؛ وذلك مثل قول الأول (٢) :

لو كنت من شيء سوى بشرٍ كنت النور ليلة البدرِ

وقول العرجي :

لو كان حياً قبلهنّ ظمائناً حيا الحطيمُ وجوهنّ وزمزمُ

وقول الأسدي :

فلو قاتل الموت امرؤ عن حميمه لقاتلت جهدي سكرة الموت عن معن

فتي لا يقول الموت من وقعة به لك ابنك خذه ليس من حاجتي دعني

وقول الآخر :

لو كان يخفي على الرحمن خافيةً من خلقه خفيت عنه بنو أسدٍ

قوم أقام بدارِ الذلّ أولهم كما أقامت عليه جذمة الوتدِ

وقول البحري (٣) :

ولو أن مشتاقاً تكلف غير ما (٤) في وسمه لسعى إليك المنبر

ومن عيوب هذا الباب أن يخرج فيه إلى المحال ، ويشوبه بسوء الاستعارة ، من عيوب
العاو

وقبيح العبارة ؛ كقول أبي نواس في الخمر :

(٣) ديوانه : ٢١٢ .

(١) نبي : جبل . (٢) صفحة ٢٨٦ .

(٤) رواية الديوان : « فوق ما » .

توهمتها في كأسها فكأنما توهمت شيئاً ليس يُدركُ بالعقلِ
وصفراءُ أبقى الدهرُ مكنونِ رُوحها وقد مات من مخبورها جوهر الكحل
فما يرتقى التكيف منها إلى مدى تحدّ به إلا ومن قبله قبل

فجعلها لا تدركُ بالعقلِ وجعلها لأول لها ، وقوله : «جوهر الكحل» و«التكيف»
في غاية التكلف ، ونهاية التعسف . ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل
بالاحتجاج عنه له ، والتحسين لأمره ، وهو بترك التداول أولى ؛ إلا على وجه التمجيد
منه ومن قائله . ومن الغلو الغث قول المتنبي (١) :

فتى ألف جزءٍ رأيه في زمانه أقلّ جزىءٍ بعضه الرأي أجمع
وقوله (٢) :

تتقاصرُ الأفهامُ عن إدراكه مثلُ الذي الأفلاك فيه والدنَا
سئل عما فيه الأفلاك والدنَا ، فقال : علم الله ؛ ونيتُه لا تدل عليه ؛ فأفرط
وعَمَى ، وجمع دنياً على قول أهل الأدوار والتناسخ .

الفصل الحادي عشر

في المبالغة

المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غايته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه المبالغة على أدنى منازلها وأقرب مراتبه ؛ ومثاله من القرآن قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَذْهَبُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ . ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة ؛ وإنما خص المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفة حاجته إليها ، وأشغف به لقربه منها ولزومها له ، لا يفارقها ليلا ولا نهارا ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف ؛ ولهذا قال امرؤ القيس (١) :

فَمِثْلُكَ حُبِّي قَدْ طَرَقْتُ وَمَرْضِعُ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُجَوِّلِ
لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة له ، قال : إني ألهيتها عن ولدها الذي ترضعه لمعرفة بشغفها به ، وشفقها عليه في حال إرضاعها إياه .

وقوله تعالى : ﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ ، لو قال يحسبه الرأي لكان جيدا ؛ ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن ؛ لأن حاجته إلى الماء أشد ، وهو على الماء أحرص ؛ وقد ذكرناه قبل . ومثل ذلك قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ (٢) :

مَسَّتِي مَا تَدْعُ قَوْمَكَ أَدْعُ قَوْمِي وَحَوْلِي مِنْ بَنِي جُشَمٍ فِقَامٌ (٣)
فوارس بهمة حُشدٍ إذا ما بدا حضر الحِيَّةَ وَالْحِنْدَامُ (٤)

فالمبالغة الشديدة في قوله : « الحية » . ومن المبالغة نوع آخر ، وهو أن يذكر المتكلم حالا لو وقف عليها أجزأته في غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى

(١) ديوانه : ٢٤ . (٢) نقد الشعر : ٨٤ . (٣) الفقام : الجماعة من الناس .

(٤) البهمة : الشجاع .

زيادة تؤكده ، ويلحق به لاحقة تؤيده . كقول عمير بن الأهمم التغلبي (١) :

ونسكرم جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامة حيث ملا

فإكرامهم الجار ما دام فيهم مكرمة ، وإتباعهم إياه الكرامة حيث مال من
المبالغة . وقول الحكم الخضري (٢) :

وأفبح من قرْدٍ وأبجل بالقرى من الكلب أمسى وهو غرثان أعجفُ

فالكلب بخيل على ما ظفر به ، وهو أشد بخلا إذا كان جائعاً أعجف . ومن

ها هنا أخذ حماد عجرد قوله في بشار (٣) :

ويا أفبح من قرْدٍ إذا ما عمى القردُ

وقول رواس بن تميم (٤) :

وإنّا لنعطى النصف منّا وإنّا لناخذ من كل أبلخ (٥) ظالم

المبالغة في قوله : « أبلخ » .

وقول أوس بن غلفاء الهجيمي (٦) :

وهم تركوك أسلح من حبارى رأت صقراً ، وأشرّد من نعام

فقوله : « رأت صقراً » من المبالغة .

وكتبتُ في فصل إلى بعض أهل الأدب : قرُّبك أحبُّ إلى من الحياة في ظل

اليسر والسعة ، ومن طول البقاء في كنف الخفض والدعة ، ومن إقبال الحبيب مع

إدبار الرقيب ، ومن شمول الخصب بعد عموم الجذب ، وأقرّ لعيني من الظفر بالبغية

بعد إشرافى على الخيبة ، وأسرّ لنفسى من الأمن بعد الخوف ، والإنصاف بعد الحيف .

وأسأل الله أن يطيل بقاءك ، ويديم نعماك ، ويرزقني عدّلك ووفاءك ، ويكفيني

نبوك وحفاءك .

(١) نقد الشعر : ٨٤ . (٢) نقد الشعر : ٨٤ . (٣) مهذب الأغاني : ٨ - ٢٥٩ .

(٤) نقد الشعر : ٨٤ . (٥) الأبلخ : الجرى على ما أتى من الفجور .

(٦) نقد الشعر : ٨٥ .

فقولى : « الحياة فى ظل اليمس والسمة » . و« البقاء فى كنف الخفض والدعة » .
وقولى : « إقبال الجيب مع إدار الرقيب » وقولى : « الخصب بعد عموم الجذب » ،
وما بئده إلى آخر الفصول مبالغات .

من عيوب
المبالغة

ومن عيوب هذا الباب قول بعض المتأخرين^(١) :
فلا غيضة بجمارك يا جموماً على علل الغرائب والدخال^(٢)
أراد أن يقول : إنك كثير الجود على كثرة سؤالك فلا تقصت ؛ فعبّر عنه بهذه
المعارة الغنّة ، والجموم : البئر الكشيرة الماء ؛ وقوله^(٣) :

ليس قولى فى شمس فعليك كالشمس
س ولكن فى الشمس كالإشراق
على أن حقيقة معنى هذا البيت لا يوقف عليها .

ومن ردى المبالغة قول أبى تمام^(٤) :

ما زال يهنى بالكارم والأعلا حتى ظننا أنه محموم
أراد أن يبالغ فى ذكر المدوح باللّهج بذكر الجود ، فقال : « ما زال يهنى »
بجاء بلفظ مذموم ، والجيد فى معناه قول الآخر :

ما كان يعطى مثلها فى مثله إلا كريم الخيم أو مجنون
قسم قسمين : ممدوحاً ومذموماً ، ليخرج المدوح من المذموم إلى المدوح المحمود .

ومن جيد المبالغة قول عمرو بن حاتم :

خليلي أمسى حب خرقاء قاتلي
ولو جاورتنا العام خرقاء لم نبل
على جدبنا ألا يصوب ربيع
قوله : « على جدبنا » مبالغة جيدة .

(١) المتنبي ، ديوانه : ٣ - ٢٠ . (٢) الملل : الشرب الثانى . الغرائب : جمع غريبة ؛
وهى التى ترد الحوض ، وليست لأهل الحوض . والدخال أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا .
(٣) المتنبي ، ديوانه : ٢ - ٣٧١ . (٤) ديوانه : ٣٠٠ .

الفصل الثاني عشر

في السكناية والتعريض

السكناية
والتعريض

وهو أن يكفى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح ، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء . كما فعل العذري إذ بعث إلى قومه بصرة شوك وصرة رمل وحنظلة ، يريد : جاءكم بنو حنظلة في عدد كثير كثيرة الرمل والشوك .
وفي كتاب الله تعالى عز وجل : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ، فالغائط كناية عن الحاجة ، وملامسة النساء كناية عن الجماع .
وقوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴾ كناية عن النساء .

ومن مליح ماجاء في هذا الباب قول أبي العيناء ، وقيل له : ماتقول في ابني وهب؟
قال : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾
سليمان أفضل ، قيل : وكيف؟ قال : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

من التعريض
الجيد

ومن التعريض الجيد ما كتب به عمرو بن مسعدة إلى المأمون : أما بعد ، فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطوّل عليه في إلحاقه بنظرائه من المرتزقين فيما يرتقون ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفع بهم ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام . فوقع في كتابه : قد عرفنا تصريحك له ، وتعريضك بنفسك ، وأجبتك إليهما ، وأوقفناك عليهما .

ومن المنظوم قول بشار :

وإذا ما التقى ابن نُهَيَّا وبكر
زاد في ذا شبره وفي ذاك شبر

أراد أنهما يتبادلان ، وقال آخر في ابن حجاج :

أبوك أب مازال للناس مؤجما
لأعناقهم نقرأ كما ينقر الصقر

إذا عوَّجَ الكتابُ يوماً سطورهم فليس بمعوَّجٍ له أبداً سطرُ
وقال بعض المتقدمين :

وقد جعل الوَسْمِيُّ يَنْبِتُ بَيْنَنَا وبين بنى دُودَانَ نَبْعاً وشَوْحَطاً
النَّبَّعُ والشَّوْحَطُ ، كأنه كَتَبَ بهما عن القسي والسهام ؛ ومثله قول الآخر :
وفي البَقْلِ ما لم يدفع الله شرَّه شياطين ينزُّو بعضهم على بعض
وقول رؤبة :

يَابْنَ هِشَامٍ أَهْلَكَ النَّاسَ اللَّيْنُ فَكَلَّهْمُ يَمْدُو بِقَوْسٍ وَقِرْنُ

وهذه كنايةات عن القتال والوقائع بينهم أيام الربيع ، وهو وقت الغزو عندهم .
وكتب كافي الكفاة : إن فلانا طرقت بيته وهو الخفيف ؛ لا خوف على من دخله ،
ولا يد على من نزله ، فصادف فتيانا يُعاطون كريمته الكؤوس تارة ، والفؤوس
مرة ، فن ذى مِعْوَلٍ يَهْدِمُ ، ومن ذى مِعْوَلٍ^(١) يَثْلُمُ . فبائع الرقيق يكتب من بينهم
بالغليظ ، فوثبت العفيفة خفيفة ذفيفة^(٢) ، تحكمتها في أخادعه ، وتثق بيسراها وقع
أصابه ، والحاضرون يحرّضونها على القتال ، ويدعونها إلى النزال ، والشيخ يناديهم :
تجمعتُم من كل أوبٍ وبَلْدَةٍ على واحد لازلمُ قرْنٍ واحد
ثم علم أن الحرب خدعة ، ولسلك امرئ فرصة ، فتلقأها بالأمانى طلاقاً بَتّاً
وَفِرَاقاً بَتّاً . وأخذ ينشد :

إني أبيتُ أبيتُ ذو محافظةٍ وابن أبي أبي من أبيين^(٣)

ولكن بعد ماذا ، بعد ما ضمّوا الحصر ، وأموا الحصر ، وأدمنوا العصر ،
وافتحوا القصر .

(١) المغول : سوط في جوفه سيف .

(٢) الذفيفة : السريعة الخفيفة .

(٣) البيت لدى الإصمعيّ العدواني ، المفضليات : ١ - ١٦١ .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن شراً ولا تسأل عن الخبر
فأكثر هذا الكلام كنيات .

ومما عيب من هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : قال أبو الحسن بن طباطبا
الأصبهاني يصف غلاماً : مما عيب من
الكنية

منعم الجسم يحكي الماء رفته وقلبه قسوة يحكي أبا أوُس
أى قلبه حجر ، أراد والد أوُس بن حجر ، فأبعد التناول . فكتب إليه أبو مسلم
قال : وأنشدنيها أبو مسلم ، ولم ينسبها إلى نفسه :

أبا حسنٍ حاولت إيرادَ قافيةٍ مصليبةً المعنى فجاءتاك واهيه
وقلت أبا أوُس تريد كنايةً عن الحجر القاسي فأوردت داهيه
فإن جاز هذا فاكسرن غير صاغر في بآي القرم الهمام معاويه
وإلا أقمنا بيننا لك جده فتصبح ممنونا بصفين ثانيه

أراد : فاكسرن في بصخر ، وإلا أقمنا بيننا لك حرباً وهو جد معاوية ؛ وقال
أبو نواس في جلد عميرة :

إذا أنت أنكحت الكريمة كفهاً فانكح حسينا راحة بنت ساعد
وقل بالرفا ما نلت من وصل حررة لها راحة حفت بخمس ولائد
ومن شنيع الكناية ، قول بمض المتأخرين (١) :

لاني على شغفي بما في نُخرها (٢) لأعفُ عما في سراويلاتها
وسمعت بمض الشيوخ يقول : الفجور أحسن من عفاف يُمبر عنه بهذا اللفظ .
قال : وقريب من ذلك قول الآخر :

وما نلت منها محرماً غير أنني إذا هي بالث بُلت حيث تُبول

(١) هو المتني ، ديوانه : ١ - ٢٢٦ .

(٢) الحر : جمع خار ، وهو ما تختمر به المرأة .

الفصل الثالث عشر

في العكس

العكس: أن تمكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبمضهم يسميه التبديل؛ وهو مثل قول الله عز وجل: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا يُرْسِلُ لَهُ﴾ .

وكقول القائل: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك . وقول الآخر: اللهم أغني بالفقر إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك . وقول بعض النساء لولدها: رزقك الله حظاً يخدمك به ذوو المقول، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوى الحظوظ . وقال بعضهم لرجل كان يتمهده: أسأل الله الذي رحمني بك، أن يرحمك بي . وقال بعض القدماء: ما أقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة . وما أكثر قلة المعرفة مع ملك النفس ! وقال بعضهم: كن من احتيالك على عدوك، أخوف من احتيال عدوك عليك . وقال آخر: ليس معي من فضيلة العلم إلا أني أعلم أني لا أعلم . وفي معناه قول الشاعر:

جَهَلْتُ ولم تعلم بأنك جاهلٌ فن لي بأن تدرى بأنك لا تدرى

وعزى رجل أخاه على ولد، فقال: عوّضك الله منه ما عوّضه منك - يعني الجنة . وقال بعضهم: إنى أكره للرجل أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقداره علمه، كما أكره أن يكون مقداره علمه فاضلاً عن مقداره لسانه . وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عنه: إذا أنا لم أعلم ما لم أر فلا علمت ما رأيت . وقيل للحسن بن سهل - وكان يكثر العطاء: ليس في السرف خير، فقال: ليس في الخير سرف .

فمكس اللفظ واستوفى المعنى .

وقال بعضهم : كان الناسُ وِرْقًا لا شوكَ فيه ، فصاروا شوكًا لا وِرْقَ فيه .

ومثاله من المنظوم قول عدى بن الرقاع (١) :

ولقد ثنيتُ يدَ الفتاةِ وسادةً لى جاعلا إحدى يديَّ وسادها

وقال بمض المحدثين :

لساني كتوم لأسراركم ودمعي تموم لسرى مُديعُ

فلولا دموعي كتمتُ الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموعُ

وقال آخر :

تلك الثنايا من عقدها نُظِمَتْ أو نُظِمَ العقده من ثناياها

والعكس أيضاً من وجه آخر ؛ وهو أن يذكر المعنى ثم يعكسه إيراد خلاف؛

كقول الصاحب : * وتسمى شمس المعالي وهو كسوفها *

مثاله من
المنظوم

الفصل الرابع عشر

في التذييل

وللتذييل في الكلام موقع جليل ، ومكان شريف خطير ؛ لأن المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا . وقال بمض البلاء : للبلاغة ثلاثة مواضع ؛ الإشارة ، والتذييل ، والمساواة . وقد شرحنا الإشارة والمساواة فيما تقدم ؛ فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه ، وهو ضد الإشارة والتعريض ؛ وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ؛ لأن تلك المواطن تجمع البطى الفهم ، والبعيد الذهن ، والثاقب القرينة ، والجيد الخاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تؤكد عند الذهن اللقن ، وضح للكييل البليد .

ومثاله من القرآن قول الله عز وجل : ﴿ ذَلِكْ جَزَئِنَّا هُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ ؛ ومعناه وهل يجازى بمثل هذا الجزاء إلا الكفور . وقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ . و ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ جميعا تذييل .

ومثاله من النثر قول بعضهم : قبول السعاية شر من السعاية ؛ لأن السعاية إضبار ودلالة ، والقبول إنفاذ وإجازة ، وهل الدال الخبير ، مثل المجيز المنفذ ، فإذا كان كذلك فالحزم أن يمت الساعي على سعائته إن كان صادقا للؤمه في هتاك العورة ، وإضاعة الحرمة ، وأن يجمع له إلى المقت العقوبة إن كان كاذبا ، لجمعه على إضاعة الحرمة ، وهتاك العورة ومبارزة الرحمن بقول الزور واختلاق البهتان . فقوله : « وهل الدال الخبير مثل المجيز المنفذ » تذييل ما تقدم من الكلام .

وكتب رجل إلى أخ له : أما بعد ، فقد أصبح لنا من فضل الله تعالى ما لا نحصىه ،
ولسنا نستحي من كثرة ما نعصيه ، وقد أعيانا شكره ، وأعجزنا حمده ، فما ندرى
ما نشكر : أجميل ما نشر ، أم قبيح ما ستر ، أم عظيم ما أبلى ، أم كثير ما عفا ،
فاستزد الله من حسن بلائه بشكره على جميع آلائه . فقوله : « فما ندرى ما نشكر »
تذييل لقوله « قد أعيانا شكره » .

وكتب سليمان بن وهب لبعضهم : بلغني حسن محضرك ، فغير بديع من فضلك ،
ولا غريب عندي من برك ؛ بل قليل اتصل بكثير ، وصغير لحق بكبير ؛ حتى اجتمع
في قلب قد وطن لموتك ، وعنق قد ذللت لطاعتك ، ونفس قد طبعت على مرضاتك ؛
وليس أكثر سؤالها ، وأعظم إربها ، إلا طول مدتك ، وبقاء نعمتك ، قوله : « فغير
بديع من فضلك ولا غريب عندي من برك » تذييل لقوله : « بل قليل اتصل بكثير ،
وصغير لحق بكبير » فأكد ما تقدم .

من المنظوم

ومن المنظوم قول الخطيئة (١) :

قوم هم الأنف والأذنانُ غسيرُهم ومن يقبس (٢) بأنف الناقة الدنيا

فاستوفى المعنى في النصف الأول ، وذيل بالنصف الثاني .

وقول الآخر :

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

وقول طرفة (٣) :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي لسكالطول الرخي وثنياه باليد (٤)

فالنصف الآخر تشبيهه وتذييل .

وقول أبي نواس :

عمر الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمن عرام (٥)

قوله : « وللزمان عرام » تذييل .

(١) ديوانه : ٧ . (٢) في الديوان : « ومن يسوى » . (٣) المعلقات : ٨٦ .

(٤) الطول : الجبل . وثنياه : مائتي منه . (٥) العرام : الشدة والأذى .

الفصل الخامس عشر

في الترصيع

وهو أن يكون حشو البيت مسجوعا ، وأصله من قولهم : رصعت العقد ، إذا فصلته . ومثاله قول امرئ القيس (١) :

سَلِيمُ الشَّظِيِّ عَيْلُ الشَّوِيِّ شَنِجُ النَّسَا له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ (٢)

وقوله (٣) :

وأوتاده مازية وعماده رُدينية فيها أسنة قعضب (٤)

وقوله (٥) :

فَنُورُ الْقِيَامِ قَطِيعُ الْكَلَا مِ تَقَرَّرَ عَنْ ذِي غُرُوبٍ خَصِرِ

وضرب منه قوله (٦) :

مِخَشَّ مَجِشٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَتَيْسِ ظَبَاءِ الْحَلْبِ الْعَدَوَانِ (٧)

وضرب منه ، قوله (٨) في صفة الكلب :

الْأَمْسُ الضَّرُّوسُ حَسْبِي الضَّلُوعُ تَبُوعٌ طَلُوبٌ نَشِيطٌ أَشِرٌ (٩)

فقوله : «الضروس مع الضلوع» ، سجع ؛ وإن لم يكن القاطع على حرف واحد ؛ وقد أحكنا هذا في السجع والازدواج .

- (١) ديوانه : ٦٤ . (٢) الشظي : عظام لازق بالذراع . والشوي : اليان والرجلان . والنسا : عرق في الفخذ . والحجبات : رموس عظام اليدين . والفالي : اللحم الذي على الورك .
(٣) ديوانه : ٨٧ . (٤) المازية : الدروع البيض . وقعضب : رجل كان يصنع الرماح .
(٥) ديوانه : ٨ . (٦) ديوانه : ١٢٣ . (٧) رواية الديوان :

مكر مقر مقبل مدبر معا كتييس ظباء الحلب العدوان

الحلب : بقالة تأكلها الوحش فتضمر عليها بطونها . العدوان : المنسرع .

(٨) ديوانه : ١١ . (٩) الأمس : الذي التصقت أسنانه بعضها ببعض . حبي الضلوع (بالباء) : منتفخ .

- وقال زهير (١) :
كبداء مقبلة عجزاء مُدبرة قوداء فيها إذا استعرضتها خضع (٢)
وقال أوس (٣) :
جُشًا حناجرها علما مشافرُها تسنن أولادها في قرقر ضاحي (٤)
وقال طرفه (٥) :
بطيء عن الجلي سريع إلى الخنا ذلول بأجماع الرجال مُلهد (٦)
وقال النمر (٧) :
من صوب سارية عُلّت بغادية تنهل حتى يكاد الصبح ينبج
وقال تابط شرا (٨) :
بل من لعذالة خذالة أشب حرقت باليوم جلدي أي تحراق (٩)
وقال أيضا (١٠) :
جمال ألوية شهاد أنديه هباط أودية جوال آفاق
وقال النمر (١١) :
طويل الدرّاع قصير الكراع يواشك بالسبب الأغر
وقال الأفوه الأودي (١٢) :
سود غدائرُها بلج محاجرُها كأن أطرافها لما اجتلي الطنف (١٣)

(١) ديوانه : ٢٣٧ . (٢) كبداء : ضخمة الوسط .
قوداء : طويلة العنق . استعرضتها : نظرت عرضها . الخضع : تظلمن في العنق .
(٣) نقد الشعر : ٢٥ . (٤) الجش : جمع أجش ، وهو التليظ الصوت . والعلم : جمع أعلم
وهو المشقوق الشفة العليا . (٥) المعلقات : ٩٦ . (٦) الجلي : الأمر العظيم . أجماع :
جمع جمع ، وهو ظهر الكف . الملهد : المضروب . (٧) نقد الشعر : ٢٦ .
(٨) المفضليات : ٢٨ . (٩) العذالة : الكثير اللوم . والخذالة : الذي يكثر خذلان
صاحبه . والأشب : المعترض . (١٠) المفضليات : ٢٧ . (١١) نقد الشعر : ٢٩ .
(١٢) الطرائف الأدبية : ٢٠ . (١٣) الطنف : السبور .

وقال المجير^(١) :

* حُمَّ الذرى مرسلّة منها العرى *

وقال سليك^(٢) :

* إذا أمهلت خبّت وإن أحرزنت مشت *

وقال بشامة بن الغدير^(٣) :

هوانُ الحياة وخزى المات وكلاّ أراه ظماماً وبيلا

وقال الراعى^(٤) :

سود معاصمها خضُر معاقها قد مسّها من عقيد القار تنصيل^(٥)

وقالت ليلي الأخيلية^(٦) :

وقد كان مرهوبَ السنان وبين الألسان ومجدّامَ السرى غير فائر

وقال ذو الرمة :

كجلاء في برج صفراء في نعج^(٧) كأنها فضة قد مسها ذهب

وقال عامر بن الطفيل :

إني وإن كنتُ ابنَ فارس عامرٍ وفي السرّ منها والصریح المهذب

فما سوّدتني عامرٌ عن ورائة أبنى الله أن أسمو بأمّ ولا أب

ولكنني أحمى حماها وأتقى أذاها وأرى من رماها بمقنب

المقنب : جماعة الخيل .

ومثل هذا إذا اتفق في موضع من القصيدة أو موضعين كان حسناً ، فإذا كثرت وتوالى دلّ على التكلف ؛ وقد ارتكب قوم من القدماء الموالاة بين أبيات كثيرة

(١) نقد الشعر : ٢٧ . (٢) نقد الشعر : ٢٧ . (٣) نقد الشعر : ٢٧ .
(٤) نقد الشعر : ٢٧ . (٥) المعاقم : فقر في مؤخر الصلب ،
(٦) نقد الشعر : ٢٧ . وماتت أطراف العظام .
(٧) البرج : نجل العين وهو سعتها . والنعج : حسن اللون وخلوص بياضه .

من هذا الجنس فظهر فيها أثر التكلف ، وبان عليها سمة التعسف ، وسلم بعضها ولم يسلم بعض ؛ فن ذلك ما روى أنه للخنساء :

حَامِي الحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الخَلِيقَةِ مَهْ دِي الطَّرِيقَةِ نَفَاعٌ وَضَرَارٌ
هذا البيت جيد ؛ ثم قالت :

فَعَالٌ سَامِيَةٌ وَرَادٌ طَامِيَةٌ لِلْمَجْدِ نَامِيَةٌ تَعْنِيهِ أَسْفَارٌ
هذا البيت ردي لتبرئ بعض ألفاظه من بعض ؛ ثم قالت :

جَوَابُ قَاصِيَةٍ جَزَّازٍ نَاصِيَةٍ عَمَّادٍ أَلْوِيَةٍ لِلخَيْلِ جَرَّارٌ
آخر هذا البيت لا يجري مع ما قبله ، وإذا قسسته بأوله وجدته قاتراً بارداً ؛
ثم قالت :

حَاوُ حَلَاوَتِهِ فَصَلُّ مَقَالَتِهِ فَاشِ سَمَالَتِهِ لِلْعَظْمِ جِبَّارٌ
وهذا مثل ما قبله ؛ وقول أبي صخر الهذلي (١) :

وَتَلَكْ هَيْكَلَةٌ خَوْدٌ مَبْتَلَةٌ (٢) صَفْرَاءُ رَعْبَلَةٌ فِي مَنْصَبِ سَيْمٍ
هذا البيت صالح ؛ وبعده :

عَدَبٌ مَقْبَلُهُ خَيْدَلٌ مُخْلَلُهُ كَالدَّعِصِ (٣) أَسْفَلُهَا مَخْصُورَةُ الْقَدَمِ
كأن قوله : « مخصورة القدم » ناب عن موضعه غير واقع في موقعه ؛ وبعده :

سُودُ ذَوَائِبِهَا بِيضُ تَرَائِبِهَا مَحْضُ ضَرَائِبِهَا صِيغَتْ عَلَى الْكِرْمِ
وهذا البيت أيضاً قلق القافية ؛ وبعده :

سَمَّحٌ خَلَاتُهَا دُرْمٌ مَرِاقُهَا يُرْوَى مُعَانِقُهَا مِنْ بَارِدِ شَيْمٍ
هذا البيت ردي لبعده ما بين الخلائق ، والمرافق ، وما بين الدرْم ،
والسمح ؛ ولولا أن السجع اضطره لما قال : سمح وليس لهظم مرقةها حجيم (٤) . وهذا
مثل قول القائل لو قال : خَلُقَ فُلَانٌ حَسَنٌ وَشَعْرُهُ جَعْدٌ (٥) . ليس هذا من تأليف

(١) نقد الشعر ٢٨ . (٢) الخود : الشابة . والمبتلة : الحسنة الخلق . (٣) المخطلل :
موضع الخطلل . والدعص : مجتمع الرمل . (٤) هذا تفسير للدرم . (٥) الجعد من الشعر : القصير .

البلغاء ونظم الفصحاء. وقول أبي المثلث (١) :

آبي الهضيمة ناء بالعظيمة مت
لاف الكريمة جلد غير ثنيان (٢)
حامي الحقيقة نسال الودية مع
تاق الوسيقة لا نكس ولاوان (٣)

البيت الثاني أجود من الأول ؛ وقوله :

رَبَاءَ مَرْقِيَةٍ مَنَاعٍ مَغْلَبَةٍ
وهاب سَلْمِيَّةٍ قَطَاعُ أَقْرَانِ (٤)
وهذا البيت أيضاً صالح ؛ وبمده :
هَبَّاطُ أُوْدِيَةِ حَمَالِ أَلُوِيَةِ
شهاد أنديّة سِرْحَانِ فُتَيَانِ (٥)

قوله : سِرْحَانِ فُتَيَانِ نَابِ قَلْقِ ؛ وبمده :

يُعْطِيكَ مَا لَا تُكَادُ النَّفْسُ تُرْسَلُهُ
من التلاد وهوب غَسِيرِ مَنَانِ
الثارك القِرْنِ مَصْفُورًا أَنَامَلُهُ
كُنْ فِي رَيْطَتَيْهِ نَضْحُ إِرْقَانِ (٦)
هذا البيت جيد وقد سائر العيوب إذ لم يتكلف فيه السجع ولم يتوخ

الموازنة .

ومن جيد الباب قول ابن الرومي :

حَوْرَاءُ فِي وَطْفٍ قَمْوَاءٍ فِي ذَلْفٍ
لَفَاءُ فِي هَيْفٍ عَجْزَاءُ فِي قَبَبٍ (٧)

ومن معيب هذا الباب أيضاً قول بعض المتأخرين (٨) :

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ
دَعُ مَا نَزَاكَ ضَعُفَتْ عَنْ إِخْفَائِهِ

هذا رديء لتعمية معناه .

(١) تقد الشعر : ٢٩ ، وفي ط قبل هذين البيتين نقلا عن نسخة كبير يلي هذا البيت :

لو كان للدهر مال كان متلده لسكان للدهر صخر مال فتیان

(٢) الثنيان : الذي يجيء ثانيا في السوود . (٣) نسال : أي ينسل في الودية ، وهي

شدة الحر . والمعناق : التي يطرد الطريدة . الوسيقة : القطعة من الإبل .

(٤) رباء : من ربا فوق الشيء إذا علاه . والمرقية : المرتفع من الأرض . والسلمية : الجسيم

من الخيل . (٥) السرحان : الأسد بلغة هندي ، والبيت في اللسان (سرح) .

(٦) الربطة : الملاعة . والإرقان : الحناء والزعفران ، وهذا البيت لم يذكر في أ .

(٧) الوطف : كثرة شعر الحاجبين . والقنا : ارتفاع الأنف . والذلف : صغر الأنف

واستواء الرقبة . والفاء : الضخمة الفخذين . والقبب : دقة الحصر . (٨) المتنبي ، ديوانه : ١ - ٥٠ .

من جيد
الترصيع

من معيبه

الفصل السادس عشر

في الإيغال

الإيغال

وهو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ؛ ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا ، وأصل الكلمة من قولهم : أوغل في الأمر إذا أبعده الذهاب فيه .

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي عن المبرّد عن التوزي ، قال : قلت للأصمعي : مَنْ أشعرُ الناس ؟ فقال : مَنْ يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا ، أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا ، أو ينقضي كلامه قبل القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى . قال : قلت : نحو مَنْ ؟ قال : قول ذِي الرُّمّة حيث يقول (١) :

قف العيس في أطلال مية فاسأل رُسوماً كأخلاق الرِّداء المسلسل
فتم كلامه « بالرداء » قبل المسلسل ، ثم قال « المسلسل » ؛ فزاد شيئا بالمسلسل .
ثم قال :

أظن الذي يُجدي عليك سؤاها دموعا كتبدير الجبان المفضّل
فتم كلامه ، بالجمان ، ثم قال : المفضل ، فزاد شيئا . قلت : ونحو مَنْ ؟ قال : الأعشى
حيث يقول (٢) :

كناطح صخرّة يوما ليقلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
فتم كلامه « بيضرها » ، فلما احتاج إلى القافية قال : وأوهى قرنه الوعل ؛ فزاد معنى . قلت : وكيف صار الوعل مفضلا على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحط من قلة الجبل على قرنيه فلا يضره .

وكتب بعض الكتاب : نبؤ الطرف من الوزير دليل على تغير الحال عنده ،

(١) نهاية الأرب : ٧ - ١٣٨ ، ديوانه ٧٢ . (٢) العمدة : ٢ - ٥٢ ، المعلقات : ٢٨٤ .

ولا صَبْرٌ على الجفاء مَمَّنْ عود الله منه اليبرّ ، وقد استدللت بإزالة الوزير إياى عن المحل الذى كان يجلبنيته بتطوّله على ماسؤت له ظنا بنفسى ، وما أخاف عتبا لأنى لم أجن ذنبا ، فإن رأى الوزير أن يقومنى لنفسى ، ويدلنى على ما يراد منى فعل . تم كلامه عند قوله له « يقومنى » ثم جاء بالمقطع وهو قوله : « لنفسى » فزاد معنى .

وممن زاد توكيدا امرؤ القيس حيث يقول (١) :

كأنَّ عيونَ الوَحْشِ حولَ خِبائِنَا وأرْحُلِنَا الجُزْعَ الذى لم يَثَقِّبْ
قوله : « لم يثقب » يزيد التشبيه توكيدا ؛ لأن عيون الوحش غير مثقبة .

وزهير حيث يقول (٢) :

كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ (٣) فى كلِّ مَنزِلٍ نَزَلْنَ به حَبُّ الفِئَا لم يُحَطِّمِ
الفئنا إذا كسر ابيض . والفئنا : شجر الثعلب (٤) . ومن الزيادة قول امرئ القيس (٥) :

إذا ما جرى شأوين وابتلَّ عطفه تقول هزيرُ الريحِ مرَّتْ بأثابِ (٦)
فالتشبيه قد تم عند قوله « هزير الريح » وزاد بقوله « مرّت بأثاب » : لأنه أخبر به عن شدة حفيف الفرس ، وللريح فى أغصان الأثاب حفيف شديد . والأثاب : شجر .

وقول أبى نواس :

ذاك الوزير الذى طالت علواته كأنه ناظر فى السيف بالطول
فقوله « بالطول » أنفى للشبهة .

وقول راشد السكاتب :

كأنه ويد الحسناء تغمزه سير الإداوة لما مسه البلل
فقوله : « لما مسه البلل » تأكيد ، ويدخل أكثر هذا الباب فى التتميم ؛ وإنما يسمى إيفالا إذا وقع فى الفواصل والمقاطع .

(١) ديوانه : ٨٨ . (٢) ديوانه : ١٢ . (٣) العهن : الصوف .

(٤) هو شجر ثمره حب أحمر . (٥) ديوانه : ٨٣ .

(٦) الشأو : الطلق . وعطفه : ناحيته . وهزير الريح صوتها .

الفصل السابع عشر

في التوشيح

التوشيح سمي هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ، ولو سمي تبيننا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام يُنبئ عن مَقْطَعِهِ ؛ وأوله يجزى بآخره ، وصدْرُهُ يشهد بِعَجْزِهِ ، حتى لو سمعت شعراً ، أو عرفت رواية ؛ ثم سمعت صدر بيت منه وَقَفْتَ على عَجْزِهِ قبل بلوغ السماع إليه ؛ وخير الشعر ما تسابق صدورهِ وأعجازه ، ومعانيهِ وألفاظهِ ؛ فتراه سلساً في النظام ، جارباً على اللسان ، لا يتناقى ولا يتنافر ؛ كأنه سبيكة مُفْرَغة ، أو وشى منعم ، أو عقد منظم من جوهر مُتَشَاكل ، متمكن القوافي غير قلقة ، وثابتة غير مرجحة ، ألفاظه متطابقة ، وقوافيه متوافقة ، ومعانيه متعادلة ، كل شيء منه موضوع في موضعه ، وواقع في موقعه ؛ فإذا نقض بناؤه ، وحل نظامه ، وجعل ثراً ؛ لم يذهب حسنه ، ولم تبطل جودته في معناه ولفظه ؛ فيصلح نقضه لبناء مستأنف ، وجوهره لنظام مستقبل .

فما في كتاب الله عز وجل من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ؛ فإذا وقفت على قوله تعالى : « فيما » ، عرف فيه السامع أن بعده ﴿ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، لا تقدم من الدلالة عليه .

أمثله من القرآن

وهكذا قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَمْرٌ مُكْرَمٌ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ .
 ذا وقف على « يكتبون » ، عرف أن بعده « ما يَمْكُرُونَ » ، لا تقدم من ذكر المسكر .
 وضرب منه آخر ، وهو أن يَعْرِفَ السامع مَقْطَعِ الكلام ، وإن لم يجد ذكره فيما تقدم ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ، فإذا وقف على قوله : « لننظر » مع ما تقدم من قوله تعالى : « جعلناكم خلائف في الأرض » ، علم أن بعده : « تعملون » ، لأن المعنى يقتضيه .

ومن الضرب الأول قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .
وهكذا قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ؛ إذا وقف على « أوهن البيوت » ، يعرف أن بعده « بيت العنكبوت » .
ولهن أمثلة ذلك قول الراعي (١) :

أمثلة من
الشعر

وإن وُزِنَ الحَصَى فوزنت قومي . وجدتُ حَصَى ضريبتهم رزينا
إذا سمع الإنسان أول هذا البيت وقد تقدمت عنده قافية القصيدة استخراج لفظ قافيته ؛ لأنه عرف أن قوله « وزن الحصى » سيأتي بعده « رزين » لعتين : إحداهما أن قافية القصيدة توحيه ؛ والأخرى أن نظام البيت يقتضيه ؛ لأن الذي يُفاخر برحاة الحصى ينبغي أن يصفه بالرزانة .
وقول نصيب :

وقد أيقنتُ أن سببينُ ليلٍ . وتُحجَبُ عنك لو نفع اليقينُ
وأنشد أبو أحمد قول مُضَرَس بن رَبِيعِ :

تمتيت أن ألقى سلما ومالكا . على ساعةٍ تُنسى الحليم الأمانيا
ومن عجيب هذا الباب قول البحترى (٢) :

فليس الذي حملته بمحملٍ . وليس الذي حرّمته بحرام
وذلك أن مَنْ سَمِعَ النصف الأول عرف الأخير بكاله ؛ ونحوه قول الآخر :
فأما الذي يُحصيهم فكثُر . وأما الذي يُطريهم فنقل
وقول الآخر :

هي الدرّ منشورا إذا ما تكلمت . وكالدرّ منظوما إذا لم تكلم
وقول الآخر :

ضمائف يقتلن الرجال بلا دم . ويا عجبا للقائلات الضمائف

(٢) ديوانه : ٢ - ٢٢٣ .

(١) نهاية الأرب : ٧ - ١٣٨ .

وقول الآخر :

وقد لان أيام الحمى ثم لم يكد
من العيش شيء بعد ذلك يلين
يقولون ما أبلأك والمال عامر
عليك وضاحي الجلد منك كنين
فقلت لهم : لا تعذلوني وانظروا
إلى النازع المقصور كيف يكون
إذا قلت : « ضاحي الجلد منك » ، فليس شيء سوى « الكنين » ؛ وكذلك
إذا قلت : « إلى النازع المقصور كيف » ، فليس شيء سوى « يكون » .

مما عيب منه

ومما عيب من هذا الضرب قول أبي تمام (١) :

صارت المكرمات بزلاً وكانت
أدخلت بينهما بنات مخاض (٢)
وقول بعض المتأخرين (٣) :

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا
قلقل عيس كهن قلقل
وإنما أخذه من قول أبي تمام (٤) فأفسده :

طلبتك من نسل الجدليل وشدقم
كوم عقائل من عقائل كوم (٥)

(١) ديوانه : ١٨٨ . (٢) البزل : الإبل الداخلة في السنة الرابعة . بنات المخاض :

الداخلة في الثانية . (٣) هو المتنبي ، ديوانه : ٣ - ١٧٦ . (٤) ديوانه : ٣٠٦ .

(٥) جدليل وشدقم : خلان كانا للنعمان بن المنذر تنسب إليهما الجدليات والشدقيات من

الإبل . والكوم الأولى : القطعة من الإبل ، والثانية : جمع أ كوم ، وهي في الأصل العظم

في كل شيء ثم غلب على السنام والبعير ، فقيل سنام أ كوم وبعير أ كوم أي عظيم .

الفصل الثامن عشر

في رد الأعجاز على الصدور

فأول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظا تقتضى جوابا فالمرضى أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب ، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها ، كقول الله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ . وكتب بعض الكتاب في خلاف ذلك : من اقترف ذنباً عمداً ، أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه ، وحق به ما توخاه . والأحسن أن يقول : لزمه ما اقترف ، وحق به ما اكتسب . وهذا يدل على أن رد الأعجاز على الصدور موقعا جليلا من البلاغة ، وله في المنظوم خاصة محلا خطيرا .

وهو ينقسم أقساما ؛ منها ما يوافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في النصف الأول ؛ أقسامه

مثل قول الأول :

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما في جيش رأى لا يفل عرمرم
وقال عنبرة (١) :

فأجبتها إن المنية منهل لا بد أن أسقي بذاك المنهل
وقال جرير (٢) :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع
وقال الخيل :

وينفس فيما أورتني أوائل ويرغب عما أورثته أوائله

(١) ديوانه : ١٠٠ . (٢) ديوانه : ٣٤٨ .

ومنها ما يوافق أول كلمة منها آخر كلمة في النصف الأخير ، كقول الشاعر (١) :
سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الوغى (٢) بسريع
وقول ابن الأست :

أسمى على جلّ بني مالك كلّ امرئ في شأنه ساع
ومنه ما يكون في حشو الكلام في فاصلته ، كقول الله تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ
فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ . وقوله
تعالى : ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴾ . وكقول امرئ القيس (٣) :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
وقول الآخر :

كذلك خيمهم ولكل قوم إذا مستهم الضراء خيم
وقول زهير (٤) :

ولأنت تفرى ما خلقت (٥) وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى
وقال جرير (٦) :

سقى الرمل جون مستهل ربابه وماذاك إلا حب من حل بالرمل (٧)
أخذه من قول النمرى :

لعمرك ما أسقى البلاد لحبها ولكنما أسقيك حار بن توب
وقول ابن مقبل :

ياحر من يعتذر من أن يلمّ به ربّ النون فإنى لست أعتذر

(١) هو الأقيشر ، معاهد التنصيص : ٣ - ٢٤٢ . (٢) في المعاهد : « الندى » .

(٣) ديوانه : ١٢٥ . (٤) ديوانه : ٩٤ . (٥) الخالق : الذي يقدر ويهيء للقطع .

(٦) ديوانه : ٤٦٠ . (٧) الجون : السحاب الأسود . والرباب : ما كان دون السحاب .

وقول الخطيئة (١) :

إذا نزل الشتاء بدار قوم

تجنب جارا بيتهم الشتاء

وقول الآخر :

رأت نضو أسفار أميمة واقفا

على نضو أسفار فجئن جنوبها

وقول عمرو بن معديكرب (٢) :

إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

وقول الآخر :

أصد بأيدي العيس عن قصد دارها

وقلبي إليها بالموذة قاصد

ومن الضرب الأول قول زهير (٣) :

الستر دون الفاحشات ولا

يلفك دون الخير من ستر

وقول الخطيئة (٤) :

تدرون إن شد المصاب عليكم

وتأبى إذا شد المصاب فلا تدبر

وقول أبي تمام (٥) :

أسأله ما بأله حكم البيلى

عليه وإلا فتركوني أسأله

وقوله :

تجشتم حمل الفادحات وقلما

أقيمت صدور المجد إلا مجشما

وقول الآخر :

مفيد إن ترره وأنت مقو

تكن من فضل نعمته مفيدا

وقول الآخر (٦) :

واستبت مرة واحدة

إنما العاجز من لا يستبت

(١) ديوانه : ٢٧ . (٢) ديوانه : ١ - ٦٢ . (٣) ديوانه : ٩٥ .
(٤) ديوانه : ٥٠ . (٥) ديوانه : ٢٣٠ . (٦) نهاية الأرب : ٣ : ١٠٩ .

ومنها ما يقع في حشو النصفين ؛ كقول النمر :

يودّ الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة تفعل

وقلت :

ألا لا يذم الدهر من كان عاجزا ولا يعدل الأقدار من كان وانيا

فمن لم تبلغه المعالي نفسه فخير جدير أن ينال المعاليا

وقفتُ على يحيى رجائي وإنما وقفتُ على صوب الربيع رجائيا

إذا ما الليالي أدركت ما سعت له تمطيت جدواه ففتّ اللياليا

ومما عيب من هذا الباب قول ذى نواس البجلي :

من العيوب

يُتَيْمَنِي بَرَقُ الْمُبَاسِمِ بِالضَّحَى وَلَا بَارِقُ إِلَّا الْكَرِيمُ يَتِيمُهُ

وقال منصور بن الفرج :

زُرْنَاكَ شَوْقًا وَلَوْ أَنَّ النَّوَى نَشَرْتُ بُسْطَ النَّوَى بَيْنَنَا بُعْدًا لَزُرْنَاكَ

وهذا أيضاً داخل في سوء الاستعارة ، وقوله أيضاً :

إذا احتجب الغيث احتبى في نديّه فيضرب أغنياءاً له أن تججبا

وهذا البيت على غاية العنائة .

الفصل التاسع عشر

في التتميم والتكميل

وهو أن توفي المعنى حفظه من الجودة ، وتمطيه نصيبه من الصحة ؛ ثم لا تغادر التتميم والتكميل معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره ؛ كقول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ ، فبقوله تعالى : « وهو مؤمن » تمّ المعنى .
 ونحو قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ، فبقوله تعالى : « استقاموا » تمّ المعنى أيضاً ؛ وقد دخل تحته جميع الطاعات ، فهو من جوامع الكلم .
 ونحو قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ .
 ومن الشعر قول أعرابية لرجل : كبت الله كلَّ عدو لك إلا نفسك . فبقولها : « نفسك » تمّ الدعاء ؛ لأن نفس الإنسان تجرى مجرى العدو له ، يعني إنها تورطه وتدعوه إلى ما يؤبوه .
 ومثله قول الآخر : احرس أخاك إلا من نفسه . وقريب منه قول الآخر : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلَه .

ومن المنظوم قول عمرو بن براق :

فلا تأمنن الدهر حُرّاً ظلمته فما ليسل مظلوم كريم بنائم

فقوله : « كريم » تميم ؛ لأن اللثيم يفضى على العار ، وينام على النار ، ولا يكون منه دون المظالم تكبر . وقول عمرو بن الأيهم :

بها نلنا الغرائب من سوانا وأحرزنا الغرائب أن تنالا

فالذي أكمل جودة المعنى قوله : « وأحرزنا الغرائب أن تنالا » .

وقول الآخر ^(١) :

رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويُعطوه عادوا بالسيوف القواضب

وقول طرفة^(١) :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمته تهمي

فقوله : « غير مفسدها » إتمام المعنى ، وتحرز من الوقوع فيما وقع فيه ذو الرمة

في قوله^(٢) :

ألا ياسلمى يادار مى على البلى ولازال منهلاً بجرعائك القطر

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ؛ لأن القطر إذا انهل فيها دائماً فسدت ؛
ومن العجب أن ذا الرمة كان يستحسن قول الأعرابية - وقد سألتها عن الغيث ،
فقلت : « غيثاً ماشئنا » ، وهو يقول خلاف ما يستحسن .

ومن التتميم قول الراعى :

لاخير فى طول الإقامة لامرى إلا إذا مالم يَجِدْ متحوّلاً
ونحوه قول الآخر :

إذا كنت فى دار يهينك أهلها ولم تك مكبولا بها فتحوّل
وقول الآخر :

ومقام العزيز فى بلد الدُّلّ إذا أمكن الرحيل محال

فقوله : « إذا أمكن الرحيل » تتميم ؛ وقول النمر :

لقد أصبح البيضُ الغوانى كأنما يرين إذا ما كنتُ فيهنّ أجرباً

وكنت إذا لاقيتهنّ ببلدة يقلن على النكراء أهلاً ومرحباً

فقوله : « على النكراء » تتميم ؛ ولو كانت بينه وبينهن معرفة لم ينكر له منهن

أهل ومرحب .

وقول الآخر :

وهل علمت بيتنا إلا ولّه شربة من غيره وأكله

فقوله : « من غيره » تتميم ؛ لأن لكل بيت شربة وأكلة من أهله .

وقول الشيخ (١) :

مُجَالِيَةٌ لَوْ يَجْعَلُ السَّيْفُ عَرْضَهَا عَلَى حِدِهِ لاسْتَكْبَرَتْ أَنْ تَنْوَرَا (٢)

فقوله : « على حده » تتميم عجيب .

ويدخل في هذا الباب قول الآخر :

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يَطَالِبُهُ فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفْرِ

وقول الخنساء (٣) :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

فقولها : « في رأسه نار » تتميم عجيب ؛ قالوا : لم يستوف أحد هذا المعنى

استيفاءها ، وهو مأخوذ من قول الأعشى (٤) :

وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يَسِيءُ بَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا (٥)

إلا أنها أخرجته في معرض أحسن من معرض الأعشى ، فشهر واستفاض ،

وخمل معها بيت الأعشى وردل ، وهذا دليل على صحة ما قلنا من أن مدار البلاغة

على تحسين اللفظ ، وتجميل الصورة . وقول الآخر :

الَالَيْتَ النَّهَارَ يَعُودُ لَيْلًا فَإِنَّ الصَّبْحَ يَأْتِي بِالْهَمِّ

حَوَائِجٍ لَا نَطِيقُ لَهَا قَضَاءً وَلَا رَدًّا ، وَرَوَعَاتِ الْغَرِيمِ

فقوله : « ولا ردا » تتميم .

(١) ديوانه : ٢٨ . (٢) جمالية : شبه الجمل في خلقها ، وشدهتها . والنضور : النضف .

(٣) العمدة : ٢ : ٥٥ . (٤) اللسان (كَب) . (٥) كَبْكَبَا : اسم جبل بمكة .

الفَصِيلُ العَشِيرُونَ

في الالتفات

ضرباه
الالتفات على ضربين ؛ فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به . أخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال قال الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال (١) :

أُنسى إذ تودُّعنا سليماً بعود بشامةٍ سقى البشام (٢)
ألا تراه مقبلاً على شعره . ثم التفت إلى البشام فدعا له . وقوله (٣) :
طرب الحمام بذى الأرك فشاقتني لازلت في علك وأيك ناضري
فالتفت إلى الحمام فدعا له .
ومنه قول الآخر :

لقد قتلتُ بني بكر برهم حتى بكيته وما يبكي لهم أحد
فقوله : « وما يبكي لهم أحد » التفات ؛ وقول حسان (٤) :
إنّ التي ناولتني نرددها قتلتُ قتلتُ فهاها لم تقتل
فقوله : « قتلت » التفات .

والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذاً في معنى وكأنه يمترضه شك أو ظن أن راداً يردّ قوله ، أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه ؛ فإما أن يؤكده ، أو يذكر سببه ، أو يزيل الشك عنه ؛ ومثاله قول المفضل الهذلي : (٥)

تبين صلاةُ الحرب منا ومنهم إذا ما التقينا والمسلم بادين (٦)

(١) ديوانه : ٥١٢ . (٢) البشام : شجر ذو ساق وأفنان وورق ولا ثمرة له .
(٣) ديوانه : ٣٠٤ . (٤) ديوانه : ٨٠ . (٥) ديوان الهذليين : ٣ - ٤٧ .
(٦) تبين : تستبين . صلاة الحرب : الذين يصلونها .

قوله: « والمسلم بادن » رجوع من المعنى الذى قدمه ؛ حتى بين أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسلم بادن ، والمحارب ضامر .

وقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وَأَجْمِلْ إِذَا مَا كُنْتَ لِابْدَاءِ مَا نَمَا وَقَدْ يَمْنَعُ الشَّيْءُ الْفَتَى وَهُوَ مُجْمِلٌ
وقول طرفة (١) :

وتصد عنك مبخيلة الرجل الش نوف موضحة عن العظم (٢)

بحسام سيفك أو لسانك وال كليم الأصيل كأرغب الكلم (٣)

فكأنه ظن معترضا ، يقول له : كيف يكون مجرى اللسان والسيف واحداً ؛ فقال :

« والسكلم الأصيل كأرغب السكلم » ؛ وإنما أخذه من امرى القيس :

* وَجُرِحَ اللِّسَانَ كَجِرْحِ الْبَيْدِ *

وأخذه آخر فقال :

* وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِيرُ *

ومن الالتفات قول جدير بن ربمان :

مَآزِيلٌ فِي الْمَهِيجَاءِ لَيْسُوا بَزَادَةٍ مَجَازِيْعٌ عِنْدَ الْبَأْسِ وَالْحُرُّ يَصْبِرُ

قوله : « والحري صبر » التفات .

وقول الرماح بن ميادة :

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ وَلَا وُدَّهُ يَصْفُو لَنَا فَنَسْكَارُمُهُ

كأنه يقول : « وفي اليأس راحة » ، والتفت إلى المعنى لتقديره أن معارضاً يقول

له : وما تصنع بصرمه ؟ فيقول : لأنه يُودَى إلى اليأس ، وفي اليأس راحة .

(١) ديوانه : ٦١ . (٢) الشنوف : الذى يرفع رأسه ، وفي ط : المشروف . موضحة :

(٣) كأرغب الكلم : كأشد الجراح وأكثرها اتساعا .

الفَصْلُ الحَادِي وَالْعِشْرُونَ

في الاعتراض

الاعتراض ، وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم ، ثم يرجع إليه فيتمه ؛ كقول
النايفة الجعدى^(١) :

ألا زعمتُ بنو سَعدَ بَأني - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ فَأَني
وقول كثير^(٢) :

لو أن الباخلين وأنتِ منهم رأوكَ تَعَلَّمُوا منكِ المِطالا
وقول الآخر^(٣) :

فطلتُ بيسوم دَعَّ أخاكَ بِمثله على مَشْرَعٍ يُروى ولما يُصَرِّد^(٤)
وقول الآخر :

إن الثمانين وُبُلغَها قد أحوجتُ سَمعى إلى تَرجان

وكتب آخر : فإنك - والله يدفع عنك - علق مَصِنَّة ، يَنْفَسُ وَيَتَنَافَسُ به ،
فيكون خَلْفًا مما سواه ، ولا يكون في غيره منه ؛ فإن رأيت أن تسمع العذر وتقبله ؛
فلو لم تكن شواهد واضحة ، وأنواره لأتحة ، لكان في الحق أن تهب ذنبي لجزعي ،
وإذلالى لإشفاقى ، ولا تجمع على لوعة لك ، وروعة منك - فعلت . فقوله : « فإنك
والله يدفع عنك » اعتراض ملبس .

وقول البحترى^(٥) :

ولقد علمتُ وللشباب جهالةٌ أن الصِّبا بعد الشباب تصابى
وقلت :

أُسحبُ أذيلَ الوفاء ولم يكن وحاشاك من فعل الدتية وإفيا

(١) العمدة : ٢ - ٤٢ . (٢) العمدة : ٢ - ٤٢ . (٣) العمدة : ٢ - ٤٢ .

(٤) التصريد : التقليل (٥) ديوانه : ٢ - ١٦ .

الفصل الثاني والعشرون

في الرجوع

الرجوع المقل شيء ، بلى (١) بمقدار ما يوجب الحجة عليك . وقال آخر : قليل العلم كثير ، بل ليس من العلم قليل ؛ وكقول الشاعر :

أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل أخذ ابن هرمة ، فقال :

ليت حظي كحظ العين منها وكثير منها القليل المهفأ (٢) وقال غيره :

إن ما قل منك يكثر عندي وقال دريد بن الصمة :

غير الفوارس معروف بشكته كافي إذا لم يكن في كرهه كافي وقد قتلت به عبسا وإخوتها حتى شفيت وهل قلبي به شافي

وقول آخر : نبتت فاضح قومه يعتابني عند الأمير وهل على أمير

وما بي انتصار إن غدا الدهر ظالمى على ، بلى إن كان من عندك النصر وقال آخر :

إذا شئت أن تلقى القناعة فاستخِرْ جُدَامَ بن عمرو إن أجاب جُدَامَ ومن مذموم هذا الباب قول أبي تمام :

رَضِيْتُ وهل أرضى إذا كان مُسَخَطِي من الأمر ما فيه رِضًا مَنْ لَهُ الأمرُ

من المذموم منه

(١) كذا في ط ، وفي ا : « بل » . (٢) كذا في ط ، وفي ا : « وقليل منها الكثير المهفأ » . (٣) خزائن الأدب لابن حجة ٣٦٧ ، ونسبه إلى أبي البيداء .

الفصل الثالث والعشرون

في تجاهل العارف ، ومزج الشك باليقين

بجاهل
العارف

تجاهل العارف ومزج الشك باليقين : هو إخراج ما يعرف صحته مُخْرَجاً ما يُشَكُّ فيه ليزيد بذلك تَأْكِيداً ؛ ومثاله من المنشور ما كتبتَه إلى بَعْضِ أَهْلِ الأَدبِ : سمعت بورود كتابك ، فاستغزني الفرح قبل رُؤيتِه ، وهزَّ عِطْفِي الرُحَّ أمامَ مشاهدته ؛ فما أدري أسمعتُ بورودِ كتاب ، أم ظفرتُ برُجوعِ شَبَاب ، ولم أدري ما رأيت : أخط مسطور ؟ أم روض ممتور وكلام منشور ؟ أم وَشَى منشور ؟ ولم أدري ما أبصرت في أثنائه : أآياتِ شِعْر ، أم عُقودِ در ؟ ولم أدري ما سَمَلتَه : أغيثَ حَلِّ بوادي ظمآن ، أم غوثَ سيقِ إلى أهفان .

ونوع منه ما كتب به كافي الكفاة :

كتبتُ إليك والأحشاء تهفو وقلبي ما يَقِرُّ له قَرَار
عن سلامة ؛ إن كان في عدم السالمين مَنْ أنصَل سهادُه ، وطار رُقادُه ، فقواده
يَجِفُّ ، ودمعه يَكِفُّ ؛ ونهاره للفِكر ، وليله للسَّهر .

ومن المنظوم قول بعض العرب (١) :

بالله يا طبيبات القاعِ قَانِ لَنَا
ليلايَ منكنَّ أم ليلي من البشرِ
وقول آخر :

أنتِ ديارُ الحىِّ أيتها الرُّبَا الـ
وسرِّبُ ظِباءِ الوَحْشِ هذا الَّذي
وأدمعنا اللاتي عفاك انسجامُها
وأيامنا فيك اللواتي تصرَّمت
أنيقةُ أم دار المهى والنعامِ
أرى بربعك أم سربِ الطبَّاءِ النواعِمِ
وأبلاكِ أم صوبُ الغمامِ السَّواجِمِ
مع الوصل أم أضغاث أحلامِ نائمِ

(١) معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ ، للعرجي أو المجنون أو ذى الرمة أو الحسين الغزوي .

وقال ذو الرمة (١) :

أيا ظبية الوعساء بين جُلاجلٍ وبين النقا أنتِ أم أمِّ سالمٍ (٢)
وقال بمض المتأخرين (٣) :

* أريقك أم ماء الغمامة أم خمر *

وقلت :

أعرة إسميل أم سُنَّة البدرِ وفيض ندى كفيته أم باكرُ القطرِ
وقلت أيضاً :

أثغرُ ما أرى أم أفجوانُ وقد ما بدا أم خيزرانُ
وطرفُ ما تقلبُ أم حُسامُ ولفظُ ما تساقطُ أم مجانُ
وشوقُ ما أكابدُ أم حريقُ ولبلُ ما أقسى أم زمانُ

وقال ابن المعتز (٤) :

كم ليلة عانت فيها بدرها حتى الصباح موسداً كفيته
وسكرت لأدرى أم خمر الهوى أم كأسه أم فيه أم عينية
وقال أعرابي :

أيا شبة ليلى ما لليلي مريضة وأنت صحيح إن ذا لمحال
أقول لظي مرّ بي وهو رانع أنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال !

(١) معجم البلدان ٣ : ١١٩ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ . (٢) الوعساء : الراية

من الرمل ، وجلاجل : جبل من جبال الدهناء : والنقا : القطعة المحدودة من الرمل .

(٣) هو اللثني ، ديوانه ٢ : ١٢٣ ، وبقية :

* بني بزود وهو في كبدى جر *

(٤) ديوان المعاني ١ : ٢٣٧

الفصل الرابع والعشرون

في الاستطراد

الاستطراد

وهو أن يأخذ المتكلم في معنى ، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر ؛ وقد جعل الأول سبباً إليه ؛ كقول الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ ، فبينما يدل الله سبحانه على نفسه بإزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها قال : ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ ﴾ فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرغائها ، وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلاً عليه ، ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام ، إلا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر ، دون الدلالة على الإعادة ، فاستوفى المعنيين جميعاً .

ومثاله من المنظوم قول حسان (١) :

مثاله من
المنظوم

إن كنت كاذبة الذي حدثنني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل عنهم (٢) ونجا برأس طمرة ولجام (٣)

وذلك أن الحارث بن هشام فر يوم بدر عن أخيه أبي جهل ، وقال يعتمر (٤) :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرسي بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرر (٥) عدوي مشهدي
وشمت ريح الموت من نلقائهم في مأزق والخيل لم تتبدد
فصدت عنهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مرصد (٦)

وهذا أول من اعتذر من هزيمة رويت عن العرب .

(١) ديوانه ٩٥ وسيرة ابن هشام ٣ : ٣٨٣ ، إعجاز القرآن للباقلائي ٩٣

(٢) في الديوان : « دونهم » . (٣) الطمر ، بتشديد الراء : الفرس الجواد ، وقيل :

المستفز للوثب ، والأثني طمرة . (٤) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٨٥ . (٥) في السيرة :

« ينسكى » . (٦) في السيرة : « مفسد » .

ومن الاستطراد قول السموءل (١) :

وإنا أناسٌ لا نَزَى القتل سبَةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولٌ

فقوله : « إذا ما رأته عامر وسلول » استطراد .

وقال الآخر :

إذا ما اتقى الله الفتي وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من عُسَلِ

وقول زهير (٢) :

إن البخيل ماموم حيث كان ولد

ومن ظريف الاستطراد قول مُسَلَم :

أجدك ما تدرين أن ربَّ ليلةٍ

لهوت بها حتى تجلَّت بمرَّةٍ

وقال أبو تمام (٣) :

وسابح هَظَلِ التَّعْدَاءِ هَتَانِ

أظمى الفُصُوصَ ولم تظلماً (٤) عرائنك

فلو تراه مُشِجاً والحصى زِيم (٥)

أيقنت - إن لم تثبت - أن حافره

فبينما يصف قوائم الفرس خرج إلى هجاء عثمان ؛ وهو من قول الأعرابي :

لَوْ صَكَ بوجهه الحجارَةَ لرضها ، ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومثله قول ابن المعتز :

لو كنت من شيءٍ خلافاً لم تكن

يا ليت لي من جلد وجهك رُقمةً

(١) ديوان الحماسة ١ : ٢٨ ، الباقلائي ٩٢ . (٢) ديوانه ١٥٢ .

(٣) علي علانته : على يسره وعسره . (٤) لإعجاز القرآن للباقلاني : ٩٣ .

(٥) في الإعجاز : « قوائمه » . (٦) في الإعجاز : « قلب » .

وقول البحرى في الفرس^(١) :

ما إن يعاف قَدَى ولو أوردته
وقال مسلم :

وأحبت من حباها الباخلي
إذا سِيلَ عُرْفًا كسا وجهه
يغار على المسالِ فعلَ الجوادِ
وقال بشار^(٢) :

خليٍّ من كعبِ أعينا أحاكما
فلا تبخلا بخل ابن قزعة إنه
إذا جثته في الخلق أغلق بابه
وقوله^(٣) :

فما ذرّ قرن الشمس حتى كأننا
وقريب منه قول البحرى :

إذا عطفتها الرياح قلت التفاتة
لعمارة في جاديتها المتعصفر

وهذا الباب يقرب من باب حسن الخروج ، وقد استقصيناها في آخر الكتاب .
ومن الاستطراد ما قلته :

انظر إلى قطر السماء ووبلها
وشمّول ما نشرته من معروفها
بل ما يروغك من وفور عطائها
انظر بنى زيد فإن محلمهم

ومن الاستطراد ضرب آخر ، وهو أن يجيء بكلام يظن أنه يبدأ فيه بزهد
وهو يريد غير ذلك ؛ كقول الشاعر :

يا من تشاغل بالطلل
واصيل فبوقك بالصبو
أقصر فقد قرب الأجل
سح وعد عن وصف الملل

(١) إعجاز القرآن للباقاني : ٩٣ . (٢) إعجاز القرآن : ٩٢ . (٣) إعجاز القرآن : ٩٣ .

الفصل الخامس والعشرون

في جمع المؤنث والمختلف

وهو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة ؛ كقول الله تعالى :
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ .
وقوله عز ٤٥٤ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ .

مثاله من
القرآن

ومثاله من النثر ما كتب به الشيخ أبو أحمد : فلو عاش حتى يرى ما مسينا به من
وَعَدَّ حَهِيرَ ، نَقِيرَ ، نَذْلَ ، رَذْلَ ، غَثَّ ، رَثَّ ، لَثِيمَ ، زَنِيمَ ، أَشْحَ مِنْ كَلْبَ ، وَأَذْلَ
مِنْ نَقَدَ ، وَأَجْهَلَ مِنْ بَعْلَ ، سَرِيحَ إِلَى الشَّرِّ ، بَطِيءَ عَنِ الْخَيْرِ ، مَغْلُولَ عَنِ الْحَمْدِ ،
مَكْتُوفَ عَنِ الْبَدَلِ ، جَوَادَ بِشْتَمِ الْأَعْرَاضِ ، سَخِيَّ بِضَرْبِ الْأَبْشَارِ ، لُجُوجَ ، حَقُودَ ،
خَرْقَ ، نَزِقَ ، عَسِرَ ، نَكِيدَ ، شَكِسَ ، شَرِسَ ، دَعِيَّ ، زَنِيمَ ؛ يَعْتَرِي إِلَى أَنْبَاطِ
سُقَّاطَ ، أَهْلَ لُؤْمِ أَعْرَاقِ ، وَرِقَّةَ أَخْلَاقِ ، وَيَنْتَمِي إِلَى أَخْبَثِ الْبَقَاعِ تَرَابًا ، وَأَمْرَهَا
شَرَابًا ، وَأَكْهَدَهَا ثِيَابًا ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا ﴾ .
ثم كما قال الشاعر :

نَبَطَىٰ آبَاؤُهُ لَمْ يَلِدْهُ ذُو صِلَاحٍ وَلَمْ يَلِدْ ذَا صِلَاحٍ
مَعْتَرٌ أَشْبَهُوا الْقُرُودَ وَلَكِنْ خَالَفُوهَا فِي خِفَّةِ الْأَرْوَاحِ
وَمِنَ الْمَنْظُومِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ (١) :
سَمَاحَةٌ ذَا وَبَرٍّ ذَا وَوَفَاءٌ ذَا وَنَائِلٌ ذَا إِذَا صَحَّ وَإِذَا سَكِرَ

مثاله من
المنظوم

(١) ديوانه : ١٢٨ .

وقوله^(١) - وقد جمع فيه جميع أوصاف الدمع من كثرته وقلته :

فدمعها سَكْبٌ وَسَحٌّ وَدِيمَةٌ وَرَشٌّ وَتَوَكَّفٌ وَتَهْمَلَانِ^(٢)

وما جمع من أنواع المكروه في بيت كما جمع ابن أحر^(٣) :

تَقَائِدُ بَرَسَامٍ وَوُجْهِ وَخَصِيَّةٍ وَجُوعٍ وَطَاعُونٍ وَفَقْرٍ وَمَغْرَمٍ^(٤)

وقال سويد بن خذاق^(٥) :

أَبِي الْقَلْبِ أَنْ بَاتَى السَّيْرَ وَأَهْلَهُ وَإِنْ قَيْلَ عَيْشٍ بِالسَّيْرِ^(٦) غَزِيرٍ

بِهَا الْبَقَّ وَالْحَمَى وَأَسَدُ خَفِيَّةٍ وَعَمْرُو بْنُ هَنْدٍ يَمْتَدِي وَيَجُورُ^(٧)

وقال أبو دواد^(٨) :

حَدِيدُ الْقَلْبِ وَالنَّازِ رِ وَالْعُرْقُوبُ وَالْكَعْبُ

عَرِيضُ الصَّدْرِ وَالْحَبَّةِ قَةُ وَالصَّهْوَةُ وَالْجَنْبُ

جَوَادُ الشَّدِّ وَالْتَقَرُّ بِ وَالْإِحْضَارُ وَالْعَقْبُ

وقال دريد :

سَلِيمُ الشَّطِيِّ عَيْلُ الشَّوِيِّ شَدِيحُ النَّسَاءِ طُؤَالُ الْقَرَاءِ تَهْدُ أَسِيلُ الْمَقْلَدِ^(٩)

وقال ابن مطير^(١٠) :

بَسُودٍ نَوَاصِيهَا وَوُجْرٌ أَوْ كَفْهَا وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَبَيْضٌ خَدُودَهَا

وقال أوس بن حجر :

يَشِيمُهَا فِي كُلِّ هَضْبٍ وَرَمَلَةٍ قَوَائِمُ عَوْجٍ مَجْمَرَاتٍ مَقَاذِفُ

(١) ديوانه : ١٢٤ . (٢) قال أبو بكر البليوسي : عطف الفعل على المصدر لقوة

شبه الفعل بالمصدر . (٣) الشعر والشعراء : ٣١٨ . (٤) النقائذ : جمع تقيذة ،

وأصلها في الحيل ما أتقذته من العدو . (٥) الشعر والشعراء : ٣٤٧ .

(٦) السدير : موضع بالحيرة . (٧) الحفية : غيضة ملتفة ، يتخذ الأسد عرينه فيها .

(٨) أمالي القاضي : ٢ - ٢٥٠ ، واللاكي : ٧٨٩ ، مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات .

(٩) الشطية : جمع شظية ، وهي عظم الساق . والشوى : الأطراف . والعلب : الضخم .

وشنج النساء : متقبضة . والنساء : عرق في الفخذ . والقرا : وسط الظهر .

(١٠) ديوان الحماسة : ٢ - ٦٥ .

تَوَائِمِ الْأَفِّ تَوَالٍ لَوَاحِقٍ سَوَاهٍ لَوَاهٍ مُزَبَدَاتٍ خَوَانِفٍ
مُزَبَدَاتٍ : خَفَافٌ . خَوَانِفٌ : تَهَوَّى بِأَيْدِيهَا إِلَى ضَمِيمِهَا .

من أشعار
المحدثين

وَمِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ (١) :

غَدَا الشَّيْبُ مَخْتَطَاً بِفُودَى خَطَّةً سَبِيلُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهْمِجٌ
هُوَ الزُّورُ يُجَفَى وَالْمَعَاشِرُ يَجْتَوِي وَذُو الْإِلْفِ يُقَلَى وَالْجَدِيدُ يُرْفَعُ
وَقَوْلُهُ (٢) :

كَالْفَصْنِ فِي التَّدَا وَالغَزَالَةِ فِي الْإِلْفِ
بِهَجَّةٍ وَابْنِ الْغَزَالِ فِي غَيْدِهِ
وَقَوْلُهُ (٣) :

رَبِّ خَفِضِ تَحْتَ السَّرَى وَغَنَاءِ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شَحُوبٍ
وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَرِ :

وَاللَّهِ مَا أَدْرَى بِكُنْهٍ صِفَانِهِ مَلِكِ الْقُلُوبِ فَأَوْبَقَتْ فِي أَسْرِهِ
أَبُوجْهِهِ أَمْ شَعْرُهُ أَمْ تَغْرُهُ أَمْ نَحْرُهُ أَمْ رِذْفُهُ أَمْ خَصْرُهُ
وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ (٤) :

فِي مَطْلَبٍ أَوْ مَهْرَبٍ أَوْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ أَوْ مَوَكِبٍ أَوْ فَيْلَقٍ
وَقَوْلُ الْبِجْتَرِيِّ :

بِجَلٍّ وَعَقْدٍ وَحَزْمٍ وَفَصْلٍ وَنَبْلٍ وَبَدَلٍ وَبَأْسٍ وَجُودٍ
وَقُلْتُ :

حَلِيفُ عِلَاءٍ وَمَجْدٌ وَفَخْرٍ وَبَأْسٌ وَجُودٌ وَخَيْرٌ وَخَيْرٌ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ (٥) :

يَرُوعُكَ أَنْ تَلْقَاهُ فِي صَدْرٍ فَيَلْقَى وَفِي نَحْرِ أَعْدَاءٍ وَفِي قَلْبِ مَوَكِبٍ

(١) ديوانه : ١٩٠ . (٢) ديوانه : ٩١ . (٣) ديوانه : ٣٦ .

(٤) ديوانه : ٢١٢ . (٥) ديوانه : ٢٤ ، والرواية فيه :

يهولك أن تلقاه صدراً لمحل ونحراً لأعداء وقلباً لموكب

وقلت :

وما هو إلا المزن يصفو ظلّاهُ . ويملو مبهواه ويكرهُ هاطله

وقلت :

أنتَ الربيعُ الغضُّ رِقَّ نسيْمُه . واخضر روضتُه وطاب غمامُه

وقلت :

فَتّي لم نزنه بالقوافي وإنّما . حَطَطْنَا إِلَيْه كِي يَزِين التّوَارِيفِيا
من الغرّ لاحوا أشمسا ومضوا ظبّي . وصالُوا أسوداً واستهلُّوا سوارِيا

وقلت :

يسبيك منه مفلج ومضرج . ومقوم ومعوج ومهفف

الفصل السادس والعشرون

في السلب والإيجاب

وهو أن تبنى الكلام على نفي الشيء من جهة ، وإثباته من جهة أخرى ، أو الأمر به في جهة ، والنهي عنه في جهة وما يجرى مجرى ذلك ؛ كقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ هُمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ .

ومثاله من النثر قول رجل ليزيد بن المهلب : قد عظم قدرك من أن يستعان بك ، أو يستعان عليك ؛ ولست تفعل شيئاً من المعروف ، إلا وأنت أكبر منه ، وهو أصغر منك ، وليس العجب من أن تفعل ، وإنما العجب من ألا تفعل . وقول الشعبي للنخعي : لا تعجب من المخطئ كيف أخطأ ، واعجب من المصيب كيف أصاب .
وأخبرنا أبو أحمد ، قال : حدثنا ابن الأباري ، قال : حدثنا أبي عن بعض أصحابه عن العتيبي ، قال : قيل لبعض العلماء : إن صاحبنا مات وترك عشرة آلاف ، فقال : أما العشرة آلاف فلا تترك صاحبكم .

وقال بعض الأوائل : ليس معي من فضيلة العلم إلا أني أعلم أني لا أعلم .

من المنظوم

ومن المنظوم قول امرئ القيس (١) :

هضم الحشماً لا يملأ الكف خصرها ويملاً منها كل حجلٍ ودُمليج (٢)
وقال السموءل (٣) :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين تقول

(١) الصحيح أنه للشماخ ، ديوانه : ٦ . (٢) الحجل : الخنزال . والدُمليج ، المعضد من الحلي .

(٣) ديوان الحماسة : ١ - ٣١ .

وقال :

لا يمجان بقول الناس عن عُرضِ ويمجان بما قالا وما سمعا

وقال آخر :

خفيف الحاذ نسال الفياق وعبد للصحابة غير عبد

وقال الأعشى :

صرمتُ ولم أصرمكم وكصارم أخ قد طوى كشحاً وآب ليذها

وقال آخر :

* حتى نجا من خوفه وما نجا *

ومن شعر المحدثين قول البيهقي^(١) :

فابق عمر الزمان حتى تؤدي شكر إحسانك الذي لا يؤدي

وقال أبو تمام^(٢) :

إلى سالم الأخلاق من كل عائب وليس له مال على الجود سالم

وقال آخر^(٣) :

أبلغ أخانا تولى الله صحبته أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال آخر :

هي الدر منشوراً إذا ما تكلمت وكالدر منظوما إذا لم تكلم
تعبد أحرار القلوب بدلاها وتعلم عين الناظر المتوسم

وقال آخر :

ثقي بجميل الصبر منى على الدهر ولا تثق بالصبر منى على الغدر
ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر

(١) ديوانه : ١ - ١٢٨ . (٢) ديوانه : ٢٨٦ .

(٣) عيون الأخبار : ٣ - ١٧ ، من أبيات ثلاثة ، نسبها إلى علي بن الجهم .

وقال أبو تمام (١) :

خليلي من بعد الجوى والأسى قفا ولا تقفأ فيضَ الدموع السواجم

وقلت :

أفي هذه الأيام زدت ولم تزد سناء تعالي فيه قدرك عن قدرى

وقلت :

أخو عزائم لا تفنى عجائبها والدَّهر ما بينها تفنى عجائبه

تفنى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ما تُفنى مآربه

الفصل السابع والعشرون

في الاستثناء

والاستثناء على ضربين ؛ فالضرب الأول هو أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثنى بغيره ؛ فتكون الزيادة التي قصدتها ، والتوكيد الذي توخيته في استثنائك ؛ كما أخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرني أبو عمر الزاهد ، قال : قال أبو العباس : قال ابن سلام ، لجندل بن جابر الفزاري (١) :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُمَيِّقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدِيَا

فقال هذا استثناء ، فبين هذا الاستثناء لهم ؛ كما قال النابغة (٢) :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُمْ بَهَنَ فُلُوقَ مَنْ قِرَاعَ الْكُتَائِبِ
ومثله قول أبي تمام (٣) :

تَنْصَلَّ رَبِّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ فِي الْوَدَادِ

وقلت :

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ ذَوِي النَّدَى خَسَّاسٌ إِذَا قَبِسُوا بِهِ وَلِثَامٌ

والضرب الآخر استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه ، مثل قول

طرفة (٤) :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرِّبِيعَ وَدِيمَةً تَهْمَى

وقول الآخر :

فَلَا تَبْعَدَنَّ إِلَّا مِنَ السَّوِّءِ إِنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ نَازِعٌ

(١) الشعر للنابغة الجعدي ، لعجاز القرآن للباقلاني : ٩٤ . (٢) ديوانه : ٦ .

(٣) ديوانه : ٨١ . (٤) ديوانه : ٦٢ .

الاستثناء على
ضربين

مثال الضرب
الأول

الضرب
الآخر
ومثاله

وقال الربيع بن ضبع :
قَنْيْتُ وَلَا يَفْنَى صَنِيعِي وَمَنْطِقِي وَكُلُّ امْرِئٍ إِلَّا أَحَادِيثُهُ فَإِنْ
وقال أعرابي يصف قوسا :
* خَرَقَاءَ إِلَّا أَنَّهُا صِنَاعُ *

وقال آخر في الخيل :
سَنَاهَا الدَّجُوجِيَّ وَمِنْهَا الأَرْمَكُ^(١) كَاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهُا تَحْرَكُ

(١) الدجوجي : الشديد السواد ، الأرمك : اللون الذي يخالط غبرته سواد .

الفصل الثامن والعشرون

في المذهب الكلاوي

جعله عبد الله بن المعتز الباب الخامس من البديع^(١) ، وقال : ما أعلم أني وجدت شيئاً منه في القرآن ، وهو ينسب إلى التكلف ، فنسبه إلى التكلف وجعله من البديع . ومن أمثلة هذا الباب قول أعرابي لرجل : إني لم أضر وجهي عن الطلب إليك قصر نفسك عن ردي^(٢) ، فضعني من كرمك ، بحيث وضعت نفسي من رجائك . وقول أبي الدرداء : أخوف ما أخاف أن يقال لي : عملت فما عملت ؟ وقول طاهر ابن الحسين للمأمون : يا أمير المؤمنين ؛ يحفظ علي من قلبك ، مالا أستعين علي حفظه إلا بك . وقال بعض الأوائل : لولا أن قولي لا أعلم [تثبت] ^(٣) لآني أعلم لقلت : لا أعلم . وقال آخر : لولا العمل لم يطلب العلم ، ولولا العلم لم يكن عمل ؛ ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إلي أن أدعه زهداً فيه .

مثاله من
النثر

وأنشده عبد الله قول الفرزدق^(٤) :

لكل امرئ نفسان : نفسٌ كريمةٌ
ونفسك من نفسيك تشفع للندی
وأخرى يعاصيها الهوى فيطعمها
إذا قلّ من أحرارهن شفيعها

وأنشده لإبراهيم بن المهدي يعتذر للمأمون^(٥) :

البرّ بي منك وطأ العذر عندك لي
وقام علمك بي فاحتج عندك لي
فما فعلت فلم تمشد ولم تلم
مقام شاهد عدل غير منهم
وأنشده^(٦) :

إنّ هذا يرى - ولا رأى له
ذاك بالظنّ عنده وهو عندي
أحمق - إني أعسده إنسانا
كالذي لم يكن وإن كان كانا

ومثله :

أما يحسن من يحسن
أما يرضى بأن صرت
أن يفضب أن يرضى
على الأرض له أرضاً

(١) كتاب البديع : ١٠١ (٢) هكذا بالأصول (٣) زيادة من (٤) العمدة : ٢ - ٧٥ ، البديع لابن المعتز : ١٠١ . (٥) البديع : ١٠٢ ، العمدة : ٢ - ٧٦ . (٦) هو أبو نواس ، البديع : ١٠٢ .

الفصل التاسع والعشرون

في التشطير

وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن ، وتتبادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما التشطير
بنفسه ، واستغناؤه عن صاحبه .

فمثاله من النثر قول بعضهم : مَنْ عتب على الزمان طالت معتبته ، ومن رَضِيَ عن الزمان
مثاله من النثر
طابت معيشته . وقول الآخر : الجود خير من البخل ، والمنع خير من المطل . وقول
الآخر : رأس المداراة ترك الماراة ، فالجزآن من هذه الفصول متوازنان الألفاظ والأبنية .
وقد أوردت من هذا النوع في باب الازدواج ما فيه كفاية .

مثاله من
المنظوم

وأما مثاله من المنظوم ، فسكقول أوس بن حجر :

فتحدركم عبسٌ إلينا وعامرٌ وترفعنا بكرٌ إليكم وتغلبُ

وقول ذى الرمة :

أستحدثت الركب عن أشياهم خبراً أم راجع القلب من أطرايه طرباً

وقول الآخر :

فأما الذى يحصيهم فكثُر وأما الذى يُطربهم فقللُ

وقول الآخر :

فكأنها فيه نهار ساطعٌ وكأنه ليل عليها مظلمُ

ومن شعر المحدثين قول البحترى ^(١) :

شوقى إليك تفيض منه الأدمعُ وجوى إليك تضيق عنه الأضلعُ

وقول أبى تمام ^(٢) :

بمصعدٍ من حسنه ومصوبٍ ومجمعٍ من نعته ومفرقٍ

وقوله (١) :

أُصْدَعُ شَمْلَ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِهِ
بِمَخْتَبِلِ سَاجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَوْ كَحَلِّ
وتشعبه بالبت من كل مشعب (٢)
ومقتبل صاف من الثغر أشنب
وقوله (٣) :

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي
وقول البحتری (٥) :

قفف مسعداً فيهن إن كنت عاذراً
وقال (٦) :

ومذهب جبّ لم أجد عنه مذهبا
وقال (٧) :

طليمتهم إن وجسه الجيش غازياً
وقال (٨) :

إذا اسودّ فيه الشكّ كان كواكباً
لأذّكرته بالرّمح ما كان ناسياً
فمن كان منهم ساكتا كنت ناطقاً
وقال (٩) :

فلا جربنّ الدمع إن لم تجره
وقال في جيش (١٠) :

يسودّ منه الأفق إن لم ينسدّد
وقلت :

وعلى الرّبي حُللٌ وشاهنّ الحيسا
والبرق يلمع مثل سيف يُنتضي
والقطر يهيم وهو أبيض ناصع
فمسهّم وممصّب ومفوف
والسيل يجرى مثل أفعى ترحف
ويصير سيّلا وهو أغبر أكلف

- (١) ديوانه : ٢٣ . (٢) تصدع : تفرق . تشعبه : تشنته . البت : بشر السر المشعب : الطريق . (٣) ديوانه : ٢٤ . (٤) استمت : أردت . (٥) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . (٦) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . (٧) ديوانه : ٢ - ٢١٣ . (٨) ديوانه : ٢ - ٢١٢ . (٩) ديوانه : ٢ - ١٢٠ . (١٠) ديوانه : ٢ : ١٢١ .

الفصل الثلاثون

في المجاورة

المجاورة : تردد لفظتين في البيت ، ووقوع كل واحدة منهما يجنب الأخرى أو المجاورة قريباً منها ، من غير أن تكون إحداها لغواً لا يحتاج إليها ؛ وذلك كقول علقمة :
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه أنى توجهه والمحروم محروم
فقوله : « الغنم يوم الغنم » مجاورة ، و « المحروم محروم » مثله .
وقول الآخر :

* وتندق منها في الصدور صدورها *

وقول أوس بن حجر (١) :

كأنها ذو وُشومٍ بين مَافِقَةٍ والقُطُطُطَانَةُ والبرُومُ (٢) مَدْعُورٌ (٣)
وقول أبي تمام (٤) :

إنا أتيناكم نصورُ مآرباً يستصغر الحدث العظيم عظيمها (٥)
وقوله (٦) :

ردعوا الزمان وهم كهولٌ جِلَّةٌ وسطوا على أحداثه أحداثنا (٧)
وقول الآخر :

* أنضاء شوق على أنضاء أسفار *

وقول الآخر :

* إنما يفقر العظيم العظيم *

(١) ديوانه : ١٤ . (٢) الوشوم : العلامات ، ومافقة والقططانة والبروم : أسماء

مواضع . (٣) معجم ما استعجم للبكري : ٢٤١ . (٤) ديوانه : ٣١٠ .

(٥) نصور : نجيتي ، وفي ط : نصور . (٦) ديوانه : ٦٥ . (٧) أحداث : سفار .

وقول أبي تمام^(١) :

وما ضيق أقطار البلاد أضافني إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي

وقول أبي الشيبان :

* فأتوك أنقاضاً على أنقاض *
وقول أبي النجم :

* تُدني من الجدول مثل الجدول *
وقول رؤبة^(٢) :

* ترعى الجلاميد بجمودٍ مدق^(٣) *
وقول الآخر :

قم فاستنى من كروم الرند ورد ضحا ماء المناقيد في ظل العناقيد^(٤)

وقول آخر ، وقد بعث إلى جارية يقال لها راح براح :

قل لمن تملك القلوب وإن كان قد ملك

قد شربناك فاشربي وبعثنا إليك بك

ومن هذا النوع قول الشاعر :

فلوني والمدام ولون ثوبي قريب من قريب من قريب

وقلت :

كأن الكأس في يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق

وقلت أيضاً :

دعونا ضرة البدر المنير فوافتنا على خضر نضير

مطرزة الشوارب بالقوالى مضمخة السوالف بالعبير

تري ما شئت من قد رشيق وما أحببت من ردق وتير

(١) ديوانه : ٢٥ . (٢) أراجيز العرب ٣٠ ، اللسان (ق) .

(٣) مدق ، يدق الأشياء . وانظر اللسان . (٤) الرند : الآس ، وقيل هو العود الذي يتبخر به .

الأمسها وقد لبستُ حريراً
فأحسبها حريراً في حرير
فأنسُ ثم لهو ثم زهر
سرور في سرور في سرور
وقلت أيضاً :

ودار الكاس في يد ذي دلال
ومنه أيضاً قول أبي تمام (١) :

دأب عيني البكاء والحزن دأبي
فأتركيني وُقيت مابي لما بي
وقوله أيضاً (٢) :

كأن العهد عن عفر (٣) لدينا
وإن كان التلاقي عن تلاق
وقوله (٤) :

طلبتُ أنفسَ الكُماة فشقتُ
من وراء الجيوب منها الجيوباً (٥)
وقوله (٦) :

أيام للأيام فيك غَضارة
والدهر فيّ وفيك غير ملوم
وقال ابن الرومي :

مَشْرَكَ الحِظ لا محصَّله
مَشْرَكَ المَال لا مَمْنَمه
محصّل المجد غير مشرّكه
ممتّع العرض غير منتهكه
وقول مسلم :

أنتك المطايا تهتدي بمطية
عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل

(١) ديوانه : ٣٥٥ . (٢) ديوانه : ٢١٥ . (٣) عفر : زمن .
(٤) ديوانه : ٢٨ . (٥) الكُماة : الذين كموا أنفسهم بالسلاح ، أي نستروها .
والجيوب : جمع جيب ، وهو ما يفتح على البحر من القميص . (٦) ديوانه : ٣٠٥ .

الفصل الحادى والثلاثون

فى الاستشهاد والاحتجاج

وهذا الجنس كثير فى كلام القدماء والمحدثين ، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس
صنعة الشعر ، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى ، وهو أن تأتى بمعنى ثم تؤكد به معنى
آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول ، والحجة على صحتة .

معناه

فقاله من النثر ما كتب به كفى الكفاة فى فصل له : فلا تقس آخر أمرك بأوله ،
ولا تجمع من صدره وعجزه ، ولا تحمل خوافي صنمك على قوادمه ، فالإناء يملؤه
القطر فيفعم ، والصغير يقترن بالصغير فيعظم ، والداء يلم ثم يصطلم ، والجرح يتباين
ثم ينفثق ، والسيف يمس ثم يقطع ، والسهم يرد ثم ينفذ .

مثال من
النثر

ومن الاستشهاد قول الآخر :

من الشعر

وإما يعشقُ النسايا من الآءِ
وإما من كان عاشقاً للمعالى
وكذاك الزّماح أول ما يك
سر منهنّ فى الحروب العوالى
وقال أبو تمام (١) :

هم من قوا عنه سبائب حلمه
وإذا أبو الأشبال أخرج عائناً
وقال أيضاً (٢) :

عتقت وسيلته وأية قيمة
للمشرفى المصّب (٣) مالم يعتنى
وقال أيضاً (٤) :

ياخذ الزائر ين قسرا ولو كفا
ربيع خصيل
غير إن الراى السدد يحتا
ط مع العلم أنه سيصيب

(١) ديوانه : ٦٤ . (٢) ديوانه : ٢١٤ . (٣) العضب : القاطع .

(٤) ديوانه : ٥٨ .

وقال أيضاً^(١) :

فاضعم قواصيمهم إليك فإنه
والسهم بالريش الأوام ولن ترى

لا يزخر الوادي بغير شعاب^(٢)
بيتاً بلا عميد ولا أطناب^(٣)

وقال ابن الرومي :

وطائف باسسته على طبق
مما ملأ كل سفلة سفلت
قلت له لم هو لك في سفلى الله
أفرقة وافقتك طاعتها
قال وجدت الكموب من قصب السد
واست الفتى سفلة فغائتها

يبغى لها حربة يشق لها
ولا يرى عليسة يعاملها
نأس وشر الأمور سافلها
أم عصابة فضلت غرامها
سكر مختارها أسافلها
ووكرها سفلة يشاكها

وقول بشار^(٤) :

فلا تجعل الشورى عليك غصاصة

فإن الخوافي^(٥) قوة للقوام

وقول الفرزدق^(٦) :

تصرم منى ود بكر بن وائل
قوارص تأتيني ويحترقونها

وما كاد لولا ظلمهم يتصرم
وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقال أبو تمام^(٧) :

غدا الشيب مختطاً بفودي خطة
هو الزور يجفى والمعاصر يجتوى

طريق الردى منها إلى النفس مهيع^(٨)
وذو الإلف يُقلى والجديد يرقع^(٩)

- (١) ديوانه : ٢١ . (٢) القواصي : البعيدون . زخر : ارتفع مائه . الشعاب : الطرق في الجبل . (٣) الأوام : الجيد الانثام . الأطناب : جبال يشد بها سرادق البيت . (٤) ديوانه : ٨٤ . (٥) الخوافي : مادون الريشات العمر من مقدم الجناح . (٦) ديوانه : ١٢٠ . (٧) ديوانه : ١٩٠ . (٨) الفود : جانب الرأس . (٩) الزور : الزائر . الخطة : الطريقة . المهيع : الطريق الواضح .

ولكنه في القلب أسودُ أسفعُ
وأنف الفتي من وجهه وهو أجدعُ

والماء رزقُ جهامه للأول^(٢)

لا خير في حب الحبيب الأول
خير البرية وهو آخرُ مرسل

ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
وحنينه أبدأ لأول منزل

وعلى الفم التبيم المتقبل
غضٌّ وينسى كل حبٍّ أول
كهوى جديدٍ أو كوصلٍ مُقبل
درست معاله كأن لم يؤهل
أما الذي ولي فليس ينزلي

ما الحبُّ إلا للحبيب الآخر
هل غائب اللذات مثل الحاضر
أوفى لدى من الشباب الغادر
ما السالفُ المفقودُ مثل الغابر

له منظرٌ في العين أبيضُ ناصعُ
ونحن نرجيه على السخط والرضا
وقال^(١) :

لي حرمة والت على سجالكُم
وقال آخر :

أعلق بأخِرٍ من كلفت بحبه
أتشك في أن النبي محمداً
وقال أبو تمام ، في خلاف ذلك^(٣) :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
كم منزل في الأرض بألفه الفسى
وقال ديك الجن في المعنى الأول :

اشرب على وجه الحبيب المتقبل
شرباً يذكر كل حبٍّ آخر
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى
ما إن أحن إلى خرابٍ مُفقر
معتى لمنزلى الذي استحدثته

وقال الماوى الأصهبانى :

دع حبٍّ أول من كلفت بحبه
ما قد تولى لا ارتجاع لطيبه
إن الشيب وقد وفى بمقامه
دنياك يومك دون أمسك فاعتبر

(١) ديوانه : ٢٣٨ . (٢) السجال : الدلاء الملوعة . الجمام : معظم الماء .

(٣) ديوانه : ٤٥٧ .

وقال آخر ، في خلاف القولين :

فألوي لي في الحب إن لم أعدل
شوقاً إلى الثاني وذكر الأول
لا بد منه وكالشراب السلسل
في الحب من ماض ومن مستقبل
أبدأ وألف طيب آخر منزل

قلبي رهين بالهوى المقبل

أنا مبتلى بيليين من الهوى

فيما حيانى كالطعام المشتى

قسم الفؤاد لجرمة وللذة

إني لأحفظ عهد أول منزل

وقال آخر في خلاف الجميع :

الحب للمحبوب ساعة حبه

ما الحب فيه لآخر ولأول

وقلت :

كان لي ركن شديد

زَعَزَعَتْهُ نُوْبُ الدَّه

ما بقاء الحجر الصل

وتدخل أكثر هذه الأمثلة في التشبيه أيضاً .

وقعت فيه الزلازل

روكرات النوازل

يد على وقع الماويل

الفصل الثاني والثلاثون

في التعطف

والتعطف أن تذكر اللفظ ثم تكررهُ ، والمعنى مختلف ، قالوا : وأول من ابتدأه امرؤ القيس ، في قوله :

إلا إنني بالٍ على جملٍ بالٍ يسوق بنا بالٍ ويتبعنا بالٍ

وليس هذا من التعطف على الأصل الذي أصَّوهُ ؛ وذلك أن الألفاظ المكررة في هذا البيت على معنى واحد يجمعها البلي فلا اختلاف بينها ، وإنما صار كل واحد منها صفة لشيء ، فاختلفت لهذه الجهة لا من جهة اختلافها في معانيها ؛ وكذلك قول الآخر (١) :

* عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ (٢) *

وإنما التعطف على أصلهم ، كقول الشماخ (٣) :

كَادَتْ تَسَاقِطُنِي وَالرَّحْلَ إِذْ نَطَقَتْ حَمَامَةٌ فَدَعَتْ سَاقًا عَلَى سَاقٍ

أى دعت حمامة ، وهو ذكر القهارى ويسمى الساق عندهم — على ساق شجرة ؛ وقول الأَفْوَه (٤) :

وَأَقَطَعَ الْهُوَجْلَ مَسْتَأْنَسًا بِهِوَجْلٍ عَيْرَانَةَ عَنْتَرِيْسٍ (٥)

فالهوجل الأول : الأرض البعيدة الأطراف ، والهوجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق .

ومما يدخل في التعطف ما أنشدنا أبو أحمد ، قال : أنشدنا أبو عبد الله الفجع ، قال : أنشدنا أبو العباس ثعلب (٦) :

مما يدخل في التعطف

(١) اللسان (عود) . (٢) العود الأول رجل مسن ، والثانى جمل مسن ، والثالث طريق .

(٣) ديوانه : ٧٠ . (٤) ديوانه : ١٦ . (٥) العيرانة : الناجية من الإبل .

والعنتريس : الناقة الصلبة . (٦) القصيدة في اللسان (خول) ، مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات .

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَ سَجْوَتِكَ بِالْخَالِ وَعَيْشَ لِيَالٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْخَالِي (١)

الخال : موضع . والخالى ، من الخلوة (٢) .

لِيَالٍ رِيْمَانُ الشَّبَابِ مُسَلِّطٌ عَلَى بَعْصِيَانِ الْإِمَارَةِ وَالْخَالِ

يعنى أنه يمضى أمر من بلى أمره وأمر من ينصحه ليصلح حاله ، وهو من قولهم : فلان خال مال ، إذا كان يقوم به ويصلحه .

وإِذَا أَنَا خَدْنٌ لِلْعَوَىِّ أَخِي الصَّبَا وَلِلْمَرْحِ الذِّيَالِ وَاللَّهُوِ وَالْخَالِ (٣)

الخال هاهنا : من الخيلاء وهو الكثير .

إِذَا سَكَنْتَ رَبْعًا رَمْتُ رِبَاعَهَا كَأَرْمِ الْمِثْيَاءِ ذُو الرِّيْثَةِ الْخَالِي (٤)

الخالى : الذى لا أهل له .

وَيَقْتَادُنِي ظُبِي رَخِيمٌ دَلَالَهُ كَمَا اقْتَادَ مَهْرًا حِينَ يَأْلِفُهُ الْخَالِي

الخالى : الذى يقطع الخلا وهو النبات الرطب .

لِيَسَالِي سَلْمَى تَسْتَبِيكَ بَدَلَهَا وَبِالْمَنْظَرِ الْفَتَانَ وَالْجَمِيدِ وَالْخَالِ

الخالى : الذى يرشم على الخد شبه الشامة .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي وَإِنْ مِلْتُ لِلصَّبَا إِذَا الْقَوْمُ كَعُوا اسْتُ بِالرَّعِيْشِ الْخَالِي

الخالى : الذى لا أصحاب معه يعاونونه (٥) .

وَلَا أُرْتَدَى إِلَّا الْمَرْوَةَ حَلَّةً إِذَا ضَنَّ بَعْضُ الْقَوْمِ بِالْمَعْصَبِ وَالْخَالِ

الخال : ضرب من البرود .

وَإِنْ أَنَا أَبْصَرْتُ الْمُحُولَ بِيَلَدَةٍ تَنْكَبْتُهَا وَاشْتَمْتُ خَالًا إِلَى خَالِ

الخال : السحابة الخيلة للمطر .

(١) فى اللسان : « وعيش زمان كان فى العصر الخالى » . (٢) فى اللسان : « الماضى » .

(٣) الذى فى اللسان : « ولغزل المريح ذى اللهو والخال » . المريح : الكثير المراح والنشاط ،

والذيال : الطويل الذيل . (٤) الرَّم : من رمّت الناقة ولدها إذا عطفت عليه ، ولزمته .

والميثاء : الأرض اللينة . والرثية : الحمق والفتور والضعف .

(٥) فى اللسان : « المنخرب : الضعيف » .

خالف (١) بخلقى كل حر مهذب وإلا فصارمه وخال إذا خال (٢)
المخلاة: قطع الحلف، يقال: أخل من فلان، وتخل منه، أى فارقة؛ وقال النابغة:

* قالت بنو عامر خالوا بنى أسد. *

فأنى حليف للسماحة والندى إذا اختلفت عبس وذبيان بالخال
الخال: موضع.

ومثله:

يا طيب نعمة أيام لنا سلفت
أيام أسحب ذيل في بطالتها
وقهوة من سلاف الخمر صافية
تسل عقلك في لين وفي لطف
وحسن لذة أيام الصبا عودى
إذا ترنم صوت الناي والعود
كالسك والعنبر الهندي والعود
إذا جرت منك مجرى الماء في العود

ومن هذا النوع، قول أبي تمام (٣):

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
ولم أجد منه شيئاً في القرآن إلا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ . والله أعلم.

(١) كذا في ١، وفي ط « بخلقى » . (٢) في اللسان: « وإلا تحالفتي بخال إذن خال » .

(٣) ديوانه: ٧ .

الفصل الثالث والثلاثون

في المضاعفة

وهو أن يتضمَّن الكلامَ معنيين : معنًى مصرَّح به ، ومعنى كلُّمَّار إليه ؛ وذلك المضاعفة مثل قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا مِنْهَا مَثَلًا مِنْ لَّا يَمْقُولُونَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَّا يَبْصُرُونَ ﴾ قال معنى المصرَّح به في هذا الكلام أنه لا يقدر أن يهْدِي مَنْ عَمِيَ عن الآيات ، وصمَّ عن الكلامِ البينات ؛ بمعنى أنه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها ؛ والمعنى المشار إليه أنه فضَّل السمع على البصر ، لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل ، ومع العمى فقدان النظر فقط .

ومن ثمر الكتاب ما كتَب به الحسنُ بن وهب : كتابي إليك ، وشَطِرُ قلبي النثر مثلاً من عندك ، والشَطِرُ الآخر غير خلو من تذكرك ، والثناء على عهدك ، فأعطاك الله بركة وجهك ، وزاد في عُلوِّ قدرك ، والنعمة عندك وعندنا فيك .

فقوله : « بركة وجهك » فيه معنيان : أحدهما أنه دعا له بالبركة ؛ والآخر أنه جعل وجهه ذا بركة عظيمة ، ولمظمها عدل إليها في الدعاء عن غيرها من بركات المطر وغيره ؛ ومثله قول أبي الميناء : سألتك حاجة فرددت بأقبح من وجهك ؛ فتضمن هذا اللفظ قُبْح وجهه وقبح رده .

مثلاً من
النظوم

ومن المنظوم قول الأخطل :
قومٌ إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بُولى على النار
فأخبر عن إطفاء النار ، فدل به على بخلهم ، وأشار إلى مهانتهم ، ومهانة أهمهم
عندهم .

وقول أبي تمام (١) :

يُخْرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السَّقَامَ كَمَا أُخْرِجَ ذَمُّ الْفَعَالِ مِنْ عُنُقِكَ

يَسِحُّ سِحًّا^(١) عَلَيْكَ حَتَّى يَرَى خَلْقَكَ فِيهَا أَصَحَّ مِنْ خُلُقِكَ
فَدَعَا لَهُ بِالصَّحَّةِ وَأَخْبَرَ بِصَحَّةِ خَلْقِهِ ، فَهِيَ مَعْنِيَانِ فِي كَلَامٍ وَاحِدٍ .
وَقَالَ جِحْظَةَ :

دَعَوْتُ فَأَقْبَلْتُ رُكُضًا إِلَيْكَ وَخَالَفْتُ مَنْ كُنْتُ فِي دَعْوَتِهِ
وَأَسْرَعْتُ نَحْوَكَ لَمَّا أَمَرْتَ كَأَنِّي نَوَالِكٌ فِي سُرْعَتِهِ
وَقَالَ ابْنُ الرَّوْمِيِّ :

بِنَفْسِ أَيْبٍ إِلَّا ثَبَاتَ عُقُودِهَا لَمَنْ عَاقَدْتَهُ وَأَحْلَالَ حَقُودِهَا
أَلَّا تَلْكُمُ النَّفْسَ الَّتِي تَمُّ فَضْلُهَا فَمَا نَسْتَزِيدُ اللَّهَ غَيْرَ خُلُودِهَا
فَذَكَرَ تَمَامَ فَضْلِهَا وَأَرَادَ خُلُودِهَا ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

نَهَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهَنَّتْ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ
وَكُتِبَ بَعْضُهُمْ : فَإِنْ رَأَيْتَ بِكِتَابِكَ الْمَادِلَ عِنْدِي رُؤْيَةً كُلِّ حَبِيبٍ سِوَاكَ
وَتَضْمِينَهُ مِنْ حَوَائِجِكَ مَا أَسْرَ بِقَضَائِهِ فَعَلِمْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَوْلُهُ : «سِوَاكَ» مُضَاعَفَةٌ .
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نَوْعٌ آخَرٌ ، وَهُوَ أَنْ تَوْرَدَ الْأِسْمُ الْوَاحِدَ عَلَى وَجْهَيْنِ وَتَضْمَنَهُ
مَعْنِيَيْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنَى ، كَقَوْلِهِمْ بَعْضُهُمْ :

أَفْدَى الَّذِي زَارَنِي وَالسَّيْفَ يَخْفَرُهُ وَلِحَظَ عَيْنِيهِ أَمْضَى مِنْ مَضَارِبِهِ
فَمَا خَلَمْتُ نَجَادِي فِي الْعِنَاقِ لَهُ حَتَّى لَبَسْتُ نَجَادًا مِنْ ذَوَائِبِهِ
فَجَعَلَ فِي السَّيْفِ مَعْنِيَيْنِ : أَحَدُهَا أَنْ يَخْفَرَهُ ، وَالْآخَرُ أَنْ لِحَظَهُ أَمْضَى مِنْ مَضَارِبِهِ .
وَضَرَبَ مِنْهَا وَضَرَبَ مِنْهُ آخَرَ قَوْلُ ابْنِ الرَّوْمِيِّ :

بِجَهْلِ كَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفِ مُنْتَضِي وَحِلْمِ كَهْمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفِ مُنْمَدٌ
وَضَرَبَ مِنْهُ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

وَخَالَ كَهَالَ الْبَدْرِ فِي وَجْهِهِ مِثْلُهُ لَقِينَا الْأَمْنَى فِيهِ فُحَايِزْنَا الْبَدْلُ

(١) يسح : يسيل . (٢) أبو الطيب التنيني ، ديوانه : ١ - ٢٧٧ .

الفصل الرابع والثلاثون

في التطريز

وهو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن ، فيكون التطريز فيها كالطرّاز في الثوب ، وهذا النوع قليل في الشعر .

أحسن ما جاء
منه

وأحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر :

إذا أبو قاسمٍ جادت لنا يده لم يُحمّد الأجودان : البحرُ والمطر
وإن أضأت لنا أنوارُ غرته تضاءل الأنوران : الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حدّ عزّمته تأخر الماضيان : السيفُ والقدر
من لم يكن حذراً من حدّ صوّلته لم يدّر ما المزعجان : الخوفُ والحذر

فالتطريز في قوله : « الأجودان » ، و « الأنوران » ، و « الماضيان » ،

و « المزعجان » .

ونحوه قول أبي تمام (١) :

أعوام وصلٍ كاد يُنسى طولها ثم انبرت أيام هجر أردفت
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فمكأنهم
ذكر النوى فكأنها أيام نجوى أمي فكأنها أعوام
فمكأنهم وكأنها أحلام

وقلت في مرثية :

أصبحت أوجه القبور وضاء يوم أضحت طريدة للمنايا
وغدت ظلمة القبور ضياء يوم ظلّ الثرى يضم الثريا
ففقدنا به الغنى والغناء فمدمنا منه السنن والسنا

يوم فأتت به بوادر شوم
يوم أتى الردى عليه جرانا
يوم ألوت به هتات الليالى
ومن ذلك قول زياد الأعجم:

ومتى يؤامر نفسه مستلجياً^(١)
أو أن يعود له بنفحة نائل
أو فى الزيادة بعد جزل عطية
فرزينا به الثرى والثراء
فخرمنا منه الجدا والجداء
فلبسنا به البلى والبلاء

فى أن يجود لذى الرجاء يقل جد
يعد الكرامة والحياء يقل عد
للمستزيد من العفاة يقل زد

(١) فى «مستلجياً»

الفصل الخامس والثلاثون

في التلطف

وهو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجته ، والمعنى المهجين حتى تحسنه ؛ وقد ذكرت طرفاً منه في أول السكتاب ، إلا أنني لم أسمه هناك بهذا الاسم فيشهر به ويكون باباً برأسه ، كما خوانه من أبواب الصنعة .

فمن ذلك أن يحيى بن خالد البرمكي قال لعبد الملك بن صالح : أنت حقود ؟ فقال : مثاله من النثر إن كان الحققد عندك بقاء الخير والشر فإنهما عنسدى لباقيان . فقال يحيى : ما رأيت أحداً احتج للحقد حتى حسنه غيرك . وقد مر هذا الفصل في أول الكتاب .
ورأى الحسن علي رجل طيلسان صوف ، فقال له : أيعجبك طيلسانك هذا ؟ قال : نعم ، قال : إنه كان على شاة قبلك ، فهجته من وجه قريب .

وأخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرنا الصولي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم أبو العيناء ، قال : لما دخلت على المتوكل دعوت له ، وكلمته فاستحسن كلامي ؛ وقال لي : يا محمد ؛ بلغني أن فيك شرا ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشر ذكر الحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فقد زكى الله عز وجل وذم ؟ فقال في الترقية : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ وقال في الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ، عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ ، فذمه الله تعالى حتى قذفه ؛ وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أئن دائماً ولم أستم الجبس اللئيم المذمماً
فقيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله السامع والفمأ

وفي الخبر بعض طول .

وكان عبد الله بن أمية وسّم دوابّه « عُدّة » ، فلما جازبها الحجاج جعل إلى جانبه « للفرار » . وقيل لعبادة : إن السودان أسخن ، فقال : نعم ، للعيون . وقال رجل

لرجل كان يراه فيمنغضه : ما اسمك ؟ فقال : سعد ، قال : على الأعداء . وسمعت والدى
 رحمه الله يقول : لمن الله الصبر فإن مضرتة عاجلة ، ومنغمته آجلة ، يتمجّل به ألم القلب ،
 بأمثال المنفعة في العاقبة ؛ وأملها تفوتك لعارض يعرض ، فكنت قد تعجلت الغم
 من غير أن يصل إليك نفع ؛ وما سمعت هذا المعنى من غيره ، فنظمته بعد ذلك ، فقلت :

الصَّبْرُ عمن تحبّه صَبْرٌ ونَفْعٌ مَنْ لَامَ في الهوى ضَرَرٌ
 مَنْ كان دون المرام مصطبراً فلستُ دون المرام أصطبرُ
 منفعة الصَّبْرِ غيرُ عاجلةٍ وربما حال دونها الغيرُ
 فقمّ بنا نلتمس ما ربنا أقام أو لم يقم بنا القدر
 إن لنا أنفساً تسودنا أعاننّ الزمان أو يذُرُ
 وابغ من العيش ما تسرّ به إن عدل الناس فيه أو عذروا

ومن المنظوم قول الحطيئة في قوم كانوا يلقبون بأنف الناقة فيأنفون ، فقال فيهم^(١) :
 قَوْمٌ هم الأنف والأذنانُ غيرُهُم ومن يسوّى بأنفِ الناقة الدنيا
 فكانوا بعد ذلك يتبجحون بهذا البيت .

مثاله من
 المنظوم

ومدح ابن الرومي البخل وعذر البخيل ، فقال :

لا تلمّ المسرء على بخله ولمسهُ يا صاح^(٢) على بذله
 لا عجب بالبخل من ذي حجى يُكرم ما يكرم من أجله
 وعذر أبو العتاهية البخيل في منعه منه ، بقوله^(٣) :

جُزِيَ البخيلُ على صالحه عنى بخفته على ظهري
 أعلى فأكرم عن نداء يدي^(٤) فعلت ونزه قدره قدرى
 ورزقت من جدواه عارفة ألا يضيق بشكره صدري

(١) ديوانه : ٦ . (٢) في « يا أخ » (٣) ديوان الحماسة : ٢٤٦ ، أسرار البلاغة : ١٤

(٤) في ديوان الحماسة : « عن يديه يدي » .

وظفرت منه بخير مكرمة
ما فانتى خير امرى وضعت
من يخله من حيث لا يدري
عنى يده مؤونة الشكر

وقال ابن الرومى ، يعذر إنسانا فى المنع :

أجمت حسرى أيديك التى ثقلت
وما ملت العطايا فاسترحت إلى
على الكواهل حتى أدّها ذاك
إغبابهم بل هم ملوا عطايا كما
لكنه أسبق الراعين مرعا كما
عليهم لا على الأموال بقيا كما
وما بخلت ولا أمسكت إمساكا
أمسكت سئيبك إضراء لرغبتهم

وكان شمّ الورد يضره ، فكان يذمه ويمدح النرجس ، واحتال فى تشبيهه ،

حتى هجن فيه أمره وطمس حسنه وهو قوله :

وقائل لم هجوت الورد ممتدداً
كأنه سُرْمٌ بغل حين يُخرجه
فقلت من بغضه فندى ومن عبّطه
عند الرياث وبقى الروث فى وسطه
ومثله قول يزيد المهلبى :

ألا مبلغ عنى الأمير محمداً
لنا حاجة إن أمكنتك قضيتها
مقالاً له فضل على القول بارع
وإن هى لم تمكين فمذرك واسع
وقال ابن الرومى أيضاً :

وإنى لذو حلف كاذب
وما فى اليمين على مدفع
وإذا ما اضطرت وفى الأمر ضيق
يدافع بالله مالا يطيق

وقد فرغنا من شرح أبواب البديع ، وتبيين وجوها وإيضاح طرقها ؛ والزيادة التى زدنا فيها ستة فصول ، وأبرزناها فى قوالها من الألفاظ من غير إخلال ولا إهذار. وإذا أردت أن تعرف فضلها على ما عمل فى معناها قبلها ، فمثل بينها وبينه فإنك تقضى لها عليه ، ولا تنصرف بالاستحسان عنها إليه ، إن شاء الله .

وقد عرض لى بعد نظم هذه الأنواع ، نوع آخر لم يذكره أحد وسميته المشتق ، المشتق

وجهه وهو على وجهين ؛ فوجه منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ ، والآخر أن يشتق المعنى من اللفظ ، فاشتقاق اللفظ من اللفظ ، هو مثل قول الشاعر في رجل يقال له ينخاب :

* وكيف ينجع مَنْ نصف اسمه خابا *
وقلت ، في البانياس (١) :

في البانِياس إذا أوطئت ساحتها خوف وحيِّفٌ وإقلال وإفلاس
وكيف يطمع في أمن وفي دعة من حل في بلد نصف اسمه ياس
واشتقاق المعنى من اللفظ ، مثل قول أبي المتاهية :

حُلِّقتُ لِحْيَةَ مُوسَى بِاسْمِهِ وَبِهَارُونَ إِذَا مَا قُلِّبَا
وقال ابن دريد (٢) :

لو أوحى النحو إلى نفظويه ما كان هذا النحو يقرأ عليه (٣)
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صُراخاً عَلَيْهِ

(١) في أ : « البانسان » . (٢) ديوانه ١١١ . (٣) رواية الديوان :

لو أنزل الوحي على نفظويه لكان ذاك الوحي سخطا عليه

البَابُ العَاشِرُ

في ذكر مبادئ الكلام ومقاطعه والقول في حسن الخروج والفصل
والوصل وما يجري مجرى ذلك

الفِصْلُ الأوَّلُ

في ذكر المبادئ

قال بعض الكتّاب : أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان .
وقالوا : ينبغى للشاعر أن يحتز في أشعاره ، ومُفْتَتِحَ أقواله ؛ مما يُطَيِّرُ منه ، ويُسْتَجْفَى
من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الآلاف ونعي الشباب
وذمّ الزمان ؛ لاسيّما في القصائد التي تتضمن المدايح والتّهاني . ويستعمل ذلك في المراثي ،
ووصف الخطوب الحادثة ؛ فإن الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه ،
وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون المدوح ، مثل ابتداء ذي الرّمة (١) :
ما بال عينك منّها الماء ينسكبُ كأنه من كلّي مفريّة سرب (٢)
وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس ابتداءه (٣) :
أربع البلى إن الخشوع لبأدى عليك وإني لم أحنك ودأدى
قال فلما انتهى إلى قوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتُم بني برمكٍ من رأحين وغاد
وسمعه استحکم تطيره ، وقيل : إنه لم يمض أسبوع حتى نكبوا .

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : حدثنا الصولي ، قال : حدثنا محمد بن العباس

(١) الجهرة : ٣٦٠ (٢) الكلبي : جمع كلية ، والمفريّة : المخزوزة ، والسرب : الجارى .

(٣) ديوانه ٧٣

اليزيدى ، قال : حدثني عمي عن أخيه أبي محمد ، قال : لما فرغ من بناء قصره بالميدان الذي كان للعباسية ، جلس فيه وجمع الناس من أهله وأصحابه ، وأمر أن يلبس الناس كلهم الديباج ، وجعل سريره في الإيوان المنقوش بالفسافسا الذي كان في صدره صورة العنقاء ، جلس على سرير مرصع بأنواع الجواهر ، وجعل على رأسه التاج الذي فيه الدرّة اليتيمة ، وفي الإيوان أسرة آبنوس عن يمينه وعن يساره ، من عند السرير الذي عليه المعتصم إلى باب الإيوان ؛ فكلما دخل رجل رتبته هو بنفسه في الموضع الذي يراه ، فإرأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذنه إسحاق بن إبراهيم في النشيد فأذن له ؛ فأنشده شعراً ما سمع الناس أحسن منه في صفته وصفة المجلس ؛ إلا أن أوله تشبيب بالديار القديمة ، وبقية آثارها فكان أول بيت منها :

يا دارُ غيرك البلى فحباك ياليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم منها ، وتغامز الناس ، وعجبوا كيف ذهب على إسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك ؛ قال : فأقننا يوماً هذا ، وانصرفنا ، فما عاد منا اثنان إلى ذلك المجلس ، وخرج المعتصم إلى سر من رأى ، وخرب القصر .

وأنشد البحترى أبا سعيد قصيدة أولها (١) :

لك الويل من ليل تطاول آخره ووشك نوي حتى تزم أباعره

فقال أبو سعيد: بل الويل والحرب لك ! فغيره وجمله «له الويل» وهو ردى أيضاً.

وأنشد أبو حكيمة أبا دلف :

* ألا ذهب الأير الذي كنت تعرف *

فقال أبو دلف : أمك تعرف ذلك .

وأنشد أبو مقاتل الداعي :

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فأوجهه الداعي ضرباً ، ثم قال : هلا قلت : «إن تقل بشري فمندی بشريان» .

فإن أراد أن يذكر داراً فليذكرها كما ذكرها الخريبي :

ألا يادارُ دام^(١) لك الجبورُ وساعدك الغضارةُ والسرور
وكما قال أشجع :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ نَشَرْتُ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامِ
وقالوا : أحسن ابتداءات الجاهلية قول الثابتة^(٢) :

كَلَيْتِي لَهْمٍ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر^(٣) :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
قالوا : وأحسن مرثية إسلامية ابتداء قول أبي تمام^(٤) :

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَاءَ وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمًا
وقول الآخر :

أَنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ مَا مِثْلَ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ
أَنْعَى فَتَى مِصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ بِقِيَّةِ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ

وقد بكى امرؤ القيس واستبكى ، ووقف واستوقف ، وذكر الحبيب والمنزل
في نصف بيت ، وهو قوله^(٥) :

* قَفَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلِ *

فهو من أجود الابتداءات .

ومن أحكم ابتداءات العرب قول السموءل^(٦) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرْضُهُ فَسَكَلُ رِدَاءِ يَرْتَدِيهِ جَمِيلِ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

(١) في ط : « دار » ، وهذه رواية ا (٢) ديوانه : ٢ .

(٣) شعراء النصرانية : ٤٩٢ . (٤) ديوانه : ٣٧٤ . (٥) مطلع العاقبة .

(٦) ديوان الحماسة : ١ - ٢٨ .

وقال بعضهم : أحكم ابتداءاتهم قول لبيد^(١) :

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ

وبعضهم يجعل ابتداء هذه القصيدة^(١) :

ألا تسألان المرء ماذا يحاولُ أمحِبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلٌ

ومن جِياد ابتداءات أهل الجاهلية قول أوس بن حجر :

* ولقد أبيتُ بليقةً كليالي *

ومنها قول النابغة^(٢) :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازلُ وكيف تصابي المرء والشيبُ شاملٌ

ونحوه قول أمية^(٣) :

يا نفسُ مالك بعد الله من وَاقي وما على حدثنان الدهر من راقٍ

وقالوا : وكان عبد الحميد الكاتب لا يبتدئُ « بلولا » ولا « إن رأيت » .

وقد جعل الناس قول أبي تمام^(٤) :

يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا هي الصبابة طول الدهر والسهد

من جِياد الابتداءات ، وقوله^(٥) :

سعدتُ غربةً التوى بسُعادٍ فهى طوعُ الإتهامِ والإنجادِ

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء ، فقال : مَنْ يتفقدُ الابتداءَ والمقطع .

ولما نظر أبو العَمَيْثَل في قصيدة أبي تمام^(٦) :

أهنَّ عوادى يوسف وصواحيه فمزماً فقيماً أدرك النار طالِبُه

استرذل ابتداءها وأسقط القصيدة كلها ، حتى صار إليه أبو تمام ، ووقفه على

موضع الإحسان منها ، فراجع عبد الله بن ظاهر ، فأجازه .

من غير
الجاهلية

(١) ديوانه : ٨٠ . (٢) الخزانة : ١ - ٣٤٠ . (٣) ديوانه : ٤٣ .

(٤) ديوانه : ٩٦ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) ديوانه : ٤٣ .

ولأبي تمام ابتداءات كثيرة تجرى هذا المجرى ، منها قوله (١) :

قَدُّكَ أَتَنَّبُ أُرَيْبَتَ فِي الْغُلُوِّ كَمْ تَعْدُلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَائِي (٢)

وقوله :

صَدَقْتَ لَهِيًّا قَلْبِكَ الْمُسْتَهْتِرِ فَبَقِيتَ نَهَبَ صَبَابَةٍ وَتَذَكَّرِي (٣)

ومن الابتداءات البديعة قول مسلم :

أَجْرَرْتُ ذَيْلَ خَلِيعٍ فِي الْهَوِيِّ غَزَلٍ وَشَهَّرْتُ هَمِّمُ الْعُدَّالِ فِي عَدَلِي

وقال أبو العتاهية :

* نَفَاسٌ فِي الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَعْمِيهَا *

والابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك ، والمقطع آخر ما يبقى في النفس

من قولك ، فينبغي أن يكونا جميعاً موثقين .

وقد استحسنت لبعض المتأخرين ابتداءه (٤) :

أُرَيْبُكَ أُمُّ مَاءِ الْغَامَةِ أُمُّ خَرُّ بِنِيَّ بَرُودٍ وَهُوَ فِي كَبْدِي جَرُّ

وله بعد ذلك ابتداءات المصائب ، وفراق الحبايب ، منها قوله (٥) :

كَفَى أَرَانِي وَيْكَ لَوْمَكِ الْوَمَا هَمُّ أَقَامَ عَلَى فَوَادِي أَنْجَاهِي (٦)

وقوله (٧) :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ إِنِّي خَفِيُّ عَنَّكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي

وقوله (٨) :

هَذِي بَرَزْتِ لَنَا فَرَجْتِ رَسِيْسَا ثُمَّ انصرفت وما شفيت نسيْسَا (٩)

وقوله (١٠) :

جَلَلًا كَمَا بِي فَالْيَكِ التَّسْبِيْحُ أَغْذَاءُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنِ الشَّمِيْحُ

(١) ديوانه : ٢ . (٢) قدك : حسبك . واتنب : استجى . والسجراء : الأصدقاء .

(٣) اللهيا ، تصغير اللهو . (٤) أبو الطيب المتنبي : ٢ - ١٢٣ .

(٥) ديوانه : ٤ - ٢٧ . (٦) أنجيم : ألقع . (٧) ٤ - ٤٤ .

(٨) ٢ - ١٩٣ . (٩) هندي : منادي ، يريد : ياهده . والرسيْس : بداية الحب .

والنسيْس : بقية الروح الذي به الحياة . (١٠) ١ - ٢٤٣ .

ومن
الابتداءات
البديعة

ابتداءات
المتنبي

وقوله (١) :

أُحَادٌ أَمْ سِدَاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِي (٢)

وقوله (٣) :

لِجَنِيَّةِ أُمِّ غَادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ لَوْحِشِيَّةٍ لَا مَا لَوْحِشِيَّةِ شَنْفٍ (٤)

وقوله (٥) :

بِقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْتَحَالًا وَحَسَنَ الصَّبْرِ زَمُوا لَا الْجَمَالَ

وقوله (٦) :

فِي الْخَدِّ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرٌ يَزِيدُ بِهِ الْخُدُودَ مُحُولًا

وقال إسماعيل بن عباد : لعمرى إن الأحوال في الخدود من البديع المرود .

وقوله (٧) :

نُهَيْتِي بِصُورٍ أَمْ نُهَيْتُهَا بِكَا وَقُلُّ لَلَّذِي صُورٌ وَأَنْتَ لَهُ لِكَا

وقوله (٨) :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى فِي صُدُورٍ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلَ الصُّدُورِ

وقوله (٩) :

سَرَبٌ مَحَاسِنُهُ حُرْمَتُ ذَوَائِهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدٌ مَوْصُوفَاتِهَا

وقوله (١٠) :

أَيَا لَأَمْئِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْعَالَمِ

(١) ديوانه : ١ - ٣٥٣ . (٢) المنوطة : المتعلقة . التنادى : يوم القيامة .

(٣) ديوانه : ٢ - ٢٨٢ . (٤) الشنف : ماعلق في أعلى الأذن .

(٥) ٣ - ٣٢١ . (٦) ٣ - ٢٣٢ . (٧) ديوانه : ٢ - ٣٨١ .

(٨) ديوانه : ٢ - ١٤١ . (٩) ديوانه : ١ - ٢٢٥ .

(١٠) ديوانه : ٤ - ١١٠ .

وقوله (١) :

ووقتٍ وفي بالدهرِ لي عند واحدٍ وني لي بأهليته وزاد كثيراً

وقوله (٢) :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل

وقوله (٣) :

أراع كذا كل الأنام همام وسح له رسل الملوك غمام

وقوله (٤) :

أوه بديل من قولتي واهأ لمن نأت والبديل ذكراها

فهذه وما شا كلها ابتداءات لا خلاق لها .

فضل
الابتداء
الحسن

وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً ، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء

بعده من الكلام ؛ ولهذا المعنى يقول الله عز وجل : ألم . وحم . وطس . وطسم .

وكهيمعص ؛ فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ، ليكون ذلك داعية لهم

إلى الاستماع لما بعده والله أعلم بكتابه . ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله ؛

لأن النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع ؛ وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أتر » .

فأما الابتداء البارد ، فابتداء أبي العتاهية (٥) :

ألا ما لسيدتي مالها أدلت فأحمل إذلالها

(١) ٢ - ١٤٥ . ديوانه : ٣ - ٩٠ . (٢) ديوانه : ٣ - ٣٩٣ .

(٤) ٤ - ٢٦٩ . (٥) ديوانه : ٣١١ .

الفصل الثاني

في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل

قبيل للفارسي : ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل . وقال المأمون
لبعضهم : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ ؟ فقال : مَنْ قَرَّبَ الْأَمْرَ الْبَعِيدَ الْمُتَنَاوِلَ ، وَالصَّعْبَ الدَّرَكَ
بِالْأَلْفَاظِ الْبَسِيرَةِ ، قَالَ : مَا عَدَلَ سَهْمُكَ عَنِ الْفَرَضِ . ولكن البليغ من كان كلامه
في مقدار حاجته ، ولا يجيل الفكرة في اختلاس ماصعب عليه من الألفاظ ، ولا يكره
المعاني على إزالتها في غير منازلها ، ولا يتعمد الغريب الوحشي ، ولا الساقط السوقي ؛
فإن البلاغة إذا اعترتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام .

البلاغة
معرفة
الفصل
والوصل

وقال أبو العباس السفاح لكتابه : قِفْ عِنْدَ مَقَاتِعِ الْكَلَامِ وَحُدُودِهِ ؛ وَإِيَّاكَ
أَنْ تَخْلِطَ الْمَرْعَى بِالْهَمَلِ ^(١) . ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل .
وقال الأحنف بن قيس : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ الْوُقُوفَ عِنْدَ مَقَاتِعِ الْكَلَامِ ،
وَلَا عَرَفَ حُدُودَهُ إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَفْقَدَ مَقَاتِعَ
الْكَلَامِ ، وَأَعْطَى حَقَّ الْمَقَامِ ، وَغَاصَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَى بِالطَّفِ مَخْرُجًا ؛ حَتَّى كَانَ
يَقِفُ عِنْدَ الْقَطْعِ وَقُوفًا يَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَبَيُّعَتِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ :

إِذَا مَا بَدَأَ فَوْقَ الْمَنَابِرِ قَائِلًا أَصَابَ بِمَا يَوْمِي إِلَيْهِ الْمَقَاتِلَا

ولا أعرف فصلا في كلام مشور أحسن مما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : حدثنا
الصّولي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثني العتيبي عن أبيه ، قال : كان شبيب
ابن شبة يوما قاعداً بباب المهدي ، فأقبل عبد الصمد بن الفضل الرقاشي ، فلما رآه
قال : أتاكم والله كلهم الناس . فلما جلس قال شبيب : تكلم يا أبا العباس ، فقال :

(١) أصله من المثل : « ليس المرعى كالهمل » ، والمرعى : الذي له راع ، والهمل : المتروك

أَمَعَكَ يَا أَبَا مَعْمَرٍ وَأَنْتَ خَطِيئَتُنَا وَسَيِّدُنَا؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَلْبًا أَقْرَبَ مِنْ
لِسَانٍ ، مِنْ قَلْبِكَ مِنْ لِسَانِكَ ، قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ تَحِبُّ أَنْ أَتُكَلِّمَ؟ قَالَ : وَإِذَا شِخِ
مَعَهُ عَصَاً يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : صِفْ لَنَا هَذِهِ الْعَصَا ، فَحَمِدَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ وَأَمْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ ، فَقَالَ : رَفَعَهَا اللَّهُ بِمِيزِ عَمَدٍ ، وَجَعَلَ فِيهَا نَجْمًا رَجْمًا وَنَجْمًا اقْتِدَاءً ،
وَأَدَارَ فِيهَا سِرَاجًا وَقِرَاءً مَنِيرًا ؛ لِتَعْلَمُوا عِدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ ، وَأَنْزَلَ مِنْهَا
مَاءً مَبَارَكًا ، أَحْيَا بِهِ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ وَأَدْرَبَ بِهِ الْأَقْوَاتَ ، وَحَفِظَ بِهِ الْأَرْوَاحَ ، وَأَنْبَتَ
بِهِ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً ، يَصْرِفُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ؛ تَكُونُ حَبَّةً ، ثُمَّ يَجْعَلُهَا عِرْقًا ،
ثُمَّ يُقِيمُهَا عَلَى سَاقٍ ، فَيَبِينَا تَرَاهَا خَضْرَاءَ تَرِفُ إِذْ صَارَتْ يَابِسَةً تَتَقَشَّفُ ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا
الْعِبَادُ ، وَيَعْمَرُ بِهَا الْبِلَادَ ، وَجَعَلَ مِنْ يُسَمُّهَا هَذِهِ الْعَصَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ ،
فَقَالَ : وَكَانَ هَذَا نُطْفَةً فِي صُلْبِ أَبِيهِ ، ثُمَّ صَارَ عُلْقَةً حِينَ خَرَجَ مِنْهُ ، ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ لَحْمًا
وَعِظْمًا ، فَصَارَ جَنِينًا أَوْجَدَهُ اللَّهُ بِعَدَمٍ ، وَأَنْشَأَهُ مُرِيدًا ، وَوَقَّعَهُ مُكْتَهَلًا ، وَنَقَصَهُ
شَيْخًا ، حَتَّى صَارَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ ، مِنَ الْكَبِيرِ ، فَاحْتِاجَ فِي آخِرِ حَالَاتِهِ إِلَى هَذِهِ الْعَصَا ؛
فَتَبَارَكَ الْمُدَبِّرُ لِلْعِبَادِ ... قَالَ شَيْبٍ : فَتَأَمَّنْتَ كَلَامًا عَلَى بَدْيِهِ أَحْسَنَ مِنْهُ .

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ : يَا أَشَدُّقُ ؟ قِمَّ عِنْدَ قُرُومِ الْعَرَبِ وَجَحَّاجِجِهَا ، فَسَلِّ لِسَانَكَ ،
وَجَلِّ فِي مِيَادِينِ الْبَلَاغَةِ ، وَلِيَكُنِ التَّفْقُّدُ لِمَقَاتِعِ الْكَلَامِ مِنْكَ عَلَى بَالٍ ، فَإِنِّي شَهِدْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْلَى عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابًا ،
وَكَانَ يَتَّفَقُ مَقَاتِعِ الْكَلَامِ كَتَّفَقَ الْمَصْرِمُ صَرِيمَتَهُ .

وَلَمَّا أَقَامَ أَبُو جَهْمٍ صَالِحًا خَطِيئَتُنَا بِمَحْضَرَةِ شَيْبِ بْنِ شَبَةَ وَأَشْرَافِ قَرِيشٍ فَتَكَلَّمَ ،
أَقْبَلَ شَيْبٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا رَأَيْتُ كَلِيمًا أَيْبَنَ بَيَانًا ، وَلَا أَرْبَطَ جَنَانًا ، وَلَا
أَفْصَحَ لِسَانًا ، وَلَا أَبَلَّ رِيقًا ، وَلَا أَغْمَضَ عُرُوقًا ، وَلَا أَحْسَنَ طَرِيقًا ، إِلَّا أَنْ الْجَوَادَ
عَسِيرَ لَمْ يَرْضَ ؛ فَحَمَلَتْهُ الْقُوَّةُ عَلَى تَمَسُّفِ الْإِكَامِ وَخَبْطِهَا ، وَتَرَكَ الطَّرِيقَ الْإِلْحَابَ ،
وَإِيْمَ اللَّهِ لَوْ عَرَفَ فِي خَطْبَتِهِ مَقَاتِعَ الْكَلَامِ لَكَانَ أَفْصَحَ مِنْ نَطْقِ بِلِسَانٍ .

وقال المأمون : ما أعجبُ بكلام^(١) أحد كاعجابي بكتاب القاسم بن عيسى ، فإنه يُوجز في غير عَجْز ، ويصيبُ مفاصلَ الكلام ولا تدعوه المقدرة إلى الإطناب ، ولا تميل به الغزارةُ إلى الإسهاب ، يُجلى عن مراده في كتبه ، ويصيبُ المغزى في ألفاظه . وكان يزيد بن معاوية يقول : إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا ، فإنه أشدُّ وأعيبُ من اللحن .

وكان أكرم بن صيفي إذا كاتب ملوكَ الجاهلية يقول^(٢) لكتابه افضلوا بين كل معنى منقضى ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعبه ببعض . وكان الحرث بن أبي شمير النسائي يقول لكتابه المرقش : إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فأفصلُ بينه وبين تبعته من الألفاظ ، فإنك إن مددت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمدق به نفرت^(٣) القلوب عن وعيها ، ومكثت الأسماع ، واستثقلت الرواة . وكان بزُرْجمهر . يقول : إذا مدحت رجلاً ، وهجوت آخر ، فاجعل بين القولين فصلاً حتى تعرف المدح من الهجاء ، كما تفعل في كتبك إذا استأنفت القول ، وأكملت ما سلف من اللفظ .

وقال الحسن بن سهل لكتابه الحراني : ما منزلة الكاتب في قوله وفعله ؟ قال : أن يكون مطبوعاً محتسباً بالتجربة ، عالماً بحلال الكتاب والسنة وحرامها ، وبالدهور في تناولها وتصرفها ، وبالملوك في سيرها وأيامها ، مع براعة اللفظ وحسن التنسيق ، وتأليف الأوصال بمشكلة الاستعارة ، وشرح المعنى ؛ حتى ينصب صورها ، ويقاطع الكلام ، ومعرفة الفصل من الوصل ؛ فإذا كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد . والقول إذا استكمل آتته ، واستتم معناه فالفصل عنده . وكان عبد الحميد الكاتب إذا استخبر الرجل في كتابه فكتب : خبرك ، وحالك وسلامتك ؛ فصل بين هذه الأحرف ويقول : قد استكمل كل حرف منها آتته ، ووقع الفصل عليه . وكان صالح بن عبد الرحمن التميمي الكاتب يفصل بين الآيات كلها وبين تبعتها من الكتاب ، كيف وقعت .

(١) في « بكتاب » . (٢) في « قال لكتابه » . (٣) في « بعدت » .

وكان يقول : ما استؤنف إن - إلا وقع الفصل ، وكان جبل بن يزيد يفصل بين الفاءات كلها ، وقد كره بعض الكتبة ذلك وأحبه بعض ، وفصل المأمون عند « حتى » كيف وقعت ، وأمر كتابه بذلك ، فغلط أحمد بن يوسف ، ووصل حتى بما بعده من اللفظ ، فلما عُرض الكتاب على المأمون أمر بإحضاره ، فقال : لعن الله هذه القلوب حين اكتبت العلوم بزعمكم ، واجتنت ثمر لطائف الحكمة بدعواكم ؛ قد شغلتموها باستظراف ما عَزَبَ عنكم علمه عن تفهيم ما روَيْتموه ، وتفحص ما جمعتموه ، وتعرف ما استقدمتموه ؛ أليس قد تقدمنا إليكم بالفصل عند « حتى » حينما وقعت من الألفاظ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد ينبو السيف وهو صميم ، ويكبو الجواد وهو كريم . وكان لا يعود في شيء من ذلك ، وكان يأمر كتابه بالفصل بين ؛ بل وبلى ، وليس .

وأمر عبدُ الملك كتابه بذلك إلا « ليس » . وقال المأمون ما أنفخص من رجل شيئاً كتفخصي عن الفصل والوصل في كتابه ، والتخلص من المحلول إلى المعقود ، فإن لكل شيء جمالاً ، وحلية الكتاب وجماله إيقاع الفصل موقعه ، وشحن الفكرة وإجالتها في لطف التخلص من المعقود إلى المحلول .

المعقود
والمحلول

وقلنا : إن المعقود والمحلول هاهنا هو أنك إذا ابتدأت مخاطبة ، ثم لم تنته إلى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك سمي الكلام معقوداً ، وإذا شرحت المستور وأبنت عن الغرض المنزوع إليه سمي الكلام محلولاً .

مثال ذلك ما كتب بعضهم ، وجري لك من ذكر ما خصك الله به ، وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدرة ، وبعْدِ الهمة والذكر ، وكال الأداة والآلة والتمهد في السياسة والإيالة ، وحياسة أهل الدين والأدب ، وإيجاد عظيم الحق بضعيف السبب ، مالا يزال يجري مثله عند كلِّ ذكر يتخذ ذلك ، وحديث يؤثر عنك . فالكلام من أول الفصل إلى آخر قوله « بضعيف السبب » معقود ، فلما اتصل بما بعده صار محلولاً . وما كتب بعضهم : ربما كانت مودة السبب أو كدُّ من مودة النسب ؛ لأن المودة التي تدعو إليها رغبة أو رهبة ، أو شكر نعمة ، أو شاكلة في صناعة ، أو مناسبة

بمساكلة مودة معروفة وجوهها ، موثوق بخلوصها فتوكدها بحسب السبب الداعي إليها ، ودوامها بدوامه واتصالها باتصاله ؛ ومودة القربى وإن أوجبها الأئمة ، فهي مشوبة بحسد ونفاسة ؛ وبحسب ذلك يقع التقصير فيما يوجبه الحال ، والإضاعة لما يلزم من الشكر ، والله يعلم أنى أودك مودة خالصة لم تدع إليها رغبة فيزيلها استغناء عنها ، ولا اضطرت إليها رهبة ؛ فيقطعها أمن منها ، وإن كنت مرجوا للموهبات بحمد الله ؛ ومقصداً من مقاصد الرغبات ، وكهفا وحرزاً من الموبقات . فهذا الكلام كله معقود إلى قوله : « مساكلة مودة » فلما انصل بما بعده صار محلولاً .

وقال بعضهم : انظر سدّدك الله ألا تدعوك مقدرتك على الكلام إلى إطاله المعقود؛ فإن ذلك فساد ما أكننته في صدرك ، وأردت تضمينه كتابك . واعلم أن إطالة المعقود يورث نسيان ما عقدت عليه كلامك ، وأرهفت به فكرك .

عبيه

وكان شبيب بن شبة يقول : لم أر متكلماً قط أذكر لما عقد عليه كلامه ، ولا أحفظ لما سلف من نطقه من خالد بن صفوان ، يُشبع المعقود بالمعاني التي يصعب الخروج منها إلى غيرها ، ثم يأتي بالملول واضحاً ، بيناً مشروحاً منوراً . وكان السامع لا يعرف مغزاه ومقصده ، في أول كلامه حتى يصير إلى آخره .

أجود ذلك

وقال بعضهم : ليس يُحمد من القائل أن يعنى معرفة مغزاه على السامع لكلامه في أول ابتدائه ، حتى ينتهى إلى آخره ؛ بل الأحسن أن يكون في صدر كلامه دليل على حاجته ومبني لغزاه ومقصده ؛ كما أن خير أبيات الشعر ما إذا سمعت صدره عرفت قافيته . وكان شبيب بن شبة يقول : الناس موكلون بتعظيم جودة الابتداء وبمدح صاحبه ؛ وأنا موكل بتعظيم جودة المقطع وبمدح صاحبه ؛ وخير الكلام ما وقف عند مقاطعه ، وبيّن موقع فصوله .

قلنا : ومما لم يبين موضع الفصل فيه فأشكل الكلام قولُ الخبيل للزبرقان

هما لم يبين
موضع الفصل
فيه

ابن بدر :

وأبو بكر بَدْرٌ كان يَنْهَسُ الحصى . وأبي الجواد ربيعة بن قِبَالٍ (١)
فقال الزُّبَيْرَانُ : لا بأس ، شيخان اشتراكا في صنعة .
وقدما رأينا بليغاً إلا هو يَقْطَعُ كلامه على معنى بديع ؛ أو لفظِ حَسَنٍ رشيق .
قال لقيط في آخر قصيدة : (٢)

مثال المقطع
الحسن في
الشعر

لقد محضت لكم ودّي بلا دَخْلٍ (٣)
فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعاً
فقطعها على كلمة حكمة عظيمة الموقع .
ومثله قول امرئ القيس (٤) :

ألا إنَّ بَعْدَ المُدَمِّ للمرءِ قِنُوءٌ
وبعد الشباب طول عمرٍ ومَلْبَسَا (٥)
فقطع القصيدة أيضاً على حكمة بالغة .
وقال أبو زيد الطائي في آخر قصيدة (٦) :

كلُّ شيءٍ تَحْتَمَلُ فيه الرجالُ
غير أن ليس للمنايا احتيالُ
وقال أبو كبير (٧) :

فإذا وذلك ليس إلا ذكْرُهُ
وإذا مضى شيءٌ كأن لم يُفْعَلْ
فينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجودَ بيت فيها ، وأدخل في المعنى الذي
قصدت له في نظمها ؛ كما فعل ابن الزُّبَيْرِيُّ في آخر قصيدة يعتذر فيها إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ويستعطفه :

نَحِذِ الفُضَيْلَةَ عن ذُنُوبٍ قد خَلَّتْ
واقبل تضرّع مستضيفٍ تائب
فجعل نفسه مستضيفاً ، ومن حق المستضيف أن يُضَافَ ، وإذا أضيف فمن حقه
أن يُصانَ ، وذِكْرُ تضرّعه وتوبته مما سلف ، وجعل العفو عنه مع هذه الأحوال
فضيلة ؛ فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو .

(١) انتهاس الحصى : خضمه ، وفي « ينهس » . (٢) مختارات ابن السجزي ٦ ،
مهذب الأغاني ١ : ١٥١ (٣) الدخول : الغش . (٤) ديوانه : ١٤٢ .
(٥) القنوة : بالكسر وتضم : الكسبية من المال يقتنيه . ورواية الديوان : « بعد المشيب » .
(٦) مهذب الأغاني ١ : ٨٦ . (٧) شعراء المهذلين ٢ : ١٠٠ .

وقول تأبط شرأ في آخر قصيدته (١) :

لتقرعن عَمَّى السِّنِّ من ندمٍ إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق
هذا البيت أجود بيت فيها لصفاء لفظه ، وحسن معناه .

ومثله قول الشنفرى في آخر قصيدة (٢) :

وإني لأحلو إن أريد حلاوتي ومُرٌّ إذا نفس العزوف أمرت
أبيُّ ما أبي قريبٌ مقادتي إلى كل نفس تنتجى في مسرتي
فهذان البيتان أجود ما نخر به من هذه القصيدة .

وقال بشر بن أبي خازم في آخر قصيدته (٣) :

ولا يُنجى من الغمراتِ إلا برآكاه (٤) القتال أو الفرار
فقطعها على مثل سائر؛ والأمثال أحب إلى النفوس لحاجتها إليها عند المحاضرة
والمجالسة . وقال الهذلي (٥) :

عصاك الأقاربُ في أمرهم فزائلٌ بأمرك أو خالطٍ
ولا تسقطن سقوط النواة من كف مُرتَضخٍ لاقطٍ

فقطعها على تشبيهه مليح ومثل حسن، وهكذا يفعل الكتاب الخذاق، والمتسلون
المبرزون؛ ألا ترى ما كتب الصاحب في آخر رسالة له : فإن حنَّت فيما حلَّفتَ ، فلا
خطوت لتحصيل مجد، ولا نهضت لاقْتناء حمد؛ ولا سمَّيت إلى مقام نخر؛ ولا حرصت
على عُلوِّ ذِكْرٍ ، وهذه اليمين التي لو سمَّها عامر بن الظرب لقال هي الغموس؛ لا التسم
باللآت والعزى ومناة الثالثة الأخرى . فأتى بأيمان ظريفة ومعان غريبة .

وكتب أيضاً في آخر رسالة : وأنا متوقع لكتابك ؛ تَوَقَّعَ الظمان للماء
الزلال ؛ والصوام لهلال شوال .

وكتب آخر أخرى (٦) ؛ وسأل أن أخلفه في تجسيم مولاى إلى هذا المجمع ليقرّب علينا تناول

مثال من
النثر

(١) الفضليات ١ : ٣١ . (٢) مهذب الأغاني ١ : ٩٧ . (٣) اللسان (برك) .
(٤) البراكاه : الثبات في الحرب والجد . (٥) ديوان الهذليين ٢ : ١٩٦ . (٦) في « وكتب آخر »

البدر بمشاهدته ؛ ولس الشمس بقرته . فانظر كيف يقطع كلماته على كل معنى بديع ،
ولفظ شريف .

ومن حسن المقطع جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكّنها في موضعها ، وذلك من حسن
المقطع جودة
الفاصلة
وذلك على
ثلاثة أضرب
الضرب
الأول :

قصير قليل الحروف فيتم به البيت ، كقول زهير (١) :

وأَعْلِمُ ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علمٍ ما في غدٍ عَمِي
وقول النابغة (٢) :

كألا فحوان غداة غب سمانه (٣) جَفَّتْ أَعاليه وأسفله نَدِي
وقال الأعشى :

وكأس شربتُ على لَذَّة وأخرى تداويتُ منها بها
وقول امرئ القيس (٤) :

مِكرٌ مفر مقبل مدبر مما كجلمود صخر حطه السَّيْلُ من عل
وقول طرفة (٥) :

إذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتني منيما إذا بلت بقائمه يَدِي
وقول النابغة (٦) :

زَعَمَ الهامُ ولم أذقه أنه يُشْفَى يبرد لثاتها العطشُ الصِّدِي
وقال آخر :

ألا يا غرابي بينها لا تصدعا فطيرا جميعا بالنوى أوقعا مما
وقول متمم (٧) :

فلمّا تفرقنا كأني ومالكاً أطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(١) ديوانه ٢٩ . (٢) ديوانه ٣٧ . (٣) السماء : المطر .

(٤) من المعلقة وديوانه ٣٤ . (٥) المعلقات ٩٣ .

(٦) ديوانه ٣٧ . (٧) مهذب الأغاني ٢ : ١٨٢ .

وقول الأعشى :

فظللتُ أرهاها وظل يحوطها
حتى دنوتُ إذا الظلامُ دَنَا لها
وقول النابغة^(١) :

لا مرحبا بغدي ولا أهلا به
أفدَ الترحلُ غير أن ركبنا
وقول ابن أحرر^(٢) :

وقال عدى بن زيد^(٣) :

فإن كانت النماءُ عندك لامرئٍ
فمثلُ بها واجز الطالبُ أو زد^(٤)
وقال ابن أبي حية :

فقلنَ لها سرًّا فدينك لا يرحُ
فألت قناعا دونه الشمس وأنت
وقالت فلما أفرغت في فواده
فودَّ بجذع الأنف لو أن صحبه
صحبحا وإلا تقبله فالميمي
يأحسن موصولين كفَّ ومِعصم
وعينيه منها السحر قلنَ له قم
تنادوا وقالوا في المناخ له نم

ومن شعر المحدثين قول ابن أبي عيينة :

دُنِيَا دعوتك مسمعا فأجيبني
دومي أدم لك بالوفاء على الصفا
وقال آخر :

أتني تونبي في البكا
تقول وفي قولها حشمة
فأهلا بها وتأنبها
تراني بعين وتبكي بها
أمرتُ الدموع بتأديها
فقلتُ إذا استحسنتم غيركم

فقوله : « تراني بعين وتبكي بها » حسن الوقع جدا .

(١) ديوانه ٣٥ . (٢) كذا في الأصول ، ولم يذكر الشعر .

(٣) شعراء النصرانية ٤٦٥ . (٤) في شعر النصرانية : « وردد » .

وقلت :

سَيَقْضِي لِي رِضَاكَ بَرْدٌ مَالِي وَيَعْمَدُ حَسَنَ رَأْيِكَ كَشْفَ مَا بِي

وقلت :

وَذَقْتُ مَهْوَى النَجْمِ رِيقًا خَصْرًا لَوْ كَانَ مِنْ نَاجِدِ خَمْرٍ مَا عَدَا

وَقَدْ تَنَعَّمْتُ بِبَشْرِ عَطِيرٍ لَوْ كَانَ مِنْ فَارَةِ مِسْكَ كَانَ دَا

الضرب
الثاني

والضرب الآخر : وهو أن يضيق به المكان أيضا ، ويمعز عن إيراد كلمة سالمة محتاج إلى إعراب ليم بها البيت ؛ فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج إلى الإعراب ، فيتمه به ؛ مثل قول امرئ القيس :

بِمَيْثَا رَبِيَا قَبْلَ ذَلِكَ مَحْمَلًا كَذُوبِ الْفَضَا يَمْشِي الضَّرَاءُ وَيَتَّقِي (١)

وقول زهير (٢) :

صَحَا الْقَلْبُ عَنِ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسَاوُ وَأَقْفَرُ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالْتَمَلُ (٣)

ثم قال : (٤)

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سَنِينَا ثَمَانِيَا عَلَى صَيْرِ أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَمَا يَحُلُو (٥)

وقال (٦) :

لَذِي الْحِلْمِ مِنْ ذُبْيَانٍ عِنْدِي مَوْدَةٌ وَحِفْظٌ وَمَنْ يُلْجِمُ (٧) إِلَى الشَّرِّ أَنْسُجِ

مَخُوفٍ كَأَنَّ الطَّيْرَ فِي مَنَزِلَاتِهِ عَلَى جَيْفِ الْحَسْرَى مَجَالِسٌ تَنْتَجِي (٨)

وقوله (٩) :

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبِهِ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمًّا لَا يَفْرِي (١٠)

(١) مشى الضراء : ه المشى فيما يواريك ممن تكبده وتخله .

(٢) ديوانه ٩٦ . (٣) التعانيق والثقل : واديان .

(٤) ديوانه ٩٦ . (٥) صير أمر : منتهاه وصيرورته . (٦) ديوانه ٣٢٤ .

(٧) اللحمة : ما نسج عرضا . (٨) الحسرى : اللعيبية ، تنتجى ، من المناجاة .

(٩) ديوانه ٩٤ . (١٠) الخالق : الذى يقدر للقطع ، وهو مثل .

وقول أبي كبير (١) :

ولقد رَبَّأتُ إِذَا الصَّحَابُ تَوَاكَلُوا جمر الظَّهيرةِ فِي البقاعِ الأَطولِ (٢)

فِي رَأْسِ مُشْرِفةِ القَدالِ كَأَنَّمَا أَطْرُ السَّحابِ بِها رِياضِ المَجْدَلِ (٣)

ومعايِلا صُلِّعَ الظُّبَاتِ كَأَنَّها جمرٌ بِمِشْهَكَةٍ تُشَبُّ لِصِطَالِي (٤)

فقوله : « لصطلي » متمكنة في موضعها .

وقول ذي الرمة (٥) :

أراحَ فَرِيقُ جِبرِتيكَ الجِمالا كَأَنَّهُم يَرِيدُونَ اِخْتِبالا

فَكَدَّتْ أَموتُ مَن حَزَنَ عَلِيهِم وَلَمْ أَرِ حادِي الأَظمانِ بِألي

فقوله : بألي ، عجيبة الموقع ، أخذته من قول زهير (٦) :

لَقَدَّ بِأليتُ مَظْمَنُ أُمِّ أوفى وَلَكِنُّ أُمِّ أوفى لِأُتِبالِ (٧)

وقول الحطيئة (٨) :

دَعِ المِكارِمِ لا تَرحَلِ لِبعِثِها واقعدِ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطاعِمِ الكاسِي

وقال آخر :

وَجُوهَ لو أَنَّ المِذلِجِينِ اِعْتَشَوْا بِها صَدَعَنَّ الدَّجِجِي حَتى تَرى اللَّيْلَ يَنجَلِي

والضرب الثالث : أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة

أو البيت من الشعر ؛ وتكون مستقرة في قرارها ، وتمكنة في موضعها ؛ حتى لا

يسد مسدها غيرها ؛ وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف ، كقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ

أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ ،

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَاسْأَفْ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ،

(١) ديوان الهذليين ٢-٩٦ . (٢) ربأت ، من ربأ القوم يربؤهم إذا اطلع عليهم من

شرف . وفي الديوان : حم الظهيرة (٣) أطر السحاب : اعوجاج تراه فيه ، والأطر هنا مصدر

واقعد في معنى المفعول . (٤) المعابل ، بالفتح جمع معبةلة بالكسر ، وهى نصل طويل عريض .

والمشبكة : ممر الريح إذا مرت مرا شديدا . (٥) ديوانه ٦٢ . (٦) ديوانه ٣٤٢ .

(٧) باليت ، من المبالاة . مغلغها : مسيرها (٨) ديوانه ٥٤ .

فأبكي مع أضحك وأحيا مع أمات ، والأنتى مع الذكر ، والأولى مع الآخرة ، والرضا
مع العطفة فى نهاية الجودة ، وغاية حسن الموقع .

من الشعر

ومن الشعر قول الخطيب^(١) :

هم القوم الذين إذا ألت من الأيام مظلمة أضاءوا

وقول عدى بن الرقاع^(٢) :

صلّى الإله على امرئ ودعته وأتمّ نعمته عليه وزادا

وقول زياد بن جميل :

هم البحور عطاء حين تسألهم وفى اللقاء إذا تلقى بهم يوم

وهذا مستحسن جداً لما تضمن من التجنيس .

ومن ذلك قول البحترى :

ظللنا نرجم فيك الظنون أحاجبه أنت أم حاجبه

وقول أبى نواس^(٣) :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

الصديق هاهنا جيد الموقع ؛ لأن معنى البيت يقتضيه ، وهو محتاج إليه .

وقول جميل :

ويقلن إنك قد رضيت باطل منها فهل لك فى اعتزال الباطل

الباطل ، هاهنا جيد الموقع لمطابقتها مع الباطل الأول ؛ وقلت :

وقد زينت أسواقه بطرائف إذا انصرفت عنها العيون تعود

تعود ، هاهنا جيد متمكن الموقع .

(١) ديوانه : ٢٧ . (٢) فى ط «الرفاش» ، وصوابه فى ١ (٣) ديوانه : ١٩٢ .

ما عيب
من القوافي

وما عيب من القوافي قول ابن قيس الرقيات ، وقد أنشد عبد الملك :
إِنَّ الحِوَادِثَ بِالمَدِينَةِ قَدَّ أُرْجَمَنِي وَقَرَعَنَ مَرَوْتِيَه
وَجَبَّبَنِي جَبَّ السَّنَامِ فَلَمْ يَرْمُكُنْ رِيشًا فِي مَنَاكِيَه

فقال له عبد الملك : أحسنت إلا أنك تخنثت في قوافيك ، فقال : ما عدوت قول
الله عز وجل : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَا لِيَه هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه ﴾ ، وليس كما قال ؛ لأن
فاصلة الآية حسنة الموضع ، وفي قوافي شعره لين .

ومن عيوب القوافي أن تكون القافية مستدعاة لا تفيد معنى ، وإنما أوردت
ليستوى الروي قطع ، مثل قول أبي تمام (١) :

كالظبية الأدماء صافت فأرتمت . زَهْرَ العَرَارِ الغَضِّ والجَحْجَاجِ (٢)

ليس في وصف الظبية أنها ترعى الجحججات فائدة ، وسواء رعت الجحججات
أو القلام أو غير ذلك من النبات ، وإذا قصيدت لثمت الظبية بزيادة حسن قيسل إيمها
تعطو الشجر ؛ لأنها حينئذ ترفع رأسها ، فيطول جيدها وتظهر محاسنها ؛ كما قال
الطرمح (٣) :

مثل ما عاينت مخروفة (٤) نصها ذاعر روع مؤام

يصف أنها مذعورة تفتح عينها وتمد جيدها ؛ فيبدو للعين محاسنها .

وقال زهير (٥) : وقريب منه قول الآخر :

وسابغة الأذبال زغف (٦) مفاضة تكنفها مني مجاد مخطط

وليس لتخطيط الجاد معنى يرجع إلى الدرع ، ولا إلى السيف .

ومثله قول الآخر :

أنشر البر فيمن ليس يعرفه وأنثر الدر بين النمي في الغلس

(١) ديوانه : ٦٣ . (٢) الأدماء : البيضاء بسمة . العرار : نبت . الغض : الناعم .
الجحججات : من أحرار البقول . (٣) اللسان (خرف) . (٤) مخروفة : أصابها مطر الخريف .
(٥) كذا في ١ ونسبه لزهير ، ولم نعثر عليه في الديوان ؛ وفي ط نسبه إلى آخر ، وفي الهامش
ذكر أن قائله علي بن محمد البصرى (٦) الزغف : الدرع المحكمة .

ليس لذكر الغلس مع العمى معنى ؛ لأن الأعمى يستوى عنده الغلس والهجرة ، ولو قال الغمش لكان أقرب من العمى ، على أن الجميع لا خير فيه .

ومن هذا النوع قول القرشي :

وَوَقَّيْتُ الحُثُوفَ مِنْ وَارِثِ وَائِ لِي وَأَبْقَاكَ صَالِحًا رَبُّ هُودِ
ليس نسبة الله تعالى إلى أنه رب هود بأولى من نسبته إياه عز اسمه إلى أنه رب نوح أو غيره .

وقول ابن الرومي :

أَلَا رِيحًا سَوَّتِ الغَيُورَ وَسَاءَنِي وَبَاتَ كَلَانًا مِنْ أَخِيهِ عَلَى وَحْرِي
وَقَبِلْتُ أَفْوَاهَا عِدَابًا كَأَنَّهَا يَنْبِيعُ خَمْرٍ حُصِّبَتْ لَوْلَوْ الْبَحْرُ
فَقَوْلُهُ : « لَوْلَوْ الْبَحْرُ » أَفْسَدَ الْبَيْتَ وَأَطْفَأَ نَوْرَ الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّ الْوَلَوْلُوَ لَا يَكُونُ
فِي غَيْرِ الْبَحْرِ ، فَنَسَبْتُهُ إِلَى الْبَحْرِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ إِلَّا إِقَامَةَ الرُّومِيِّ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ .

ورأيت المعنى جيداً فقلت :

مَرَّ بِنَا يَسْتَمِيلُهُ الشُّكْرُ وَكَيْفَ يَصْحَوُ وَرِيقَهُ خَمْرُ
قَبِلْتُ فِيهِ عَلَى مُرَاقَبَةٍ يَنْبُوعُ خَمْرٍ حَصْبَاؤُهُ دُرٌّ

ومن القوافي الرديئة قول رؤبة^(١) :

* يُكْسِينُ مِنْ لَيْنِ الشَّبَابِ نَيْمًا *

النيم : الفرو ، وأى حُسن للفرو فيشبهه به شباب النساء ! وما قال أحد :
عليه من الشباب أو من الحسن فرّو ؛ وإنما يقال : رداء الشباب ، ويرد الشباب ،
وثوب الشباب ؛ ولم يقولوا : قميص الشباب ، وهو أقرب من الفرو . ولو قاله قائل
لم يحسن لأنه لم يستعمل ، وإنما احتاج إلى الميم فوقع في هذه الرذيلة .
وهذا باب لو أطلقت العنان فيه لَطَالَ فيشغل الأوراق الكثيرة ، ويصرم فيه
الزمان الطويل ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

(١) اللسان (نوم) وقبله : * وقد أرى ذلك فلن يدر ما *

الفصل الثالث

في الخروج من النسب إلى المدح وغيره

كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها ، والوجد بفراق
سالكينها ، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت : فدع ذا وسلّ لهم عنك بكذا ،
كما قال (١) :

فدع ذا وسلّ لهم عنك ببسرة
ذمول إذا صام النهار وهجراً (٢)

وكا قال النابغة (٣) :

فسليت ما عندي بروحة عرّيس
تخبّ برحلى مرة وتناقل (٤)

وربما تركوا المعنى الأول ، وقالوا « وعيس أو وهو جاء » وما أشبه ذلك ، كما قال
علقمة (٥) :

إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ ماله
فليس له في ودّه نصيب
وعنّس برينهاها كأنّ عيونها
قوارير في أدهانها نصوب (٦)

فإذا أرادوا ذكر المدوح قالوا : إلى فلان ، ثم أخذوا في مديحه ؛ كما قال
علقمة (٧) :

ونأجية أفنى ركب ضلوعها
وحارّكها تهجره ودهوب (٨)

وتضبيح عن غب السرى وكأها
مؤلعة تخشى القنيص شوب (٩)

(١) هو امرؤ القيس ، اللسان (صوم) . (٢) الجسرة : الناقة العظيمة . والذمول :
التي تسير سيراً ليناً ؛ وصام النهار ؛ إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة . (٣) ديوانه : ٥٨ .
(٤) العرّيس : الصخرة ، وشبهت بها الناقة إذا كانت صلبة شديدة ، والمناقلة : أن تناقل
يديها ورجليها في السير ، وهو وضع الرجل مكان اليد . (٥) ديوانه : ١٢ .
(٦) العنّس : الناقة القوية . (٧) ديوانه : ١١ . (٨) ناجية : ناقة قوبة .
ركب ضلوعها : ما ركب على ضلوعها من الشحم واللحم . الحارّك : مقدم السنام .
(٩) القنيص : الصائد . الشوب : الحسنه .

فوصفها ثم قال :

إلى الحارث الوهاب أعلمت ناقتي
لكل كلبها والقصرين^(١) وجيب

وقال الحارث بن حلزة^(٢) :

أمنى إلى حرفٍ مُذَكَّرَةٍ
تهضُ الحصى بمناسم مُلَسِّ

ثم قال :

أفلا نُعديها إلى مَلِكٍ
شهم المقادة حازم النَّفْسِ

ثم أخذ في مديحه .

وربما تركوا المعنى الأول ، وأخذوا في الثاني من غير أن يستعملوا ما ذكرناه ،

قال النابغة^(٣) :

تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُضٍ
وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بَأَيِّ

عَلَى لِعَمْرٍو نَمِيمَةٌ بِعَسَدٍ نَمِيمَةٌ

لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَّارِبِ

وقال أيضاً^(٤) :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْفُؤَادَ عَلَى الصَّبَا
وَقَدَّ حَالَ هُمْ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ

وَلُوجَ الشَّغَافِ تَبْتِغِيهِ الْأَصَابِحُ

أُنَانِي وَذُونِي رَأَسِ وَالضَّوَاجِعُ^(٥)

والبحتري يسلك هذه الطريقة في أكثر شعره .

فأما الخروج المتصل بما قبله فقليل في أشعارهم ؛ فمن القليل قولُ دجاجة

ابن عبد قيس التميمي :

وقال الغواني قد تَصَمَّرَ جِلْدُهُ
فَلَا تَأْسَ أُنَى قَدْ تَلَا فَيْتُ شَيْبَتِي

وكان قديماً ناعم المتبدل

وهزَّ الغواني من شميطة مَرَجَلِ

(١) القصرين : ضلعان تليان الترقوتين . والوجيب : الحفطان .

(٢) شعراء النصرانية : ٤٧٠ . (٣) ديوانه : ٣ .

(٤) ديوانه : ٥١ . (٥) رأكس : واد . والضواجع : جمع ضاجعة ، وهي منحني الوادي .

الخروج
المتصل بما
قبله

بمشرقة الهادي نبذ عنانها يمين الغلام الملجم المتدل
فوصل وصف الفرس بما تقدم من وصفه الشيب وصلًا .
وقال تأبط شرًا^(١) :

إني إذا خلّة ضنّت بنائليها وأمسكت بضميف الجبل أخذاق^(٢)
نجوت منها نجائي من بجيلة إذ أقيت ليلة خبت الرهط أوراق^(٣)
وقريب منه قول أوس بن حجر في وصف السحاب^(٤) :

دان مسيف فوبق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
ثم قال :

سقى ديارى بنى عوف وساكنها ودار علقمة الخير ابن صباح
وقال زهير^(٥) :

إن البخيل ملوم حيث كان ول كنّ الجواد على علاته هريم
وأما المحدثون ، فقد أكثروا في هذا النوع ؛ قال مسلم بن الوليد :

إذا شئت أن تسقياني مُدامة فلا تقتلها كل ميت محرّم
خلطناً دماً من كرمه بدمائنا فأثر في الألوان من الدم الدم
ويقطى نيت النوم فيها بسكرة لصهبا صرعاها من السكر نوم
فن لأمنى في اللهو أو لأم في الندى أبا حسن زيد الندى فهو ألوم
وقال منصور النمرى في الرشيد :

إذا امتنع المقال عليك فامدح أمير المؤمنين تجدد مقالا
فستى ما إن تزل به ركاب وضمن مدائحاً وحنن مالا

إكثار
المحدثين من
هذا النوع

(١) المفضليات : ١ - ٢٦ . (٢) الأخذاق : المتقطع .

(٣) بجيلة : القبيلة التي أسرتها . الحبث : اللين من الأرض . الرهط : موضع .

(٤) اللسان (هذب) ونسبه إلى عبيد بن الأبرص . (٥) ديوانه : ١٥٢ .

وقال أبو الشَّيْصِ :

أَكَلَ الوَجِيفُ لِحْمَهَا وَلِحْمَهُمْ
وَلَقَدْ أَتَيْتَكَ عَلَى الزَّمَانِ سِوَا خَطَا

فَأَتَوْكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ
وَرَجَعَنْ عَنْكَ وَهَنْ عَنْهُ رَوَاضٍ

وقال ابن وهيب :

مَا زَالَ يَلْتُمُنِي مَرَّاشَفَهُ
حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَهُ
وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرْتَهُ

وَيَعْلُنِي الإِيرِيقُ وَالْقَدْحُ
وَنَشَأَ خِلَالَ سِوَادِهِ وَضَحُ
وَجْهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وقال :

[طَلَلَانَ طَالَ عَلَيْهِمَا الأَمْرُ

لَيْسَا إِلَيَّ فَكُنَّا وَمَا جَدَا

وقال الطائي (٢) :

صَبَّ الفِرَاقُ عَلَيْنَا صَبًّا مِنْ كَثْبٍ

وقال (٣) :

إِسَاءَةُ الحَادِثَاتِ اسْتَبْطِنِي نَفَقًا

فَقَدْ أَظْلَكَ إِحْسَانُ ابْنِ حَسَّانٍ

وقال عبد الصمد بن المعدل :

وَلَا حَ الصَّبَاحُ فَشِبْهَتُهُ

عَلَى بَنِّ عَيْسَى عَلَى المُنْبَرِ

وقال البحترى (٤) :

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا

يَدُ الخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَاذِيهَا

وقال (٥) :

شَقَاقُ يَحْمَلُنِ النَّدَى فَكَأَنَّهَا

دَمِوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الخِرَائِدِ

(١) لم يذكر هذا البيت في ط (٢) أبو تمام ، ديوانه : ٣٠٢ . (٣) ديوانه : ٣٢٤ .

(٤) ديوانه : ٢ - ٣١٩ . (٥) ديوانه : ١ - ١٣٦ .

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت
وقال مسلم :
أجدك هل تدبرين أن رب ليلة
لهوت بها حتى تجلت بغرة
وقال آخر :
وكلانا قد أحدثت الراح فيه
وقال أبو البصير :
فقلت لها عبيد الله بيتي
أصبح منه معتصما بجبل
كفرت إذا صنائمه وظلت
وقال البحترى في ياقوتة (١) :
إذا التهبت في اللحظ ضاهى ضياؤها
وقال (٢) :
وجرّ على الدّجن هُدّاب مُزِنه
تأخّر عن ميقاته فكأنه
وقال بكر بن النطاح :
ودويّة خلقت للسراب
ترى جنبها بين أضعافها
كأن حنيفة تحميمهم
وقال دعبل :
وميشاء خضراء موشية
تليها بتلك البارقات الرواعد
كأن دُجاها من قرونك يُنشر
كفرة يحيى حين يُذكر جفّة
زَهو يحيى بن خالد بن الوليد
وبين الحادثات فلا تراعى
وتقصر نعمتى ويضيق باعى
تعاتبه المروءة فى اصطناعى
جيبناك عند الجود إذ يتألق
أو اخره فيه وأوله عندى
أبو صالح قد يت منه على وعد
فأواجه بينها تزخر
حلولا كأنهم البربر
فألينهم خشن أزور
بها النور يزهر من كل فن

ضحوك إذ لاعبته الرياح
فشبهه صبحي نواره
فقلت بمدتم ولكنني
فتي لا يرى المال إلا المطا
تأوّد كالشارب المرجح
بدياح كسرى وعصب اليمين
أشبهه بجناب الحسن
ولا الكنز إلا اعتقاد المين

وقال غيره :
قالت وقد ذكّرتها عهد الصبا
إلا الإمام فإن عادة جوده
باليأس تقطع عادة المعتاد
موصولة بزيادة المزداد

وقال البحترى (١) :
بعض غاراتنا على الأعداء
وكأن الرسوم أخنى عليها

وقال (٢) :
بين السقيفة فاللوى فالأجرع
فكأنما ضمنت معالمها الذي
دمن حبسن على الرياح الأربع
ضمنته أحشاء الحب الموجه

وقال (٣) :
أقول لشجاج الغمام وقد سرى
أقل أو أكثر لست تبلع غاية
فتي لبست منه الليالي محاسنا
لمحتفل الشؤبوب صاب فعمما
تبين بها حتى تضارع هيمها
أضاء له الأفق الذي كان مظلمها

وقال (٤) :
قد قلت للغيث الركام ولج في
لا تعرضن لجعفر متشبها
إبراقه وألح في إرعاده
بندى يديه فلست من أنداده

لعمرك ما الدنيا بناقصة الحدا
إذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

(١) ديوانه : ٢ - ١٠٠ . (٢) ديوانه : ٢ - ٢٣٣ .

(٣) ديوانه : ١ - ١٢٩ . (٤) ديوانه :

وقال (١) :

أبرق تجلّى أم بدا ابن مدبرٍ
بغرة مسؤل رأى البشر سائله

وقال (٢) :

أدارهم الأولى بدارة جُلجلٍ
حباؤك يحكي يوسف بن محمد
سقاك الحيا روحاته وبواكره
فروّتك رياه وجادك ماطره

وقال :

كأن سناها بالعشى لشربها
تبلج عيسى حين يلفظ بالوعد

وقال :

آليت لا أجمل الإعدام حادثة
تخشى وعيسى بن إبراهيم سنده

وقال :

أيام غصن الشباب تهتر كالـ
أسمر في راحة بن حماد

وقال :

لا والذي سنّ للمدامة والـ
ما رمقت مقلتناى أسمح في الـ
ماء نكاحا بغير تطليق
مالم من راحة أحمد بن مسروق

وقال علي بن جبلة :

وغيث تأنقه نوءه
تظلّ الرياح نهادي به
فألبيه عدلا أربدا
إذا ما تميز أو غردا
كأن تواليه بالمرأ
تداعى تميم غداة الحفا
ر تدعو زرارة أو معبدا

وقال علي بن الجهم (٣) :

وسارية ترداد أرضا تجودها
شغلت بها عيننا قليلا هجودها

أَتَتْهَا بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَكَأَنَّهَا
فَمَا بَرِحَتْ بَعْدَادُ حَتَّى تَفْجَرَتْ
فَلَمَّا قَضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلَهُ (١)
فَمَرَّتْ تَقُوتِ الطَّرْفِ سَعِيًّا (٢) كَأَنَّهَا
وَقَالَ أَيْضًا (٣) :

دَبْرَنَ وَالصَّبَّاحَ مَمْقَبَاتٍ
فَلَمَّا أَنْ تَجَلَّى قَالَ صَحْبِي
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ (٤) :

سَقَيْتُ رَبَّكَ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ
فَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ الْمَنَى
وَقَالَ :

قَلْ لِدَاعِي الْغَنَامِ لَبِيكَ وَاحِلٍ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ (٥) :

يَا صَاحِبِي تَقْصِيًّا نَظَرَيْكُمْ
تَرِيًّا نَهَارًا مُشْرِقًا قَدْ شَابَهُ
خَلْقُهُ أَطْلَ مِنَ الرَّيْعِ كَأَنَّهُ
وَقَالَ (٦) :

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرِيًّا لَهَا
وَقَالَ (٧) :

نَجَاهِدِ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ تَتَّبِعْهُ (٨)

مَجَاهِدَاتِ الْقَوَافِي فِي أَبِي دُلْفَا

(١) في ط : « وأهله » . (٢) في الديوان : « سبقا »
(٣) ديوانه : ٨ . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤٣ . (٥) ديوانه : ١٥٧ .
(٦) ديوانه : ١٧٣ . (٧) ديوانه ٢٠١ . (٨) في الديوان : « ترجمه » .

وقال (١) :

إذا العيسُ لاقَتْ بي أبا دلف فقد تقطع ما بيني وبين النوائبِ

وقال (٢) :

تداوٍ من شوقك الأقصى بما فعلتُ خليلُ ابن يوسفَ والأبطالُ تطرِدُ

وقال (٣) :

لم يجتمع قط في مصر ولا طرف محمد بن أبي مروان والنَّوْبُ

وقال :

ولقد بلونَ خلأتي فوجدنني سمحَ اليدينِ يسذلُ ودَّ مضمرة

يمعجنُ مني إذ سمحتُ بمهجتي وكذلك أعجبُ من سماحة جعفر

ملك إذا الحاجاتُ لُذْنَ ببابه صافحنُ كفَّ نواله المتيسر

وقال (٤) :

لا والذي هو عالم أن النسوى صبرٌ وأن أبا الحسين كريم

وقال آخر :

سقيات أرجاء العيون تركنني أكابد أسقاما ولست أعادُ

فيسأعجبا إن الأطباء بطرفها تصيد رجالاً والأطباء تُصاد

وللبحر ما بين الفرات ودرجلة أوئل منه الرئي وهو جماد

وقلت أذكر الشيب :

أراني منهاج الهدى فسلكته ولم تتشعب في الضلال مذاهبي

وخبر أن الجهل ليس بآب إلى وأن الحلم ليس بعازب

فأفصح من بعد المعجومة مادحي وأعجم من بعد الفصاحة عاثي

ورد إلى خير الأنام مدأحي خللت محل العقيد من جيد كاعب

وأنجم كرزبب في سرب يحكين غرا في جلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب وعزمكم ورأيكم في الخطب
ويبيضكم ويبيضكم في الحرب

ومن لم يوسع للنوائب صدره أفادته ضيقا في مرام ومذهب
وإني إذا ألقيت بيني وبينها أبا طاهر لم تدبر كيف تضر بي

نازعتُهُ غلس الظلام مُدَامَةً تتعلم الإسكار من لحظاته
وكانها مصورة من خده مفضوبة بالدر من كلماته
تشكو الزمان وذاك من لذاته وبقاء إسماعيل من حسناته
هذا تمدد في الشكاية ظاهر ولرب شك معتد بشكاته
كافي الكفاة برأيه وعزيمة كزمانه بخطوبه وهباته

عادة الأيام لا أنكرها فرح تقرنه لي برح
إن تسكن تُفسد ما تُصلحه فكذا الدهر إذا در رمح
وإذا قام على النهج أننى وإذا سار على القصد جنح
ويربيك فلا تفرح به فهو كالجازر ربى فدنيح
غير أن النهى منه كما جمح الدهر بوادى كبج

ومد علينا الليل ثوبا منمقا وأشعل فيه الفجر فهو يحرق
وصبحنا صبح كان ضياءه تعلم منا كيف يبهي ويشرق

تولت به الأيام وأنجرت بحسنه ولعات البين فأنجرتا
غدا له المزن منها بواديه كأن فيه ليحي إصبعا وبدا

تصعد فيه وهو زرق جمه فتحسب أنا في السماء نُصعد
أطفنا بمحمود السجية ما جد رضاه لما نرجو من الخير موعدا

بممثل فعل السحاب إذا غدا يصقق فيها رعدها ويفرد